


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمـي

جامعة الشهيد حمه لخضر الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية — قسم التاريخ

تطور الجيش التونسي خلال الحكم العثماني وتأثيره على الوضع العام للأيالة (1574 – 1881م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث(ل–م–د) في التاريخ

تخصّص: تاريخ بلاد المغرب الحديث

إعداد الطالب:

محمد العايبي

إشراف الأستاذ الدكتور:

موسى بن موسى

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
نجوى طوبال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيساً
موسى بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفاً ومقرراً
مبارك جعفري	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مناقشاً
محمد الحاكم بن عون	أستاذ محاضر – أ	جامعة الوادي	مناقشاً
محمد حناي	أستاذ محاضر – أ	جامعة الوادي	مناقشاً
شهرزاد شلبي	أستاذ محاضر – أ	جامعة بسكرة	مناقشاً

السنة الجامعية

1443–1444هـ /2021–2022

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾

[الآية:60 سورة الأنفال]

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

والداي الكريمين بارك الله في عمرهما

زوجتي وأبنائي وبناتي

أصدقائي الأوفياء

طلبة العلم النافع في الجزائر

كل المخلصين في هذا الوطن العزيز

شكر وتقدير

أشكر الله عزّ وجلّ الذي وفقني لإنجاز هذا العمل

كما أتقدم بخالص الشكر إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور

موسى بن موسى الذي لم ينحصر دوره كمشرف فقط، إنما كان

بمثابة الأخ الوفي فلم يدخر أي جهد لمساعدتي ونصحي وتوجيهي و

إرشادي، فجزاه الله عني خير الجزاء و له مني جزيل التقدير،

وأتوجه كذلك بجزيل الشكر لصديقي شوراب الشايب على

المساعدة والدعم طيلة سنوات البحث، كما أنوه بالمساعدة التي

تلقيتها من بعض عمال دار الكتب الوطنية والأرشيف الوطني

التونسي ولكل من ساندني بالدعاء والكلمة الطيبة. .

كشاف المختصرات

- المختصرات باللغة العربية:

الاختصار	المعنى
ا.و.ت	الأرشيف الوطني التونسي
تح	تحقيق
تر	ترجمة إلى العربية
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	الجزء
د.ب	دون بلد النشر
د.د.ن	دون دار النشر
د.س	دون سنة النشر
ص	صفحة
صن	صندوق
ط	الطبعة
مج	المجلد
وث	وثيقة

- المختصرات باللغة الأجنبية:

éd	**Edition**
N°	**Numéro**
Op.Cit	**Opus citatum « ouvrage déjà cité »**
P	**Page**
R.A	**Revue Africaine**
R.T	**Revue Tunisienne**
s.d	**Sans date**
s.m. e	**Sans maison d'édition**
sem	**Semestre**
T	**Tome**
Tra	**Tradition**
tri	**Trimestre**
UK	**United Kingdom of Great Britain**
Unesco	**United Nations Educational, Scientific and Cultural**

	Organization
USA	**United States of America**
Vol	**Volume**


مقدمة

منذ إلحاق تونس بالدولة العثمانية في 13 سبتمبر 1574م ساد الحكم العسكري في ربوعها، ويعود ذلك إلى الطابع العسكري الذي كان يسود الحكم في الدولة العثمانية، وثانيا للظروف الإقليمية المحيطة بالإيالة التونسية المتمثلة في التنافس الإسلامي الأوربي في البحر المتوسط، ومخاطر التعرض إلى هجوم من طرف اسبانيا على وجه الخصوص، وكانت الحامية التي أبقاها سنان باشا هي النواة الأولى لتأسيس الجيش، ورغم الطابع العشوائي لتشكل الجيش وطريقة انتداب جنوده ومهامه، إلا أنه استطاع فرض السيطرة على ربوع البلاد وإخضاع القبائل ومراقبة الحدود، وقد شهدت هذه المؤسسة فترات من القوة خلال عهود القرصنة البحرية والتدخل في شؤون إيالة طرابلس، إضافة إلى وضع حد للمَكرُمة السنوية التي كانت تفرضها إيالة الجزائر على تونس بعد حرب 1807م، وقد مرّ الجيش على غرار الإيالة بفترات من القوة وأخرى من الضعف والانحطاط كما حدث أثناء ثورة 1864م .

ورغم محاولة المشير أحمد باي تحديث الجيش والوصول به إلى مصاف الجيوش الأوربية إلا أن هذه المجهودات اصطدمت بعراقيل كثيرة، لعل أهمها: سيطرة الفكر التقليدي على ذهنيات كبار ضباط الجيش وعدم تقبلهم للتحديث ولكل ما هو أوربي. كما أدت الظروف الاقتصادية الصعبة وقلة موارد الخزينة إلى عدم ضمان الإمكانيات المادية الكافية لتمويل مشروع التحديث.

1– أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يدرس مؤسسة بالغة الأهمية في تاريخ تونس الحديث ألا وهي مؤسسة الجيش، ففي الفترة محور الدراسة شكل الجيش العمود الفقري للدولة، فقد كانت كل المؤسسات الأخرى تدور في فلك الجيش وتتداخل علاقتها معه أفقيا وعموديا، وتشكلت الإيالة كوجق عسكري يتألف من حامية تركية، ثم تطورت حتى حققت استقلالها السياسي عن الدولة العثمانية بفضل قوتها العسكرية وتحالفاتها الأوربية، وعلى ضوء هذه المعطيات التاريخية فإن التعرف على بنية هذا الجيش ومسار تطوره وتأثير ذلك على الأوضاع العامة في الإيالة، كما سأتطرق إلى ملامح تأثير تطور الجيش على الأوضاع العامة بتونس وخاصة الجانب الاجتماعي، لما لهذا الجانب من أهمية في تحديد طبيعة العلاقة بين أفراد الجيش والمجتمع بمختلف فئاته ومستوياتهم، أما الجانب

الاقتصادي فسأتطرق إلى الامتيازات المختلفة التي تحصل عليها أفراد الجيش ومدى تأثير ذلك على الوضع المالي للإيالة.

2 – دوافع اختيار الموضوع :

أ –دوافع ذاتية :

– رغبتي في التعرف على فترة هامة من تاريخ تونس هي الفترة الحديثة، بين الانضمام للدولة العثمانية والحماية الفرنسية لمدة تفوق ثلاثة قرون، ومدى تأثير الأحداث الداخلية والإقليمية على بناء الدولة التونسية لاحقا .

– معرفة طبيعة العلاقات العسكرية التونسية العثمانية، خلال الفترة محل البحث وفي مجال الدراسة.

ب– دوافع موضوعية :

– التعرف على مراحل تشكل الجيش في إيالة تونس، والعلاقة بين المناصب الثلاثة السامية الباشا والداي والباي وأسباب استئثار البايات بالحكم وقيادة الجيش.

– التعرف على مراحل تحديث الجيش والظروف الداخلية والخارجية التي أدت إلى ذلك، ومدى نجاح هذا المشروع الكبير ومواقف قادة الجيش والعلماء والأعيان منه.

– إنجاز دراسة تسلط الضوء على مؤسسة هامة في تاريخ تونس الحديث، والتغيرات الكبرى التي شهدتها الإيالة التونسية ومدى تأثير الجيش في ذلك.

3– حدود الدراسة:

– إن الإطار الزماني لهذه الدراسة شمل كل الفترة العثمانية في تونس، من إلحاق الإيالة سنة 1574م إلى انتصاب الحماية الفرنسية سنة 1881م، لأن معرفة مسار تطور هذه المؤسسة الهامة في تونس يقتضي معرفة أصول أو جذور هذا التطور من البداية.

أما الإطار المكاني فيشمل كامل الحيز الترابي للإيالة التونسية قبل وبعد إلحاقها بالدولة العثمانية، إضافة للتخوم، خاصة الغربية والشرقية التي كانت متغيرة دوما، ذلك بالنظر لفترات ضعف الإيالة وقوتها وتقلب ولاءات القبائل الحدودية.

4- إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة في نقطة أساسية تتمثل في معرفة مراحل تطور الجيش في إيالة تونس، ومدى تأثير ذلك على جوانب الحياة بالإيالة، خاصة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. وللإجابة على الإشكالية الرئيسية وهي:

ما هي انعكاسات تطور الجيش على الأوضاع في إيالة تونس؟

ومن مضمون هذه الإشكالية تبرز تساؤلات فرعية تمثل في مايلي:

- ماهي بنية الجيش التونسي منذ 1574م مرورا بحكم المراديين وصولا للحكم الحسيني قبل التحديث وبعده؟

- ما أنواع الامتيازات التي منحت لأفراد الجيش وما تأثيرها على حياتهم الشخصية، وعلى المجتمع التونسي على العموم؟

- ما الأدوار الداخلية والخارجية للجيش ونتائج هذه الأدوار على الإيالة؟

- ما هي مراحل تحديث الجيش والآليات التي اعتمدتها السلطة في ذلك؟

- ما تأثير تطور الجيش على جوانب الحياة المختلفة وخاصة الاقتصادي والاجتماعي؟

5- المنهج المتبع في الدراسة:

إن طبيعة الموضوع وخصوصياته تفرض على الباحث المنهج الذي سيتبعه في البحث، وعلى هذا الأساس اتبعت المنهج التاريخي ، الذي يُعتبر الأنسب للإجابة على الإشكالية المطروحة والتساؤلات

المنبثقة عنها، وإظهار المحطات التاريخية في إطارها الزماني والمكاني، كما استخدمت المنهج الإحصائي لتتبع تطور أو تناقص تعداد العسكر النظامي والمجموعات غير النظامية الداعمة له، والتي أدرجتها في جداول إحصائية ومنحنيات بيانية مع التعليق عليها.

6 –الخطَّة المتبعة في الدراسة:

قُسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، بالإضافة إلى خاتمة تستخلص النتائج التي توصلت إليها، استهللت الدراسة بفصل تمهيدي بعنوان أوضاع تونس الحفصية والتواجد العثماني 1488–1574، حيث تعتبر هذه الفترة المتأخرة من تاريخ الدولة الحفصية الطويل كتمهيد لقدوم الإخوة برباروس أولا ثم العثمانيين لاحقا، وذلك بتحالف السلاطين المتأخرين مع الإسبان ومعاداتهم للدويلات المجاورة وللدولة العثمانية، ومما زاد الأوضاع سوءا احتقار السلطة للسكان والتنكيل بهم، كما حدث في واقعة الأربعاء التي سيرد تفصيلها لاحقا.

أما الفصل الأول فتطرقت فيه إلى تنظيم الجيش التونسي والهيكلة وأدواره داخليا وخارجيا، وتندرج ضمنه عدة عناصر من بينها التعرف عل النواة الأولى لتأسيس الجيش، طرق التجنيد في الجيش في العهد العثماني الأول (1574–1705)، مراحل التدرج في السلك الجندية، وكذلك مقرات الجنود وثكناتهم، المجموعات العسكرية غير النظامية الداعمة للجيش التونسي من بينها زواوة والصبايحية والحوانب والمزارقية وغيرها.

أما الفصل الثاني فعنوانه مراحل تطور الجيش التونسي والامتيازات الممنوحة لأفراده، وتندرج ضمنه العناصر الآتية مراحل تطور الجيش التونسي، ثم تحديث الجيش التونسي خاصة في القرن19م، التعليم العسكري أدواته وسائله ونتائجه.

أما الفصل الثالث فقد خصصته لإبراز ملامح تأثير تطور الجيش على الأوضاع العامة في البلاد، خاصة الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والتي أدت جميعها إلى ضعف الإيالة وركونها للاقتراض من الدول الأوربية، وصولا إلى انتصاب الحماية الفرنسية سنة 1881م.

7- التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

- المصادر العربية والأجنبية:

وهي عديدة تتنوع من خلال كونها مصادر عربية وأخرى أجنبية.

- المصادر العربية:

وهي تتفرع إلى:

- وثائق الأرشيف الوطني التونسي:

يحتوي الأرشيف الوطني التونسي على مجموعة معتبرة من الدفاتر، تعرف باسم "الدفاتر الإدارية والجبائية"، وتتشكل من سجلات الإدارة التونسية، ومعظمها سجلات مالية وقضائية تتعلق بعائدات الدولة ومصاريفها وموضوع الأوقاف، وتتشكل هذه المجموعة من أكثر من 4000 دفتر ويعود الفضل في التعريف بموضوعاتها إلى الدكتور المنصف الفخفاخ من خلال مؤلفه "موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف التونسي"، ويعتمد الباحثون عليه في معرفة موضوعات تلك الدفاتر وإعداد أبحاثهم، مع العلم أن هناك دفاتر أخرى تم جمعها في الفترة الأخيرة لم يتضمنها العمل المذكور. كما أن بعضا من تلك الدفاتر يوجد بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية التونسية، وتحمل هذه الدفاتر في طياتها وثائق تفيد الباحث في مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لإيالة تونس،من أهمها:

- المخطوطات:

اعتمدت على عدة مخطوطات قيمة تتضمن بعض عناصر الموضوع من بينها: مخطوط "خلاصة أحوال تونس غرب" لصاحبه أسعد أفندي، الذي استفدت منه في تفصيل دور المحلة في النظام السياسي والاقتصادي للإيالة، إضافة إلى سيرة يوسف داي، الذي كان له دور بارز في توطيد أركان الحكم التعثماني في تونس، وتطوير القرصنة البحرية والمداخيل المعتبرة، التي تستفيد منها الخزينة العامة. والمخطوط الثاني بعنوان "العقد المنضد في أخبار المشير أحمد" لمحمد بن سلامة، هذا المخطوط

المتواجد بدار الكتب الوطنية يتطرق إلى سيرة أحمد باي ودوره في تحديث الجيش والقوانين العسكرية، رغم تمادي المؤلف في مدح مناقب الباي والإطناب في سرد محاسنه، إلا أنه يقدم لنا مادة تاريخية هامة، خاصة في الجانب العسكري. والمخطوط الثالث بعنوان "رسالة في الجزاء العسكري الفرنسي" من تأليف الجنرال رشيد، الذي يعتبر من كبار قادة الجيش ومن أنصار التحديث، وتكمن أهمية المخطوط في ذكر أهم العقوبات العسكرية في قانون الجزاء الفرنسي تمهيدا لاستنباط ما يناسب اقتباسه لصياغة قانون الجزاء العسكري التونسي.

- المصادر المطبوعة:

اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر بالغة الأهمية - رغم قلتها - في تاريخ تونس الحديث، حيث لا يمكن لأي باحث في هذا المجال الاستغناء عنها، وهي كتاب " المؤنس في أخبار افريقية وتونس " لصاحبه محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، الذي أفادني كثيرا في جميع مراحل البحث لكون مؤلفه ينتهج السرد التاريخي للأحداث. كما أنه كان شاهدا عليها ومقربا من دوائر صناعة القرار السياسي والعسكري في العهد المرادي، وجوهر أهميته تكمن في التعرف على تاريخ الدايات، وكيفية انتقال السلطة إليهم. وأهم انجازاتهم.

أما الثاني فهو كتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" لصاحبه أحمد ابن أبي الضياف، الذي استفدت كثيرا منه، خاصة من الأجزاء الثاني والثالث والرابع، وبدرجة اقل من السابع والثامن، والأجزاء المذكورة غنية بكم هائل من المعلومات والأخبار والروايات في كل مجالات الحياة، وبالأخص السياسية والعسكرية والاجتماعية، إلى جانب تراجم لسير ابرز رجال الدولة والعلماء في العهد الحسيني على وجه الخصوص.

أما الثالث فهو "الكتاب الباشي" لصاحبه حمودة بن محمد بن عبد العزيز، الذي استفدت منه في علاقة السلطة بالقبائل ودور البايات الحسينيين في بناء الدولة والمجال للإيالة، والمصدر الرابع هو كتاب "إفريقيا" لصاحبه مارمول كاربخال - وهو مترجم - ويتكون من ثلاثة أجزاء، حيث استفدت منه في الفصل التمهيدي خاصة، والمصدر الخامس هو كتاب "تاريخ العدواني" لمؤلفه محمد العدواني

تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، الذي وجدت فيه معلومات هامة حول القبائل الحدودية الكبرى كالحنانشة والطرود، والدور الكبير الذي لعبته تلك القبائل في الصراع بين أيالتي تونس والجزائر، خاصة في القرن 18م، إضافة إلى الكم الكبير من المعلومات التي قدمها المحقق بالتعريف بالقبائل وشيوخها.

أما المراجع فهي عديدة ومتنوعة وبلغات مختلفة، لكن أهمها كتاب "الحوليات التونسية" للبارون ألفونص روسو، الذي عاش خلال القرن 19م، وعايش بعض الأحداث الهامة من تاريخ تونس، لكن أغلب ما جاء في كتابه نقله عن غيره، وقد وجدت الشيء الكثير من المعلومات المؤرخة بدقة، إضافة إلى التعليقات المفيدة من طرف المترجم، والمرجع الثاني هو كتاب "الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية" لعزيز سامح التر، وهو مرجع زاخر بالأحداث التاريخية الهامة حسب التسلسل الزمني لها، منذ بداية التواجد العثماني ببلدان شمال إفريقيا إلى دخول هذه البلدان تحت نطاق الاستعمار الأوربي في القرن 19م.

– المصادر الأجنبية:

استفدت في إطار هذا البحث من عدة مصادر أجنبية ذات قيمة تاريخية من بينها:

– "Notice sur la régence de Tunis" هذا الكتاب القيم للكاتب والرحالة والطبيب هنري دونان (Jean Henry Dunant)، الذي زار تونس وأقام بها فترة من الزمن، وقام بوصف كل جوانب الحياة بالبلاد التونسية بما فيها الجيش والبحرية والمحلة وغيرها.

– والمصدر الثاني هو: "Histoire de Tunis: précédee dune description de cette régence" لطبيب الباي (Louis Frank)، الذي ألفه بالاشتراك مع "Jean Joseph Marcel"، شكّل الكتاب استثناء في زمن تأليفه بالنظر لحجم المعلومات التي تضمنها، والمجالات التي تطرق إليها، ومنها المجال العسكري. وساعده في ذلك قربه من الباي ودوائر صنع القرار من التعرف على كثير من الأمور والأحداث.

– أما المصدر الثالث هو من تأليف القنصل الفرنسي في سوسة خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي (1843–1848م) "Edmond Pellissier de raynaud " بعنوان: "description de la régence de Tunis"

(الجزء الأول)، الذي استفدت منه كثيرا في التعرف على فترة مهمة من تاريخ البلاد، وهي فترة حكم المشير أحمد باي، التي استمرت 18 سنة وعرفت أحداثا بارزة، مثل قرار تحديث الجيش، وتأسيس مدرسة باردو الحربية، ومشاريع الصناعة العسكرية وغيرها.

- المصدر الرابع هو كتاب "Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger " للرحالة الفرنسي جون أندري بايسونال (André Peyssonnel Jean)، الذي قام برحلته الشهيرة إلى تونس سنة 1724م؛ أي في زمن حكم حسين بن علي تركي، واستطاع المؤلف الرحالة تقديم مادة علمية هامة حول مكانة تونس في محيطها المتوسطي، ومعلومات قيمة عن المدن التي زارها، وذكر خصائصها وتركيبتها الاجتماعية وعلاقة القبائل بالسلطة.

المراجع الأجنبية:

- اطلعت على عدد من المراجع الفرنسية، ووجدت ضالتي في بعض هذه المراجع، التي من أهمها وأبرزها: "les origines du protectorat français en Tunisie (1861-1881)" للكاتب الفرنسي جون قانياج "Jean Ganiage"، حيث يعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع الأجنبية، وأشملها للفترة المذكورة، واستفدت منه في معرفة دور الجيش السلبي في تبديد المال العام من خلال الامتيازات التي استفاد منها كبار الضباط والمقربون منهم. كما أسهب في تفصيل جذور الأزمة المالية التي مرّت بها الإيالة وانعكاساتها، والمرجع الثاني هو من الكتب النادرة ضمن مقتنيات دار الكتب التونسية بعنوان: "l’armée tunisienne" من تأليف الرائد في الجيش الفرنسي، الذي فرض الحماية على تونس رايموند دريفي" Raymond Drevet" ، هذا المجلد استفدت من الثلاثين صفحة الأولى منه فقط، لكون المؤلف يتطرق فيها للفترة العثمانية في تونس، خاصة عهد المشير أحمد باي وإصلاحاته المختلفة، وأفادني كذلك كتاب: Les Civilisations de l'Afrique du Nord berbères - arabes- turcs للكاتب فيكتور بيكي "victor piquet" فيما يتعلق بانقلاب الدايات وكيفية تشكيل الديوان ومهامه وتركيبته والعلاقة بينه وبين باقي المؤسسات، إضافة إلى تطرقه إلى العلاقة بين السلطة والمجتمع وبين الدايات والبايات، ومهام مؤسسة الديوان، وكذلك تطرقه لسلاح البحرية والإمكانيات التي يتمتع بها، والموارد التي تحصل عليها من عمليات القرصنة، كما استفدت من مؤلفات الأستاذة التونسية أسماء موعلّة (Asma Moalla) ومنها: The regency of Tunis and the ottoman porte1777–1814 وكذلك:

Sipahis ottomans et avatars du timar dans la province tunisienne de la première moitié du dix-septième siècle.

الأطروحات والرسائل الجامعية:

اطلعت على عدد من الأطروحات والرسائل الجامعية التي تطرقت في مضمونها لعنصر أو أكثر تخص موضوع البحث، ومن أهمها أطروحة دكتوراه المعنونة: "سياسة حمودة باشا في تونس 1782–1814" لرشاد الإمام، الذي قام بعمل كبير ومجهود معتبر لدراسة هذه الفترة المميزة في تاريخ تونس الحديث، التي تجاوزت 30 سنة، وخصّ الجانب العسكري بنصيب وافر من التفصيل من حيث تركيبة الجيش والصناعة الحربية وعلاقة أفراد الجيش بالسلطة والمجتمع. كما اطلعت على أطروحة لمحمد الحبيب العزيزي من جامعة الجزائر تحت عنوان: "ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث المحلة التونسية أنموذجا"، التي تقدم معطيات هامة خاصة فيما يتعلق بأجهزة الحكم المركزي البايلك، ودور المحلة السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتماعي، إضافة إلى أطروحة باللغة الفرنسية لصاحبها ناحوم وايزمن (NahoumWeissmann)، حيث جاءت بعنوان: " les janissaires étude de l'organisation militaire des ottomans"، الذي تطرق بالتفصيل إلى تنظيم الجيش الانكشاري وتركيبته وامتيازات الجنود وغيرها من المعلومات الهامة.

– المقالات العربية والأجنبية:

ب–1– المقالات العربية:

استعنت بمقالات في مجلات تونسية أو جزائرية أو من باقي الدول العربية عديدة تطرقت لعنصر أو أكثر من موضوع دراستي سواء، ومن أهمها مقال بعنوان: بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها خلال الفترة الحديثة (مابين القرنين 17و19م) دراسة مقارنة للمؤرخ التونسي عبد الحميد هنية، الذي ورد المجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، الذي استفدت منه في علاقة الجيش بالسلطة وفي مراحل تشكل بناء الدولة، والمقال الثاني بعنوان" الجذور التاريخية لنشأة الجيش النظامي التونسي الحديث خلال القرن التاسع عشر، للضابط في الجيش التونسي سمير الشامي الذي ورد في مجلة الدفاع الذي تطرق فيه لنشأة الجيش التونسي معتمدا في بحثه

على الوثائق الأرشيفية والمصادر، كما أنوه إلى القيمة التاريخية للمقالات التي وردت في مجلة الدفاع رغم إنها لم تتجاوز 10 أعداد.

– المقالات الأجنبية:

وردت معظمها في المجلة الإفريقية La Revue Africaine أو مجلة عالمين revue deux mondes اللتين نشرتا الكثير عن تاريخ تونس خاصة في الفترة العثمانية في كل المجالات ومنها الجانب العسكري، ومن بينها: مقال للمؤرخ Albert Devoulx بعنوان: " Ahd Aman ou règlement politique et militaire " الذي ورد في المجلة الإفريقية العدد 4 لسنة 1859، والذي استفدت منه في ما يخص التعرف على تحليل لمضمون عهد الأمان، وبالأحص المواد التي تتعلق بالجيش والجانب العسكري في الإيالة، والمقال الثاني للمؤرخ Edmond Pélissier de Reynaud بعنوان La régence de Tunis: le gouvernement des beys et la société tunisienne ، الذي يعرفنا على طبيعة الحكم في الإيالة وتغلب العنصر التركي العسكري على دواليب الحكم.

الدراسات السابقة:

من الكتب القيّمة في هذا الموضوع كتاب الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي لفقيد التاريخ المغاربي الشيباني بنبلغيث، الذي ألمّ بكل جوانب الموضوع معتمدا على وثائق الأرشيف التونسي وعلى مصادر ومراجع قيمة، وقد قام المؤرخ بالتطرق لكل الجوانب التنظيمية والمعيشية والمتعلقة بالتدريب والتعليم وغيرها، وكذلك كتاب الجيش التونسي (1831–1881) رافد نهضة وإصلاح لمؤلفه العميد المتقاعد من صفوف الجيش محجوب السميراني، ورغم قصر المدة موضوع الدراسة والتي تمثل فترة تحديث الجيش وتأسيس الجيش النظامي، إلا أن المؤلف قد أحاط بكل جوانب الموضوع مدعما بالوثائق الأرشيفية وعدد كبير من المصادر والمراجع، إضافة إلى أطروحة الدكتوراه المعنونة سياسة حمودة باشا في تونس 1782–1814" لرشاد الإمام، الذي قام بعمل كبير لدراسة هذه الفترة المميزة في تاريخ تونس الحديث التي تجاوزت 30 سنة، وخصّ الجانب العسكري بنصيب وافر من التفصيل من حيث تركيبة الجيش والصناعة الحربية وعلاقة أفراد الجيش بالسلطة والمجتمع.

إن الدراسات التي قام بها الباحثون الجزائريون حول تاريخ تونس الحديث قليلة ونادرة، ولا تعدو أن تكون عناصر ضمن دراسات حول تاريخ إيالة الجزائر أو المغرب العربي، على غرار كتاب حرب

الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792 أحمد توفيق المدني، إضافة إلى بعض الرسائل والأطروحات الجامعية على غرار مذكرة لنيل شهادة الماجستير لرحيمة بيشي بعنوان: العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية) 982–898هـ/1494—1574م).

الصعوبات:

إن أي عمل اكاديمي تكتنفه ظروف وملابسات تعقد من الولوج إليه دون تخطيها، والبحث لا يخرج على هذا النطاق، مما يجعل الباحث يواجه عدة صعوبات أثناء بحثه، لكن الصعوبة الرئيسية التي واجهتنا مختلفة نوعا ما، وتتمثل في تداعيات وباء كورونا، الذي أثر على كل جوانب الحياة، ومنها مجال البحث العلمي فيما يتعلق بغلق الحدود مع تونس، الذي كانت له انعكاسات سلبية على وتيرة البحث وطول مدة الانتظار، حيث لم أقم سوى بأربع رحلات علمية لتونس، لم تسمح لي بجمع كل المادة العلمية التي أردت الحصول عليها رغم الساعات الطوال التي قضيتها في المكتبة أو في مؤسسة الأرشيف الوطني، إضافة إلى صعوبات أخرى منها:

- ندرة الدراسات الأكاديمية المتخصصة في التاريخ العسكري لتونس في التاريخ الحديث، لكون أغلب الدراسات تهتم بالتاريخ السياسي والاقتصادي فحسب .

- اتساع نطاق موضوع الدراسة زمنيا وجغرافيا، مما يجعل الإلمام بكل تفاصيلها وحيثياتها بشكل مفصل أو حصرها في موضوع واحد أمراً صعباً.

وفي الختام أعتذر عن كل خطأ بدر مني، وأنوه بالجهد المعتبر الذي بذله الأستاذ المشرف لتصويب هذا العمل وتنقيحه، ولا يسعني إلا أن أقدم له جزيل الشكر والعرفان، والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل على تكرمهم بقبول مناقشة البحث وإثرائه بما يعود بالنفع علي وعلى كل الباحثين وطلبة العلم.

محمد العايبي

بن ناصر:

الفصل التمهيدي

الأوضاع العامة بتونس الحفصية والتواجد العثماني

أولا- تونس في أواخر العهد الحفصي (1488-1574م)

ثانيا – العثمانيون الأتراك ببلاد المغرب الإسلامي

ثالثا- الصراع العثماني الأسباني على تونس

رابعا - تونس تحت الحماية الاسبانية

أولا – تونس في أواخر العهد الحفصي (1488 –1574 م):

كانت وفاة السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان[1] بداية أفول نجم الدولة الحفصية، التي حكمت أغلب ربوع بلاد المغرب، وقد وصف أحمد توفيق المدني حالها بقوله: « كانت السلطة الحفصية في ذلك الوقت تعاني سكرات الموت، وتكاد تلفظ النفس الأخير[2]. »، ويلخص المؤرخ الروسي نيقولاي ايفانوف حالة السلطنة في أواخر عهدها قائلا: « إن خيطا رفيعا يفصل بين عظمة الحفصيين وانهيارهم[3].»، وتتضح تفاصيل هذا من خلال الانهيار السريع والمتواتر لنظام هذه الدولة في عهد السلاطين الذين حكموا بعد أبي عمرو عثمان الحفصي وقد تضافرت عوامل عديدة ومختلفة أدت إلى هذا المآل من بينها:

1 - الصراع على السلطة في العهد الحفصي:

تعاقب على عرش الحفصيين بعد السلطان عثمان خلال ست سنوات أربعة سلاطين: أبو زكريا يحي الثالث (1488–1490م)، عبد المؤمن (1490م)، أبو يحي زكريا الثاني (1490—1494م)، أبو عبد الله محمد الخامس (1494—1526م)[4]، رغم أن هذا الأخير حكم مدة طويلة تجاوزت الثلاثين سنة، بَيْد أنها كانت مليئة بالفتن والقلاقل وهجمات البدو القادمين من دواخل الوطن التونسي، واضطراب

---

[1] - السلطان أبو عمرو عثمان (1418-1488): تولى الحكم بعد وفاة أخيه المنتصر سنة 843هـ/1439م، وعارضه عمه أبو الحسن علي وقامت بينهما عدة معارك، انتهت بسيطرة أبي الحسن على بجاية واستتب له الأمر ثم تحالف مع الإسبان ضد العثمانيين. ينظر: تقي الدين أبو العباس احمد المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج7، ط1، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1997، ص ص 453 454. وينظر أيضا: خير الدين الزِركلي، **الأعلام**، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ص 213.

[2] - أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س، ص 229.

[3] - نيقولاي ايفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، تر: يوسف عطا الله، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988، ص 178.

[4] - نفسه، ص 179.

الحكم الناجم عن الصراع الكبير داخل البيت الحفصي بين الإخوة وأبناء العمومة، حيث تصف بعض المصادر التاريخية تلك الصراعات منها:

يقول السخاوي: « يحي بن محمد بن مسعود استقر بعد جده، ثم قتله ابن عمه عبد المؤمن بن إبراهيم بن عثمان واستقر عوضه، ثم دخل عليه زكريا بن يحي المذكور خفية بمساعدة أهل تونس، ففر عبد المؤمن إلى الغرب فحشدوا معه إلى محاصرة تونس فهزمهم أهلها وكان بينهم مقتلة أكثرها من العرب والفتنة قائمة في سنة بضع وتسعين ثم سكنت[1]. ». أما ابن إياس فيقول: « وفيه (شعبان899 ه) جاءت الأخبار بوفاة صاحب تونس ومدينة أفريقيا وهو زكريا بن يحي بن محمد بن عثمان مات بالطاعون[2].»، ويقول أيضا: « ولما توفي (يقصد السلطان عثمان) تولى بعده ولد ولده يحي المعروف بأبي زكريا، فلم تطل مدته وقتل واستطال عليه أعمامه...[3] ». أما الحسن الوزان فيقول: « أن السلطان يحي قتله عبد المؤمن بن إبراهيم وان هذا الأخير خلفه ابن الأول وتولى سلطنة بني حفص[4].». وهذا يؤكد حالة الاضطراب وانعدام الاستقرار مما جعل الدولة الحفصية تضعف أمام الضربات خاصة الخارجية من قبل الإسبان.

2 -هجمات البدو على الدولة الحفصية:

كانت القبائل التي تنتشر بالداخل التونسي في عهد الدولة الحفصية تتميز بالقوة ومناهضة الحكم المركزي، بل كانت تمثل مبعث خطر كبير على الدولة برمتها من خلال رفضها للقوانين التي

---

[1] - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج 10، دار الجيل، بيروت، لبنان، ب. س، ص 258.

[2] - محمد بن احمد بن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج3، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1984، ص 302.

[3] - نفسه ص، 256.

[4] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف أفريقيا**، ج2، ط2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 100.

تصدر عنها، وتهديد الأمن العام والسطو على المدن والقوافل وغير ذلك من الأضرار التي ألحقتها قبائل البدو العربية بالسلطة الحفصية في تلك الفترة، ولإثبات وجود الدولة ومكانتها قام السلطان أبو عبد الله محمد الخامس (1494– 1526م) بمحاولة القضاء على تمرد البدو ووجّه جيشا لتأديبهم في ناحية القيروان[1]، غير أن هذه الحملة تحولت إلى كارثة حقيقية بجيشه ودولته إذ مني بهزيمة نكراء ساحقة وكاد أن يلقى حتفه فيها، لولا تمكنه من النجاة وعاد إلى تونس العاصمة يجر أذيال الهزيمة[2]، يقول ابن أبي دينار وفي ذلك: « إنه في أيام السلطان محمد كانت وقائع بينه وبين العرب وهزموه على القيروان ورجع إلى تونس في ثمانمائة من الخيل[3]. ». واعتبر البدو أنفسهم أصحاب تونس الحقيقيين، وكانت في أيديهم السيطرة والأملاك، كما كانوا يتقاضون الإعانات الحكومية وما يفرضونه على المواطنين[4].

3-النزعة الصليبية المتنامية ضد المغرب الإسلامي (1415–1515م):

كانت بوادر النزعة الصليبية تتزايد مع بداية ملامح التفوق الأوربي خاصة بعد انتصار الإسبان في الأندلس الإسلامي ورغبتهم في إنشاء إمبراطورية مترامية الأطراف[5]، إضافة إلى الأسباب

---

[1] - القيروان: مدينة كبيرة أسسها عقبة بن نافع سنة 52هـ، تقع في سهل شاسع الأطراف ويؤكد المؤرخون أنها أجمل المدن التي بناها العرب في إفريقيا، بها قبر الصحابي الجليل أبي زمعة البلوي رضي الله عنه، من بين آثارها مسجدها الجامع وتبعد عن مدينة تونس 43 فرسخا (حوالي 250 كم). ينظر: التهامي نقرة، **القيروان عبر العصور**، كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس، 1964، ص ص 15 16. وينظر أيضا: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص 477. وكذلك: مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، دار لشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1988-1989، ص 97. وكذلك: Henri Saladin, **Tunis et Kairouan**, Librairie RENOUARD H. LAURENS, Editeur, Paris, France, 1908, p 135. Et: Paul Fagault, **Tunis et Kairouan**, Challamel et Cie Éditeurs, Paris, France, 1889, p p 250 251.

[2] - نيقولاي ايفانوف، **المرجع السابق**، ص 179.

[3] - محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط3، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص 182.

[4] - نيقولاي ايفانوف، **المرجع السابق**، ص 180.

[5] - حكمت ياسين، **الغزو الاسباني للجزائر في القرن السادس عشر**، مجلة الأصالة، العدد 14-15، الجزائر، 1973، ص242.

الاقتصادية بعد الكشوفات الجغرافية المتمثلة في البحث عن أسواق جديدة عن طريق الاستعمار[1]، وقد كان البرتغاليون رواد هذه الحملات الأوربية حينما احتلوا ميناء سبتة على البحر الأبيض المتوسط سنة 818هـ/1415م، ثم زادت حركة الاحتلال البرتغالي للسواحل المغربية في الثلث الأخير من القرن 15م، حيث استولوا على طنجة، ثم أزمور سنة 836هـ/ 1468م، وأصيلة سنة 1471 م، ثم امتدت أطماعهم إلى المغرب الأوسط حيث أقاموا مؤسسة تجارية في وهران سنة 1483م[2]، وقد لعب الأمير هنري الملاح[3] دورا كبيرا في التحضير لهذه الحملات وإن تم تنفيذ أغلبها بعد وفاته[4].

تمت هذه الحملات في عهد مملكة بني وطاس[5] التي كانت أوضاعها لا تسمح بدفع الغزاة البرتغاليين الذين امتدت طموحاتهم التوسعية لتستولي على مدن أغادير وأسفي والعرائش، وما إن حلّت سنة 926 هـ/1520م حتى بات الساحل الغربي للمغرب الأقصى خاضعا برمته للبرتغاليين[6].

---

[1] - عبد الجليل التميمي، **الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن16م**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد10-11، الجزائر، 1978، ص 8.

[2] - مركز زايد للتنسيق والمتابعة، **اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية**، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 17. وكذلك:
Ernest Mercier, **Histoire de l'Afrique sept depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française 1830**, T2, Ernest Leroux Editeur, Paris, France, 1886, p p 405 406.

[3] - هنري الملاح (1394-1460م): أمير برتغالي اشتهر بحبه للملاحة والاكتشاف قام بكشوفات عديدة في الساحل الغربي لإفريقيا ويعتبر من رواد الكشوفات الجغرافية الحديثة. ينظر:
Raymond Beazley, **Prince Henry the naVigator**, the botolph printing works, London,UK, 1923, p p 123-137.

[4]- شوقي أبو خليل، **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة-القصر الكبير**، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1988، ص21.

[5]- بني وطاس أو الوطاسيون: ينحدرون من أحد فروع قبيلة زناتة الأمازيغية التي استوطنت شمال صحراء المغرب، ونزحوا خلال القرن 13م إلى شرق المغرب واستقروا في منطقة الريف، ظهر نشاطهم السياسي والعسكري في عهد الدولة المرينية، وبعد جهود متواصلة للسيطرة على الحكم في المغرب استطاع زعيمهم محمد الشيخ المهدي تحقيق هذا المبتغى، واحتل فاس سنة 1472م وبدأ عهد الوطاسيين في حكم المغرب إلى سنة 1549م. ينظر: المصطفى نشوي، **جيوبوليتيك التراب المغربي**، ج2، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، العدد16، الدار البيضاء، المغرب، 2017، ص23.

[6] - محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص262.

أما المملكة الاسبانية فإنه بعد استيلائها على غرناطة وتوقيع وثيقة الاستسلام، قامت تحت ضغط الكنيسة بزعامة الكاردينال خيميناس Ximénies[1] بنقض كل بنود المعاهدة وبدأت بالدعوة إلى تنصير المسلمين، وذلك بإتباع سياسة الترغيب ثم الترهيب، وكانت أولى بوادر هذه الحملة مطلع سنة 905 هـ/1499م، عندما صدر قانون يقضي بإجبار المسلمين على الدخول في المسيحية، ومنع إقامة شعائرهم الدينية وحرق مئات الآلاف من الدرر النفيسة من الكتب الإسلامية النادرة التي لم يبق منها سوى 300 كتاب في الطب[2].

4 – بداية التحرشات الإسبانية بالمملكة الحفصية:

بدأت التحرشات الإسبانية بالمملكة الحفصية المتداعية مباشرة بعد استيلاء القائد بيدرو نافارو Pedro Navarro[3] على المرسى الكبير911هـ/1505م، ووهران 914هـ/1509م، وزاده سهولة اقتحام هذه المدن طموحا في التوجه نحو الشرق للاستيلاء على مدينة بجاية، التي كانت تعتبر في تلك الفترة مركز إشعاع حضاري وثقافي كبير في المملكة الحفصية[4]، وقد تحقق له ذلك سنة 915 هـ/1510م، وهو ما يعني بداية الغزو الإسباني لمملكة بني حفص[5].

---

[1] - فرانسيسكو خيميناس دو سيسنيروس (1436-1517م): رجل دين مسيحي ولد في اسبانيا عُرف بتعصبه الديني ضد المسلمين خاصة الأندلسيين، كان له دور كبير في تأجيج الصراع الاسباني الإسلامي في القرن15م. ينظر:

James P.R.Lyell, **cardinal ximenes**, Grafton & co, London, UK, 1917, p p 7-10.

[2]- محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبي...المرجع السابق**، ص187.

[3] - بيدرو نافارو: ولد بمدينة بسكاي، جلبه الإمبراطور فرديناند ورقاه إلى رتبة النبلاء اشتهر بحروبه مع الإخوة بربروس واحتلاله للمدن الساحلية بالجزائر والمغرب، انتقل إلى خدمة الملك الفرنسي فرنسوا الأول منذ سنة 1515م. ينظر: عائشة جميل، **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2018/2017، ص8.

[4] - للتعرف على حدود المملكة الحفصية واهم حواضرها خلال القرن 16م ينظر الملحق رقم 1 .

[5] - محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 656.

كانت طبيعة الصراع على السيادة في البحر المتوسط توجب على الأسبان الإسراع في احتلال المزيد من الموانئ الساحلية، مما يكسبها السيطرة على ضفتي البحر المتوسط وعلى التجارة في ذلك الوقت[1]، وقد أطلق المؤرخ Ferdinand Braudel على هذه الحملات الاستعمارية عبارة " الاحتلال المقيّد"[2] أي الاستعمار الاستيطاني بلغة العصر للمدن المغاربية، كما تمنع العثمانيين الذين كانوا في أوج مجدهم من الوصول إلى هذه المناطق، ويكشف استيلاؤهم على طرابلس الغرب سنة 1510م على نيتهم في التمدد نحو الشرق ووضع المملكة الحفصية بين مناطق خاضعة للأسبان ليسهل عليهم بسط نفوذهم بمنطق القوة، وهو ما يعتبر في تلك الفترة نظرة إستراتيجية استباقية محكمة[3].

جاءت نكبة سقوط طرابلس الغرب سنة 916 هـ/1510م لتزيد من متاعب الحفصيين بعد ما بلغتهم أخبار المذبحة التي وقعت بها، ولم يعد أمامهم من خيار إلا طلب النجدة من قبائل الجنوب لإنقاذ المدينة لكن ذلك لم يجد نفعا، واتجه الأسبان صوب جزيرة جربة[4] الإستراتيجية، التي صمدت في وجه الغزاة لثلاث محاولات متتالية لاحتلالها حيث قام القائد بيدرو نفارو باثنتين منها الأولى في

---

[1] - محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية...المرجع السابق**، ص 657.

[2] - Ferdinand Braudel, **les espagnols et l'afrique du nord de 1492 a 1577**, R. A, vol 69, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1928, p229.

[3] - محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية...المرجع السابق**، ص657.

[4] - جزيرة ذات موقع استراتيجي جعلها محط اهتمام كل القوى الكبرى بحوض البحر الأبيض المتوسط منذ التاريخ القديم، تعاقبت على حكمها أمم وحضارات متعددة، فتحها المسلمون سنة 47هـ/667م، اتخذها الإخوة بربروس مقرا لتنفيذ عملياتهم البحرية ضد الدول المسيحية إبان العهد الحفصي، ثم تبعت لأيالة طرابلس من سنة 1552م إلى أن استعادتها أيالة تونس نهائيا في عهد يوسف داي (1610-1637). ينظر: عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، ط2، تح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تق: محمد الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 319. وينظر أيضا: محمد المريمي، **المعرفة التاريخية والدولة لدى مؤرخي الأطراف في البلاد التونسية خلال العصر الحديث**، مجلة أسطور، العدد7، تونس، جانفي 2018، ص187.

جوان 1510م[1]، والثانية في أكتوبر من نفس السنة أما الثالثة فقد قام بها الدون هوقو دومونكادا Hugo de Moncada نائب ملك اسبانيا وحاكم صقلية سنة 1520م وقد باءت جميع المحاولات بالفشل[2].

5- المؤسّسة العسكريّة في العهد الحفصي:

يعتبر المؤرخون أن الجيش الحفصي منبثق من الجيش الموحدي ووريثا له، دون مرحلة انتقالية بين الدولتين، لكونه أحد فروعه التي انفصلت عنه في نهاية القرن12 وبداية القرن 13م[3].

يعتبر السلطان الحفصي القائد الأعلى للجيش، أما وزير الحرب هو المسؤول الأول عنه، ويساعده في مهامه كُتّاب وموظفون يعملون على تسيير جميع شؤون الجنود، أما المؤسسة المشرفة عن العسكر وتنظيمهم وتسديد رواتبهم فهي" ديوان الجند"، الذي يعد من بين الدواوين الأساسية في المخزن[4] الحفصي، ويهتم هذا الديوان بمسك قوائم المنخرطين الدائمين في الجيش وتوزيع الرواتب

---

[1] - محمود أحمد أبوصوة، **دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط**، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 2000، ص ص 122 123.

[2] - عمر محمد الباروني، **الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس، ليبيا، 1952، ص ص 56-67. وكذلك: محمد أبو راس الجربي، **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، المطبعة الرسمية، تونس، 1960، ص 108.

[3] - روبار برنشفيك، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م**، ج2، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص 75.

[4] - المخزن: مفردة سياسية ظهرت بالمغرب الأقصى واستعملت في البلدان المغاربية الأخرى في بعض المجالات وكانت تطلق في المغرب على هيئة إدارية وتراتيب اجتماعية، ثم أطلقت لاحقا على الدولة أو الحكومة. ينظر: عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ط2، ج2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 209. وينظر أيضا: عبد العزيز بنعبد الله، **تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة**، ج2، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، د.س، ص 62.

والمكافآت عليهم، ومنح أقطاعات[1] مختلفة كالهناشير (مزارع واسعة) وغيرها إلى كبار الجند، لكن ليس من مهامه قيادة الجيوش وتنظيم عمليات المحلّة[2] العسكريّة[3].

أ– تركيبة الجيش في العهد الحفصي:

يتكون الجيش الحفصي أساسا من الجنود التابعين للقبائل الموالية للسلطة وعددهم متغير باستمرار بالنظر إلى طبيعة العلاقة بين السلطة والقبائل وتقلب الأوضاع السياسية[4]، وكانت تركيبة الجيش من العناصر التالية:[5]

– الموحّدون وهم النواة الأصلية المكونة للجيش الذي انتظم حسب الانتماء القبلي، حيث كان على رأس كل قبيلة مزوار، وقد بلغ عددهم 120 مزوارا زمن السلطان الحفصي المستنصر.

– الأعراب الذين اشتهروا بفروسيتهم.

– الأندلسيون الذين كوّنوا فرقا للرماة المهرة في عهد المستنصر.

– الأوربيون المرتزقة الوافدون من شبه الجزيرة الأيبيرية وايطاليا، وقد حافظوا على ديانتهم.

[1] - الإقطاع أو القطائع تعني عملية منح السلطة قطعة أرض لرجل يتصرف فيها ويقوم بإحيائها وزرعها. ينظر: مختار حساني، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية 633-962 هـ/1554م**، رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1986، ص 200.

[2] - المحلة هي مؤسسة سياسية وعسكرية تعود في الأصل إلى العهد الحفصي (1229-1474م) وتتكون من فرق عسكرية مختلفة تخرج لجمع الضرائب مرتين في السنة، تتوجه في الشتاء (خلال ديسمبر-جانفي) نحو الجنوب، وخاصة نحو الجريد زمن صابة التمور، وتتوجه في الصيف (خلال جويلية- أوت) نحو الشمال زمن صابة الحبوب، وقد حافظ العثمانيون على هذه المؤسسة بعد ضمهم تونس في سنة 1574م. ينظر: عبد الحميد هنية، **تجربة بحث في الأرشيفات العثمانية في تونس خلال العهد الحديث**، مجلة أسطور، العدد10، تونس، جويلية 2019، ص 237.

[3] - وزارة الدفاع الوطني للجمهورية التونسية، **التاريخ العسكري لإفريقيّة في العهدين الموحّدي والحفصي**، على الرابط: http://www.hmp.defense.tn/

[4] - روبار برنشفيك، ج2، **المرجع السابق**، ص 76.

[5] - نبيهة العبيدي السلطاني، **مقاربة لدراسة تطور هياكل الجيش الحفصي إلى حدود الفتح العثماني**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد3، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أكتوبر 2011، ص27. وكذلك: وزارة الدفاع الوطني للجمهورية التونسية، **التاريخ العسكري...المرجع السابق**.

– العلوج وهم من المماليك المحرّرين وقد شكلوا حرس السلطان ونذروا أنفسهم لخدمته، ويذكر الحسن الوزان ان عددهم قد بلغ 1500 حارس[1].

– الأمازيغ الذين تمّ توظيفهم بالخصوص في ناحية بجاية مثل أفراد قبائل صنهاجة وزناتة وبنوتوجين وغيرهم[2].

على الرغم من أن الجيش كان يتركب من عناصر عربية، فان المؤرخ ارنست ميرسي Ernest Mercier يشير إلى أن الأمازيغ كانوا يشكلون نسبة معتبرة من الجيش الحفصي، حيث استدل على ذلك بأن جيش السلطان الحفصي أبو يعقوب كان تعداده 20 ألف جندي نصفهم من قبيلة مصمودة[3].

ب– التجنيد في القوات العسكرية:

إن عملية التجنيد في القوات العسكرية كانت غير متجانسة من حيث أصول الجنود (مسيحيون، أعراب، مرتزقة، أندلسيون...)[4]، وكان الجيش يتركب من عناصر عربية وأمازيغية وافريقية أيضا، فإنه كان جيشا قويا ومهابا بالنظر إلى دقة تنظيمه وشدته في الحروب، على الرغم من عدم توفره على أسلحة ثقيلة، كما أن الجيش البحري لم يكن في نفس المستوى من التنظيم والقوة التي يتحلى بها الجيش البري[5]، وقد بلغ تعداده في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز إلى أزيد من 60 ألف محارب[6].

[1] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، ج2، **المصدر السابق**، ص 80

[2] - روبار برنشفيك، ج2، **المرجع السابق**، ص ص 76 77.

[3] - T2, **op.Cit**, Ernest Mercier, p 229

[4] - Azzedine Guellouz et autres, **Histoire Générale de la Tunisie**, T3, Sud Editions, Tunis, Tunisie, 2010, p 13.

[5] - عبد الله شريط ومحمد الميلي، **الجزائر في مرآة التاريخ**، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1965، ص 96.

[6] - p 397. **op.Cit**, Ernest mercier, T2,

ج- السلاح والعتاد الحربي للجيش الحفصي:

كانت عملية التسليح تتسم بأنها تقليدية وبأسلحة قد عفا عليها الزمن، تتمثل في استخدام السهام والسكاكين والرماح ولم تسع الدولة الحفصية إلى الحصول على أسلحة عصرية متطورة، على غرار ما كانت تتوفر عليه الجيوش الأوروبية أو العثمانية، وتفاقم هذا التأخر التقني في مجال التسليح مما ساهم في سقوط السلطنة لاحقا[1].

إن تخوف الملوك المتأخرين من الهجمات المتكررة دعاهم لتحصين المدن وحمايتها من الهجمات البحرية على وجه التحديد، كما قاموا بإسراف الأموال في إنشاء الحصون والقلاع، في الوقت الذي تعاني منه تونس من عدم وجود أسطول حربي قادر على حماية الجزر والساحل، وخاصة عهد مولاي حسن (1525-1543م)، الذي أصبح غير قادر عمليا على الحفاظ على وحدة البلاد والتعامل مع الغزو الأجنبي، ومما زاد الأمر تعقيدا النزاعات العائلية على الحكم مما انعكس سلبا على الجيش وإضعاف القوة العسكرية للبلاد، وأدت كل هذه العوامل إلى النتيجة الحتمية وهي سقوط المملكة وانهيارها[2].

---

[1] - Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit**, p 13.

[2]- Ibid, p 13.

ثانيا – العثمانيون الأتراك ببلاد المغرب الإسلامي:

كانت أغلب بلدان المغرب الإسلامي مع نهاية الثلث الأول من القرن 16م تحت سيطرة الإسبان، ولم يكن في وسع الدويلات[1] التي كانت تبسط سلطتها على بلدان المغرب في تلك الفترة مقاومتهم، وما زاد في تدهور هذه الأوضاع عدم الاتفاق والتعاون بين هذه الدويلات، وأدى ذلك إلى بروز قوى متصارعة على مجالات النفوذ وكان من بينها العثمانيون[2].

1– ظهور الإخوة بابا عروج وخير الدين:

في تلك الفترة الحالكة من تاريخ المغرب الإسلامي ظهر الأخوان بابا عروج وخير الدين وهم بحارة من إحدى جزر اليونان تسمى مديللي، حيث كانوا يمارسون الجهاد البحري وامتلكوا مجموعة من السفن الحربية وصل عددها 12 سنة 1513م، إضافة إلى 1000 جندي بحري (لوند)[3] وذاع صيتهم في ربوع العالم الإسلامي[4]، اتصل الأخوان بالسلطان أبي عبد الله الحفصي فسمح لهما بالإقامة بميناء حلق الوادي، واتفق معهما على أن يكون له خمس الغنائم التي يحصلون عليها[5].

---

[1] - هذه الدويلات هي:الدولة الحفصية في تونس وشرق الجزائر(1229-1574م)، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط (1236-1554م)، والدولة المرينية في المغرب الأقصى (1196-1554م). ينظر: صالح كليل، **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة باتنة، 2007/2006، ص3.

[2] - صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر-تونس-المغرب الأقصى**، ط 6، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، 1993، ص 16 17.

[3] - اسم أطلق على ملاح السفينة أو ربانها، كما أطلق على فئة من العساكر البرية الخيالة المتعودة على التحمل والمشقة، والتي كانت موجودة في عهد السلطان محمد الفاتح. ينظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000، ص197.

[4] - يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، مج1، تر: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، تركيا، 1988، ص245.

[5] - الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ط1، تح وتع : محمد زينهم عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2013، ص203. وكذلك: خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين**، ط1، تر: محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص46. حيث ذكر المؤلف نقلا عن خير الدين أن نسبة الغنائم الممنوحة للسلطان الحفصي هي الثمن (8/1) وهي تختلف عن كل المراجع التي تذكر أن النسبة هي الخمس (5/1).

كان أول اتصال لعروج وخير الدين ببلاد المغرب الأوسط أثناء حملتهم لتحرير بجاية من الإسبان، حيث قاموا بحصارها وخلال تبادل طلقات المدافع مع العدو أصابت قذيفة ذراع عروج إصابة بالغة، ما أدى إلى بترها لاحقا وقام برفع الحصار وانسحب مسرعا نحو تونس[1]، أما الاتصال الثاني فحدث عندما استغاث بهم أعيان مدينة جيجل للتخلص من احتلال الجنويين[2] لمدينتهم سنة 1514م، وقد لبى الأخوان النداء ونجحا في تحرير المدينة في نفس السنة[3]، وتذكر بعض المراجع أنه بعد تحرير المدينة أرسل الأخوان إلى السلطان سليم الأول[4] بعض الهدايا النفيسة التي استوليا عليها رغبة منهما في الانضمام للدولة العثمانية، وقبل السلطان الهدايا وأرسل لهما 14 سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود، لتدعيم جهودهما في محاربة الإسبان ونصرة المسلمين[5].

---

[1] - صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة، الجزائر،2012، ص 44. وكذلك: يلماز أوزتونا، **المرجع السابق**، ص 246.

[2] - يذكر شارل فيرو أن احتلال الجنويين لجيجل كان قبل سنة 1283م، مستندا على واقعة رواها المؤرخ tronci. ينظر: شارل فيرو، **تاريخ جيجلي**، تر: عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، 2010، ص 93.

[3] - محمد لعباسي، **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ/1512م إلى سنة 953 هـ/1546م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006، ص24. وكذلك: شارل فيرو، **المرجع السابق**، ص 96.

[4] - سليم الأول: ابن السلطان بايزيد الثاني تولى الحكم سنة 1512م بدعم من الانكشارية، يعد من السلاطين الأقوياء في تاريخ الدولة العثمانية، تم في عهده ضم الشام ومصر والجزائر للدولة العثمانية وهو أول سلطان عثماني يلقب بخليفة المسلمين توفي سنة 1520م. انظر: نزار قازان، **سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة و فتنة الانكشارية**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992، ص ص 46 47.

[5] - عيسى الحسن، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 510. وتنفي بعض المراجع ذلك وتذكر أن هذه الهبة السلطانية كانت لمساعدة الأخوين بعد تعرضهما لخسائر في معاركهما البحرية سنة 1515م. ينظر: إبراهيم علاء الدين، **أوضاع ليبيا مابين الاحتلال الأسباني والنجدة العثمانية 1510-1551م**، مجلة دراسات تاريخية، العددان 127-128، جامعة تشرين، بغداد، العراق، جويلية- ديسمبر 2014، ص338.

حفز هذا النصر المؤزر أهالي مدينة الجزائر بزعامة حاكمها سالم التومي[1] سنة 1515م للاستنجاد بهم كذلك لدرء الخطر الاسباني، فلم يتأخروا في تلبية النداء وقاموا بتحرير المدينة وعملوا على استتباب الأمن فيها، لكن خطر الإسبان لم يزل تماما لوجود حصن البنيون[2] المقابل للمدينة الذي كان الإسبان يتخذونه كمركز لقصفها بين الحين والآخر[3].

أما في الجهة الغربية من المغرب الأوسط فقد قام الإسبان بحصار تلمسان وضيقوا عليها لمدة ستة أشهر عانى خلالها عروج والسكان الأمرّين من شدة الحصار وقلة النجدة[4]، مما اضطره إلى الانسحاب إلى قلعة المشور[5] القريبة من المدينة ومنها تسلل مع مجموعة من جنوده باتجاه مدينة الجزائر[6].

---

[1] - سالم التومي: آخر حكام مدينة الجزائر من قبيلة الثعالبة فرع بني تومي استنجد مضطرا بالإخوة بربروس ضد الخطر الاسباني، ثم انقلب عليهم لاحقا مما جعل خير الدين بربروس يقضي عليه سنة 1519م، انظر: عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ص 268. وكذلك : كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541**، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر،2007، ص 23.

[2] - حصن البنيون: كلمة البنيون أو البينون pénon معناها الحجر أو الصخرة باللغة الاسبانية وتطلق على الجزر الساحلية أو الرؤوس الداخلة في البحر، والتي اعتاد الإسبان في إفريقيا أن يبنوا فوقها الحصون. ينظر: صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 16. وكذلك: جاسم محمد شطب، **الإستراتيجية العثمانية في شمال إفريقيا في القرن السادس عشر**، مجلة آداب الكوفة، مج1، العدد 21، جامعة كربلاء، العراق، 2015، ص 57.

[3] - علي عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، ط1، د.د.ش، الجزائر، 1972، ص 170. وكذلك: جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830**، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 21.

[4] - مولاي بلحميسي، **نهاية دولة بني زيان**، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، أوت 1975، ص 34.

[5] - قلعة المشور: تقع وسط مدينة تلمسان أسّسها المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين في القرن 11 للميلاد، وبحسب بعض المؤرخين، فإنّ كلمة "المشور" تعني المكان الذي يعقد فيه السلطان اجتماعاته مع وزرائه وكتّابه وضُبّاطه لمناقشة شؤون الدولة، والتشاور في أمور الرعية وقت السلم ووقت الحرب. ينظر: محمد قاضي، **قلعة المشور بمدينة تلمسان- دراسة تاريخية-**، مجلة منبر التراث الأثري، مج 4، العدد 7، الجزائر، 2019، ص 126.

[6] - جودت شريف، **المصدر السابق**، ص 149.

غير أن الأعداء لحقوا به وقتلوه ومن معه بناحية الوادي المالح[1] (الواقعة بين وهران وعين تموشنت حاليا)، مما فتح على خير الدين أبواب القلاقل والتمردات من طرف آل الثعالبي حكام مدينة الجزائر السابقين والإسبان المدعومين ببعض القبائل المعادية للأتراك[2]، كل هذه المخاطر دعت بخير الدين أن يزمع بالرحيل عن المدينة والعودة للنشاط البحري أو النزوح إلى مدينة ساحلية أخرى أكثر أمنا، غير أن رفاقه المقربين نصحوه بالبقاء في المدينة وبايعوه سلطانا عليها، فقرب إليه الأعيان والعلماء والمرابطين وسخر كل جهده ووقته من أجل تحصين المدينة للدفاع عنها، فدعم التحصينات القديمة وقام بتجنيد العديد من الرجال من المشرق، وخزّن تموينا حربيا كبيرا[3].

2 – ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية:

نظرا للأخطار الداخلية والخارجية التي كانت تحيط بالجزائر في بداية تولي خير الدين الحكم، قرر الأخير الارتباط بالدولة العثمانية لحماية البلاد ولزيادة مجال الفتوحات، باعتبارها من القوى الكبرى في العالم في تلك الفترة وأقوى دول العالم الإسلامي، كان أول اتصال له بالدولة العثمانية عندما أرسل إلى السلطان سليم الأول رسالة باسم أعيان مدينة الجزائر عرض عليه فيها الانضمام للدولة والدخول تحت رايتها[4].

---

[1] - وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 43. وكذلك: L.péchot, **Histoire de l'Afrique du nord avant 1830**,T3, Alger Gojosso imprimeur-éditeur, 1914, p 19.Et : Henri Delmas de Grammont, **Quel est le lieu de la mort d'aroud'j barbarousse**, R.A, vol 22, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1878, p399.

[2] - شوقي عطاالله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، ط1، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر،1977، ص97.

[3] - صالح عباد، **المرجع السابق**، ص 49.

[4] - فتحي زغروت، **العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس 1492-1609 منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي**، ط1، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، شبرا، مصر، 2011، ص ص 57 58 .

لم يتأخر السلطان في قبول العرض وأرسل فرمانا بتولية خير الدين على الجزائر في منصب بيلرباي[1]، وأرسل ألفين من الإنكشارية[2] ومدافع وذخيرة حربية وسمح للمتطوعين بالانتقال إلى الجزائر[3]، كما أصدر فرمانا آخر يفيد بأن المتطوعين من غير الانكشارية ستكون لهم أجور منتظمة[4]، وحقق خير الدين بذلك انجازا كبيرا في مواجهة الخطر الإسباني.

[1] - نور الدين عبد القادر، **صفحات من مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 69. وكذلك: مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تح وتق: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 108. وكذلك:

Henri Federmann et Baron Aucapitaine, **Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri,** R.A, 9éme Année, N° 9, A. Jourdan, Libraire -éditeur, Alger, 1865, p 281.

[2] - الانكشارية: هي فرقة عسكرية أسسها السلطان أورخان، تشكلت أساسا من صغار الفتيان المسيحيين الذين يتم اختيارهم وفق شروط محددة ليصبحوا عبيدا للسلطان، وينشؤون على الإسلام بعيدا عن أسرهم ويقيمون في ثكنات وكانوا يمنعون من الزواج ماداموا في الخدمة. ينظر: أحمد زكريا الشلق، **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516-1916**، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002، ص21.

[3] - العربي ايشبودان، **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة**، تر: جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص29.

[4] - محمد السعيد عقيب، **دور خير الدين باربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر**، مجلة البحوث والدراسات، العدد 13، السنة 9، جامعة الوادي، الجزائر، شتاء 2012، ص 298.

ثالثا– الصراع العثماني الأسباني على تونس:

1 – الأوضاع العامة في تونس قبل دخول العثمانيين:

كان السلطان أبي عبد الله محمد الخامس الحفصي يتصف بالتخاذل ومحاباة الاسبان من اجل مصالحه الخاصة للبقاء في الحكم على حساب المصلحة العامة، ورغم طول مدة حكمه لأكثر من ثلاثين سنة إلا أنه لم يترك أثرا ذا بال، ولم يسجل له المؤرخون مواقف أو انجازات تستحق الذكر إلى غاية وفاته سنة 932هـ/1526م، وتولى الحكم بعده ابنه الحسن الذي قام برفع المكوس كلها، وجرى في الناس جراية جده السلطان أبي عمرو عثمان[1].

لكن الطبع يغلب التطبع كما يقول المثل، إذ ما لبث أن ساءت تصرفاته وتجبّر وشدد على الرعية، وقام بفضائع الأفعال ومنها قيامه بقتل إخوته جميعا ليتخلص من منافستهم له على العرش، ولم ينج من هذه الواقعة إلا أخاه الرشيد الذي كان غائبا[2]، ولما بلغه الخبر التجأ إلى الأعراب بداخل البلاد الذين قاموا بإيوائه ونصرته ودعموه في سبيل تنحية أخيه الحسن، واسترجاع حقه في ملك أبيه لأنه الأحق بذلك كونه الأكبر سنا[3]، يقول المؤرخ الاسباني مارمول كاربخال في هذا الصدد: «...أما الرشيد فقد أفلت من متعقبيه ولجأ إلى مدينة بشارة في نوميديا[4]، لقي الترحاب من أهلها...وقد جمع جيشا قويا من الأعراب...»[5].

---

[1] - محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ط1، مج1، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص 606. وكذلك: الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص 202.

[2] - الشافعي درويش، **الحملة الاسبانية على تونس في سنة 1535م**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، جامعة الجزائر2، الجزائر، سبتمبر 2017، ص4.

[3] - محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية...المرجع السابق**، ص 684.

[4] - نوميديا: هي بلاد الجريد حاليا في الجنوب التونسي (انظر تعريف منطقة الجريد لاحقا). ينظر: مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984، ص 42.

[5] - مارمول كاربخال، ج3، **المصدر السابق**، ص 30.

2- دخول خير الدين إلى تونس:

انتصر الرشيد على أخيه الحسن لكن محاولته لدخول مدينة تونس باءت بالفشل، لأن أهالي المدينة تحصنوا بها ومنعوه من دخولها، فلما أيقن أن لا طائل من الحصار لعدم توفره على المدافع سرّح الأعراب وقرر اللجوء لخير الدين بالجزائر[1].

وصل الرشيد إلى الجزائر واحتمى بخير الدين، الذي أكرم مثواه وحمله معه إلى اسطنبول حيث طلب من السلطان سليمان القانوني[2] أن يأذن له بغزو تونس باسم الرشيد ثم يضمها إلى الدولة العثمانية، في حين أن الرشيد كان يرجو أن يساعده خير الدين للثأر من أخيه الحسن ثم ينصبه حاكما على تونس، فوافق السلطان وأمد خير الدين بالأموال والعتاد وجهزه بأسطول يتكون من 250 سفينة حربية[3]، بينما ترى بعض المراجع المعاصرة أن هذا الرقم مبالغ فيه، وأن عدد السفن 80 تقل على متنها 8 آلاف جندي[4].

توجه أسطول خير الدين صوب تونس ونزل بناحية بنزرت على الساحل الشرقي، ولم يجد مقاومة تذكر، مما شجعه على التقدم بجيشه المزود بأحدث المدافع القوية التي لم يكن للحفصيين دراية بها من قبل، وما إن بلغت أخبار هذا الجيش مسامع السلطان الحسن الحفصي حتى بادر بالفرار

---

[1] - مارمول كاربخال، ج3، **المصدر السابق**، ص 30.

[2] - سليمان القانوني (1495-1566م): ابن السلطان سليم الأول وهو عاشر سلاطين الدولة العثمانية تولى الحكم سنة 1520م، شهدت الدولة في عهده أقصى اتساع لها، ويعتبر آخر السلاطين الأقوياء. ينظر: محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط1، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان،1981، ص 198.

[3] - إسماعيل بك سهرنك، **حقائق الأخبار عن دول البحار**، ط1، ج1، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1894، ص419.

[4] - محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013، ص221.

جنوبا نحو القيروان، التي كان يحكمها في تلك الفترة الشيخ عرفة الشابي[1] أحد أعيان فرقة الشابية[2] التي كان السلطان الحفصي قد ضمن ولاءهم له بالعطايا والهبات[3]، والتجأ لدى الأعراب الذين وفروا له الحماية وآزروه في محنته، ثم توجه إلى مدينة قسنطينة ولجأ عند عاملها، وتعرف خلال فترة تواجده فيها على علج[4] من أصل جنوي يسمى اكزيميا الذي نصحه بالاتصال بالإمبراطور شارلكان Charles Quint[5] ويطلب نجدته لاسترجاع ملكه[6].

---

[1] - عرفة الشابي (1474-1542): شخصية صوفية سياسية، ظهر في عهد السلطان الحسن الحفصي وخاض حربين ضاريتين ضده وضد الإسبان، وانتصر عليهم في واقعة باطن القرن في سبتمبر1535م، وواقعة المنستير في 12 نوفمبر1540م. ينظر:علي الشابي، **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الحركة الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، محاضرة، جمعية الشابية للتنمية الثقافية والاجتماعية، 13جانفي 2018، على الرابط التالي:

.https://www.zuiclip.net/xem/

[2] - الشابية: طريقة صوفية ظهرت بالقيروان وامتد صداها وانتشر أتباعها في المشرق والمغرب، كان خطاب الشابية امتدادا للمدارس الصوفية من خلال التعريف بالشريعة الإسلامية وتعالمها، وهي تتقارب كثيرا مع الطرق الصوفية في المشرق والمغرب والأندلس. ينظر: يوسف بن حيدة، **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية" الطريقة الشابية أنموذجا"،** أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017، ص 59.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص11.

[4] - العلوج: هم النصارى الذين اعتنقوا الإسلام وكانوا في خدمة الأمراء المسلمين. ينظر: رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ج7، تر: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1992، ص 280.

[5] - الإمبراطور شارلكان Charles Quint (1500-1558): ملك اسبانيا والإمبراطورية الجرمانية المقدسة من أشهر ملوك أوروبا في العصر الحديث، قام بحروب كثيرة مع الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط كما احتل تونس سنة 1535، وقام بحملته الشهيرة على الجزائر سنة 1541م وساهم في توطيد الاستعمار الاسباني في أمريكا الوسطى والجنوبية. ينظر: خير الدين سعيدي، **الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني(1518-1775م) من خلال مخطوط -الزهرة النائرة- لابن رقية التلمساني**، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29، ديسمبر2017، ص 99. وكذلك:

Kamel Filali, **Charles Quint et sa politique nord africaine dans les «écrits» algériens**, Carlos V. Los moriscos y el Islam**,** Congreso International, Alicante 20-25 de noviembre de 2000, p 285.

[6] - Auguste Pavy, **Histoire de la Tunisie**, Tours Alfred Cattier Editeur, Paris, France,1894, p 333.

بعد فرار الحسن الحفصي وجد خير الدين الطريق متاحا لدخول مدينة تونس، حيث وجد ترحيبا من السكان في البداية بسبب ظنهم بوجود الرشيد معه[1]، غير أن الأمور ما لبثت أن ساءت بين جيش خير الدين والأهالي، وحدثت بينهما معركة كبيرة في أرجاء المدينة سقط فيها عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين[2]، يقول ابن أبي دينار في ذلك: « وقام أهل باب السويقة على خير الدين وكانت مقتلة عظيمة مات فيها خلق كثير من الجانبين وكانت من باب السويقة[3] إلى باب البنات[4] على حومة العلوج وفشا القتل بين الناس...»[5].

أما ابن أبي الضياف فيقول واصفا تذمر أهل تونس من حكم خير الدين: « إن الأهالي بعثوا إلى سلطانهم الحفصي، وأن خير الدين ركب بنفسه لإطفاء نار القتال والحرب...ونادى في الناس بالأمان...»[6].

---

[1] - حاجي خليفة، **تحفة الكبار في أسفار البحار**، ط1 ، تح وتر: محمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2017، ص 106.

[2] - الفونص روسو، **الحوليات التونسية**، تح و تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ب.س، ص85.

[3] - كان يقع قرب حي الحلفاوين المجاور لباب العسل وباب الأقواس بالقرب من باب الخضراء وباب سعدون، تعرض للهدم سنة 1861م، ويُعد حاليا أحد الأحياء الشعبية لمدينة تونس. ينظر: المعهد الوطني للتراث، **أبواب مدينة تونس المدينة العربي بين الماضي والحاضر**، على الرابط التالي: http://www.inp.rnrt.tn/index.

[4] - اختفى هذا الباب منذ عهد طويل لكن الشارع الذي يحمل اسمه لا يزال موجودا إلى اليوم، وسبب تسميته «باب بنات» أن مؤسس الدولة الحفصية أبو زكرياء الحفصي (1223-1249) قبِل حضانة البنات الثلاث لعدوه يحي بن غانية الذي عرف بمعاداته للدولة الحفصية ورعاهن كأبنائه في قصر كان مكان هذا الباب، وتم توظيف باب بنات فيما بعد لربط المدينة بالحي السكني المخصص للعائلات المسيحية القريبة من الحفصيين. ينظر: فهمي رمضاني، **أبواب مدينة تونس العتيقة تروي كل منها حكاية جزء من تاريخ العاصمة**، مجلة القدس العربي، مقال الكتروني، بتاريخ: 6 جويلية 2008، على الرابط: https://www.alquds.co.uk/

[5] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 163.

[6] - أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج 2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص11.

اختلف المؤرخون في أسباب هذا الصدام بين سكان تونس وجيش خير الدين، حيث أرجعه بعضهم إلى سوء تصرف الجنود العثمانيين[1]، وردّه البعض الآخر إلى إيعاز من أنصار السلطان الحسن الحفصي، وخيبة أملهم من إعلان خير الدين ضم تونس للدولة العثمانية[2]، بينما يرى مؤلف سيرة المجاهد خير الدين أن هذه المقاومة من طرف بقايا عسكر الحفصيين[3].

لكن الأمور ما لبثت أن عادت إلى مجراها الطبيعي وسكنت النفوس وبدأ خير الدين يوطد حكمه الجديد في تونس، ومن ذلك إقامة التحصينات العسكرية والاستعدادات الحربية، كما قام باستمالة الأعراب وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن لا يخرجوا عن طاعة الدولة العثمانية، وأن لا يساندوا السلطان الحسن لاحقا، كما طالبهم بعدم إقامة مضارب لهم قرب المدن أو القرى الزراعية، وأن لا يتسببوا باي أذى للرعية[4].

3– استنجاد السلطان الحفصي بالإسبان:

باءت جميع محاولات الحسن الحفصي لاستعادة ملكه بالفشل بسبب تفوق الجيش العثماني عليه وعلى أنصاره، وعدم مناصرة سكان مدينة تونس له، وتفرق الأعراب عنه بعد الضربات القاسية التي تكبدوها من الجيش العثماني[5].

---

[1] - محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية...المرجع السابق**، ص687.

[2] - Elie de la Primaudie, **Documents inédits …Lettre de l'ingénieur Librano à sa Majesté, Bougie 19 janvier 1543**, R.A, Vol 21, A. Jourdan Libraire-Éditeur, Alger, 1877, p p 345 346.

[3] - مجهول، **المصدر السابق**، ص ص 179 180.

[4] - نيقولاي ايفانوف، **المرجع السابق**، ص 191.

[5] - الشافعي درويش، **الحملة الاسبانية...المرجع السابق**، ص ص 4 5.

في تلك الظروف البائسة أقدم السلطان الحفصي على الاستنجاد بالإسبان ضد خير الدين وأهل بلده أيضا[1]، ولم يكن الملك الاسباني شارلكان ليرفض هذا الطلب المغري الذي يكرس به أطماعه في السيطرة على بلاد المغرب الإسلامي[2]، ومن خلال الرسالة التي بعث بها الحسن الحفصي لشارلكان يمكن استخلاص مدى تماديه في الخضوع للأعداء واستعداده لتسليم مملكته لهم، ورضاه بأن يكون نائبا له على أن تضمها الدولة العثمانية وجاء في نص الرسالة: «...إن خير الدين-هذا الرايس التركي الحقير- استولى على مملكتي وكان من أكبر الأسباب التي جعلته يقدم على احتلال بلادي، هو علاقتي الودية معكم دائما، ولهذا كان من مصلحتك-أيها القائد العظيم-أن تأتي لنجدتي وتعيد إليّ ملك أجدادي، وعندما تعاد إليّ مملكتي سوف أعترف بكم وأكون نائبا عنكم»[3].

4- المواجهة بين شارلكان وخير الدين:

جهز الملك شارلكان حملة بحرية كبيرة لاحتلال تونس، كان قوامها 400 سفينة[4] على متنها 30 ألف جندي[5]، أو25 ألف حسب مراجع أخرى[6]، من بينهم فرسان القديس يوحنا[7] من مالطا،

---

[1] - John Arthur Ransome Marriott, **The eastern question an historical study in european diplomacy**, The Clarendon press, Oxford, U.K, 1917, p 83.

[2] - Habib Boulares, **Histoire de la Tunisie Les grandes dates de la Préhistoire à la révolution**, Cérés Edition, 2éme éd, Tunis,Tunisie, 2012, p 333.

[3] - مجهول، **المصدر السابق**، ص ص 183 184. وكذلك:
Mouloud Gaid, **l'Algérie sous les turcs**, Edition Mimouni, Alger, Algérie, 1991, p 55.

[4] - مارمول كاربخال، ج3، **المصدر السابق**، ص 34. ويذكر أحمد توفيق المدني أن عدد السفن 500 سفينة. ينظر: أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة...المرجع السابق**، ص 231.

[5]- Ernest Mercier, **op.Cit,** p 37.

[6]- Auguste Pavy, **op.Cit**, p334.

[7] - فرسان القديس يوحنا: بدؤوا نشاطهم كجمعية خيرية لخدمة المسيحيين المتوجهين إلى القدس، ثم نزحوا من المشرق إلى جزيرة رودس اليونانية، وأسسوا بها مملكة تحت رعاية البابا، ثم خرجوا منها بعد احتلالها من طرف العثمانيين سنة 1522م، وطلبوا من الإمبراطور شارلكان الإقامة في مالطا، على أن يساعدوه في حروبه ضد المسلمين فقبل طلبهم. ينظر: عمر محمد الباروني، **المرجع السابق**، ص ص 75-78.

ويُجمع المؤرخون أن شارلكان لم يلق عناء كبيرا في احتلال تونس وهزيمة خير الدين بربروس[1]، وذلك لأسباب عديدة يمكن حصرها فيما يلي:

– سوء التحضير لمواجهة حملة شارلكان من طرف خير الدين الذي قد يكون اعتراه غرور بانتصاراته السابقة على الإسبان في الجزائر، وعلى قوات الحفصيين في تونس، وفي هذا الشأن يقول ابن أبي الضياف «... ولما بلغ خبر ذلك إلى خير الدين بالحاضرة احتقر عدوه وأضاع الحزم اعتمادا على علو كعبه وشيوع صيته، فجاءه أهل الحاضرة وطلبوا منه أن يحضر أسطوله لدفع الصبنيول قبل نزولهم إلى البر، فلم يصغ إليهم وغالب ما يأتي على الشجعان من هذا الباب...»[2]، بينما يذكر بعض المؤرخين المتقدمين انه على العكس فإن خير الدين قام بجميع الاستعدادات الضرورية من حفر خندق حول الاستحكامات الدفاعية، وتحضير المدافع القوية إضافة إلى 7 آلاف جندي وما يكفيهم من المؤونة، والتحضير النفسي والتحريض على الجهاد[3].

– الأوضاع الداخلية في تونس، حيث أن الاحتقان الشعبي جراء الفتنة التي وقعت عند دخول الجيش العثماني مازال سائدا بين الأهالي، إضافة إلى تمرد الأسرى المسيحيين الذين استطاعوا الهروب من السجون واحتلال القصبة، وكان عددهم يتجاوز 12 ألف أسير هاجموا خير الدين وجنوده من الخلف[4].

– عدم وصول المدد لخير الدين من الدولة العثمانية التي كانت مشغولة آنذاك بحروبها في المجر وفارس[5].

[1] - محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية...المرجع السابق**، ص698.

[2] - ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق**، ص13.

[3] - الفونص روسو، **المرجع السابق**، ص ص 87 88.

[4] - الشافعي درويش، **الحملة الاسبانية...المرجع السابق**، ص 8.

[5] - فتحي زغروت، **المرجع السابق**، ص 64.وكذلك: محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية...المرجع السابق**، ص 698.

أما عن تفاصيل المواجهة بين الجيشين الاسباني والعثماني فقد نزل الإسبان بحلق الوادي[1] والتقى الجمعان في المكان المسمي« برج العيون» وانتصر الإسبان بعد قتال كبير[2]، فرجع خير الدين إلى مقر حكمه واجتمع بأعيان البلد وشاورهم في الأمر، فاختلفوا بين مؤيد ومعارض للحرب، ولم يكونوا على قلب رجل واحد في هذا الوقت العصيب، فخرج خير الدين من عندهم صوب جيشه وجاءه المدد من الأعراب الذين- كما أسلفنا الذكر–لا يؤتمن جانبهم لأنهم يتقلبون في ولاءاتهم، فحشد جيشه وواجه الإسبان مرة أخرى، لكن الأعراب خذلوه وانحازوا للأسبان لما رأوا أن الغلبة والقوة لهم فانهزم مرة أخرى[3].

قرر خير الدين مغادرة تونس مسرعا نحو الجزائر لأنه لم يعد من طائل لمواصلة المواجهة مع جيش شارلكان، بسبب ضعف الاستعداد ومكائد الأعراب وتهاونهم في نصرته والاحتقان الشعبي ضد جيشه بسبب حادثة باب السويقة، ووصل إلى الجزائر بعد عناء شديد حيث اعترضه بعض الحاقدين عليه بناحية طبرقة أثناء عودته، ولولا حنكته وصبره لكان من الهالكين[4].

5- الاحتلال الاسباني لتونس (الحماية):

كان السلطان الحسن الحفصي قد أعطى الأمان لسكان مدينة تونس إذا ما تخلوا عن مقاومة الأسبان ونصرة خير الدين، وأنهم لن يُحاسبوا عمّا بدر منهم أثناء انهزامه أمام جيش خير

---

[1] - حلق الوادي (la Goulette): ضاحية متاخمة لمدينة تونس، كانت لمدة طويلة الميناء الرئيسي لها، اتخذها الإسبان مقرا لحاميتهم طيلة احتلالهم لتونس، تضم تحصينات كثيرة وحامية عسكرية مرابطة بها، اتخذها بايات تونس لاحقا مصيفا لهم. ينظر: Marcel Juillet Saint-Lager, **la régence de Tunis: géographie physique et politique, description générale…**, juillet saint-lager, éditeur, Alger,1874, p 22. Et: Charles Simond, **Tunis et la Tunisie**, H. Lecène et H.Oudin éditeurs, Paris, France, 1887, p p 48 49.

[2] - مجهول، **المصدر السابق**، ص 185. وكذلك: أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة...المرجع السابق**، ص 232.

[3] - خير الدين بارباروس، **المصدر السابق**، ص ص 173 174.

[4] - محمود مقديش، **المصدر السابق**، ص 609.

الدين، ولكن السلطان كان يُضمر شرا إذ كانت مكيدة مبيتة منه ومن حليفه شارلكان، أولا لثني الأهالي عن نصرة خير الدين، وثانيا للانتقام منهم لأنهم ساندوه عند دخوله تونس سنة 1530م[1].

نجحت خطة الحسن الحفصي حيث لم يساند سكان تونس خير الدين إنما وقفوا على الحياد، بل أن منهم من أسرع لاستقبال السلطان الحفصي رغم استعانته بالملك الاسباني المسيحي، ومما زاد الأمور تدهورا نقض الحسن الحفصي لعهده مع الأهالي، وتحريض شارلكان على التنكيل بهم[2]، لم يضيع شارلكان هذه السانحة وأمر باستباحة العاصمة لمدة ثلاثة أيام كاملة، يفعلون فيها ما يريدون من فضائع وجرائم ومآس، وهو ما سمي في تاريخ تونس الحديث «خطرة الأربعاء»[3]، التي وقعت يوم الأربعاء 21 جويلية 1535م[4].

إن هذه الواقعة الأليمة تركت عظيم الأثر في نفوس الأهالي، ومما زاد من مأساتهم أنه بعد نكبتهم هذه في بيوتهم وأملاكهم فروا تجاه زغوان[5]، فبعث الملك الاسباني في طلبهم وأغرى الأعراب في نواحيها أن لهم منحة لكل فرد يأتون به إليه من الأهالي الهاربين[6]، ويقول ابن أبي دينار في ذلك: «... فكان طلب العرب لهم أصعب من طلب النصارى وأخذوا ما شرطوا لهم والبعض فدى نفسه من العرب وبلغت فدية الرجل ألف دينار وأكثر وأقل»[7].

[1] - رحيمة بيشي، **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية(898-982 هـ/1494–1574م)**، مذكرة شهادة الماجستير في تخّصص التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012/2011، ص 86.

[2] - خير الدين بربروس، **المصدر السابق**، ص 178.

[3] - ابن أبي الدينار، **المصدر السابق**، ص 186.

[4] - احمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة...المرجع السابق**، ص 234. أما المؤرخ إسماعيل بك سهرنك فيذكر أن الواقعة حدثت سنة 1534م. ينظر: إسماعيل بك سهرنك، ج1، **المرجع السابق**، ص 420.

[5] - زغوان: مدينة صغيرة تقع على بعد حوالي 40كم عن مدينة تونس، تتمتع بطبيعة جبلية خضراء والكثير من المزارع والحدائق وبمياه عذبة متدفقة، كما تعتبر منطقة أثرية تضم الكثير من الآثار الرومانية، ينظر: Jean Joseph Marcel et Louis Frank, **Histoire de Tunis**, Firmin Didot Fréres Editeurs, Paris, France,1851, p16.

[6] - محمود مقديش، **المصدر السابق**، ص 610.

[7] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 186.

رابعا – تونس تحت الحماية الاسبانية:

قبل مغادرة شارلكان أبرم اتفاقية مع السلطان الحفصي تضمنت شروطا قاسية تُبقي تونس تحت الحماية الاسبانية، ومما جاء في هذه المعاهدة حسب نقل احمد فريد بك المحامي: « إخلاء سبيل الأرقاء المسيحيين والإباحة لجميع المسيحيين بالاستيطان في إقليم تونس، وإقامة شعائرهم بدون معارضة، وأن يتنازل لشارلكان على مدينتي عنابة وبنزرت وميناء حلق الوادي وان يدفع له مبلغ 12 ألف دوكا[1] مصاريف الحرب، وأن يقدم له سنويا 12 حصانا وقدرها من المهارى العربية علامة امتنانه، بشرط أنه لو خالف إحدى هذه الشروط، يدفع أول مرة 50 ألف دوكا، وفي الثانية 100 ألف، وفي الثالثة يسقط حقه في الملك»[2]، وزاد الفونص روسو على ما سبق: ويتنازل نهائيا لاسبانيا عن حق صيد المرجان في مياه تونس، وذكر أن العملة هي الريال الاسباني[3]، وزاد فيكتور بيكيvictor piquet عنهما: وأن يتنازل له على المهدية وعدم مساعدة الأندلسيين الفارين من اسبانيا[4]، ثم غادر الإمبراطور الاسباني تونس في 17 أوت 1535م، وأمر ببناء قلعة حصينة في حلق الوادي تضم حامية عسكرية تعدادها ألف جندي إضافة إلى 10 مراكب حربية[5].

[1] - الدوكا ducat: عملة ذهبية ظهرت في مدينة البندقية قديما. ينظر رينهارت دوزي، ج4، **المرجع السابق**، ص 447. ويعرفها محمد دراج أنها: عملة ذهبية ايطالية كانت تستعمل في البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط في القرن 16م. ينظر: خير الدين بارباروس، **المرجع السابق**، ص121 (التهميش رقم1).وكانت قيمتها تعادل الدينار الذهبي. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 185.

[2] - محمد فريد بك المحامي، **المرجع السابق**، ص 233.

[3] - الفونص روسو، **المرجع السابق**، ص ص 90 91.

[4] -victor piquet, **Les Civilisations de l'Afrique du Nord berbères - arabes – turcs**, 3éme éd, librairie Armand colin, Paris, France, 1921, p 209.

[5] - محمد فريد بك المحامي، **المرجع السابق**، ص233.

1– أوضاع تونس الداخلية بين سنتي 1535–1545م:

سعى الحسن الحفصي بعد استعادة ملكه إلى السيطرة على كل المناطق المتمردة على سلطته، وكانت أبرزها آنذاك مدينة القيروان التي كانت تحت حكم الشابيين، فجهز حملة عسكرية لاستعادتها في سبتمبر 1535م لكنها فشلت قبل وصولها للمدينة، حيث تم التصدي لها من طرف الشابيين والأهالي في منطقة قرن الباطن[1]، وبعد أشهر في جانفي 1536م تم تجهيز حملة أخرى لاستعادة المدينة لكنها فشلت كسابقتها[2]، وتوالت حملات الحسن الحفصي على القيروان بمؤازرة الحامية الاسبانية المتواجدة في حلق الوادي، لكن صمود أهالي المدينة أرغمه على مراجعة حساباته، وفكر في اللجوء مرة أخرى للأسبان ليساعدوه على اقتحامها والانتقام من أهلها كما فعل في حادثة خطرة الأربعاء[3].

سافر السلطان الحفصي إلى اسبانيا لتحريض شارلكان ومساعدته لاستعادة القيروان، لكن قبل أن يصل إلى مطلبه، بلغته أخبار متواترة على حدوث أمر مفاجئ في تونس يتمثل في انقلاب ابنه أحمد (أمير عنابة) عليه، ونادى بنفسه سلطانا عوضا عنه، وجمع إليه أعيان البلاد وشاورهم في الأمر فأجابوه وبايعوه على ذلك فسار فيهم سيرة حسنة أنستهم أباه وزادتهم تعلقا به[4].

قرر الحسن الحفصي العودة إلى تونس سنة 1540م، وفي طريقه قصد مدينة نابولي[5] وأستأجر 2000 مرتزقا يقودهم قرصان اسمه لوفريدو[6] لمساعدته في استعادة ملكه، وأغراهم بجزيل العطاء

---

[1] - يوسف بن حيدة، **علاقة القبيلة...المرجع السابق**، ص 118.

[2] - نفسه، ص 119.

[3] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 92. وكذلك:

Victor piquet, T3, **les civilisations…op.Cit**, p 209.

[4] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 166. وكذلك: ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 92.

[5] - Fernand Braudel, **the Mediterranean and the Mediterranean world in the age of Philip II**, vol II, tra: Sian Reynolds, university of California press, Berkeley, USA, 1995, p 772.

[6] - يذكر كاربخال أن اسمه الكامل هو جان باتيستا دو لوفريدو. ينظر: مارمول كاربخال، ج3، **المصدر السابق**، ص 58.

لهم إن تحقق له ذلك[1]، لكن ابنه احمد وجنوده رغم قلة عددهم استطاعوا الانتصار عليهم، ويعود السبب الأهم في تحقيق هذا الانتصار الخوف من تكرار ما وقع للأهالي في خطرة الأربعاء[2].

أما مصير السلطان الحسن الحفصي فإنه فرّ من المعركة والتجأ إلى جزيرة صغيرة، ثم قبض عليه وجيء به لأبنه أحمد الذي وبخه كثيرا، ثم استشار خاصته في أمره فأشاروا عليه بسجنه أو قتله، لكن استقر رأيهم أخيرا على سمل عينيه حتى لا يقوى على الحركة ويُؤتمن شره، لكن رغم حالته هذه تمكن من الفرار من معتقل ابنه بمساعدة صهره أبي سلامة القليعي الذي أخذه إلى القيروان، حيث مكث بها مدة من الزمن وعاني فيها الويلات من احتقار الناس واهانتهم له[3].

أما عن نهايته فقد أُختلف في مكانها، أكانت في القيروان؟ أم أنها كانت على سفينة في عرض البحر قبالة ساحل المهدية؟، فقد ذكر بعض المؤرخين انه سافر إلى اسبانيا بعد مقامه في القيروان، وأنه رجع صحبة مجموعة من السفن الحربية يقصد الاستيلاء على مدينة المهدية، غير أن الأجل وافاه قبل نيل مبتغاه وتوفي في البحر ثم نقل جثمانه ودفن في القيروان[4].

---

[1] - Abel Clarin de La Rive, **Histoire générale de la Tunisie, depuis l'an 1590 avant Jésus-Christ jusqu'en 1883**, librairie e. Demoflys, Tunis, 1883, P 279. Et: Auguste Pavy, **op.Cit**, p 336.

[2] - عبد الرحمان حسين العزاوي، **تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص 156.

[3] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 189.وكذلك:

Henri Delmas de Grammont, **Quel est… op.Cit**, p 106.

[4] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص190.

2-الأوضاع العامة في فترة حكم السلطان احمد بن الحسن الحفصي 1545م—1573م:

كانت تونس إبان حكم السلطان احمد المدعو(احمَيْدة) تمر بفترة عصيبة في تاريخها، ميزها حالة الضعف العام والخضوع للأسبان، وسيطرة الشابيين على القيروان إضافة إلى التهديدات العثمانية من جهتي الجزائر وطرابلس الغرب، التي كان يحكمها وقتئذ درغوث باشا[1].

كان لزاما على السلطان الحفصي الحفاظ على علاقات متوازنة مع جميع هذه الإطراف المتصارعة فيما بينها، ليضمن بقاءه في السلطة دون مشاكل خارجية تزيد على ما يعانيه من مشاكل داخلية مستعصية، تتمثل في ازدياد نفوذ الشابيين في القيروان وما جاورها وفي تمرد السكان على دفع ما عليهم من ضرائب، وحينها بدأ عقد سلطته في الانفراط وكان أولها سيطرة درغوث باشا على مدينة القيروان بعد أن استنجد أهلها به وعيّن حيدر باشا[2] واليا عليها، وكان الشابيون استطاعوا البقاء مدة طويلة في حكم القيروان باستغلال الظروف المحلية، المتمثلة في التناحر بين الحفصيين والإسبان والعثمانيين قبل أن يقضي عليها هؤلاء نهائيا سنة 1557م[3].

كانت السواحل التونسية مسرحا للصراع الاسباني العثماني الذي مرّ بعديد التقلبات والأحداث، وكان يمثل الجانب العثماني في هذه الصراعات المستمرة والمتقلبة قادة أساطيل بحريين من

[1] -درغوث باشا: واسمه بالتركية طورغود رايس أصله من بلاد الأناضول، نشأ صغيرا في الخدمة البحرية مع خير الدين باشا واشتهر بقيادة السفن، حتى نال رياستها العليا، له غزوات عديدة في البحر المتوسط، من بينها هجومه على جزيرتي كورسيكا وصقلية، استشهد في حصار مالطا سنة 973 هـ/1565م. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953، ص128.

[2] - حيدر باشا: قائد عسكري عثماني عمل واليا على القيروان بعد سيطرة العثمانيين عليها سنة 1558م إلى 1574م، كما قاد الجيش المنطلق من القيروان لتحرير تونس الإسبان، ثم عُين حاكما عليها بعد إلحاقها بالدولة العثمانية.ينظر: احمد بك النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د.س، ص 210. وكذلك:

Asma Moalla,**The regency of Tunis and the ottoman porte 1777–1814**, Routledge Curzon, New York ,USA, 2004, p 101.

[3] - محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال**، ط3، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص65 .

بينهم الرايس درغوث باشا الذي عرف بدهائه وانتصاراته الكثيرة على المسيحيين عموما، إلى أن استقر في طرابلس الغرب سنة 1551م فترة من الزمن، ثم اتجه إلى قفصة عاصمة الجنوب سنة 1553م، ثم القيروان سنة 1557م[1]، واختلف المؤرخون في تاريخ سيطرته على القيروان، فيذكر توفيق البشروش أنه كان في 27 ديسمبر 1556م[2]، بينما يذكر نيكولاي أيليتش بروشين وصلاح العقاد أن وقع سنة 1558م[3]، أما مارمول كارباخال فيقول أنه في 27 جانفي 1557م[4].

وما يدل على دهاء هذا القائد أنه فضّل السيطرة على البلاد التونسية انطلاقا من الجنوب، بسبب حصانة العاصمة وتواجد الحامية الاسبانية فيها، كما أن الجنوب كان في حالة سخط على الحكم الحفصي الذي أصبح عنوانا للتخاذل والانهزام أمام الإسبان، وعليه فان انتصارات درغوث باشا في الجنوب مكنت من احتلال مدن عديدة، وانضمام الكثير من أهالي هذه المدن إلى الجيش العثماني رغبة منهم في التخلص من الحفصيين والإسبان على حد سواء[5]، وبحلول سنة 1569م حدثت مستجدات على ساحة الأحداث تتمثل في حملة العلج علي[6] على تونس، لوضع حد لتجاوزات

---

[1] - محمد الهادي الشريف، **المرجع السابق**، ص66.

[2] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص28.

[3] - نيكولاي أيليتش بروشين، **تاريخ ليبيا من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، ط2، تر وتح: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،2001، ص 29. وكذلك: صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص23.

[4] - مارمول كارباخال، ج3، **المصدر السابق**، ص99.

[5] - محمد الهادي الشريف، **المرجع السابق**، ص 66 .

[6] -العلج علي (1508-1587): يكنى علي الفرطاس، أصله من جنوب ايطاليا ويرى بعض المؤرخين الأتراك المعاصرين أنه من تركيا، من أشهر قادة الأسطول البحري العثماني، شارك في معركة ليبانتو الشهيرة، وفي الحملة العثمانية لتحرير تونس 1574 م، عُيّن حاكما لأيالتي طرابلس والجزائر على التوالي. ينظر: محمد سي يوسف، **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص 52-60.وينظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص 189.

السلطان احمد الحفصي وطموحاته في التمدد غربا، ولعل الظروف الإقليمية والداخلية لتونس ساعدته للقيام بهذه الخطوة التي كللت بالنجاح حيث أن القبائل العربية انحازت للعثمانيين وقدمت نحو 7 آلاف فارس إضافة إلى الجنود[1]، وبذلك استطاع العلج علي السيطرة على مدينة تونس ونادي في الناس بالأمان[2]، يقول ابن أبي دينار: «...ونادي المنادي في الناس بالأمان وطلع إليه أهل البلد وأخذ عليهم البيعة لسلطانهم...»[3].

بعد استتباب الأمور غادر العلج علي وجيشه تونس عائدا إلى الجزائر بعد أن ترك فيها حامية من الأتراك وقبائل زواوة[4] لحمايتها، وكلف أمر هذه الحامية احد قادته يدعى القائد رمضان وكان تعدادها 800 رجل من الأتراك ومثلهم من عسكر زواوة[5].

3– الاحتلال الاسباني لتونس للمرة الثانية 1573م:

وقع الاحتلال الاسباني الثاني لتونس بعد احتماء السلطان احمد الحفصي بهم، حيث فرّ مع ذويه من القصبة نحو الحامية الاسبانية في حلق الوادي وقام بالاستنجاد بهم لاستعادة حكمه، وبالنظر

---

[1] - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ط1، مج3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،1994، ص 84.

[2] - عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ط1، تر:عبد السلام أدهم ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1969، ص 236.

[3] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص196. ينظر أيضا صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 24، حيث ذكر أن ذلك كان ردا على تحريض الفرنسيين للعثمانيين على إقالة حسن آغا من حكم الجزائر.

[4] - انظر تعريفها ودورها في أيالة تونس لاحقا في الفصل الأول مادة المجموعات الأخرى غير النظامية الداعمة للجيش التونسي.

[5] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص196، يخالف ارنست ميرسي ابن أبي الدينار في عدد جنود الحامية حيث يذكر أنهم ألف جندي من الأتراك ومثلهم من جنود قبائل زواوة. ينظر: Ernest Mercier, T3, **op.Cit**, p107
أما دوقرامون فيذكر أن العدد 3000جندي من الأتراك. ينظر: Henri Delmas de Grammont, **Quel est…op.Cit**, p107.

على رغبة الإسبان في الاحتفاظ بمدينة تونس وما جاورها في حوزتهم أمر فيليب الثاني[1] أخاه غير الشقيق الدون خوان النمساوي[2] بالتحرك لاحتلال تونس والقضاء على الحامية العثمانية[3].

لم تكن للحامية بقيادة رمضان باشا (القائد رمضان) القدرة على مواجهة هذا الجيش المكوّن من 31 سفينة حربية، وأكثر من 30 ألف جندي من مختلف الممالك الأوربية، الذي تمكن من احتلال تونس للمرة الثانية[4].

انسحبت الحامية العثمانية دون مقاومة تذكر للجيش الغازي، وعند وصول دون خوان إلى حلق الوادي التقى بالسلطان أحمد وأملى عليه شروطا قاسية، وأوجب عليه قبولها دون تعديل إذا أراد البقاء حاكما على تونس، لكن السلطان لم يقبل هذه الشروط وعرض عليهم الأموال بدلا عن ذلك[5]، يقول ابن أبي دينار: « ولما وصلت العمارة إلى حلق الوادي، أخرج الجنرال كتابا من عند

---

[1] - فيليب الثاني (1527-1598): ابن شارلكان ملك اسبانيا (1556-1598) وصقلية وانكلترا (1554-1558)، كان متعصبا للكاثوليكية ومعاديا للمسلمين وقام بتهجيرهم من الأندلس، وخاض عدة حروب مع الدولة العثمانية، قام باحتلال تونس في 1573م. ينظر: محمد عبده حتاملة، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني 1527-1598**، ط1، شركة المطابع النموذجية، عمان، الأردن، 1982، ص ص17 18.وكذلك:

William H Prescott ,**History of the reign of Philip 2 king of spain**, vol1, j.b.Lippincott, Philadelphia, USA, 1882, p p 65-72.

[2] - دون خوان (1547-1578): هو ابن الامبرطور شارلكان والأخ غير الشقيق للملك فيليب الثاني ملك اسبانيا وايطاليا، اشتهر بانتصاره في معركة ليبانتو 1571م على أسطول الدولة العثمانية، وبحملته على تونس 1573م. ينظر:

Violet Soen, **Philip II's Quest. The Appointment of Governors-General during the Dutch Revolt (1559-1598)**, revue BMGN-Low Countries Historical Review, vol 126, issue, Amsterdam, Nederland, Janvier 2011, p 9. Et: Fernand braudel, **El Mediterraneo y el mundo mediterraneo en la epoca de felipe II**, T2, fondo de cultura Economica, Mexico, 1987, p644.

[3]- Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit**, p 24.

[4] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص245. وكذلك :

Élie de primaudaie, **Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique** (1506-1594), Adolphe jourdan libraire –Éditeur, Alger, 1875, P285.

[5] - شوقي عطاالله الجمل، **المرجع السابق**، ص ص 107 108.

سلطانه يذكر شروطا اشترطها على السلطان أحمد فامتنع منها وقال: ليس لكم عندي إلا المال لا غير وأما البلاد فليس لكم فيها شيء، فقال الجنرال: إن تف بها فخير وإلا نقدم غيرك يف لنا بها...»[1]، وتذكر بعض المراجع أنهم اشترطوا عليه أن يمنحهم نصف ممتلكات الدولة الحفصية، فلما رفض قدموا أخاه محمد فقبل أما هو فهرب إلى جزيرة صقلية وسكن مدينة باليرمو في صقلية حتى وافاه الأجل بها[2].

أما عن مصير الحامية العثمانية فإنها بعدما عجزت عن مواجهة الجيش الاسباني فرّت نحو مدينة الحمامات بالساحل الشرقي لتونس، ومنها إلى القيروان التي لا تبعد عنها كثيرا حيث يتواجد القائد العثماني حيدر باشا منذ 1557م رفقة جنوده، وعند إخباره بما وقع في تونس وعن ضخامة الجيش الاسباني فكر في مغادرة القيروان جنوبا، حتى لا تحل كارثة بهذه المدينة التاريخية، لكن الأهالي أقنعوه بالبقاء وعاهدوه على المقاومة مع العثمانيين، لِما وجدوه منه من حسن المعاملة خلال السنوات التي أقامها بينهم[3].

دخل الجيش الاسباني مدينة تونس مرفوقا بالأمير محمد الذي قبل شروط الإسبان طمعا في الملك، وإرضاء لهم وزيادة في الخضوع والخنوع[4]، وقع الاحتلال الإسباني الثاني لتونس سنة 980هـ/1573م بعد معركة ليبانتو[5] التي تلقّى فيها الأسطول العثماني ضربة موجعة سنة 979هـ/1571م،

---

[1] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص196.

[2] - عبد الرحمان حسين العزاوي، **المرجع السابق**، ص 157.

[3] - ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق**، ص19.

[4] - محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية...المرجع السابق**، ص 273.

[5] - معركة بحرية وقعت في 7 أكتوبر 1571م قرب ساحل مالطا بين العثمانيين بقيادة برتو باشا، وتحالف الدول الأوربية بقيادة دون خوان النمساوي. ينظر: نجاة سليم المحاسيس، **معجم المعارك التاريخية**، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص ص 455 456. ينظر أيضا: الهام يوسف وولاء علي صقر، **الصراع الإسباني العثماني على تونس (941-982 هـ/1534-1574م)**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، دمشق، سوريا، مج 40، العدد5، 2018، ص 411.

مما أدى بالعثمانيين إلى الاهتمام أكثر بتحرير تونس وطرد الإسبان منها، لتعويض الخسارة المادية والمعنوية الكبيرة الناجمة عن المعركة سالفة الذكر[1].

4 – المعركة الحاسمة لتحرير تونس للمرة الثانية 1574م:

مع مطلع سنة 1574م بدأ الأسطول العثماني يقوم بتحضيراته في اسطنبول، بينما كان حيدر باشا يقوم بشحذ الهمم وتأجيج العواطف وجلب المتطوعين للتحضير للمعركة الحاسمة[2].

بدأت هذه المواجهة بالتخطيط المحكم لها من طرف العثمانيين، حيث أقبل حيدر باشا من القيروان ومصطفى باشا من طرابلس والتقيا بمنطقة المحمدية[3] قرب مدينة تونس[4]، كما تم حشد مجموعات كبيرة من القبائل الهلالية العربية وقبائل زناتة الأمازيغية، وتحركت هذه القوات نحو مدينة تونس لمحاصرتها من ناحية البر، بينما أقبل سنان باشا[5] في أسطول كبير من ناحية البحر[6]، يتألف من

---

[1] - ب .أ. اوغوث وآخرون، **تاريخ إفريقيا العام**، مج 5، اليونسكو، د.س، ص 278.

[2] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 251.

[3] - المحمدية: مدينة قريبة من تونس كانت تسمى قديما طنبذة واليها يعود منصور الطنبذي الذي ثار على الأغالبة سنة 209هـ. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج4، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، د.س، ص 70.(التهميش رقم1)

[4] - Élie de primaudaie**, op.Cit**, p p 296-298.

[5] - سنان باشا(1506-1596): قائد بحري عثماني أُختلف في أصله أهو ألباني أم ايطالي؟، انظم إلى الجيش العثماني في سن مبكرة ثم ترقى في الرتب العسكرية حتى عُيّن في رتبة أمير لواء، بفضل كفاءته وحنكته العسكرية تم تكليفه بالحملة العثمانية لتحرير طرابلس من الإسبان وفرسان مالطا سنة 1551م، بعد انجازاته الكبيرة تمت ترقيته إلى رتبة أميرال سنة 1555م، عيّن واليا على مصر سنة 1568م، كان قائد الحملة العثمانية لتحرير تونس سنة 1574م وحقق فيها نجاحا باهرا، ينظر: محمد بيرم الخامس، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مج1، تح: علي الشنوفي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 413. وينظر أيضا: رابحة محمد الجبوري، **القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م**، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، مج18، العدد1، جانفي 2011، ص ص 352 353.

[6] - Habib Boulares, **op.Cit**, p 342

250 سفينة من نوع غاليرة[1] Galères و40 سفينة لنقل الجنود والذخيرة و40 ألف جندي، وكان خروجه يوما مشهودا في اسطنبول لحجم القوة العسكرية الضخمة[2]، وقد اختلفت المصادر في تعداد السفن فبينما يذكر Braudel أن عدد السفن من نوع غاليرة هو230 سفينة[3]، بينما يقول الناصري أن عدد السفن 450 قطعة مختلفة[4].

كانت البداية بمحاصرة قلعة حلق الوادي[5] التي وصفها المؤرخون بأنها أقوى حصن دفاعي للأسبان، لكونها محاطة بخندق عميق يحول دون الوصول إليها[6]، بدأت المعركة بالطريقة المعتادة وهي رمي القلعة بالمدافع لإحداث الثغرات فيها وإنزال الرعب بالجنود، لكن الأسبان لم يتأثروا بذلك بسبب احتياطهم لهذا الأمر مسبقا واستعدادهم له مما أدى إلى فشل الحصار، كان هذا الحصن صغيرا عرضه 30 ذراعا وارتفاعه 10 أذرع وكان محصنا بشدة حيث عمل الإسبان طيلة 40 سنة التي قضوها به على تحصينه من كل الجهات[7].

في هذه الظروف العصيبة فكّر العثمانيون في طريقة يتخلصون بها من الخندق العميق، وأجمعوا رأيهم على ردمه بالتراب مهما كلفهم ذلك من وقت أو جهد، وبدا لهم أنه الحل الوحيد المتاح في

---

[1] - الغاليرة: هي سفينة حربية أو تجارية قديمة تُسير بالقلوع أو بالمجاديف. ينظر: علي بن محمد التمكروتي، **النفحة المسكية في السفارة التركية 1589**، تح وتق: محمد الصالحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2007، ص 113.(التهميش رقم 2)

[2] - لحسن قرود، **دور الجزائر في تدعيم الحكم العثماني في تونس خلال القرن السادس عشر(م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2، السنة الجامعية 2018/2017، ص 259.

[3] - Fernand braudel, **op.Cit**, p 650.

[4] - أبو العباس أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 60.

[5] - انظر صورة لجزء من هذه القلعة في الملحق رقم 2 .

[6] - Fray Diego de Haedo, **Histoire des Rois d'Alger**, Tra: Henri Delmas de Grammont, Adolphe jourdan libraire – Éditeur, Alger,1875, P149.

[7] - حاجي خليفة، **المصدر السابق**، ص ص 167 168.

تلك الظروف، وشرعوا في ردمه بالصوف والحطب والرمل والرصاص حتى يتخلصوا من الماء، ثم يحاولوا عبور الخندق والوصول إلى القلعة الحصينة وبعد جهد وعناء تمكنوا من ذلك[1]، يقول ابن أبي دينار في وصف هذا النصر المبين: «...ولم يزالوا مطبقين على تونس من برها وبحرها إلى أن تمكنت أيديهم بسَحرها ونحرها ونزعوا ملكها من أيدي الكفرة بعدما كانوا استولوا عليها وسلبوا بني أبي حفص...»[2].

وبذلك دخلت تونس مرحلة جديدة في تاريخها الحديث وأصبحت أيالة[3] عثمانية يحكمها باشا يتم تعيينه من اسطنبول، وتم إرسال حامية عسكرية عثمانية لحماية الأيالة وضمان تبعيتها للدولة العثمانية، والتي ستكون النواة الأولى للجيش العثماني في تونس الذي سيتطور تبعا للأحداث وتغير أنظمة الحكم إلى جيش تونسي في إطار الدولة العثمانية.

---

[1] - Abuo Abd Allah husayn Khawajah, **history of the conquest of tunis and of the goletta by the ottomans A.H 981(A.D 1573)**, Tra: j.t.carletti, Trubner & co publisher, London, UK, 1883, p 23.

[2] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، 200.

[3] - أيالة Eyalet مفردة عثمانية بمعنى إقليم حدود للدولة العثمانية. ينظر: وليم سبنسر، **المرجع السابق**، ص 45. ويختلف صلاح العقاد عن جمهور المؤرخين بتسميتها " نيابة ". ينظر: صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 35.

الفصل الأول

الجيش التونسي، التنظيم والهيكلة وأدواره داخليا وخارجيا

أولا-أوضاع تونس في بداية الحكم العثماني

ثانيا- طرق التجنيد ومراحل التدرج في الجيش

ثالثا- مقرات الجنود والزي العسكري

رابعا- المجموعات العسكرية غير النظامية الداعمة للجيش التونسي

خامسا- المهام الداخلية والخارجية للجيش

سادسا- أقسام الجيش والصناعة الحربية

سابعا- التحصينات العسكرية

ثامنا- الأوضاع الصحية لأفراد الجيش

تاسعا- القضاء العسكري

أولا- أوضاع تونس في بداية الحكم العثماني:

1- تشكل وجق تونس والنواة الأولى للجيش:

كانت أيالة تونس بداية الحكم العثماني تسمى وجقا[1] أو سنجقا[2] أو باشاليك[3]، وهو ما يعبر عن الطابع العسكري للأيالة والنظام السائد فيها[4]، ويرى بعض المؤرخين أن العثمانيين بعد ضمهم لتونس تركوا فراغا في الجانب العسكري حيث لم يعد لتونس جيش ولا حكومة وطنية، ثم قاموا بالقضاء على نفوذ القبائل الذين تحصنوا في الجبال والأرياف والصحراء[5]، وقامت الحامية العسكرية العثمانية التي تركها سنان باشا بعد مغادرته تونس بملأ الفراغ العسكري واصبحت المسؤولة عن حماية الأيالة أو الولاية، كما شكلت في ذات الوقت الواسطة بين السلطة الحاكمة والسلطات العثمانية في اسطنبول[6]، ومن تاريخه استمر نفوذ العناصر التركية العسكرية وتصدرها للمشهد السياسي إلى غاية بداية القرن التاسع عشر الميلادي[7].

1- الوجق: لغة معناه المكان المعد من الطين أو القرميد الذي تشعل فيه النار، واصطلاحا لقب لأصناف جنود الدولة العثمانية، وقد قُسم الجيش إلى 7 أوجاقات. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، 1996، بيروت، لبنان، ص 53. واستخدم اللفظ في الفترة الحديثة للدلالة على " القوات" أو "الحامية العسكرية". ينظر:

Robert Mantran, **l'evolution des relations politiques entre le gouvernement ottoman et les odjaks de l'ouest du xvi au xix siecle**, Üniversite d'Aix – Marseilles, France, 1 Mai 1964, p 56.

2- السنجق: لغة هو العلم أو اللواء الخاص بالدولة، واصطلاحا:تعني قسم إداري من الدولة، وهو الوحدة الإدارية الأساسية للدولة العثمانية وكان يحكم السنجق حاكم عسكري قبل التنظيمات 1839م. ينظر:سهيل صابان، **المرجع السابق**، ص 136.

3 - الباشاليك: بمعنى ولاية. ينظر: محمد الطالبي، **قابس**، تر: محمد العربي عبد الرزاق، دائرة المعارف التونسية، الكراس الرابع، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1994، ص 107.

4- عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، أوتار تبر الزمان، تونس، 2016، ص 98.

5- محجوب السميراني، **الجيش التونسي (1831-1881) رافد نهضة وإصلاح** ، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس،2017، ص 25.

6- الشيباني بنبلغت، **إحداث الجيش النظامي التونسي ومحاولات تحديثه خلال القرن التاسع عشر**، أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي « من العهود القديمة إلى عهد التحول»، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30و31 اكتوبر1997، ص 196.

7 - عبد الحميد هنية، **بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها خلال الفترة الحديثة (ما بين القرنين 17و19) دراسة مقارنة**، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 4، الدوحة، قطر، ربيع 2013، ص 17.

تم تقسيم أيالة تونس إلى عدة ألوية أو أوجاقا على غرار وجق تونس وجق باجة وجق الكاف وغيرها[1]، وتم تعيين حاكم عسكري لكل لواء وهو ما يدل على الصفة العسكرية للحكم العثماني في تونس وتحت كل لواء تم تأسيس عدة قيادات جعل على رأس كل منها قائد عسكري، كما تم تحديد مرتبات الجنود والضباط والكتاب وغيرهم[2].

أ- انفصال الوجق عن الجزائر 1587م:

بعد وفاة العلج علي خفت العداوة بين اسبانيا والدولة العثمانية ذلك أنه كان يربط أي تقارب بين الدولتين بجلاء اسبانيا عن وهران والمرسى الكبير، وفي ذات الأوان أصاب العلاقات الفرنسية العثمانية نوع من الفتور، مما فرض عدة معطيات جديدة على سياسة الدولة العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، من بينها الخوف من استقلال أيالة الجزائر بما عرفت به آنذاك من قوة وسيطرة على البحر المتوسط، لذلك قررت السلطة العثمانية إضعاف أيالة الجزائر من خلال تعيين باشا لأيالة تونس بمقتضى فرمان تولية بتاريخ 7 سبتمبر 1587م، مما يعني انفصال أو منح استقلال ذاتي لتونس في إطار الدولة العثمانية[3]، كما أن قوة وجق تونس المتمثلة في حاميته الصلبة المتماسكة، أدت إلى تزايد الرغبة في الانفصال عن وجق الجزائر المتقدم عنه في الانضمام للسلطنة[4]، وتشكلت كنتيجة لهذا التغيير السياسي الهام ثلاث أيالات يحكمها ثلاثة باشوات مدة حكمهم 3 سنوات، وتحولت منطقة شمال إفريقيا إلى مقاطعات عثمانية تحكمها السلطة المركزية مباشرة[5].

---

[1] - فتحي العرقوبي، **مسار الحملة العسكرية العثمانية عل تونس وأطوارها (12ماي- 13 سبتمبر1574)**، مجلة الدفاع، العدد61، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أوت 2013، ص 48.

[2]- عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، 259.

[3] - محمد مبارك الميلي، **المرجع السابق**، ج3، ص 136. وكذلك:

Édouard Cat, **Petite Histoire de l'Algérie - Tunisie – Maroc**, T1, Adolphe Jourdan libraire- éditeur, Alger, 1888, p 25.

[4] - Gaston Bonet-Maury**, Les Précurseurs français du cardinal Lavigerie dans l'Afrique musulmane,** Revue des Deux Mondes, 4ème période, T 136, Paris, France, 1896, p 902.

[5] - شارل اندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**، ج2، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 350.

ب- النواة الأولى للجيش في تونس:

اختلفت المصادر في تعداد الحامية لكنها تتفق جميعا أن العدد يتراوح بين 2000 و4000 جندي، وقد كان حكام تونس الأوائل يعتبرون أن هذا العدد اذا ما أضيفت له التشكيلات العسكرية المحلية يعتبر قوة كافية للحفاظ على سيطرة العثمانيين على الأيالة، وردع أي خطر خارجي يهددها[1]، وسنستعرض جملة من آراء المؤرخين القدامى والمعاصرين، لنحيط بتعداد الحامية التي حكمت تونس بعد ضمها للدولة العثمانية:

يشير الباجي المسعودي إلى ذلك حيث يقول:« لما فتح الوزير سنان باشا الحضرة وقطع دابر الكافرين وعزم على العود للقسطنطينية رتّب أربعة ألاف وقيل ثلاثة من عسكر الترك لحراسة البلاد وتأمينها وجعل لكل مائة منهم أميرا يسمى الداي[2] ومعناه بالعربية خال كناية على تعظيم المنادى والملقب به»[3]، وكما أسلفنا فإن هذا العدد قُسّم إلى مجموعات تضم 100جندي على رأس كل منها أمير يسمى الداي، وجعل على هؤلاء الدايات رئيسا يسمى الآغا[4].

[1] - نيقولاي ايفانوف، **المرجع السابق**، ص 259.

[2] - مفردة عثمانية لها معان عدة من بينها آمر الجيش. ينظر: وليم سبنسر، **المرجع السابق**، ص 89. والمعاني الأخرى هي: الأول هو الخال، أي أخو الأم، والثاني اسم يتداوله الشبان فيما بينهم للمناداة في الدارجة التركيّة، والمعنى الثالث اسم لفئة من الحراس الساهرين على أمن المدينة أي « الحامي » ويقال دايات الإنكشارية .(Yeniçeri dayıları) والمعنى الرابع هي صفة تطلق على محاربي الألبلك والألبلر (Alpler) وهو المحارب التركي الأناضولي القوي.ينظر: مؤيد المناري، **الداي أحمد خوجة: جوانب من حياته السياسيّة مآثره وعلاقته ببلده الأم تركيا**، السبيل: مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، العدد9، تونس، 2019، ص 4.

[3]- الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص209.

[4]- حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ، المرجع السابق**، ص 133. وكذلك: Pierre Grandchamp, **La France en Tunisie A la Fin du XVIe Siècle (1582-1600)**, société anonyme de l'imprimerie rapide, Tunis, 1920, p XV.

أما الوزير السراج فقد أشار إلى أن الألف الرابعة من هؤلاء الجنود الأتراك لم يتم انتدابها إلا لاحقا، من طرف يوسف داي[1] الذي حكم بين سنتي 1610–1637م بسبب النزاع مع أيالة الجزائر في عهده سنتي 1614 و1628م[2].

يقول ابن أبي الدينار:« أن سنان باشا ترك بها من العسكر العثماني دارا من ديار الينشرية (الانكشارية) وهي الواحدة بعد المائة »[3]، وحسب تصنيف قوات الجيش العثماني الذي قام بضم تونس فهو مكون من الفئات العسكرية التالية: العجمي اوغلان، السمكن، الجماعات، البلوك، وخلال فترة حكم السلطان مراد الثالث[4]كانت فئة السمكن يتوزعون على 34 بيتا والبلوك على 61 بيتا والجماعات على 101بيتا وبالتالي فان البيت التي ذكرها ابن أبي الدينار هي البيت الأخيرة لفئة الجماعات أي الواحدة بعد المائة[5].

[1] - يوسف داي: ولد سنة 1560 في مدينة طرابلس التي كانت حينها تحت الحكم العثماني، كان والده مصطفى التركي جنديا في الجيش العثماني، فإتبع يوسف داي خطى والده وانظمّ للحامية التركية في تونس، اختير من طرف عثمان داي ليشغل عدة مناصب، حتّى إنه فضله على أبنائه وعزم على مصاهرته، وتمكن عثمان داي من إقناع الديوان بانتخابه دايا حيث قال لأعضاء الديوان:"إذا أردتم راحة أنفسكم فقدموا يوسف داي"، ومن أهم انجازاته: أبرم اتفاقية حدوديّة مع الجزائر سنة 1628م في محاولة لضبط الحدود بصفة نهائيّة بين الإيالتين، طوّر الأسطول البحري وقويت شوكته حيث بلغ عدد المراكب 15 مركبا كبيرا دون احتساب المراكب الصغيرة، شهد أواخر حكمه تزايد نفوذ الباي حمودة باشا المرادي، توفي 30 نوفمبر 1637م. ينظر: محمود مقديش، **المصدر السابق**، ج2، ص91. وينظر أيضا: ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 205. وينظر أيضا: محمد بن محمد الأندلسي (الوزير السراج)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج 2، ط1، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1985، ص 350. ينظر أيضا:

Arnold Henry Nyssen, **Questions sur Tunis 1788**, Revue de l'Histoire des Colonies Françaises, T XVI, 2éme Sem, Société des l'histoire des colonies françaises, Paris, France 1923, p 71.

[2] - الوزير السراج، ج 2، **المصدر السابق**، ص 16.

[3]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 223.

[4] - مراد الثالث: تولى الحكم سنة 1574 خلفا لأبيه سليم الثاني، عرف عهده بداية مرحله الضعف للدولة العثمانية وتمادي ثورات الانكشارية وتدخلهم في شؤون الحكم، وبداية استقلالية الولايات العثمانية في إدارة شؤونها دون الرجوع إلى السلطة المركزية في اسطنبول، التي كانت تقوم بتزكية الحاكم الجديد للولاية دون محاسبته أو التدخل لإعادة الحكم السابق، ينظر: نزار قازان، **المرجع السابق**، ص ص 57 58.

[5]- توفيق البشروش، **جمهورية الدايات في تونس 1591-1675**، شركة اوربيس، تونس، 1992، ص 45.

يُعرف المؤرخ ناحوم وايزمان Nahoum Weissmann هذه الفئة بقوله: « إن عسكر الجماعات مقسمة إلى مئة وواحد بيت وهم من القوات العربية ويقصد بها العسكر الذين التحقوا بالجيش العثماني بالشام ومصر وأيالات بلاد المغرب»[1]، وقد كان اغلب أفراد هذه الحامية ينتمون إلى فئة من المرتزقة من مختلف أنحاء الدولة العثمانية يسمون اللوند هم مغامرون انتدبهم حيدر باشا وليسوا انكشارية من حيث الانتداب[2]، بينما تؤكد مراجع اخرى انهم انكشارية يتشكلون من مجندين من اصول مختلفة وغالبًا ما يجمعهم سوى الفيلق العسكري الإمبراطوري المرموق[3]، أما المؤرخ يلماز اوزتونا فيذكر أن الحامية تشكلت من المتطوعين القادمين من الأناضول الذين ليست لهم علاقة بحامية الإنكشارية الموجودة في اسطنبول[4]، أي أنهم ليسوا من الجيش الانكشاري المعروف آنذاك في الدولة العثمانية، إنما يشبهونه في بعض خصائصه التنظيمية فقط[5].

على الرغم من قلة عدد الحامية العسكرية والتي اختلفت المصادر الذي لم يتجاوز 4000 جندي[6]، فإن هذه الحامية كانت تتمتع بالصلابة والشدة والتمرس على الحروب بالأسلحة الحديثة التي انتشرت في أوربا ولم يكن للتونسيين سابق عهد بها[7].

---

[1] -Nahoum Weissmann, **les janissaires étude de l'organisation militaire des ottomans,** thèse pour le doctorat d'université, faculté des lettres de Paris, France, 1938, P27.

[2]- توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 46.

[3] - Leila Temime Blili, **sous le toit de l'empire**, T I, éditions SCRIPT, Tunis, 2012, p 195.

[4]- يلماز اوزتونا، **موسوعة الإمبراطورية العثمانية**، ج2، ط1، تر: عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010، ص 381.

[5] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 46.

[6] - عدد أفراد الحامية 4000 جندي. ينظر: Laugier de Tassy, **A compleat history of the piratical states of barbary algiers tunis tripoli and morocco**, R. Griffiths, London, UK, 1750, p 287.Et : Léon carl brown, **the tunisia of ahmed bey 1837-1855**, Princeton university press, New Jersey, USA, 1974, p 54.

[7]- محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة بتونس في علاقتها بالدولة والمجتمع (من القرن السادس عشر إلى أواسط القرن 19)**، أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي «من العهود القديمة إلى عهد التحول»، وزارة الدفاع الوطني، تونس،30و 31 اكتوبر1997، ص 140.

كلف سنان باشا هذه الحامية عند مغادرته تونس إلى اسطنبول بحفظ الأمن والعمل على تأديب من يرفض الحكم العثماني الجديد[1]، ويشير ابن أبي دينار إلى أن معظم القوانين التي سارت عليها الأيالة في المرحلة الأولى هي من وضع سنان باشا حيث يقول: «...ورتب الوزير سنان باشا قوانين صارت من بعده ثابتة الرسوم»[2]، وقد بقي عدد هؤلاء الإنكشارية مستقرا دون زيادة إلى غاية 1630م[3].

يشير رايمون دريفيه Raymond Drevet أنه إضافة إلى الحامية التركية التي تركها سنان باشا، فقد كانت أيضا مجموعات من قبائل زواوة الذين كانوا في عداد الجيش الذي قاده العلج علي باشا أثناء حملته على تونس سنة 1570م[4]، التي سبق الإشارة إليها وكان هدف جميع القوى العسكرية هو فرض النظام على القبائل الرافضة للوجود العثماني وتحصيل الضرائب منها[5].

يرى المؤرخ مصطفى العقاد أن السلطة العثمانية الجديدة في تونس استفادت كثيرا من النظم التي كانت سارية المفعول في عهد الحفصيين وبالأخص النظم العسكرية للجيش وغيره من المؤسسات[6]، وعلى النقيض منه، يجمع أغلب المؤرخين التونسيين على أن الحكام الجدد لتونس قاموا باستحداث مؤسسات جديدة بما في ذلك الجيش، الذي يُعد الركيزة الأساسية لاستمرار الحكم العثماني بالأيالة حيث يذكر المؤرخ عبد الحميد هنية:« ولكن المؤسسات الحفصية لم تستمر على حالتها خلال العهد العثماني بل سيعاد بناؤها واستنباطها»[7]، ويميل المؤرخ توفيق البشروش إلى ذات الرأي بقوله: « زالت

[1]- حسين خوجة، **ذيل كتاب بشائر الأيمان في فتوحات آل عثمان**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر، ب.س، ص5.

[2] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 224.

[3] -Jean Henry Dunant, **Notice sur la régence de Tunis**, IMPRIMERIE DE JULES-G- FICK, Geneve, Suisse,1858, p 19.

[4] -Raymond Drevet, **Op.Cit**, p 13.

[5]- صورية حصام، **العلاقات بين أيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2012، ص 18.

[6]- مصطفى العقاد، **المرجع السابق**، ص 30.

[7]- عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ، المرجع السابق**، ص 101.

السلطة الحفصية فانقرضت تباعا أجهزتها المركزية التي تعرض لها الحسن الوزان[1] في رحلته، وقامت مقامها مؤسسات جديدة مستوحاة من النموذج التركي وذلك بعد أن جُربت في أيالتي الجزائر وطرابلس»[2]،كما أن المؤرخ الروسي نيقولاي ايفانوف يساند ذات الطرح بقوله: « أدى احتلال تونس إلى استكمال عثمنة البلاد فخلال عدد كبير من الحروب والانتفاضات بين سنتي 1526—1574 انهارت نهائيا كل المؤسسات الاجتماعية والسياسية للعصر الحفصي»[3].

2– المؤسسات المرتبطة بالجيش:

أ– مؤسسة الديوان:

يشير المؤرخ حسين خوجة الحنفي أن نظام تشكيل مؤسسة الديوان في تونس قد تم استلهامها من نظام الديوان في مصر والجزائر[4]، أما مهامه فهي مماثلة لديوان أيالة الجزائر ويقول ابن أبي الدينار في ذلك: « ...وحذوا في أول أمرهم في الأحكام حذو ديوان الجزائر»[5]، وذكر ذلك أيضا الأسير الاسباني هايدو haédo في الحديث عن ديوان الجزائر وتركيبته ومهامه[6] وتم تقسيمه بحسب المؤرخ نيقولاي ايفانوف إلى ديوان صغير وديوان كبير[7].

---

[1]- الحسن الوزان (1483-1550م): ينسب إلى قبيلة بني زيات الزناتية في منطقة الريف بالمغرب الأقصى، ولد بغرناطة، وبعد سقوطها نزحت أسرته إلى منطقة شفشاون المغربية، شغل عدة مناصب إبان الحكم الوطاسي وقام بعدة رحلات داخل المغرب وخارجه إلى إفريقيا والحجاز واسطنبول، وقع في الأسر من طرف قرصان ايطالي الذي اخذه الى نابولي، ثم ارسله كهدية إلى بابا الفاتيكان ليون العاشر الذي أعجب به، وطلب منه أن يؤلف كتابا يصف فيه رحلاته في إفريقيا لكونها مجهولة عند الأوربيين في تلك الفترة، فألف كتاب **وصف إفريقيا** من جزأين.ينظر: Adrian Berbrugger, **Jean-Léon L'africain**, R.A, 2éme année, N°11, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, Juin 1858, p p 354 355.

وينظر أيضا: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، ط2، تر:محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص ص 7-10.

[2]- توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 44.

[3]- نيقولاي ايفانوف، **المرجع السابق**، ص 257.

[4]- حسين خوجة الحنفي، **المرجع السابق**، ص6.

[5]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 224.

[6] - Fray Diego de Haedo, **op.cit**, P 53.

[7]- أندريه ريمون، **المرجع السابق**، ص 257.

ترأس هذا الديوان باشا يتم تعينه من طرف السلطان العثماني لمدة ثلاث سنوات (في الفترة بين 1574–1591) ويجمع بين السلطتين السياسية والعسكرية[1]، وقد تداول على حكم الايالة في هذه الفترة 10 ولاة اختلفوا في طريقة تسييرهم وفي علاقتهم بالعسكر[2]، ويقول المؤرخ عزيز سامح التر أن ديوان الباشا هو مركز الإدارة الأصلي وكل الأعمال تقرر وتنفذ على يديه[3]، أما بعد 1591م فترأس هذه المؤسسة داي يتم انتخابه من بين أعضائه ثم يقوم الداي المنتخب باختيار أعضاء جدد في هذا الديوان[4]، لكن عبد الحميد هنية يقول أن من يرأس الديوان بعد واقعة البلوكباشية[5] في 1591م هو الآغا الذي هو رئيس كل الضباط السامين، وأن القرارات الهامة هو الذي يقوم بإصدارها بعد مشاورة أعضاء الديوان دون العودة في ذلك إلى الباب العالي[6].

1– دور مؤسسة الديوان:

يقوم أعضاء الديوان بتوزيع المهام فيما بينهم بالتوافق[7]، وقد أصبحت مؤسسة الديوان صاحبة النفوذ الحقيقي في الأيالة بدلا عن الباشا[8] وذلك بالنظر لسيطرة الضباط السامين المتمثلين في

1- عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ، المرجع السابق**، ص 98.وينظر:

M. Poiron, **Mémoires concernans l'état présent du royaume de Tunis**, Thèse complémentaire présentée devant pour l'obtention du grade de docteur ès-lettres, la Faculté des lettres de Paris, France, 1925, p IX.

2 - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 50.

3 - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 258.

4- Jean Henry Dunant, **op.cit**, P 20. Et : Panzac Daniel, **Les corsaires barbaresques La fin d'une épopée 1800-1820**, CNRS Éditions, paris, France, 1999, p 130.

5 - رتبة عسكرية عثمانية بمعنى قائد البلوك الذي هو عبارة عن وحدة عسكرية تعادل فيلق حاليا. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **المرجع السابق**، ص 86.

6 - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ، المرجع السابق**، ص 103.

7 -Jean Henry Dunant, **op.Cit**, P 20.

8 - ينفرد Robert Mantran بتسميته البيلرباي، ينظر: Robert Mantran, **l'evalution des relations politiues entre le gouvernement ottoman et les odjaks de l'ouest du XVIe au xixe siecles**, article de recherche, Université d'Aix – Marseille, France, 1 Mai 1964, p 56.

البلوكباشية على الديوان وصناعة القرار في الأيالة[1]، حيث أن جميع الضباط الساميين يمكن لهم حضور اجتماعات الديوان وإبداء آرائهم في المسائل المطروحة في هذه الاجتماعات[2].

2– تشكيلة الديوان:

اختلف المؤرخون في تشكيل الديوان وعدد اعضائه، ولحصر الموضوع نقوم باستعراض أهم أقوال هؤلاء المؤرخين:

يذكر المؤرخ الفونص ديلان Alphonse Dilhan تركيبة الديوان كما يلي :

– الأغا[3]: قائد العسكر في الأيالة .

– الكاهية[4]: نائب الآغا وتعادل رتبته العسكرية رتبة ملازم حاليا .

– 12 أوداباشي: تعادل رتبة قائد فرقة حاليا والأودا باشي بمعنى قائد غرفة الإنكشارية.

– 24 بولكباشي: هم الضباط السامون المسؤولون مباشرة عن الدايات الأقل منهم رتبة عسكرية.

– 6 شواش (منفذون للقرارات)[5].

يشاطر المؤرخ سامح التر Dilhan بذكر نفس التشكيلة، انما يضيف أن للآغا نائبا يسمى كتخدا وأن عدد الشواش ثمانية (8) إضافة إلى كاتبين (خوجة) ومترجم واحد[6].

---

[1]- عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ، المرجع السابق**، ص 103.

[2]- Habib boulares, **op.Cit**, p354.

[3] - انفرد pierre grandchamp عن جميع المؤرخين بتسميته آغاباشي، ينظر : Pierre Grandchamp, **Op.Cit,** p xv.

[4] - الكاهية: هي رتبة عسكرية كبيرة في الجيش العثماني وانتقل استعمالها كذلك في أيالات المغرب ومن بينها تونس حيث كان الكاهية يعتبر من كبار الضباط في الجيش، كما نجد هذه الرتبة في رئاسة دار الباشا وهو يعتبر أمين الخزينة العامة للجيش. ينظر: حنيفي هلايلي، **المرجع السابق**، ص 40. وينظر أيضا: الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 43. وينظر أيضا: Azzedine Guellouz et autres, **Op.Cit,** p 209.

[5] - phonse Dilhan, **Histoire abrégée de la régence de Tunis**, imprimerie balitout questroy et ce, Paris, France, 1866, p 95.

[6] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 258.

وتختلف سلوى هويدي عنهما في تشكيلة الديوان، حيث تشير أنه كان يتكون من 47 إلى 51 عضوا، على النحو التالي[1]:

- 12 اودا باشي
- 24 بولكباشي
- من 6 إلى 8 شاوش
- ترجمان وكاهية .

بينما يذكر المؤرخ بيشو péchot أن عدد الأعضاء 38 عضوا على النحو التالي[2]:

- الآغا رئيس الديوان
- كاهية
- 8 شواش
- 2 خوجة (كتاب)
- 25 عضوا من بين البلوكباشية والأودباشية والضباط.

أما ليلى تميم بليلي Leila Temime Blili فتذكر أن الديوان يتشكل من40 عضوا، على النحو التالي[3]:

- الآغا وهو يعادل رتبة Commandant أو رائد في سلم الرتب العسكرية الحالية.
- الكاهية وتعادل رتبته Lieutenant أي ملازم أول.
- 12 اوداباشي (قائد غرفة أو أودة)
- 24 بولكباشي (ضباط سامون)
- 2 خوجة (كتاب)
- 6 شواش.

[1] - سلوى هويدي، **أعوان الدولة بالايالة التونسية: الأفراد – المجموعات- شبكات العلاقات (1735- 1814)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2014، ص 18.

[2]- L.péchot, T3, **Op.Cit**, p 157.

[3] - Leila Temime Blili, **sous le toit de l'empire,** T2, , éditions SCRIPT, Tunis, 2017, p 23.

ويلخص المؤرخ محمد الهادي الشريف الأمر بقوله أن الديوان يعتبر المجلس الأعلى للعسكر المكون من ضباط سامين أغوات وبلوكباشية[1].

3-تعيين الآغا ودوره:

كان للباشا سلطة تعيين الآغا رئيس الديوان مرتين في السنة، وبذلك يضمن ولاء الآغا والديوان لنفوذه وقراراته، بيْد أن هذا الأمر لم يرق للسلطان مراد الثالث فأرسل فرمانا سلطانيا بتاريخ 7سبتمبر1588م يقضي بتعيين الآغا مرة في السنة، لضمان استقرار مؤسسة الديوان حيث كان هذا المنصب محل صراع وتهافت بين الضباط، مما يؤثر على الوضع العام في الأيالة[2].

بينما يذكر péchot أن الآغا كان ينتخب من بين البلوكباشية لمدة 6 أشهر ولا يُعيّنه الباشا[3]، أما المؤرخ Simond فيخالف هذا القول بقوله أن مدة تولي منصب الآغا رئيس الديوان هي سنتين على غرار ما هو معمول به في أيالة الجزائر المجاورة[4].

4-تطور مؤسسة الديوان بين 1591-1856م:

كان الديوان قبل 1591م يتكون من 40 عضوا من بين البلوكباشية والأودباشية برئاسة الآغا[5]، وبعد الانقلاب الدموي[6] الذي نفذه الأودباشية ضد قادتهم البلوكباشية ألغي التنظيم القديم للديوان، وتم استبداله بأعضاء جدد تحت تسمية الدايات وصل عددهم إلى 300 داي[7]، وبتطور رتبة الداي خاصة في عهد عثمان داي (1594-1610م) لم تعد مقتصرة على الأودباشية، بل أصبح من الممكن أن تطلق على الضابط العسكري أو الكاتب بالديوان أو حتى من رياس البحر، وتطورت مهامه لتشمل تسيير الجنود والتصرف في شؤون العاصمة وحفظ الأمن بها إلى غير ذلك من المهام[8].

---

[1] - محمد الهادي الشريف، **خلاصة تاريخ ... المرجع السابق**، ص 68.

[2] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 51.

[3] - L.péchot, T3, **Op.Cit**, p 157.

[4] - Charles Simond, **Op.Cit**, p 62.

[5] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 258.

[6] - انظر تفصيل هذا الانقلاب في الفصل الموالي.

[7] - victor piquet, **Les Civilisations…op.Cit**, p 231.

[8] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 73.

ولكون ابن أبي الدينار اقرب المؤرخين زمنيا إلى بداية التواجد العثماني يعتبر أول من أشار إلى تسمية قائد الحامية أي الآغا حيث يقول: « ... ونظر العسكر إلى آغاهم ... »[1]، ويقول في موضع آخر:« وكان الآغا في مبتدأ أمرهم تأتيه الأوامر من الباب العالي... »[2].

5– صلاحيات ومهام الديوان:

كان الديوان ينظر في شؤون العساكر وكان حكام البلاد الجدد يتشاورون مع ديوان الانكشارية في الشؤون الهامة[3]، وعموما كان للديوان صلاحيات سياسية واسعة إلى جانب بعض الصلاحيات الأخرى وبالمجمل فإنها تتمثل فيما يلي:[4]

- إبرام المعاهدات
- إرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء
- استقبال الوفود المختلفة
- يبتّ في الخلافات التي تنشب بين العساكر الأتراك حيث كان للديوان حق الدعوة على كل الأشخاص ماعدا الداي والباشا
- يراقب نشاط الأسواق
- يشرف على تجهيز المحلة
- يرتب نظام العسة داخل العاصمة وخارجها
- ينتدب الجنود بمختلف فئات أعمارهم.

ظلت أحكام هذه الديوان وقوانينه سارية المفعول إلى غاية إلغاء هذه المؤسسة بتاريخ 13 نوفمبر 1856م[5].

---

[1] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 224.

[2] - نفسه، ص 300.

[3] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 258.

[4] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 18.

[5] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص 158. وكذلك: توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص58.

ب- مؤسسة دار الباشا:

ظهرت هذه مؤسسة مع بداية الوجود العثماني في تونس، وهي هيئة مركزية تضم عددا من الأعوان العسكريين والإداريين الأتراك ومن السكان المحليين[1]، واعتبرت في ذلك الحين الجهاز المركزي الرسمي للسلطة وقام بتسييرها الوالي أو كاهيته ثم آلت إلى الحكام المراديين ومن بعدهم الحسينيين[2].

1- مهام المؤسسة:

تتمثل مهام المؤسسة في الشؤون الاقتصادية والمالية للجنود ومختلف أصناف العسكر ودفع رواتبهم ومختلف المنح والهبات التي يتقاضونها (الإحسانات)،كما تتكفل أيضا بمصاريف الجنود المرابطين في القلاع والحصون، إضافة إلى تحضير مصاريف المحلة[3].

2- تنظيمها:

يرأس هذه المؤسسة كاهية وهو يمثل الباي فيها، وذلك بعد ظهور منصب الباي في تونس، وتتمثل موارد هذه المؤسسة من الضرائب التي تجبى من مختلف الجهات، ومحاصيل بيت خزنة دار، يتكفل الكاهية بمهام محددة مثل الفصل في الجنايات البسيطة في مدينة تونس وماحولها[4]، كما يعتبر كذلك بمثابة أمين الخزينة العامة الذي يأمر بصرف رواتب الجنود الانكشارية[5]، وتطورت مكانة الكاهية في القرن 19م حتى أصبح يحتل الرتبة الثانية بعد الباي في سلم التراتبية الوظيفية للأيالة، حيث

[1] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 19.

[2] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص56.

[3] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 19.

[4] - محمد بيرم الخامس، **المصدر السابق**، ص 424

[5] - Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit,** p 209.

يذكر الرحالة هاينريش بارت ذلك في إحدى رسائله المحررة بتاريخ 23 مارس 1846م بقوله: «فأهداني الكاهية–وهو أرفع رجال البايلك[1] شأنا بعد الباي– حصانا ممتازا للغاية»[2].

كان منصب الكاهية حكرا على الضباط العسكريين المقربين من الدايات، وجل هؤلاء الضباط كانوا من المماليك[3]، ومن بينهم حسين بن علي تركي في عهد محمد باي المرادي (1686–1696)[4]، كما عيّن حسين بن علي باي بعد توليه الحكم صهره سليمان وهو ضابط سابق في محلة البايات المراديين في هذا المنصب، كما قام الداي احمد شلبي (1682–1686) بتعيين مملوك آخر له صلة وطيدة بالفرقة الانكشارية التركية[5]، ومن بينهم كذلك المملوك يوسف الذي نشأ في خدمة الباي حمودة باشا الحسيني الذي ترقى في المناصب من رئيس المماليك في القصر إلى آغا ثم إلى كاهية دار الباشا[6]، بينما يذكر قنصل سردينيا في تونس الكونت فيليبي le compte fillipi الذي شغل المنصب بين سنتي 1825–1830 أن رئيس هذه المؤسسة يسمى آغا دار الباشا[7]وبالنظر للفترة التي كتب فيها القنصل ملاحظاته يُرجح أن اسم رئيس المؤسسة تم تغييره من كاهية إلى آغا، أما بقية أعضاء المؤسسة فهم

---

[1] - البايلك هو المؤسسة السياسية المرتبطة بالباي والتي يمارس سلطته من خلالها، ينظر: عبد الحميد هنية، **بناء الدولة... المرجع السابق،** ص 66. أما ناصر الدين سعيدوني فيعرف البايلك بالدولة، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق،** ص 31.

[2] - هاينريش بارت، **سبع رسائل مخطوطة عن رحلته إلى تونس 1845-1846م،** تح وتع: منير الفندري، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1987، ص 52.

[3] - Azzedine Guellouz et autres**, op.Cit,** p 209.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق،** ص 107.

[5] - Azzedine Guellouz et autres**, op.Cit**, p 209.

[6] - أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،** ج8، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، د.س، ص 22.

[7] - Le Comte Filippi, **fragmens historiques et statistiques sur la régence de tunis suivis d'un itinéraire dans quelques régions du sahra**, Revue de l'histoire de colonies françaises, 12ème année, 1er tri, Société des l'histoire des colonies françaises, Paris, France, 1924, p 557.

على النحو التالي: خزندارين (02) وكاتبيهما، وباش كاتب و10 كُتّاب، وصاحب الطابع[1]، وأغوات الجند لكل من تونس وسوسة والقيروان والكاف وباجة وشواشهم وخوجاتهم، وخوجة عسكر زواوة وكاهيته، وكاهية وجق غار الملح، وشيخ مدينة تونس وشيخي الربطين بها، وشيخ الأندلسيين وباش حانبة العرب، ومشايخ القيروان ومقدم اليهود ووكيل أملاك المدينة وغيرهم من الضباط والأعوان[2]، تم إلغاء العمل بمؤسسة دار الباشا بتاريخ 20 أوت 1865م[3].

[1] - منصب سياسي بمثابة يعادل الوزير الأول حاليا ولم يُعرف إلا في أيالة تونس، كان مكتب صاحب الطباع التونسي مشابهًا للنائب العثماني أو المستشار الذي كان أهم منصب إلى جانب الوزير الأعظم في الإمبراطورية العثمانية، لم يضع صاحب الطباع ختم الباي على الوثائق الرسمية فحسب، بل كان له أيضًا مهام تنظيمية مثل مندوب الباي و رئيس الجيش، يسميه الكتاب الأوروبيون sapatapa أو saptap ينظر: Henri Dunant, **op.Cit**, p65.وينظر أيضا: حنان الأندلسي، **جامع يوسف صاحب الطابع بالحلفاوين: تحفة معمارية تمتزج فيها الأنماط الفنية**، مجلة ليدرز، العدد 41، تونس، ماي2019، ص 21.وينظر أيضا: palosat zsolt, **The foundations of the… op.Cit**, p 55.

[2] - توفيق البشروش، **المرجع السابق** ، ص 56.

[3] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص 158.

ثانيا- طرق التجنيد ومراحل التدرج في الجيش:

1- طرق التجنيد:

كان التجنيد ضروريا بسبب حاجة الأيالة لقوة عسكرية تحميها إضافة إلى تعويض الجنود المتوفين والمتقاعدين أو الذين وقعوا في الأسر[1]، ويذكر Raymond drevet أن غالبية المنضمين للجيش العثماني في تونس هم من أبناء الجنود الذين شكلوا نواة الحامية الأولى سنة 1574م إضافة إلى الكوارغلية الذين أصبحوا يعتبرون تونس بلدهم الأصلي عوضا عن وطن آبائهم الأتراك[2].

حرصت الطبقة العسكرية السياسية التركية الممسكة بالسلطة في تونس على احتكار القوة الحربية، وعلى أن يكون الأمر بارزا للعيان حتى يدفع الرعايا إلى قبول خيار الخضوع للدولة، فتم تثبيت الوجود العسكري التركي من خلال إقرار فرقة دائمة من العسكر الانكشاري بقصبات المدن الداخلية (قفصة، وتوزر، قابس بمنطقة الأعراض، وجربة...إلخ) منذ نهاية القرن 16 وبداية القرن 17م، وكان هذا الحضور العسكري يكتسي صبغة رمزية، ويهدف إلى تذكير الجماعات المحلية بحقيقة موازين القوى في المجال العسكري بما يمنع أي إمكانية لإعادة النظر في سيطرة الدولة على المجال، وأفضى وجود أفراد العسكر في هذه المدن إلى تشكل فئة الكوارغلية سالفة الذكر، بفضل علاقات المصاهرة التي أقيمت مع بعض العائلات المحلية، وأفرز ذلك لاحقا تكون المجموعات الحنفية في المدن الداخلية بحسب تصنيفات الدفاتر الجبائية في القرن التاسع عشر، بوصفها جزءا من سكانها ودليلا على درجة من الانصهار لتلك المجموعات[3].

أ- مرحلة التجنيد غير المنظم:

كانت هذه المرحلة في بداية تشكيل الجيش وقد أشارت مختلف المصادر على غرار المؤنس لأبن أبي الدينار والحلل السندسية للوزير السراج أن هذه العملية لم تكن منظمة بقوانين، وإنما اعتمدت على

---

[1]-Ibrahim Guler, **la question du recrutement des troupes d'Anatolie pour le service de la Tunisie a l'époque ottomane (XVIIe-XVIIIe siècle)**, revue Anatolia moderna - Yeni anadolu, T X, Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris, France, 2004, p 54.

[2] -Raymond Drevet , **l'armée tunisienne**, s.m. e, 1922, p 14.

[3] - ا. و. ت، الدفاتر رقم 645 و1679.

قبول الراغبين في التجنيد من مختلف مناطق الدولة العثمانية وخصوصا من الأناضول مثل أزمير وبورصة و أنطاليا، إضافة إلى اسطنبول[1]، واستمر هذا النمط من التجنيد إلى غاية 1811م[2] (أي بعد ثورة الجنود الأتراك)، وهي بالأساس لا تختلف عن طرق التجنيد التي سبقتها لها أيالة الجزائر المجاورة، حيث تتمثل في الاعتماد على المتطوعين في صفوف الجيش مع مراعاة الشروط المطلوبة، وهي اعتناق الدين الإسلامي والبنية الجسمية وإتقان استعمال السلاح، وقد تنوعت الفئات الاجتماعية لهؤلاء الجنود فمنهم الأتراك والأوربيون الذين انضموا إلى الدولة العثمانية بعد الفتوحات الكبرى في القرن 16م، إضافة إلى الأندلسيين الفارين من بطش الإسبان بعد سنة 1609م[3]، إضافة إلى أبناء الأتراك من أمهات التونسيات والذين يطلق عليهم اسم الكوارغلية[4] أو الكراغلة[5]، والذين يتمتعون بذات الامتيازات التي يحظى بها آباؤهم الأتراك[6]، وقد شكل هؤلاء الكوارغلية همزة وصل بين السلطة العثمانية والحالي وخاصة الأعيان منهم، وهذا خلافا لما هو الحال عليه في الجزائر من تهميش لهذه الفئة وحرمانها من تقلد المناصب السامية في الجيش[7]، وربما ان هذا الوضع المتميز لكراغلة تونس التي دفعت المؤرخ ألفونس ديلهان alphonse dilhan إلى القول بأن العنصر التركي في تونس فقد أصوله العرقية بفعل حالة التمازج التي أفرزت الكراغلة ماعدا فئة قليلة[8].

---

[1] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 25.

[2] - لوسيت فالنسي، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر1790-1830**، تر: إلياس مرقص، ط1، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1980، ص 106.وكذلك: Henri Duveyrier, **la Tunisie**, Librairie Hachette et cIE, Paris, France, juin 1881, p 21.

[3]- محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة...،المرجع السابق**، ص 141. بينما يذكر عبد الحكيم القفصي أن أولى الهجرات الأندلسية لتونس بدأت سنة 1600م.ينظر: عبد الحكيم القفصي، **نظرة حول بعض الحرفيين والمهنيين الأندلسيين والأتراك بالأيالة التونسية أثناء القرن التاسع عشر من خلال خزينة الوثائق التونسية**، بحوث مؤتمر الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان ، تونس، 1988، ص 599.

[4] - تُطلق بعض المراجع عليهم اسم الكوالغلية. ينظر: محمد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، ط1، تق وتح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 226. وانفرد محمد الطالبي بتسميتهم الخلاسيين. ينظر: محمد الطالبي، **المرجع السابق**، ص 107.

[5] - ينفرد Grenville t. Temple بأن الكوارغلية أو الكراغلة من أمهات أندلسيات.ينظر: Grenville T. Temple, **Excursions in the Mediterranean Algiers and Tunis**, Vol 1, Saunders and Otley, London, UK, 1835, p 236.

[6]- محمد الهادي الشريف، **خلاصة تاريخ ... المرجع السابق**، ص ص 69 70.

[7]- محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة ، المرجع السابق**، ص 142.

[8] - Alphonse Dilhan, **op.Cit**, p 266.

اعتمد قادة الجيش على تجنيد الأوربيين المهتدين وخاصة الإيطاليين منهم واستمر الحال على هذا النظام إلى نهاية القرن 18م، حيث انخفض عدد الراغبين منهم في التجنيد بسبب التحولات الكبرى في أوربا واختلال ميزان القوى في البحر المتوسط[1]، إضافة أيضا إلى خيبة آمال هؤلاء المغامرين والمرتزقة بمجرد وصولهم إلى تونس وانضمامهم للجيش، بسبب فقر البلاد وشح الموارد فيها والتي كان كبار الضباط قد استولوا عليها[2]، فتحولت وجهة قادة الجيش إلى تجنيد المماليك القادمين من شرق أوربا خاصة من الجزر اليونانية وجورجيا[3]، غير أن حسين بن علي[4] بعد وصوله إلى السلطة غير طريقة التجنيد حيث فضل الاعتماد على

[1] - أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العهد العثماني**، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، 1991، ص 61.

[2] - Leila Temime Blili, **sous le toit de l'empire**, T I, éditions SCRIPT, Tunis, 2012, p 201. Et : Ernst von Hesse-wartegg, **Tunis: the land and the people**, chatto & Windes, Piccadilly, London, UK, 1882, p p 57 58.

[3]- أندريه ريمون، **المرجع السابق**، ص 61.

[4] - حسين بن علي تركي: تعود اصولهه إلى جزيرة كنديا من جزر اليونان جاء والده إلى تونس مع بداية حكم المراديين، انضم مبكرا إلى الجيش واستطاع بحكم مؤهلاته أن يترقى في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة أغا الصبايحية الأتراك، ثم تم اختياره بايا لتونس بعد القضاء على إبراهيم الشريف سنة 1705م، وقام بتأسيس أسرة حكمت تونس لأزيد من قرنين من الزمن ثار عليه ابن أخيه علي باشا بسبب حرمانه من ولاية العهد وحدثت بينهما حرب طويلة انتهت بمقتله سنة 1740م ولجوء ولديه الرشيد وعلي إلى الجزائر.ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ج2، ص 105. وينظر أيضا: محمد بيرم الخامس، **المصدر السابق**، ص 410. وينظر أيضا: ياسين صنديد، **الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا 1117-1197هـ/1705-1782م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير:تخصص تاريخ حديث، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2013/2012، ص 22.

وهناك بعض المراجع تُرجع أصله إلى جزيرة كريت اليونانية. ينظر:لوسيت فالنسي، **المرجع السابق**، ص 106.وينظر أيضا:

Anselme des arcs, **Mémoires pour servir à l'histoire de la mission des capucins dans la régence de Tunis 1624-1865**, archives generals de l'ordre des capuchins, Rome, Italie, 1889, p 26.

والواقع أن كنديا وكريت هما اسمان لنفس الجزيرة.ينظر: رولان موسنيه، **موسوعة تاريخ العالم القرنان السادس عشر والسابع عشر**، مج4، ط2، تر: يوسف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1987، ص 559. وكذلك: حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ، المرجع السابق**، ص 149.وينظر أيضا:

Palosat Zsolt, **The foundations of the modern tunisian state: Relation between the regency of Tunis and the ottoman empire 1574-1814**, ujkori egyetemes torténeti és mediterran tanulmanyok tanszék, Szeged, Hungary, s.d, p 48.

ويختلف توماس ماجيل على بقية المؤرخين حيث يقول أن أصله من جزيرة كورسيكا.ينظر:

Thomas Maggill, **Nouveau voyage à Tunis**, trad : inconnu, C.L.F panckoucke éditeur, Paris, France, 1815, p 4

أما محمد بن عثمان السنوسي فيقول أن كنديا هي بلدة في جزيرة كريت وسماها قريد، ينظر، محمد بن عثمان السنوسي، ج1، **المصدر السابق**، ص 88.

الموريسكيين[1] وأبناء الأهالي و الكولوغلية لضمان ولائهم أكثر من المماليك ولأنه أيضا ينتمي إلى هذه الفئة[2]، وقام بفرض التجنيد الإجباري على أبناء الأهالي ووزع السلاح عليهم[3] وقد واصل خلفاؤه من بعده على نهجه في انتداب الجنود من غير الأتراك، حيث قام ابنه علي (1759–1782م) بإدماج 600 طفل من أبناء الجنود المقيمين بتونس سنة 1771م وأطلق عليهم اسم " أولاد تونس" مما يثبت توجه البايات الحسينيين إلى " تونسة " الجيش[4]، ويسميه ارموند دو فلو Armand De Flaux الجيش الوطني[5]، ويعود سبب ذلك إلى كثرة مطالبات الأتراك بالامتيازات وكثرة تمرداتهم وثوراتهم[6]، كما قام ابنه حمودة باشا بذات المنحى خاصة بعد ثورة الجنود الأتراك سنة 1811م[7]، حيث عمل على تقليص عددهم وزيادة عدد الجنود من الأهالي وسواهم والذين سماهم القنصل البريطاني ماجرا[8] Magra بالعناصر الوطنية، حيث ورد ذلك في رسالة منه إلى حكومته بتاريخ 1 سبتمبر 1794م مايلي:«...ومن بعد هذه الوقائع التي حدثت في الأيام القليلة المنصرمة بدأ حمودة باشا في تسليح

---

[1] - هم المسلمون في الأندلس الذين اضطروا إلى البقاء فيها بعد سقوطها، وأُجبروا على إظهار النصرانية وترك الإسلام ويسمون أيضا با لمدجنين، وتفيد بعض المراجع بقدوم حوالي 80 ألفا منهم إلى تونس سنة 1609م. ينظر: فتحي زغروت، **المرجع السابق**، ص29.وينظر أيضا: شارل أندري جوليان، **المرجع السابق**، ص 356.

[2]- أندريه ريمون، **المرجع السابق**، ص 62.وكذلك: Dr. Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc. de cet état**, MARLLN, éditeur, Paris, France, 1830, p 142.

[3] - الفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 163.

[4] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 20.

[5] - Armand de Flaux, **La régence de Tunis au dix-neuvième siècle**, CHALLAMEL AINÉ,libraire-éditeur, Paris, France, 1865, p 94.

[6] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث**، ط1، دار محمد علي للنشر ، تونس، د.س، ص 28.

[7] - يقلل Louis Frank من أهمية هذه الثورة ويقول أنها لا تعدو أن تكون حادثا عرضيا تعرض له حمودة باشا ليس له أي أهمية سياسية، لكن لم يقدم تبريرا لرأيه هذا. ينظر: Louis Frank, **Tunis description de cette régence**, Firmin Didot fréres éditeurs, Paris, France, s.d, p 71.

[8] - قنصل بريطانيا في تونس واسع النفوذ تم تعيينه في هذا المنصب في مارس 1790م، كان قبل التحاقه بالسلك الدبلوماسي ضابطا كبيرا في سلاح المشاة عرف بسعة ثقافته واطلاعه الكبير بالشؤون الأوربية لكنه بالمقابل لم يكن على دراية كافية بالشؤون الإسلامية عموما وبلدان المغرب على وجه الخصوص، انكب منذ وصوله لتونس على استعادة مكانة بلاده التجارية التي ضعفت وتيرتها لصالح الفرنسيين، ينظر: ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 262.

عناصره الوطنية »[1]، وزاد اعتماده في الاعتماد على العناصر الوطنية حيث سمح لأبناء البلد باقتناء الأسلحة ولكنه منعهم من شراء البارود الضروري لاستعمالها، وعند حدوث أي واقعة داخلية أو هجوم خارجي يقوم بفتح أبواب مخازن البارود للأهالي للدفاع عن أنفسهم ووطنهم[2]، لكن الباي اكتشف لاحقا أن هؤلاء الجنود من أبناء الأهالي لا يمتلكون الكفاءة المطلوبة في القتال والحروب، مما جعله يعدل عن تجنيد المزيد منهم واستعاض عنهم بالمماليك[3]، لكن الشيباني بنبلغيث يذكر أن هذه الوطنية هي من الكراغلة أبناء البلاد وأضاف إليهم تشكيلات من المماليك و الأوربيين الذين اسلموا واستقروا بالبلاد[4]، بينما تشير مراجع أخرى أن الباي اعتمد على عسكر زواوة بدلا عن الأتراك، ومنحهم رواتب منتظمة وامتيازات أخرى، مقابل حراسة الأبراج والقصور وتلبية الدعوة للتعبئة في حال الخطر[5].

ب- تجنيد أبناء القبائل التونسية:

قام محمد باي المرادي (1688-1695م) بعد أن تمكن من فرض سلطته على الأعراب ومن بينهم قبيلة دريد[6]، بضم عدد من أبناء هذه القبيلة إلى صفوف جيشه، يقول ابن أبي الدينار:« ...وركب منهم عدة من الفرسان وجعلهم من جملة رجاله »[7]، ثم ظهر له من بعد ذلك أن يقوم بتعميم عملية تجنيد أفراد القبائل الأخرى، التي كانت سابقا في حالة تمرد وعصيان مستمر يقول ابن أبي الدينار كذلك: «

---

[1] - رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس 1782- 1814**، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، ب.س، ص 199.

[2] - نفسه، ص 211.

[3] - بشرى ناصر هاشم الساعدي وميساء لؤي عبد الله، **حمودة باشا ودوره الإصلاحي في تونس" 1782- 1814 "** مجلة الآداب، ملحق 2، العدد 127، ديسمبر2018م، ص 215.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 47.

[5] - سمير الشامي، **الجذور التاريخية لنشأة الجيش النظامي التونسي الحديث خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الدفاع، العدد 61، وزارة الدفاع الوطني، تونس، اوت 2013، ص 51.

[6] - دريد: قبيلة عربية من بني هلال قدموا إلى بلاد المغرب زمن المعز بن باديس وأضافهم إلى رعيته وضم الكثير منهم إلى جنده، لها بطون كثيرة يتواجدون في الشمال الغربي من الأيالة في كل من باجة والكاف.ينظر: بدر الدين بن محرز الكافي، **معجم قبائل العرب والأشراف في تونس القديمة والمعاصرة**، مطبعة جمعية الندوة التعليمية، إسلام آباد، باكستان، د.س، ص 68.وينظر أيضا: الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص 212.وينظر أيضا: Jean Ganiage, **Les Origines… op.Cit,** p 81.

[7] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 259.

ولما عزم على ممارسة قبائل العرب شرع في تزميل (تجميع) فرسانهم، فجمع منهم عددا وجعل كل زمالة في فج من فجوج أوطانهم، ولكل زمالة رئيس من رجاله »[1].

2– مرحلة التجنيد المنظم:

كانت عملية التجنيد المنظم تتم وفق قوانين وإجراءات تنظم هذه العملية، وكانت هذه القوانين تصدر في الغالب من اسطنبول وتهدف إلى تجنيد الانكشارية وباقي فرق الجيش للدولة العثمانية وكذلك للأيالات التابعة لها، ومن بين هذه القوانين:

الدوشرمة:كانت هذه العملية تتم بإصدار السلطان العثماني لفرمان(قانون) ينص على الشروع في العملية، حيث يكلف ضباط الجيش الانكشاري بجمع أبناء المسيحيين الذين تتراوح أعمارهم مابين 10–15 سنة، حيث يختار أقواهم وأصلحهم للخدمة العسكرية[2].

– مراحل التدرج في سلك الجندية:

إن أول خطوة يقوم بها المترشح للجندية والانتساب للجيش، هي تسجيل اسمه في دفاتر الديوان المعدّة لهذا الغرض، وبعد قبوله يمكنه ان يتدرج في الرتب التالية تصاعديا[3]:

– الرتبة الأولى: جندي بسيط يسمي "اليولداش" yoldach[4]

– الرتبة الثانية: بيرقدار[5]

– الرتبة الثالثة: كاهية

– الرتبة الرابعة: آغا الصنجق

---

[1] - المرجع السابق، ص 259.

[2] - حنيفي هلايلي، **الحياة الاجتماعية للجيش الانكشاري في الجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة الحوار الفكري، جامعة سيدي بلعباس، السنة الرابعة، العدد 6، شعبان 1425هـ/سبتمبر 2004، ص 133.

[3] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص ص 50 51.

[4] - اليولداش: وتعني رفيق الدرب وهو الاسم الذي يعرف به الانكشاري عندما يكون جنديا بلا رتبة.ينظر:أمين محرز، **الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671**، البشائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 31.

[5] - البيرقدار بمعنى حامل الراية، أو حامل أعلام الإنكشارية الأوسط أو الفوج الذي نصفه أحمر ونصفه أصفر.ينظر: محمود عامر، **المرجع السابق**، ص 370.

- الرتبة الخامسة: شاوش[1] بالبلدان،شاوش الآغا، شاوش بالديوان، باش شاوش[2].
- الرتبة السادسة: باشا اودلار (مستشار بالديوان)
- الرتبة السابعة: صولاق (حارس فى خدمة الباشا)
- الرتبة الثامنة: بلوكباشي
- الرتبة التاسعة: آغا في مدن البلاد
- الرتبة العاشرة: آغا العسة في القصر
- الرتبة الحادية عشر: آغا في الديوان

وأخيرا يحال على التقاعد برتبة معزول آغا.

كان الآغا يُعيّن مباشرة من اسطنبول وأول ظهور لهذا المنصب كان بمبادرة سنان باشا عند مغادرته تونس بعد ضمها للدولة العثمانية، حيث ترك حامية عسكرية بقيادة آغا الذي أصبح فيما بعد رئيسا للديوان ومنافسا للباشا في حكم الأيالة[3]، أما آغا الكرسي فهو رئيس الديوان ويكون المترشح لهذه الوظيفة أما يايا باشي[4] (رئيس فرق المشاة) أو بلوكباشي(رئيس الخيالة)، وآغا المحلة هو القائد العسكري الذي يلازم الباي في خرجاته إلى البلاد ويكون آغا المحلة مسؤولا عن الأتراك المرافقين للباي[5].

يتم الوصول إلى رتبة معزول آغا عند بلوغ رئاسة الديوان، ثم التخلي عن مهام هذه الرتبة بعد ستة أشهر بصفة آلية للإحالة على المعاش أو للتكفل بمهمة أخرى كإدارة الوكالات الخاصة أو العامة[6].

---

[1] - شاوش: رتبة تعادل sergent في الرتب الحالية وهي مفردة تركية أصلها جاوش ، ينظر: محمد محفوظ، **الرتب العسكرية بتونس وعلاقتها باللغة التركية**، مجلة الفكر، العدد6، مارس 1963، تونس، ص 53.

[2] - رتبة تعادل sergent-chef وهي مركبة من جزأين باش بمعنى رأس وشاوش سبق شرحها أي بمعنى رئيس الشواش. ينظر: محمد محفوظ، **المرجع السابق**، ص 53.

[3] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ، المرجع السابق**، ص 103.

[4] - يايا باشي: مفردة تركية بمعنى رئيس المشاة وهو يشرف على كل أمور الكتيبة التي يرأسها، ينظر: عبد الرحمان الجبرتي، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.س، ص51 (التهميش رقم 1).

[5] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 51

[6] - نفسه، ص 51.

3-الرتب العسكرية:

أ-رتب الجيش التونسي:

إن نظام الرتب العسكرية بدأ مع تأسيس الحامية العسكرية، وتم منح هذه الرتب وفق التنظيم الساري بالجيش العثماني، وسنكتفي بتفصيل أهم الرتب وأكثرها تأثيرا على ساحة الأحداث في الأيالة، وهي على النحو التالي تنازليا:

– **الآغا**: قائد الجيش وقائد جميع الانكشارية في تونس، كما أن الأغا يشغل أيضا رئيس الديوان ويسمى في هذه الحالة آغا الكرسي، وينتخب لمدة 6 أشهر ويساعده نائب يسمى الكاهية[1]، تعادل رتبة آغا الكرسي رتبة أمير لواء، وهو منصب رفيع يمكّنه من التواصل مع الباي مباشرة [2]، وتذكر مراجع أخرى أن هذه الرتبة تعادل رتبة جنرال (Général) في سلم الرتب العسكرية المعاصرة[3]، وبحسب المؤرخ الألماني دوهامر De hammer فإن الآغا بحكم صلاحياته العسكرية الواسعة، له سلطة تعيين كل قادة الجيش من رتبة سكبان باشي نزولا إلى رتبة باش شاوش، كما أنه المسؤول شخصيا عن كل ما يتعلق بخدمتهم العسكرية، غير أن المؤرخين العثمانيين يخالفون هذا الرأي، حيث يقولون أنه باستثناء منصب الكاهية الذي هو نائب الآغا فإن باقي الرتب القيادية يتم تعيينها من طرف السلطان[4].

إن الآغا رئيس الديوان هو صاحب القرار الميداني، في ظرف تميز بأولوية المهام العسكرية الحربية عن المهام الأخرى السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، بالنظر إلى الكم الهائل من المخاطر التي كانت تتعرض لها الأيالة خارجيا وداخليا، اضافة إلى الإطار الزمني المحدد لولاية الباشا والمقدر بثلاث سنوات[5].

---

[1] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 54.

[2] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 47. وكذلك: Asma Moalla, **sipahis ottomans… op.Cit,** p 115.

[3] - Ernest Mercier, T3, **op.Cit,** p 131.

[4] - Djevad bey, T1, **op. Cit**, P36.

[5] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص56 .

ينتخب الآغا من بين البلوكباشية لمدة 6 شهور[1]، وتذكر Leila Temime Blili أن أعضاء الديوان اتفقوا ألا تتجاوز مدة رئاسة الآغا 3 أو 4 أشهر، لكن هذا الاتفاق لم يُحترم بدليل بقاء بعض الأغوات في منصبهم لمدة 5 أو 10 سنوات كاملة[2].

إضافة لرتبة آغا الكرسي رئيس الديوان وُجدت رتب أخرى تحمل اسم آغا، وهي:

– **آغا العسة بالقصر**: الرتبة الأدنى من رتبة آغا كرسي رئيس الديوان مباشرة [3].

– **آغا ببلدان المملكة**: هو الآغا المكلف بالحامية العسكرية لإحدى جهات الأيالة، التي كانت مقسمة إلى عدة نواحي في الداخل والساحل[4].

- ساري

- كاهية

– **بولكباشي**: يعادل رتبة رائد (colonel)[5]، بينما يرى مؤرخون آخرون على غرار Leila Temime Blili و Ernest Mercier أن رتبة بولكباشي تعادل رتبة نقيب capitaine حاليا[6].

- باش شاوش[7].

- الشاوش[8].

– **الأوداباشي**: رتبة عسكرية من صغار الضباط، يشرف على مجموعة عسكرية تتكون من 20 إلى 30 جنديا[9]،كما أيضا يشرف على غرفة الجنود، وله 6 وظائف عسكرية تختلف حسب المكان والزمان هي: رئيس الثكنة، وكيل الخرج وهو المشرف على المؤونة ومصاريف الجنود، البيرقدار وهو

---

[1] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص ... وكذلك: L.Péchot, T3, **op.Cit,** p 157.

[2] - Leila Temime Blili, T1, **op.Cit,** p 206.

[3] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 53.

[4] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 29.

[5] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 53. وكذلك: L.Péchot, **op.cit**, T3, p 157.

[6]- Leila Temime Blili, T1, **op.cit** p 205. Et: Ernest Mercier, T3 **op.Cit,** p 131.

[7] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 29.

[8] - نفسه، ص 29.

[9] - نفسه، ص 29.

حامل الراية، الباش إسكي وهو رئيس الحرس ويكون في الغالب اكبر أفراد الأودة سنا وأقدمهم في الرتبة[1]، وتعادل هذه الرتبة رتبة ملازم Lieutenant عند مطلع القرن 20م[2]، بينما يذكر péchot أنها تعادل رتبة نقيب في الرتب المعاصرة[3].

– اليولداش: هي الرتبة الأدنى في سلم الرتب العسكرية، وتطلق على الجندي المنضم حديثا للجيش، ويكون في إحدى الحالات التالية: إما في وضعية نوبة وهي عبارة عن مجموعة من الأعمال يقوم بها داخل الثكنة، أو يكون من بين الجنود في المحلة، أو في حالة راحة[4].

يتطلب الارتقاء في هذه الرتب مدة زمنية لا تقل عن 13 سنة حيث يصل المجند إلى رتبة آغا معزول ويتحصل على التقاعد، وبعد ذلك تسند إليه بعض المهام غير العسكرية مثل المكلف بالمخزن أو وكيل بيت المال أو وكيل الأوقاف...[5]، وقد سمّى جون ب وولف هذه العملية " الديمقراطية من خلال الأقدمية "[6].

يُقسم الضباط إلى أربع مجموعات:[7]

* **ضباط الأركان:** تشمل الرتب التالية: المشير، الفريق، أمير اللواء.

* **الضباط الكبار:** تشمل الرتب التالية: الأميرالاي، القائم مقام، الألاي أميني، البينباشي.

* **الضباط من الصف الثالث:** تشمل الرتب التالية: الصاغ قلاغسي، اليوزباشي، الملازم، الصول قول أغاسي.

* **الضباط الصغار:** تشمل الرتب التالية: الشاوش الاي، الجنحانجي، الباش شاوش، الشاوش عادة، البلوك أمين.

[1] - غسان عبد الله مجول، **النظام الداخلي للجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية**، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 17، جامعة تكريت، العراق، ديسمبر 2013، ص 285.

[2] - مصطفى عبد الكريم الخطيب، **المرجع السابق**، ص 56.

[3] - L.Péchot, T3,**op.Cit**, p 157.

[4] - Ernest Mercier, T3, **op.Cit,** p 132

[5] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 29.

[6] - جون ب وولف، **الجزائر وأوربا 1500-1830**، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد وعالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 103.

[7] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي**، **المرجع السابق**، ص 107.

-أصناف الجنود:

يمكن تمييز نوعين من الجنود خلال الفترة الأولى من الحكم العثماني،كل منهما ذو أهمية بالنسبة للآخر، النوع الأول يسمى مستحفظان Mustahfidhan وهو الأكثر أهمية وأكثر نفوذا لدى قيادة الجيش من النوع الثاني، الذي يسمى أزابان Azaban ويقصد بهم العزاب وكان الاسم الشائع لهم بين الأتراك هو زبنطوط[1].

ب-الرتب العسكرية في الجيش النظامي التونسي وما يقابلها باللغتين العربية والفرنسية:

الرتب العسكرية	ما يقابلها باللغة العربية[2]	ما يقابلها باللغة الفرنسية[3]
- مشير	- مشير	- Maréchal
- أميرال	- لواء	- Colonel
- قائمقام	- مقدم	- Lieutenant
- آلاي أمين	- ليس لها مقابل بالعربية	- colonel
- بينباشي	- رائد	- Gros-major
- ولاغاسي	- ليس لها مقابل بالعربية	- Commandant
- يوزباشي	- نقيب	- Capitaine-major
- ملازم	- ملازم	- Capitaine
- باش شاوش	- عريف أول	- Lieutenant
- شاوش	- عريف	- Sergent-major
- اونباشي	- رقيب	- Sergent
- نفـــــــر أو عسكري	- جندي	- Caporal
		- soldat

[1] - Leila Temime Blili, T1, **op.Cit** p 201.

[2] – الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 44.

[3] – **op.Cit**, p p 76 77. Henri Dunant,

4- الرتب العسكرية في صفوف المجموعات غير النظامية:

أ- رتب الصبايحية:

يتدرج الصبايحي خلال مساره في صفوف الجندية في الرتب التالية تصاعديا[1]:

- جندي صبايحي.
- اوداباشي.
- اوداباشي ياماق.
- باش اودة.
- شاوش.
- باش شاوش.
- بلوكباشي.

-كاهية صبايحية: هي أقصى رتبة يمكن أن يبلغها الصبايحي من أصل محلي، أما الصبايحية الأتراك فيمكنهم بلوغ رتبة آغا.

ب- رتب عسكر زواوة: يتدرج عسكر زواوة في الرتب على النحو التالي[2]:

- جندي.
- شاوش.
- اوداباشي.
- بلوك باشي.
- كاهية.
- آغا.

---

[1] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 29.

[2] - نفسه.

ثالثا– مقرات الجنود والزي العسكري:

إن تنظيم الجيش في تونس يشبه نظيريه في الجزائر وطرابلس الغرب، حيث أن نظام الإنكشارية الذي كان يسود كامل الدولة العثمانية تم تطبيقه في تونس، ويتميز بعزلة هؤلاء الجنود عن الأهالي بداعي الالتزام بنظامهم الخاص، وأخذ الحيطة والحذر وتجنب تأثير الأهالي عليهم، حيث كانوا يقيمون في ثكنات منعزلة على المجتمع تسمى الأوجاق[1] وكان لهم إمام خاص بهم وقاض يحكم في ما شجر بينهم يسمى قاضي عسكر[2].

1–الأودة:

كان الجنود يتوزعون في غرف كبيرة تسمى كل منها " أودة " ورئيسها يسمى "أوداباشي"[3]، وقد ورد ذكر الأودباشي في الرسالة الواردة في سجل مهام الديوان الهمايوني (السلطاني) إلى داي الجزائر شعبان داي كمايلي: «...وآغا الانكشاريين وكاهية المماليك ورؤساء السرايا والأوداباشيين (رؤساء الحجرات) وغيرهم من الأهالي ... »[4]، أما عن عدد الأودات (الغرف الكبيرة التي يقيم فيها الجنود) فانه لم يكن ثابتا وفي البداية كان عددها 150 أودة ثم مع زيادة الإقبال على التجنيد وصل العدد إلى 199، وأكمل الحاج مصطفى لاز سالف الذكر العدد إلى 200 مع نهاية فترة حكمه[5].

إن عدد الأودات في الثكنة، وعدد الجنود في كل أودة لم يكونا ثابتين دائما، بل كانا في تغير مستمر، ليصل عدد الجنود في كل أودة في القرن 18م إلى 20 فردا في كل أودة[6]، أما عدد الأودات

---

[1] - الأوجاق: الوجق معناه في هذا السياق القدر، وكان في البداية يطلق على فوج أو مجموعة من الإنكشارية، ثم صار يطلق عليهم جميعا.ينظر: victor piquet, **Les Civilisations…op.Cit**, 213.

[2] - Habib boulares, **op.Cit**, p 354.

[3] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 50.

[4] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**،ص 318.

[5] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 53.

[6] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 20.

فقد كان عددهم في الوجق التونسي 150 في البداية ثم وصل إلى 199 ثم أكمل الداي مصطفى لاز غرفة أخرى وهي تمام المائتين[1].

يعرّف ناحوم وايزمان Nahoum Weissmann الأودة بأنها المرحلة الوسطى بين الخيمة (la tante) وبين غرف النوم الحديثة (les chambres)، وهي في الأغلب مبنى كبير يضم مطبخا ومطعما وقاعات نوم مشتركة سواء للجنود أو الضباط[2].

في الكتابات التاريخية عن تنظيم الجيش الإنكشاري يتم ذكر مصطلحي أودة oda وأورطة orta للدلالة على نفس المعنى، غير أن المؤرخ والقائد العسكري جواد باي يبين أنهما يختلفان في المفهوم، حيث أن الأودة هي الهيكل أو المبنى عموما وان كان شاغرا أو مخصصا لحفظ الأمتعة، أما الأورطة فهي المكان الذي يعيش فيه الجنود حياتهم اليومية ووصفها بأنها (وحدة تكتيكية)[3]، ويقصد بهذا التعريف أن الأورطة هي مصطلح يعبر عن عدد الجنود يختلف عددهم من 100 إلى 500 يعيشون في مكان واحد، بينما الأودة هي تلك الأبنية الخاصة بالجنود والضباط والطباخين وغيرهم وكان غالبا ما يطلق على كل فرقة اسم رئيس الغرفة (الأوداباشي) تميزا لها عن باقي الغرف الأخرى، ولا تزال بعض أبواب الغرف في ثكنة العطارين في مدينة تونس تحمل أسماء الضباط الذين تولوا قيادتها، هذه الثكنة تم تحويلها إلى مكتبة وطنية [4]والتي تسمى حاليا (دار الكتب الوطنية)[5].

كان التماسك داخل كل أودة قويا للغاية، وكان جنود الانكشارية يتفاخرون بأفواجهم حيث صارت كل أودة أشبه ما تكون بعائلة كبيرة، وكثيرا ما كان الجنود يقومون بوشم رموز أوداتهم على أكتافهم، وكان القِدر أو القازان الخاص بكل غرفة أكثر قداسة من الأعلام وغيرها من المعايير

[1] - توفيق البشروش، **المرجع السابق** ، ص55.

[2] - Nahoum Weissmann,**op.Cit**, p30.

[3] - jevad bey, **état militaire ottoman depuis la fondation de l'empire jusqu'à nos jours**, T1, tra: Georges Macridés, Ernest Leroux Editeur, Paris, France, 1882, p 27.

[4] - أندريه ريمون، **المرجع السابق**، ص 57.

[5] - محمد فتحي عبد الهادي ونبيلة خليفة جمعة، **المكتبات الوطنية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2009، ص 109.

الأخرى[1]، وقد كانت كل أودة تضم غالبا 20 جنديا[2]، وتبين بعض النقائش التي مازالت موجودة على جدران هذه الغرف في بعض القشلات، مدى متانة العلاقة بين الجنود والسلطة ومقدار الولاء لها خاصة قبل سنة 1811م، حيث تم كتابة بعض الأبيات الشعرية باللغة العثمانية من طرف الجنود تعبر عن درجة الولاء والارتباط بالباي والتفاني في الدفاع عنه[3].

2-الثكنات والقشلات:

أقام الانكشارية بداية الأمر في الثكنات والمعسكرات الخاصة بهم، وكانوا يقضون بها كل الشؤون المنوطة بهم، وبمرور الزمن تم تكليفهم بمهمات خارج الثكنات بغرض حراسة بعض الأماكن الهامة، وسميت الفرق العسكرية التي تقوم بهذه المهمة مفارز المحافظين، التي ترسل إلى الجهات التي يهددها اللصوص وقطاع الطرق[4].

لقد كان لأصول الجنود القادمين من ربوع السلطنة وانتماءاتهم دور في طريقة توزعهم على الغرف المذكورة، وكانت تسودهم المنافسات والمشاحنات الكثيرة، ولولا صرامة النظام العسكري لحدثت بينهم مناوشات دامية، حيث كانت كل مجموعة تسعى لاستقطاب أبناء منطقتها وفي ذلك قوة للمجموعة وزيادة نفوذها[5].

قام حمودة باشا الحسيني ببناء خمسة ثكنات عسكرية (فشل) للجنود الأتراك لشدة اهتمامه بهم[6]، ثم تطور عددها لاحقا في النصف الثاني للقرن 19م ليصل إلى 15 ثكنة في مدينة تونس

---

[1] - Mesut uyar and Edward Jean erickson, **a military history of the ottomans**, abc clio, California, USA, 2009, p39.

[2] - سلوى هويدي **المرجع السابق**، ص 20.

[3] - فتحي الجراي، **النقائش التخليدية العثمانية بقشلات وأبراج مدينة تونس**، تق: عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس، لمدونة الآثار العثمانية بين 21-23 سبتمبر 2001، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، فيفري 2003، ص 33.

[4] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق** ، ص 283.

[5] - Leila Temime Blili, **op.Cit**, p 201.

[6] - فوزية لزغم، **بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية (1117- 1229هـ/1705- 1814م)**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3، العدد2، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، سبتمبر 2020، ص 231.

وماجاورها[1]، وعموما كانت مدينة تونس تضم 5 أحياء مخصصة لإقامة العسكر وقد كانت مصانة بشكل جيد وكانت جميعها تخص جيش المشاة، أما من كان متزوجا منهم اضافة الى الخيالة فيقيمون في منازلهم الخاصة[2]، وقد فصّل المؤرخ ليون ميشال Léon Michel أقسام هذه الثكنات في السنوات التي سبقت فرض الحماية على تونس، حيث يقول: « كانت بمدينة تونس ثكنات مختلفة يطلق عليها اسم قشلات[3] وهي قشلة العطارين وكانت مخصصة للجنود الزبنطوط، وثكنات في سوق الأنزار[4] وسوق البلاط والبشامقية والحسينية للمشاة، أما ثكنة باب الخضراء فهي للمدفعية »[5]، وتمّ تخصيص قشلة العطارين للشرطة في عهد حمودة باشا، أما خارج مدينة تونس فقد بنى أحمد باي ثكنة للطبجية في الطريق بين منوبة وباردو[6] واتخذ أيضا منزل حمودة باشا في منوبة ثكنة لفرسان الخيالة[7].

3- الزي العسكري ولباس الجيش النظامي:

كان تأسيس الجيش النظامي على أسس حديثة على يد المشير أحمد باي، الذي بلغ عدده في عهده 40 ألف جندي، وكان لهؤلاء الجنود زيا رسميا موحدا يتمثل في سترة ذات أزرار وسروال واسع، كانت السترة حمراء اللون أو زرقاء داكنة[8]، والسراويل صنعت من قماش متين أو من قماش أبيض تمت حياكته تبعا

---

[1] - Amy Aisen Kallander, **women gender and the palace households in ottoman tunisia**, university of texas press, austin, Usa, 2013, p 30.

[2]- Le Comte Filippi, **op.Cit**, p 233.

[3] - القشلة: هي الثكنة وأصل الكلمة قشلاق من اللغة التركية ومعناها منزل العساكر أو التلاميذ التي يتم فيها تعليم الانضباط عبر انجاز عدة مهام مثل التعليم والتمرين والتدريب العسكري وحالة الاستنفار والاستعداد والطاعة. ينظر:محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**،ج1، ط1، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص 119. وكذلك: لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 87.

[4] - هناك من يسميها قشلة الوزر أو قشلة سيدي صابر. ينظر: مختار الفرحاني، **ثكنات مدينة تونس خلال العهد العثماني**، مجلة الدفاع، العدد 66، تونس، جوان 2018، ص 75.

[5] - Léon Michel, **Tunis**, 2éme éd, garnier fréres,libraires-éditeurs, Paris, France,1883, p 138. Et : Édouard Gasselin, **Petit guide de l'étranger à Tunis**, Challamel librairie, Paris, France, 1869, p p 30 31.

[6] - من ضواحي مدينة تونس أسسها الحفصيون في أواخر عهدهم وكانت تُعرف ببساتين باردو، ثم اعتنى بها المراديون، لكن اعتناء الحسينيين بها كان أكثر، وتم إلحاق دواوين الحكم بها خلال القرن الثالث عشر الهجري، ينظر: محمد بن عثمان السنوسي، ج1، **المصدر السابق**، ص 90. وينظر أيضا: la Résidence générale de la Tunisie, **op.Cit**, p 6.

[7] - Édouard Gasselin, **op.Cit**, p 8.

[8] - Jean Henry Dunant, **op.Cit**, p76. Et : Joseph Fabre, **op.Cit**, p 119.

للفصول، أما الضباط فيرتدون capote مع كتفية (نسيج على كتف الضابط أو حشوة كتف)، وهذه النياشين التي دأب الضباط على وضعها على الأكتاف ظهرت في عهد مصطفى باي[1] وسميت نياشين الافتخار[2] التي ظلت مستعملة في تونس إلى نهاية الحكم الملكي سنة 1957م[3]، أما السروال يكون طويلا من قماش أسود اللون بخيط مذهب (محاك بتطريزة واسعة من الخيوط الذهبية)[4]، ويلبس جميع الجنود أحذية ملمعة باستمرار وقفازات جلدية وطربوش أحمر اللون مزين بخيط متدلي من الحرير الأزرق[5]، ويسمي المؤرخ جوزيف فابر Joseph Fabre الطربوش بالشاشية[6]، أما الزي الرسمي للضباط فهو مزين بالذهب والتطريز، والضباط على الرغم من أن إلزامية ارتداء الأحذية والجوارب عادة ما يكونون عاريي الأرجل[7].

قابل المحافظون من العلماء وأصحاب النفوذ في الأيالة والأعيان اللباس العسكري على الطراز الأوربي بالرفض، وحجتهم انه مخالف لأحكام الدين وأنه بدعة وضلالة، وطالبوا بالتخلي عنه والحفاظ على الزي الإسلامي المعهود للعسكر[8]، ويذكر ابن أبي الضياف هذا الموقف على لسان علماء مدينة تونس بقوله: «...هذا الزي لم يأمر الله به، ولا تتوقف عليه المدافعة... »[9]، وقد أثر موقف العلماء والشيوخ الرافض للزي العسكري الحديث في أفراد الجيش، حتى أن بعض الضباط كانوا لا يلتزمون بارتدائه على مرأى من

---

[1] - مصطفى باي: (1835-1837م) يكنى بأبي النخبة كان عارفا ملما بأحوال أطراف المملكة وأحوال الأعراب وأهل المدن والقرى، واعتمد على مصطفى صاحب الطابع وصهره مصطفى آغا، وجرى على سنن أخيه في الاعتناء بالعسكر النظامي، وأتم بناء قشلة المركاض وحشد إليها كتائب العساكر سنة 1252هـ/1836م، وهو أول من صاغ نيشان الافتخار ونقش عليه اسمه بالألماس، كما بنى زاوية الشيخ بن مسيكة، ورمم مسجد الطراز ورتب به قراءا ومحدثين. ينظر: محمد بن عثمان السنوسي، ج1، **المصدر السابق**، ص 134.

[2] - عند إحداث النيشان من قبل مصطفى باي، كان بيضوي الشكل، تعلوه نجمة وهلال، ويتوسطه اسم الباي مصطفى منقوش بالألماس، ثم أصبح يتكون من 4 أصناف، كلها مرصعة بالياقوت: الصنف الأول يحمل على الصدر للجهة اليمنى، الصنف الثاني يلبس بالطوق، الصنف الثالث والرابع يحملان على الصدر للجهة اليسرى، وفي 1845م أضاف الصنف الأكبر للنيشان مصحوبا بوشاح أخضر. ينظر:محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص ص 98–104. ينظر كذلك صورة لبعض هذه النياشين في الملحق رقم 11.

[3] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث**، المرجع **السابق**، ص 80.

[4] - Jean Henry Dunant, **op.Cit,** p76.Et : Joseph Fabre, **op.Cit.** p 119.

[5] - Jean Henry Dunant, **op.Cit,** 76.

[6] - Joseph Fabre, **op.Cit.** p 119.

[7] - Amos Perry, **Carthage and Tunis past and present**, providence press company printers, Rhode island, USA, 1868, p 472.

[8] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث**، المرجع **السابق**، ص 78.

[9] - أحمد ابن أبي الضياف، ج2 ،**المصدر السابق**، ص 112.

الباي، حيث يذكر الرسام الانجليزي Frances E. Nesbitt أنه شاهد حشد الباي متجها إلى جامع الزيتونة مرورا بسوق القصبة، ومن ضمن هذا الحشد ضباط لايلتزمون بارتداء اللباس العسكري الرسمي[1].

4- الزي العسكري للقوات غير النظامية:

كان لباس القوات غير النظامية المتمثلة في المجموعات العسكرية التي تدعم الجيش النظامي على غرار عسكر زواوة والصبايحية وغيرهم، يتمثل في عمامة حريرية جميلة ولباس مصنوع من الصوف الخفيف الناعم المطرز إما بخيوط ذهبية أو فضية، وكان هذا اللباس قصيرا حيث أن سيقانهم تكون عارية[2]، وفي مرحلة لاحقة أصبح عسكر زواوة يرتدون الحلي الزرقاء الباهتة مع بعض اللون الأصفر، وبنطلونات زرقاء شاحبة مع بقع بيضاء ويرتدون أيضًا طرابيش حمراء في أيام الأسبوع ماعدا يوم الأحد يتم ارتداء العمامة البيضاء[3]، أما الصبايحية فيرتدون بوليرو[4] أحمر مع تطريز أسود، وسراويل زرقاء شاحبة تحت اثنين من البرانيس السفلي أبيض اللون والعلوي أحمر، وهم لا يرتدون عمامة فحسب بل معها مايسمى الحايك وهو مصنوع من وبر الجمال[5]، ويصف Paul Fagault لباس جنود الصبايحية على النحو التالي:[6]

- برنس من الحرير الأبيض.
- عباءة حمراء.
- قطعة من اللباس تشبه السترة مصنوعة من شعر الجمال.
- عمامة ملفوف.
- أحذية جلدية حمراء كبيرة مرنة ومطرزة.
- سراويل مثبت عليها مسدسات.

[1] - Frances E. Nesbitt, **Alegria and Tunis**, A. and C. Black, London, UK, 1906, p 155.

[2] - Léon Michel, **op.Cit**, p 154.

[3] - Douglas Sladen, **Carthage and Tunis the old and new Gates of the orient**, vol II, Hutchinson & co, London, UK, 1906, p 345.

[4] - لباس يشبه المعطف القصير أو سترة بلا أزرار، ينظر معنى كلمة bolero وصورا لها في:

Line ariel Compagnie, **Chronique de la Mode, Les Boléros**, journal La mode du Jour, N° 211, Paris, France, Mai 1925, p3.

[5] - Douglas Sladen, **op.Cit**, p 347.

[6] - Paul Fagault, **op.Cit**, p p 93 94.

رابعا- المجموعات العسكرية غير النظامية الداعمة للجيش التونسي:

تتمثل هذه المجموعات في عسكر زواوة والصبايحية والحوانب والمزارقية والضبطية[1]، ونستعرض فيما يأتي أهم هذه المجموعات وأكثرها تأثيرا عسكريا في تونس.

1- عسكر زواوة:

أ- أصولهم:

ترجع أصولهم إلى شمال الجزائر، وكانوا يجندون في حالات الحرب في كل من الجزائر وتونس، ويعود تاريخ انضمامهم إلى الجيوش بالمنطقة إلى عهد الدولة الحفصية، وبعد زوالها ودخول العثمانيين أعلنوا ولاءهم للحكام الجدد، وتم قبولهم في الحامية العثمانية في تونس سنة 1574م، ولكن في رتبة أدنى من الأتراك وكانوا يعاملون معاملة المرتزقة المأجورين[2]، ويتم نعتهم "بالمغندفين" أي المغفلين تقليلا من شأنهم[3].

يذكر Raymond drevet وهو رائد في الجيش الفرنسي الذي فرض الحماية على تونس، أن عسكر زواوة هم أمازيغ تعود أصولهم إلى منطقة القبائل الكبرى بالجزائر قدموا إلى تونس مع جيش علي باشا سنة 1570م، ثم استوطنوا بها وشكلوا سلالة خاصة بهم[4]، غير أن هناك من ينسب أصولهم إلى جبال زواوة على الحدود التونسية الجزائرية[5].

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 51.وكذلك: سنية حمدي، **تاريخ عسكر أتراك المهدية وإرثهم المعماري خلال العهد الحسيني**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد10، تونس، ديسمبر 2020، ص 49.(هامش رقم 2).

[2] - محمد مقنع، **زواوة قرون من العمالة والارتزاق**، مجلة الحوار المتمدن، العدد6287، 11جويلية 2019. وكذلك:

Abdelwahed Mokni," **Allogènes de jadis, autochtones de naguère: La communauté de Zwawa à partir du milieu du 19 e siècle**", L'Anthropologie Historique, CERES, Tunis, 2010, p145.

[3] - ا.و.ت، دفتر رقم 3355. الذي يحتوي على أسماء زواوة المغندفين وزواوة البلْدية في عموم الأيالة التونسية.

[4] - Raymond Drevet ,**op.Cit**, p 13.

[5] - Mika Ben Miled**, Chéchia: le bonnet de feutre méditerranéen,** éditions Cartaginoiseries, Tunis, Tunisie, 2010, p 18.

وكذلك: سلوى هويدي **المرجع السابق**، ص 22.

ب- المهام الموكلة إليهم:

١- مساندة الجيش النظامي:

أصبحت فرقة زواوة في العهد الحسيني من أهم المجموعات التي يعتمد عليها البايات في حروبهم الداخلية والخارجية، حيث استخدمهم حمودة باشا الحسيني مطلع القرن 19م في الحرب مع الجزائر سنة 1807م وكان دورهم بارزا في تحقيق الانتصار، ثم استعان بهم لاحقا لإخماد ثورة العساكر الأتراك سنة 1811م[1]، كما استخدمهم خليفته محمود باي[2] للقضاء على ثورة الجنود سنة 1816م[3]، أما الدور الأكثر خطورة فقد كان في إخمادهم لثورة سنة 1864م.

[1] - ثورة قام بها الجنود الأتراك المسمون اليوزباش في عهد حمودة باشا الحسيني سنة 1811م، بسبب حرمانهم من كثير من امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها من قبل، حيث قاموا بتخريب كل المقرات الحكومية في القصبة وكادوا يقوّضون الحكم الحسيني، لولا صمود الحوانب ودعم القنصل الفرنسي دوفواز لهم بالمدافع الحديثة، وفي الأخير تم إخماد الثورة واستبعاد الأتراك من الأماكن القريبة من مقرات السلطة وتعويضهم بعسكر زواوة. للمزيد ينظر:

Narcisse Faucon, **La Tunisie avant et depuis l'occupation française: histoire et colonisation,Géographie, histoire**, T1, augustin challamel éditeur, Paris, France, 1893, p 134. Et L.péchot, **op.Cit**, p 200.

ينظر أيضا: رشاد الإمام، **المرجع السابق**، ص ص 205 206.

[2] - محمود باي (1757- 1824): كان يكنى بابي الثناء تولى الحكم في 21 ديسمبر 1814م خلفا لعمه عثمان باي وقعت في عهده ثورة الجند الترك سنة 1816م التي كادت تقوّض حكم البايات الحسينيين، كان يقود المحلة بنفسه وعرف عنه اهتمامه للأسطول البحري. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج3، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1999، ص 105 وما بعدها.

[3] - حدثت ثورة الإنكشاريين في ماي 1816م في عهد محمود باي، وكانت أكثر خطورة من ثورة 1811م، تزعم الثورة ضابط بارز يدعى دالي باشا يتمتع بكاريزما كبيرة، حيث هاجم الباي ووزرائه بعنف، متهما إياهم بتبديد موارد الدولة في الإنفاق الفاخر وتحرير الأسرى المسيحيين دون فدية، لإرضاء كارولين أميرة ويلز اثناء مجيئها في زيارة إلى تونس، قدم المتآمرون أنفسهم كمدافعين عن مصير مشترك بينهم وبين الرعية، من خلال الزعم أنهم يريدون الدفاع عن مصالحهم ومصالح السكان ضد الباي، ومع ذلك تلاشى التمرد بسبب الخلاف بين المتمردين ورفض سكان المدينة الانضمام إليهم، وتمكنت القوات الحكومية من السيطرة على الوضع والقضاء على الثورة. ينظر:

Mohamed El Aziz Ben Achour, **révoltes et protestations à Tunis au XIXe siècle**, leaders magazine, N° 72, Tunis, mai 2017, p 66.

وبقيادة علي بن غذاهم[1] التي كادت أن تقضي على الحكم الحسيني، خاصة بعد عصيان الفرق النظامية من أبناء الساحل لأوامر الحكومة ورفضهم محاربة الثوار[2]، حيث ذكر عدد من المؤرخين أن تعداد الجيش النظامي[3] في هذه الفترة لم يتجاوز 1500 فرد، مما جعل محمد الصادق باي[4] يستنجد بالمجموعات العسكرية غير النظامية وأهمها زواوة[5].

---

[1] - من أبناء قبيلة ماجر ولد سنة 1814م، تعلم القراءة والكتابة بمسقط رأسه ثم تلقى نصيبا من العلم بجامع الزيتونة، ما أهله إلى أن يتزعم قبيلته، وعند اندلا ع الثورة اختاره قومه قائدا عاما على منطقة الكاف، ثم تم اختياره لاحقا قائدا عاما للثورة التي دأبت كثير من المراجع على تسميتها باسمه، ولقب" باي الشعب"، تم القبض عليه بعد فشل الثورة ووضع في السجن بتونس الذي يقال انه مات مسموما به سنة 1867م. ينظر: جان غانياج، **ثورة علي بن غذاهم 1864**، تر:لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر،1965، ص 20.وينظر أيضا:

Charles Monchicourt, **La région du Haut-Tell, en Tunisie (le Kef, Téboursouk, Mactar, Thala): essai de monographie géographique**, libraire Armand colin, Paris, France, 1913, p298.

وينظر أيضا: فلم وثائقي بعنوان: "**باي الشعب".. نهاية الأمازيغي الذي ثار على ظلم بايات تونس**، على الرابط التالي:

. https://www.youtube.com/watch?v=r0yhs3aaeW0

[2] - Habib Boularés, **op.Cit**, p 473.

[3] - يقصد به ذلك الجيش الذي بدأ تنظيمه على أسس جديدة، ويعمل أفراده تحت السلاح، ويقيمون بالثكنات ويتقاضون رواتب قارة، ويقومون بحراسة الأبراج والقشل تحت قيادة ضباط مباشرين، وذلك خلافا للفرق النظامية التي لا تستدعى إلا عند الحاجة.ينظر: الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش، المرجع السابق**، أعمال ندوة، ص 198.

4 - محمد الصادق باي ابن حسين بن محمود باي ولد في 7 فيفري 1813 م بويع بالحكم بعد أخيه يوم 23 ديسمبر 1859 م وهو الباي 12 في الأسرة الحسينية حصل على لقب مشير من السلطان العثماني، عرف عنه ميله للهو وعدم أهليته للسلطة شهدت فترة حكمه التي استمرت 22 سنة أحداثا كثيرة أبرزها صدور أول دستور لتونس 1861م، وثورة 1864م ومجاعة 1867م وآخر النكبات كانت انتصاب الحماية الفرنسية في تونس وتوقيعه على معاهدة باردو في 12 ماي 1881م، توفي سنة 1882م. ينظر: الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس، زغوان- صفاقس، تونس، 1995، ص 65. انظر كذلك وصفا دقيقا له في:

Léon de Bisson, **La Tripolitaine et la Tunisie: avec les renseignements indispensables aux voyageurs**, imprimerie jules moureu, ernest leroux éditeur, Paris, France, 1881, p p 119 120.

[5] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 147.

٢-الحراسة:

كانت أهم المهام الموكلة إلى أفراد هذه المجموعة تتمثل في حراسة أبراج العسة في المدن الكبرى بما فيها الأسوار والأبواب[1]، كما تم تكليفهم بحراسة الأبراج الهامة التي كانت من مهام الأتراك سابقا ولكثرة تمرداتهم قام الباي بتعويضهم بعسكر زواوة[2].

٣-المشاركة في المحلة:

المحلة هي معسكرات متحركة تجوب الأقاليم بصفة دورية من اجل فرض حكم السلطة وجباية الضرائب[3]، التي سمحت للبايات المراديين ومن بعدهم الحسينيين أن يفرضوا أنفسهم على الباشوات الذين يمثلون الدولة العثمانية[4]، بينما يصفها المؤرخ عبد الحميد هنية أنها مؤسسة عسكرية سياسية تتكون من فرق عسكرية مختلفة[5]، يقود الباي المحلة مرتين في السنة الأولى في الربيع إلى وسط البلاد والثانية في الخريف إلى شمالها[6]، وكانت محلة عسكر زواوة تخرج قبل محلة الأتراك (المحلة الرسمية) لتمهيد الطريق لها وإزالة العوائق المختلفة[7]، يقول ابن أبي الضياف[8] في ذلك: « فخرج الحاج احمد بن عمار باش حانبة في مقدمة الجيش بمحلة زواوة، ...يوم الجمعة 29 ماي 1807م وخرج الوزير يوسف

---

[1] - Abdelouahed Mokni **op.Cit,** p 145.

[2] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 45.

[3] - انظر صورة للمحلة في الملحق رقم 3.

[4] - أندريه ريمون، **المرجع السابق**، ص 32.

[5] - عبد الحميد هنية، **بناء الدولة، المرجع السابق**، ص 15. (هامش رقم 38)

[6] - Edmond Pélissier de Reynaud, **la régence de Tunis**, Revue deux mondes, T3, XXVI, Seconde période, 1mai1856, p 134.

[7] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 22.

[8] - ينحدر من قبيلة أولاد عون ولد سنة 1219هـ/1804م، كان والده كاتبا لدى الوزير يوسف صاحب الطابع، اعتنى والده بتربيته وتنشئته ليصبح من أعوان الدولة، وتحقق له ذلك إذ عينه حسين باي في كاتبا ديوان الحكومة سنة 1242هـ/1826م، ونظرا لكفاءته وبراعته قربه المشير احمد باي منه وقلده وظيفة كاتبه الخاص واصطحبه في سفره إلى فرنسا سنة 1846م، ولما تقلد الصادق باي الحكم جعله من أعضاء مجلس الشورى الخاص ثم جعله وزيرا للقلم (رئيس الكتاب)، توفي في 17 شعبان 1291هـ/ 28 سبتمبر 1874م. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ، المرجع السابق**، ص 170.

صاحب الطابع[1] ...12 جوان 1807م»[2] أي أن المدة الفاصلة بين خروج المحلتين هي أسبوعين وهي كافية لتذليل الصعوبات وإبعاد المخاطر، حيث كان عسكر زواوة يقسمون إلى صناجق كل صنجق يتكون من 60 فردا، يقودهم ضابط برتبة بلوكباشي وجميعهم تحت إمرة آغا زواوة[3]، وقدرت عائدات المحلة خلال القرن السابع عشر حوالي 200 ألف دوكات سنويا[4].

٤– النوبة:

تتمثل النوبة في التداول على حراسة الحاميات المنتشرة في مختلف مناطق الأيالة الساحلية والداخلية، وقد كانت قبائل زواوة من أهم المجموعات العسكرية المكلفة بمهمة النوبة لمدة شهرين في السنة[5].

[1] - كان يلقّب بأبي المحاسن وُلد سنة 1765 في مولدافيا، وأُخذ صغيرا إلى اسطنبول وبِيع عبدا، اشتراه قايد صفاقس في ذلك الوقت بكّار الجلولي، ثم ترعرع وكبر في بيته قبل أن يقرّر أن يهديه لولي العهد حمودة باشا سنة 1781 وهو في سنّ الثامنة عشرة، أُعجب هذا الأخير بذكائه وفطنته وسعة ثقافته، فأوكل مهمّة تعليمه أصول الحياة في سرايا الباي للوزير حمودة بن عبد العزيز، وسرعان ما تألّق المملوك خاصّة في المسائل الاقتصادية فعيّنه حمودة باشا في منصب صاحب الطابع، ثمّ مشرفا عامّا على الجباية، حيث ابتكر نظاما جديدا لتحصيل الجباية في الإيالة ساهم في توفير أموال مهمّة لخزينة البلاد وإحداث حركية اقتصادية كبيرة ومع وفاة الوزير الأوّل مصطفى باشا، عُيّن يوسف صاحب الطابع مكانه ليُصبح الرجل القويّ في المملكة، لكنّ الموت المفاجئ لحمودة باشا، ومقتل خليفته عثمان باي، فتح المجال لأعدائه ليكيدوا له الدسائس، وانتهى الأمر بقتله سنة 1815 ورمي جثّته إلى العامّة للتنكيل بها ثم دفن بتربته. ينظر: حنان الأندلسي، **المرجع السابق**، ص 21. وينظر أيضا: منال الهويملي، **الفاعلون الاقتصاديون بمدينة صفاقس ودورهم في الازدهار الاقتصادي في الأيالة التونسية خلال الفترة الحديثة: عائلة الجلولي وعلاقتها مع يوسف صاحب الطابع**، مجلة مدارات تاريخية، العدد3، مركز المدار المعرفي للبحوث والدراسات، الجزائر، سبتمبر 2019، ص 152. وينظر أيضا: الشيباني بنبلغيث، **دور المماليك التّونسيين في تأسيس الدولة التّونسية الحديثة**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد8، تونس، ديسمبر 2018، ص 32.

[2] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المرجع السابق**، ص 45.

[3] - مختار الفرحاني، **الفرق العسكرية في الجيش التونسي خلال العهد الحسيني**، مجلة الدفاع، العدد 57، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أكتوبر 2011، ص 73.

[4] - Narcisse Faucon, **op.Cit**, p 134.

[5] - Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit**, p 377.

ج- تنظيم الفرقة:

تم تنظيم هذه المجموعات على غرار عسكر الانكشارية، حيث كان لهم مجلس يشرف على تنظيمهم ويقوم بالتنسيق بينهم وبين البايات، وقد كان عدد أعضاء هذا المجلس 6 شيوخ خلال النصف الثاني من القرن 18م[1].

د- تعدادهم:

يذكر صالفاقو[2] salvago أن عدد هذه الفرقة في عشرينيات القرن 17م بلغ 12000 جندي، وهو يفوق بأضعاف عدد الأتراك في نفس الفترة[3]، وقُدر عددهم نهاية القرن 17م وبداية القرن 18م بين 10 آلاف و20 ألف جندي، وأصبح للعديد منهم ذرية سلكوا مسلك آبائهم في خدمة الجيش خاصة في عهد البايات[4]، وارتفع عددهم في بداية سنة 1802م ليصل حوالي 14 ألف رجل، وهو يفوق بكثير عدد جنود الجيش الرسمي من الأتراك والمماليك وغيرهم[5]، لكن عددهم تضاءل بعد تأسيس الجيش النظامي أي بعد سنة 1837م، ثم قام محمد باي بتسريحهم نهائيا من الخدمة العسكرية في إطار سياسة التسريح الجماعي[6]، ثم اضطر الصادق باي إلى إعادة إدماجهم في صفوف الخدمة العسكرية بسبب الأحداث والثورات التي شهدها عهده، بعدما استجاب لمطالبهم المتمثلة في تسديد رواتبهم للسنوات

[1] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص28.

[2] - هو مبعوث مجلس الشيوخ لجمهورية البندقية لدول شمال إفريقيا سنتي 1624 و1625م، من أجل التفاوض حول مصير أسرى البندقية وبعض الدول المسيحية الأخرى، ورغم أن مهمته باءت بالفشل لكنها أعطت صورة دقيقة لوضعية الأسرى الأوربيين في الجزائر وتونس، ينظر: Pierre Granchamp, **Une mission délicate en Barbarie au XVIIe siècle: Salvago, Jean Paul, Vénitien, Drogman, à Alger et à Tunis (1625)**, R. T, N° 31 et 32, Imprimerie j.Aloccio, Tunis, 1937, p 472.

[3] - أنيس العرقوبي، **لم ينصفهم التاريخ...عسكر زواوة" مظلومون حتى في الذاكرة"**، مقال الكتروني، موقع نون بوست، 17 نوفمبر 2020، على الرابط التالي: https://www.noonpost.com/content/38919 .

[4] - أندريه ريمون ، **المرجع السابق**، ص 79.

[5] - سلوى هويدي ،**المرجع السابق**، ص 22.

[6] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 39.

التي تم الاستغناء عنهم، فوافق على تلك المطالب رغم الضائقة المالية التي كانت تعاني منها البلاد، لكن عددهم لم يتجاوز 2000 فردا فقط[1].

هـ-رتبهم العسكرية:

كان عسكر زواوة يتدرجون في الرتب تصاعديا على النحو التالي:[2]

- جندي – شاوش – اوداباشي– بلوك باشي– كاهية – آغا.

2 – عسكر زمالة :

كانت هذه القوة العسكرية تتألف من رجال القبائل التونسية، قام بتأسيسها الداي احمد خوجة (1637—1647) والهدف من ذلك ردع القبائل المتمردة عن سلطة الدايات وكبح جماحهم، حيث اعتادوا التمرد مرارا وتكرارا على السلطة القائمة[3].

3– عسكر الصبايحية:

فيلق من الفرسان تأسس مطلع القرن 17م، ويتكون من أفراد من قبيلة زواوة والأهالي التونسيين وكان عددهم آنذاك يناهز 600 فارس يرأسهم آغا خاص بهم، واستمر وجود هذا الفيلق في خدمة السلطة القائمة إلى القرن 19م عند تشكيل الجيش النظامي في تونس[4]، ويعود أصل الكلمة إلى اللغة التركية وتعني فرقة الفرسان وتم اقتباس تشكيلتها وتنظيمها العسكري في تونس من الجيش العثماني[5]، حيث بلغ عددهم خلال القرن 18م في عموم السلطنة 40 ألف صبايحي (فارس)، موزعين على الولايات العثمانية ومنها تونس[6].

تعود أصول هؤلاء الجند إلى السكان المحليين من أبناء القرى والقبائل، وتألفت كل مجموعة من 500 فارس، ثم تمت إضافة فرقة أخرى من الصبايحية الأتراك وأصبح عددهم 5 فرق[7]، هذه الفرقة كان

---

[1] - Marcel juillet saint –lager, **op.Cit**, p 44.

2 - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 29.

[3] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 121.

[4] - وزارة الدفاع التونسية، **المرجع السابق**

[5] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 21.

[6] - David Nicolle and Angus Mcbride, **Armies of the ottoman turks 1300-1774**, men at arms series, osprey military, London, UK, s.d, p 10.

[7] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 25.

لها ديوان خاص بها نظرا لمكانتها إلى أن قام احمد باي[1] بحله سنة 1839م[2]، وقد ارتقى بعض قادة الصبايحية الأتراك في المراتب إلى أن وصل إلى رتبة باي، مثل حسين بن علي تركي[3] مؤسس الأسرة الحسينية التي حكمت تونس أزيد من 250 سنة.

أ- المهام الموكلة إليهم:

١- مساندة الجيش:

كانت فرقتا الصبايحية الأتراك والصبايحية العرب تشتركان في خوض المعارك وإخماد الثورات، جاء في الكتاب الباشي مشاركتهما في وأد ثورة الجمّال سنة 1759م كمايلي: « ...فأمر بانتقاء مائتي رجل من العسكر واركبهم الإبل وبعث معهم حسين التمتام آغا الصبايحية الترك في خيله، وطائفة كبيرة من صبايحية العرب وأمّر الحاج علي على جميعهم...»[4].

٢-استخلاص الضرائب:

كان فرسان الصبايحية يقومون إضافة إلى مهامهم الحربية بمساعدة القياد على فرض الأمن واستخلاص الضرائب[5]، حيث يذكر المؤرخ Jean-Louis de Lanessan كيفية الاستخلاص بقوله: « ... في بعض الأحيان يمنح الأهالي يومين أو ثلاثة أيام فقط من أجل الدفع، بعد انقضائها يشرع القايد في قمع أولئك الذين لم ينصاعوا للأمر حيث يرسل أحد الصبايحية الذي يستقر في منزل

---

[1] - تولى الحكم سنة 1837م خلفا لأبيه مصطفى باي، يعرف هذا الباي بأنه رائد التجديد والحداثة في تونس بالنظر للإجراءات الكثيرة التي اتخذها في عديد المجالات، ومنها: إنشاء جيش نظامي على الطراز الأوربي الحديث، وبعث التعليم العسكري من خلال بناء مدرسة باردو الحربية سنة 1840م، وإلغاء العبودية في تونس سنة 1842، قام بزيارته الشهيرة إلى فرنسا 1846م. ينظر:

-François Gautier, **Coup d'oeil général sur la Régence de Tunis depuis son origine jusqu'à nos jours**, poitiers–imp, Paris, France, 1891, p 24. Et : Seong Hyun Kim, **A Comparative Study of Anti-Slavery in 19th Century Middle East and North Africa: The Cases of the Egyptian Khedivate and the Husaynid Beylik of Tunis,** A Thesis Submitted to The Department of Arab and Islamic Civilizations, brandeis university, Massachusetts, USA, may 2020, p4. Et : Charles Simond, **op.Cit**, p 63.

[2] - احمد ابن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ج4، ص 30. وكذلك: Habib Boulares, **op.Cit**, p 434.

[3] - Habib Boulares, **op.Cit**, p 388

4 - حمودة بن محمد بن عبد العزيز، **الكتاب الباشي**، تح: محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ص 56.

5 - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث، المرجع السابق**، ص 28.

الجانح، ويتوجب عليه إطعام الصبايحي وحصانه، حتى يتم دفع المجبى بالكامل، إضافة إلى دفع 15 بياستر[1] هي التكاليف الناجمة عن إرسال الصبايحي إليه »[2].

٣-مهام أخرى:

- قام حمودة باشا المرادي[3] بإرسال ثلاث مجموعات منهم إلى كل من تونس وباجة والكاف ثم أرسل

---

1 -البياستر piastre: الريال أو القرش من الوحدة النقدية الأساسية منذ عام 6301 م، يدل اسم هذه العملة عن أصله الأجنبي، حيث أن الريال العربي مشتق من اللغة الإسبانية، لكن الريال المستخدم في تونس من بداية حكم الدايات والبايات المراديون لم يكن له نفس الخصائص والوزن للعملة الإسبانية، لأن الريال التونسي مصنوع من الفضة، واستمر العمل به كعملة رسمية للأيالة إلى سنة 1714م، وقد كان البياستر يعادل 60 سنتيما فرنسيا عند بداية فرض الحماية على تونس. ينظر:

Paul Sebag, **Les monnaies tunisiennes au XVIIe siècle**, Revue du monde musulman et de la Méditerranée, N°55-56, l'Université de Provence, Marseille, France, 1990, p259. Et: Eugene Blairat, **Tunis Impressions De Voyages**, 3éme éd, libraire ch. Delagrave, Paris, France, s.d, p 11.

وينظر أيضا: حفيظة بوتوقوماس، **النشاط التجاري للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1117-1246هـ/ 1705-1830م**، مجلة معارف، مج10، العدد18، جامعة البويرة، الجزائر، جوان 2018، ص 84.

وعن قيمته سنة 1829م مقارنة بالفرنك الفرنسي. ينظر: Charles Tulin, **Notice sur les poids, mesures et monnaies de tunis**, imprimerie de firmin didot fréres, Paris, France,1832, p 16.

وعن قيمته سنة 1845م ينظر: Ministére de l'agriculture et de commerce, **Etats barbaresques**, faites commerciaux, N° 2, Paris, France, 1845, p 8.

وكذلك: محمد بيرم الخامس، **المصدر السابق**، ص 667.

2 -Jean Louis de Lanessan, **La Tunisie**, félix alcan éditeur, Paris, France, 1887, p165.

3- ابن مراد كورسو باي تولى منصب الباي بالوراثة عن أبيه الذي اختاره لهذا المنصب سنة 1631م وقد نجح في مهامه السياسية والعسكرية وارسي مقاليد الحكم المرادي في تونس وشهدت فترة حكمه ازدهارا وأمنا غير مسبوقين، عمل على الحصول على منصب الباشا وتمكن من ذلك سنة 1658م، وجمع بذلك بين السلطتين السياسية والعسكرية وقام بإضعاف دور الداي، تخلى طواعية عن الحكم لأبنائه الثلاثة سنة 1663م بتوزيع سلطاته عليهم، توفي سنة 1666م. ينظر: ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص ص 252-265. حيث ذكره المؤلف باسم:" محمد باي" .وينظر أيضا: مفيد الزيدي، **العصر العثماني**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 94. و ينظر أيضا:

Nicolas Béranger, **la régence de Tunis a la fin du XVII siécle**, tra: Paul Sebag, l'harmattan éditions, 1993, p 19. Et voir aussi: Jean-André Peyssonnel, **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger. Relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie**, librairie de Gide, Paris, France, 1838, p 26. Et voir aussi: Leila Temime Blili, T1, **op Cit,** p p 320-323.

يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله في معرض تحقيقه لمخطوط تاريخ العدواني أن لقب الباشا ورد على حمودة باشا سنة 1065هـ/1656م. ينظر: محمد العدواني، **تاريخ العدواني**، ط1، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص 195. (تهميش رقم 3). أما البارون ألفونص روسو فيذكر أن اللقب حصل عليه سنة 1659م. ينظر: ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 122. بينما يذكر شارل اندري جوليان أنه تخل عن الحكم لبنيه سنه 1659م. ينظر: شارل أندري جوليان، ج2، **المرجع السابق**، ص 353.

وتذكر بعض المراجع الأخرى أن وفاته كانت سنة 1665م. ينظر: Asma moalla, **Sipahis ottomans et avatars du timar dans la province tunisienne de la première moitié du dix-septième siècle,** Les cahiers de Tunisie, N° 209, Université de Tunis. Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, Tunisie, 2009, p 115.

لاحقا مجموعة أخرى إلى القيروان[1]، وأضاف لهم مجموعات من الفرسان من أبناء القبائل الجبلية لتوسيع مجال سلطة الباي وتأمين الطرق وفرض الاستقرار[2].

- قامت هذه الفرقة أيضا بدور الشرطة في الساحات العامة في المدن التي تم إرسالهم إليها[3].

ب- تعدادهم:

تشير بعض المصادر أن عدد عناصر هذه الفرقة سنة 1614م بلغ حوالي 600 فارس في مدينة تونس[4]، ووصل عددهم لاحقا في عهد حمودة باشا المرادي إلى 2000 فارس[5]، ثم تضاعف عددهم في العهد الحسيني ليصل إلى 4000 صبايحي في عهد الصادق باي[6].

4- الحوانب:

تأسست هذه الفرقة العسكرية على يد الداي محمد طاباق (1677- 1682) سنة 1677م، وقد كان الحوانب مقسمين إلى وجقين: الوجق الأول يتكون من الأتراك يضم 200 حامبة، والوجق الثاني من العرب ويضم 400 حامبة وقائد الفرقة يسمى باش حامبة[7].

---

[1] - محمد الطالبي، **في تاريخ افريقية-عدد خاص-**، تر: محمد العربي عبد الرزاق و رياض المرزوقي، دائرة المعارف التونسية الكراس 4، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس،1994، ص 149. وكذلك: سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 21. وكذلك: فوزي محفوظ، **أسواق مدينة صفاقس من خلال وثيقة مؤرخة من سنة 1652م**، مجلة السبيل، العدد1، تونس، 2016، ص 11.

[2] - ابراهيم السعداوي، **المخزن والمجال الجبلي التونسي بين 1630 ونهاية القرن الثامن عشر**، مجلة بصمات، عدد خاص حول الزمن والمجال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، المحمدية، المغرب، ب.س، ص 56.

[3] - Habib Boulares, **op Cit**, p 376.

[4] - سلوى هويدي ،**المرجع السابق**، ص 21.

[5] -Joseph Fabre, **Essai sur la régence de Tunis**, Seguin frères Imprimeurs-Editeurs, Paris, France, 1881, p 119.

[6] -Marcel juillet saint –lager, **op.Cit**, p 44.

[7] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص48. وكذلك: توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 68. وكذلك: Armand de Flaux, **op.Cit**, p 200.

أ–مهامهم:

١–الحراسة:

اختار الداي محمد طاباق عند تأسيسه للفرقة 400 عسكري من الحوانب، لغاية تولي حراسة القصبة والحراسة الشخصية للبايات والأمراء وقصورهم[1].

٢– مهام أخرى:

– استخلاص الضرائب وغيرها من بعض القبائل المتلكئة في الدفع[2].

– قيامهم بدور الشرطة في المدن والضواحي المتاخمة لها ويتم تكليفهم أحيانا بتوصيل رسائل الباي إلى أصحابها ومرافقته في الحل والترحال[3]، ويُشبّه المؤرخ Henry dunant مهامهم هذه بدور الدرك في الدول الأوربية[4].

– يُناط بهم كذلك مساعدة أعوان الدولة على فرض الأوامر والقوانين ، وتطبيق الأوامر التي يصدرها القضاة [5].

– يشرفون على سير أعمال المحكمة ويقومون أيضا بدور الوسيط بين الباي والمشتكين، كما أن الباش حامبة يقوم بالنظر في بعض القضايا التي لا تستدعي تدخل الباي ويشرف على تنفيذ الأحكام فيها[6].

5– قبائل المخزن:

وُجدت قبائل المخزن في كل مراحل تاريخ الأيالة، حيث استعملتها السلطة في كثير من أزماتها، مستغلة روح الاستقلال والحرية التي يتمتع بها سكان البلاد خلال تاريخهم الطويل، واستفادت من

[1] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص23.

[2] - محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة...المرجع السابق**، ص 145.

[3] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 48.

[4] - Jean Henry Dunant, **op.Cit**, p 76. Et : Jean Ganiage, **Les Origines… op.Cit**, p 80.

[5] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث**، المرجع **السابق**، ص28.

[6] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 24.

هذه الخاصية كذلك لصد الغزو الأجنبي لبلادهم[1]، حيث ظهرت هذه القبائل في الفترة التي تلت سقوط دولة الموحدين في بلاد المغرب وحافظ العثمانيون على وجودها للاستفادة من خدماتها، وقاموا بمنحها صلاحيات واسعة، وتتشكل قبائل المخزن أساسا من مجموعة من الفرسان الذين يعرفون بالمزارقية[2] في تونس، ويشاركون باستمرار في المحلات الفصلية مقابل امتيازات مختلفة وإعفاءات ضريبية[3].

اضافة للمزارقية تشكلت قبائل المخزن أيضا من الحوانب والصبايحية وجميع هذه الفرق من الخيالة، الذين يتم انتدابهم من كل القبائل التونسية، ويخضعون قبل انتدابهم إلى اختبار لإثبات مدى كفاءتهم يشرف عليه الباي بنفسه[4]، وقد كان للمراديين دور كبير في إحياء هذه الفرقة العسكرية، كما استعملها الحسينيون من بعدهم لأن هذه القبائل كانت أكثر اتصالا بالمجتمعات القبلية ولهم القدرة على التعامل معها[5]، وتطورت قبائل المخزن في تونس وأصبحت مشابهة في تركيبتها لنظيرتها في أيالة الجزائر وكانت تتكون من المجموعات التالية :

- قبائل زواوة القادمون من بلاد القبائل الجزائرية.

---

1 - Raymond Drevet, **op.Cit**, p p 12 13.

2 - المزارقية: فرسان من وسط قبلي تتشكل من مختلف عروش البلاد، يجندون مدة محددة لدعم الجيش أو المحلة مقابل راتب نقدي وعيني والتمتع ببعض الامتيازات، وتتألف من مجموعات تضم بين 3 و15 فردا، واستخدم بايات تونس هذه الجيوش لأغراض شتى منها: المشاركة في الحروب، المحلة، الحراسة، جباية الضرائب...الخ، ويعود أصل الكلمة إلى "المزراق" وهو عود السنان الذي يصنع منه الرمح الذي كان يحمله الفارس، ينظر: ا.و.ت، الدفاتر رقم 1 و3و555. وينظر أيضا: المنصف الفخفاخ، **المصادر**، **المرجع السابق**، أعمال ندوة، ص 190.

3- ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، جامعة الكويت، 2010، ص 62.

4 - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 50.

5 - محمد الهادي الشريف، **القوى العسكرية، المرجع السابق**، ص 145.

– الوسلاتية وهم السكان المجاورون لجبل وسلات[1] أحفاد الوسلاتيين الذين نكّل بهم الباي علي بن حسين سنة 1762م[2]، ولم يستطع البايات بعده تفريقهم واختاروا لاحقا أن يكونوا من المخازنية[3]، ويذكرهم ابن أبي الضياف بلفظ الوسالتية[4].

– الصبايحية ويتم اختيارهم من بين أفراد القبائل الموالية للسلطة ويتمتعون بامتيازات متعددة.

– السفراء وهم من الصبايحية المقربين من الباي ويتم اختيارهم بعناية كبيرة لقربهم منه عدد من الفرسان الأشداء من القبائل الموالية وبالأخص قبيلة دريد[5].

6– عسكر الحنفية:

أنشأ الصادق باي عسكر الحنفية فرقة عسكر الحنفية ممن تبقى من أبناء الجند الاتراك، لتمييزهم عن الجنود النظاميين الذي كان غالبيته من المالكية من أبناء البلد[6]، يقول ابن أبي الضياف في هذا الصدد: « وعسكر هذه المحلة ما بقي من أولاد الترك المتقدم ذكرهم، وسماهم الباي عسكر الحنفية ومعهم جند الطبجية وجند من العسكر النظامي»[7]، وخصص لهم الباي مقاما لائقا بحي

[1] - جبل وسلات: يقع بين مدينتي كسرى والقيروان، يبعد عن الأخيرة 24كم ويبلغ ارتفاعه 895م، اشتهر بكونه ملاذا للمتمردين وبؤرة للثورات خلال حكم البايات في تونس، وكان يضم عدة حصون في تلك الفترة منها: حصن الجوزات، القيطنة، دار إسماعيل، وكان اغلب سكانه من البدو الأعراب المتمردين على السلطة. ينظر: محمود مقديش، **المصدر السابق**، مج1، ص 126. وينظر أيضا: محمد بن عثمان السنوسي، ج1، **المصدر السابق**، ص 93. وينظر أيضا: Ernest Fallot, **op.Cit,** p 33.

[2] - كان السبب الرئيس للتنكيل بأهل جبل وسلات هو إيواؤهم لإسماعيل حفيد علي باشا، الذي ثار عل علي باي مما اثأر غضبه وأرسل إليهم عدة حملات عسكرية، كانت أولاها بقيادة حسين كاهية ثم تلاه رجب خزندار ثم محمد بن عمار باش حانبة، وبعد مواجهات كثيرة ومعارك عديدة استطاع الجيش القضاء على تمرد أهل الجبل، ثم قام علي باي بالعفو الشامل على المتمردين شريطة أن يغادروا الجبل ويتفرقوا في ربوع الأيالة حيثما شاؤوا، وكان ذلك آخر ذي الحجة 1175هـ/1762م.ينظر: حمودة بن عبد العزيز، **المصدر السابق**، ص ص 84-89.

[3] - لطفي بوعلي، **المرجع السابق**، ص 51.وينظر أيضا: Edmond Pélissier de Reynaud**, op.Cit**, p 134.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 45.

[5] - Edmond Pélissier de Reynaud**, op.Cit,** p 134.

[6] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 123. وكذلك: Sami Bargaoui, **op.Cit**, p 218.

[7] - أحمد ابن أبي الضياف، ج6، **المصدر السابق**، ص 55.

الحلفاوين وثكنة خاصة بهم في حي سيدي المرجاني، واصبحوا جنودا عند الطلب يستدعيهم الباي أو قائد الجيش عند الحاجة اليهم، وكان يرأسهم آغا يسمى آغا الحنفية تحت سلطة وزير الحرب[1].

أ-تعدادهم:

بلغ عدد عسكر الحنفية سنة 1287هـ/1870م يتراوح بين 2000 و2700 من ضمنهم 160 ضابطا[2].

ب-مهامهم:

كانت مهامهم الاساسية تتمثل خاصة في السفر مع المحلة أو الحراسة في المدن[3]، كما تكلبفهم لاحقا بحراسة الحصون في باردو والمرسى وطبرقة والبيبان[4].

7- المجموعات العسكرية غير القارة (المؤقتة):

إضافة للمجموعات العسكرية القارة سابقة الذكر، وُجدت مجموعات أخرى غير قارة أو مؤقتة، تنظم إلى الجيش الانكشاري والمجموعات الداعمة له في أوقات الحروب أو التمردات أو الثورات وغيرها، ومن بينها:

أ- المزارقية:

أصل الكلمة من المزراق وهو السهم أو الرمح، وينتمي أفراد هذه المجموعة إلى سكان البلاد المحليين، حيث يتم اختيارهم حسب كفاءتهم وقدراتهم، وبعد قبولهم يتم تسجيل أسمائهم في دفتر خاص بهم، ويتم استدعاء المسجلين في حالة الحرب[5].

كان عدد المزارقية في كل قبيلة يتناسب مع عدد أفرادها، ولكل مجموعة قائد يشرف عليها ويتفقد أفرادها غالبا في فصل الشتاء للتأكد من جاهزيتهم للقتال[6]، ويذكرهم المؤرخ التونسي المنصف

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 137.

[2] - نفسه، ص 137.

[3] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 137.

[4] - Raymond Drevet, **op.Cit**, P 14.

[5] - وزارة الدفاع التونسية، **الجيش التونسي في العصر الحديث**، مرجع سابق

[6] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 51.

الفخفاخ باسم الجيوش، حيث يقول: «المزارقية هي جيوش مكونة من مختلف عروش البلاد، وتتألف من مجموعات تحتوي بين 3 و15 فردا، ويستخدم الباي هذه الجيوش لأغراض شتى[1].».

وأضاف أن الدفاتر الأرشيفية[2] خصت بالذكر مزارقية الطرابلسية[3] ومزارقية دريد فقط[4]، لكن هذا الحصر في الدفاتر لا ينطبق على الواقع، حيث تفيد بعض المراجع أن أفراد هذه الفرقة كانوا موزعين على قبائل تونسية أخرى مثل جلاص والهمامة والمثاليث والوراغمة على وجه الخصوص[5]، وكان لحمودة باشا المرادي المبادرة في إعادة بعث هذه الفرقة التي كانت معروفة إبان العهد الحفصي، وكانت تحظى مقابل خدماتها للسلطة بإعفاءات ضريبية[6].

١ –تعدادهم:

لم يكن للمزارقية عدد ثابت بحكم طبيعة علاقتهم المؤقتة مع الجيش، لكن عددهم كان يتراوح بين 7 و 8 آلاف فارس، ويزيدون عن ذلك أحيانا، بحسب ولاءات القبائل للسلطة في تونس[7]، يذكر المؤرخ Henry Dunant المزارقية باسم الأعراب وأن عددهم في عهد حمودة باشا الحسيني وصل إلى 10 آلاف فرد[8].

---

[1] - المنصف الفخفاخ، **المصادر الوثائقية لتاريخ الجيش التونسي في العهد الحسيني بالأرشيف التونسي**، أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي «من العهود القديمة إلى عهد التحول»، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30و31 اكتوبر1997، ص 190.

[2] - الدفاتر الارشيفية: جزء هام من مقتنيات الارشيف الوطني التونسي تسمى بالدفاتر الجبائية. ينظر: المنصف الفخفاخ، **المرجع السابق**، ص 191.

[3] - أصلهم من أيالة طرابلس هاجروا الى تونس في فترات متعاقبة بسبب الظروف السيئة في موطنهم، واندمجوا كليا في المجتمع التونسي فإلى جانب الفلاحة والرعي برع الليبيون في تربية الخيول الأصيلة وترويضها، حتى ان وزارة الحرب التونسية اشترت منهم أعداداً لاستخدامها ضمن تجهيزاتها القتالية، وهذا جرهم لاحقا إلى التجند في صفوف عسكر المزارقية. ينظر: فرج عبد العزيز نجم، **القبائل الليبية والجغرافيا والهجرة**، المكتبة الليبية للابحاث والدراسات العلمية، طرابلس، ليبيا، 2015، ص61.

[4] - نفسه، ص 190. وكذلك:

Edmond Pélissier de Reynaud, **la régence de Tunis: le gouvernement des beys et la société tunisienne**, Revue des Deux Mondes, Seconde Période, Vol 3, No 1, 1er Mai 1856, Paris, France, p 134.

[5] - علي المحجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تع: عمر بن ضو وحليمة قروري، دار سراس للنشر، تونس، 1986، ص 16.وكذلك:

Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit**, p 103.

حيث يذكر المؤلفون أن هذه القبائل كانت تسمى قبائل المخزن.

[6] - Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit**, p 103.

[7] - المنصف الفخفاخ، **المرجع السابق** ، ص 190.

[8] - Henry Dunant, **op.Cit**, p 75.

٢ – مهامهم:

عديدة ومتنوعة يمكن حصرها في :

– يقومون بمرافقة المحلة وقد كان ذلك جبرا حيث يلزم كل عرش من عروش العربان بإرسال عدد من الرجال لمرافقة محلة الباي وينظمون لفرقة المخازنية أثناء ذلك، وقد أبطل احمد باي هذا الجبر سنة 1840م وجعله اختياريا لما أشرك الجيش النظامي الحديث في المحلة[1].

– مساندة الجيش في حالة الحرب وبعد نهايتها يعودون إلى أعمالهم المعتادة [2].

- مساعدة الدولة في جباية الضرائب

– المحافظة على النظام العام في عموم الأيالة[3].

٣ – رواتبهم:

لم يكن لهذه المجموعة رواتب ثابتة ولم يكن لهم تخصيص مالي أو اعتمادات في خزينة الايالة، انما يحصلون على عائدات مالية وعينية من حصيلة الضرائب التي يقومون بجبايتها في مناطقهم، وفي حالة عدم كفايتها يتم اللجوء الى مجابي مناطق أخرى فمثلا كان مزارقية قبيلة دريد يأخذون نسبة هامة من عوائدهم من سكان الواحات بالجريد ونفزاوة، حيث بلغت 50% من الضرائب المفروضة على منطقة الجريد في عهد حسين بن علي لمشاركتهم الفعالة في الأمحال وبالاخص محلة الشتاء[4].

8– الجيش الاحتياطي:

أ– الجيش الاحتياطي (اللوند) levend :

هذا الجيش ذو صفة مؤقتة حيث أن الدولة العثمانية تقوم بتجنيد مرتزقة في حالات الضرورة وتسدد رواتبهم بصفة يومية، وتم العمل بهذا النظام في أيالة تونس مع بداية الوجود العثماني[5]، أما تجنيدهم فكان في المحافظات العثمانية من قبل ضباط الإنكشارية المرسلين من تونس، حيث ينظم المجندون في مجموعات من 50 إلى 100 رجل، وهم مسخرون لجميع الأغراض العملية لأنهم عبارة عن مرتزقة من

---

[1] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 37.

[2] - Henry Dunant, **op.Cit**, p 75.

[3] - Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit**, p 103.

[4] - دلندة الأرقش واخرون، **المرجع السابق**، ص 45.

[5] - توفيق البشروش، **المرجع السابق** ، ص 45.

أبناء الأناضول وبعض أبناء الأهالي[1]، وكان غالبيتهم من الفلاحين الفقراء الذين لم يسبق لهم خوض المعارك وليس لهم دراية باستعمال الأسلحة، كما أنهم لا يلتزمون غالبا بالنظام والخطط الحربية [2].

انقسم هذا الجيش الاحتياطي إلى قسمين:

١– الدينيز لوند (deniz levend): مشاة البحرية المدربون على الحروب في البحار، لا يشترط اعتناقهم للإسلام عند الاستعانة بهم، بل كان من بينهم المسيحيون لمهارتهم في الحروب البحرية [3].

٢ – الكره لوند (kara levend): هم الجنود الفرسان الذين يتميزون بإتقان الأسلحة النارية، وغالبيتهم من بلاد الأناضول والمناطق المجاورة لها[4].

ب– اليادك: جنود من العسكر الاحتياطي ويعبر عنهم كذلك بالعسكر الرديف، حيث يستخدمون لمدة 8 أعوام في مجالات متعددة وعند إتمامها ينقل الجندي إلى معسكر اليادك القريب من موطنه، حيث يتم مدة جنديته وهي 8 أعوام أخرى وفي تلك الفترة التي يقضيها في الخدمة العسكرية يعد من قوات الدولة[5]،كما يرسم في عسكر اليادك الذين لم يتم تعينهم بالقرعة في سن الخدمة العسكرية حتى يبلغ 30 سنة، ويُرسم أيضا من أُستثني من القرعة لانفراده (وحيد والديه)، أو عند انعدام من ينوبه في الخدمة ويكون قد تجاوز 30 سنة[6].

ج– فرق أخرى:

بادر علي باشا بتجنيد فرقة من السودان في حاميته وذلك لكثرة ريبته من الأتراك، فاستعمل فرسانا من السودان لحراسته وسماهم البوابة، وميزهم عن غيرهم في السلاح والملبس والخيول، ويُذكر أنه استلهم هذه البادرة من عبيد البخاري في المملكة المغربية[7].

---

[1] - Mesut uyar and Edward Jeanerickson, **op.Cit**, p 108.

[2] - Gábor Ágoston & Bruce Masters, **Encyclopedia of the ottoman empire**, facts on file, New york, USA, p 127.

3 - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 45. غير أن المؤرخ يلماز اوزتونا يسمي هذا الفصيل اللوند فقط، انظر، يلماز اوزتونا، **موسوعة الإمبراطورية العثمانية**، ج2، ط1، تر: عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان،2010، ص 366.

[4] - توفيق البشروش، **المرجع السابق** ، ص 45.

[5] - محي الدين المبروك، **قوانين الانتداب والتجنيد خلال القرن 19**، أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي « من العهود القديمة إلى عهد التحول»، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30و31 اكتوبر1997، ص 122.

[6] - محي الدين المبروك، **المرجع السابق**، ص ص 122 123.

[7] - أحمد ابن أبي الضياف، ج 2، **المصدر السابق**، ص 151.

خامسا–المهام الداخلية والخارجية للجيش:

1–المهام الداخلية:

منذ تشكيل النواة الأولى للجيش أنيط به تنفيذ العديد من المهام داخل البلاد، والتي كان من بينها حفظ الأمن وجباية الضرائب وصناعة بعض الأسلحة، وقد تم استنباط معظم هذه المهام من النظام المعمول به في ايالتي مصر والجزائر ومن بين هذه المهام:

أ– المحلة:

١ – تعريفها:

للمجلة عدة تعريفات نذكر منها:

– تعتبر المحلة إحدى مهام الجيش البري وعرفت في ايالات بلاد المغرب خلال العهد العثماني، ويتمثل دورها في تحصيل الضرائب والجبايات من القبائل عنوة، وتنقسم إلى محلة الشتاء ومحلة الصيف ويسمى قائدها قائد المحال أو باي المحال[1].

– المحلة هي معسكرات متحركة تجوب الأقاليم بصفة دورية من اجل فرض حكم السلطة وجباية الضرائب، التي سمحت للبايات المراديين ومن بعدهم الحسينيين أن يفرضوا أنفسهم على الباشوات الذين يمثلون الدولة العثمانية[2].

– المحلة مؤسسة سياسية وعسكرية تعود في الأصل إلى الفترة الحفصية، وتتكون من فرق عسكرية مختلفة تخرج لجمع الضرائب مرتين في العام الواحد: تتجه في الشتاء (ديسمبر وجانفي) نحو الجنوب، وخاصة نحو الجريد زمن صابة التمور، وفي الصيف (جويلية وأوت) نحو الشمال زمن صابة القمح، وقد حافظ العثمانييون على هذه المؤسسة عندما انتصبوا في البلاد التونسية سنة 1574م، ووظيفة المحلة الأساسية هي جمع الضرائب وردع المناوئين للسلطة المركزية، وهي بمنزلة همزة الوصل بين أجزاء البلاد من جهة والمركز السياسي من جهة أخرى[3].

---

[1] - رينهارت دوزي، **المرجع السابق**، ج 10 ، ص 23.

[2] - أندريه ريمون، **المرجع السابق**، ص 32.

[3] - عبد الحميد هنية، **بناء الدولة**، **المرجع السابق**، ص 15.

٢- قائد المحلة:

في بداية الحكم العثماني لتونس كان الباشا يقوم بتجهيز المحلة[1]، وقيادتها مؤقتة تخضع لأمر الذي يكلف من يراه أهلا لذلك بغض النظر عن صفته سياسية وعسكرية أو كلاهما، وبعد سيطرة الدايات على الحكم عينوا القائد رمضان كأول باي يقود المحلة سنة 1599م[2]، حيث كان له دور كبير في معالجة المشاكل التي كانت تعترض المحلة، فهو يظهر الشدة مع القبائل المتمردة بينما يعامل القبائل المسالمة بعكس ذلك مما أكسبه سمعة حسنة بين الرعية[3]. كما قام بعض الدايات بقيادة المحلة بأنفسهم مثل عثمان داي الذي تذكر المصادر أنه قام بذلك مرتين خلال فترة حكمه

أما يوسف داي (1610-1613) فقد كان يقوم بقيادة المحلة بنفسه ولم يكلف غيره بذلك، وبعد وفاته أوكلت القيادة إلى أحد غلمانه الأعلاج المسمى مراد كورسو[4] الذي احتكر قيادتها بنفسه إلى غاية وفاته سنة 1631م[5].

---

[1] - محمد الحبيب العزيزي، **ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث: المحلة التونسية أنموذجا**، أطروحة دكتوراه لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 45.

[2] - دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003، ص 58. وكذلك: أسعد أفندي، **مخطوط خلاصة أحوال تونس غرب**، مادة يوسف داي

[3] - محمود مقديش، ج2، **المصدر السابق**، ص 97.

[4] - مؤسس الأسرة المرادية في تونس تم سبيه صغيرا من كورسيكا في سن 9 سنوات من طرف قراصنة تونسيين، كان اسمه جاك سانتي قبل إسلامه، اشتراه رمضان باي وأحسن تنشأته ولما كبر وضع ثقته به لقيادة المحلة عوضا عنه سنة 1613م، وبقي قائدا للمحلة إلى غاية 1631م وبفضل مؤهلاته وشجاعته استطاع دحر كل منافسيه وأوصى بمنصب الباي لابنه حمودة من بعده، مؤسسا بذلك أول سلالة حاكمة في تونس بفضل تفوق البايات سياسيا على نظرائهم الدايات والباشوات توفي سنة 1640م. ينظر:

Ahmed Saadaoui, **Palais et résidences des Mouradites: apport des documents des archives locales (la Tunisie au XVIIe s.)**, revue Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Année, 150é année, N° 1, imprimerie de Boccard, paris, France, 2006, p 637. Et: Nicolas Béranger, **op.Cit**, p 19.

[5] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 129.وكذلك:

Sadok Boubaker, **Négoce et enrichissement individuel à tunis du xviie siècle au début du XIXe siècle,** Revue d'histoire moderne & contemporaine, N°50, Editions Belin, Paris, France, 2003, p 60.

وسار خلفاؤه من بعده على سيرته حيث أصبح الباي[1] هو الذي يقود المحلة وكان المبادر إلى ذلك حمودة باشا المرادي[2].

يشير Henry Dunant إلى أن قائد المحلة يكون غالبا الوريث المفترض أو الوريث الظني، خاصة في العهد الحسيني حيث كان يسمى باي المحلة، فيقول: «...والباي الحالي للمحلة هو سيدي الصادق[3] أخ الباي الحاكم[4]. »، ويشير إلى ذلك أيضا الطبيب الألماني Gustav Nachtigal الذي عمل طبيبا للمحلة بين سنتي 1863–1868م حيث كتب في رسالة بعث بها إلى أمه يوم 1 فيفري 1865م: « وفي ما يتعلق بجنوب البلاد فقد تكلفت محلة ولي العهد سيدي علي باي باستجباء الضرائب[5]. »، وكانت محلة عسكر زواوة تخرج قبل محلة الأتراك (المحلة الرسمية) لتمهيد الطريق لها وإزالة العوائق المختلفة[6]، وينح إلى ذات المنحى كذلك Édouard Gasselin بقوله:«...مرّ أحد هذه المعسكرات من قبل الوريث الظاهر للعرش المسمى باي المحلة»[7]، تخلى حمودة باشا المرادي عن منصب الباي وقام بتوزيع مهامه على أبنائه الثلاثة، حيث أوكل لابنه مراد وظيفة القائد الأعلى للجيش البري (قيادة المحلات)[8].

---

[1] - الباي: لفظة تركية بمعنى الغني أو المالك، كانت تضاف في بلدان آسيا الوسطى لأسماء الأشخاص دلالة على غناهم، وأطلق اصطلاحا على حكام تونس في العهد العثماني. ينظر:حسان حلاق وعباس الصباغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999، ص 37. ويصف صلاح العقاد هذا المنصب بأنه يشبه ما يعرف في أوربا بالمتصرف العام، وهو المكلف بتحصيل الضرائب أو رئيس الجند.ينظر: صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 31.

[2] - محمود مقديش، ج2، **المصدر السابق**، ص ص99-103. وكذلك: عيسى البكوش، **شخصية حمودة باشا المرادي**، أعمال منتدى الفكر، السلسلة الرابعة، أريانة، تونس، 24 مارس 2010م.وكذلك: Asma Moalla, **op.Cit**, p 115.

[3] - يقصد محمد الصادق باي الذي حكم في الفترة 1859-1882 والذي عاصره المؤلف هنري دونانت (1828-1910).

[4] - Jean henry Dunant, **op.Cit,**p 63. - Et: Edmond Péllissier de Reynaud, **" la régence de Tunis: le gouvernement des beys et la société tunisienne ", Revue des deux** mondes Paris, France, 1 october 1855, p 128.

[5] - منير الفندري، **طبيب المحلة البلاد التونسية فيما بين 1863-1868، من خلال رسائل الطبيب الألماني غوستاف نختغال Gustav Nachtigal**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص 153.

[6] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 22.

[7] - Édouard Gasselin, **op.Cit**, p 32.

[8] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 122.

٣ – أوقات خروجها:

تشير بعض المراجع إلى أن المحلة تكون مرتين في السنة، واحدة في بداية فصل الصيف موجهة إلى المناطق الشمالية، والأخرى في بداية الخريف تتجه للمناطق الوسطى والجنوبية، لأجل تحصيل الضرائب ويتضح من خلال زمن هذه المحلات أن الأمر مرتبط بتوفر الثمار والغلال في المنطقتين[1]، ويذكر القنصل العام الفرنسي في سوسة Edmond Pélissier de Reynaud أن الباي يقود المحلة مرتين في السنة الأولى في الربيع إلى وسط البلاد والثانية في الخريف إلى شمالها[2].

٤– أهمية المحلة:

للمحلة وظائف متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية نذكر منها:

- شكلت المحلة إحدى مقومات السلطة في تونس العثمانية وكانت لها وظائف عديدة ومتكاملة، وتعتبر مناسبة لإبراز هيبة المخزن (السلطة) واستخلاص حقوقه بالقوة وتوسيع مجال سلطته داخل البلاد[3].
- تتمثل الصبغة السياسية للمحلة في تنقل مثال مصغر عن البلاط إلى الرعية من أجل إعادة الصلة وتجديد الولاء سنويا ويتضح هذا الارتباط وذلك الولاء في دفع الضرائب و الآداءات المفروضة على الرعية[4].

٥– مشاركة الجيش النظامي في المحلة:

كانت المشاركة الأولى للجيش النظامي الحديث في 28 محرم 1253هـ/ 4 ماي 1837م، حينما قام أحمد باي بإشراكه في محلة الى سكان جبل ماطر وبجاوة، الذين ناصروا أحد خصوم الوزير شاكير صاحب الطابع للتعرف مدى جاهزيته، خرج الوزير بنفسه على رأس هذه المحلة وتحت امرته كبار قادة الجيش: الاميرآلاي سليم، والاميرآلاي قارة محمد، والآغا محمد شولاق وغيرهم، ونجح الجيش في القضاء على رؤوس الفتنة وعاد الى مدينة تونس بعد أن ألزم أهل المنطقة ألف رأس من البقر[5].

---

[1]- L.Pechot, T3, **op.Cit,** p 159.Et: Maria Ghazali, **op.Cit**, p 2.

[2] - Edmond Pélissier de Reynaud**, op.Cit,** p 134.

[3] - ابراهيم السعداوي، **المرجع السابق**، ص 45.

4 - وزارة الدفاع التونسية، **المرجع السابق**.

[5] - أحمد ابن أبي الضياف، ج 3، **المصدر السابق**، ص 217.

ب- القضاء على الثورات والانتفاضات:

شهد العهد العثماني في تونس عدة ثورات وانتفاضات ضد الأوضاع السائدة والتي كانت اقتصادية في أغلبها، واهم هذه الثورات مرتبة حسب شموليتها وقوة تأثيرها على السلطة والشعب هي:

1- ثورة 1864م (ثورة بن غذاهم):

هي ثورة شعبية اندلعت سنة 1864م بمناطق الساحل التونسي ثم شملت أغلب مناطق الشمال والوسط[1]، كان السبب الرئيسي لاندلاعها هو زيادة مبلغ ضريبة المجبى[2]، تمردت مجموعة من القبائل التونسة وقررت اعلان العصيان والثورة على السلطة[3]، تزعم هذه الانتفاضة مقدم قبيلة ماجر يسمى علي بن غذاهم، واجهت الحكومة هذه الثورة بالقوة لكنها لم تُجد نفعا، ومع استفحال الأمور اضطرت إلى تخفيف المجبى وإعادته إلى قيمته الأولى 36 ريالا، وقد تمكنت السلطة من إخماد الثورة وسجن زعيمها[4]، لكن بصعوبة كبيرة بعدما كادت أن تهز أركان الدولة الحسينية[5].

-دور الجيش فيها:

فاجأ اندلاع الثورة وسرعة انتشارها السلطة في تونس التي لم تكن تملك العدد والعدة الكافية لاحتوائها وإخمادها، يصف جان غانياج حالة الجيش وقت اندلاع الثورة فيقول: « فماعدا بعض

---

[1] - للتعرف على مناطق انتشار الثورة الاطلاع على خريطة توضيحية لحالة البلاد اثناء الثورة (ماي 1864م). ينظر: محمد بوزرارة، **التخوم التونسية الليبية عبر التاريخ نجع الذهيبات**، تق: محمد عبازة، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 2014، ص 106.

[2] - ضريبة أقرها محمد باي سنة 1856م قيمتها 36 ريالا (21.5 فرنك ذهبي) وتُسلط على كل السكان الذكور البالغين، باستثناء أصيلي المدن التالية: تونس والقيروان وسوسة والمنستير وصفاقس، والجنود المنتدبين والقدامى، والطلبة والعلماء، وأعوان الباي والعجزة، وكذلك الموظفون والعساكر والطلبة والعلماء ويهود الحاضرة، ثم قررت الحكومة التونسية في شهر سبتمبر1863م تعميم الأداء المُوظف على الرؤوس والمعروف بالمجبي، وتعميمه على كافة الرعايا التونسيين على اختلاف معتقداتهم الدينية وطبقاتهم الاجتماعية. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ، المرجع السابق**، ص171. وينظر أيضا: جان غانياج : **ثورة علي بن غذاهم 1864**، تر: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس،1965، ص 17. وينظر أيضا: إدريس رائسي، **المرجع السابق**،ص 164. وكذلك: علي المحجوبي، **المرجع السابق**، ص11.

[3] - انظر مطالب هذه القبائل في رسالة موجهة للصادق باي آخر صفر 1281ه/1864م في الملحق رقم 4 ص ....

[4] - حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ، المرجع السابق**، ص175.

[5] - ليلى زغدود، **الحياة اليومية،المرجع السابق**، ص 38.

الصبايحية الذين لا يصح اعتبارهم بمثابة عسكر نظامي، كان تحت يدها زهاء الثلاثة أو الأربعة آلاف من عسكر القرعة منهم كتيبة واحدة منظمة نوعا ما ومستقرة بتونس العاصمة ،... ولهذا اضطرت مجددا لاستدعاء قدامى العساكر الذين سرحوا من الخدمة منذ زمان»[1]،كما يصف طبيب المحلة الألماني Gustav Nachtigal في رسالة كتبها في تونس بتاريخ 14 ماي 1864م حالة الجيش بقوله: « ومن المأساوي أن الحكومة هذه تعوزها كل الوسائل المادية للسيطرة على حركة ثورية كهذه وإحباطها، فليس بيدها سوى فضالة جيش كان يعد زمن حكم أحمد باي قبل حوالي 12 سنة خمسة وثلاثين ألف رجل وتقلص بصفة فادحة ليبلغ حفنة من الأنفار ممزقي الهندام، زد على ذلك أنهم تلاشوا وتشتتوا عند اندلاع الثورة، فقد كان معظم هذه البقية يرابط في المدن الساحلية فأذعنوا لتحريض زعماء الثورة وفروا هاربين»[2]، ورغم الحالة المزرية التي كان عليها الجيش النظامي غير أنه حقق بعض الانجازات من قبيل أن كاهية مدينة سوسة المدعو أحمد بن عاشور استطاع حفظ الأمن في المدينة مستعينا بسلاح المدفعية وبما بقي معه من العساكر على قلة عددهم[3].

2– ثورة جبل وسلات:

قام سكان جبل وسلات والسفوح المحاذية له ضد حكم محمد باي المرادي سنة 1677م وتمردوا عليه، مستغلين الحرب التي كانت تدور رحاها بينه وبين أخيه علي وعمهما محمد الحفصي، والتي شهدت أطوارا عديدة وكانت سجالا بين الأخوين، حيث انتصر علي سنة 1676م لكنه لم يهنأ طويلا بانتصاره، واستطاع محمد باي الانتصار عليه في ذات السنة قرب مدينة الكاف[4]، فلما آل الأمر إليه اتجه إلى جبل وسلات للقضاء على المتمردين الذين انضم أخوه علي إليهم[5]، وفي ذلك

---

[1] - جان غانياج، **المرجع السابق**، ص 22.

[2] - منير الفندري، **المرجع السابق**، ص 107.

[3] - جان غانياج، **المرجع السابق**، ص 27.

[4] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 127.

[5] - Mohanmied Seghir ben Youssef, **Soixante Ans d'histoire De La Tunisie 1705-1765) Documents pour servir à l'histoire des quatre premiers Beys de la famille d'Ali Turki,** R. T, 3[éme] année, N°9, imprimerie rapide, Tunis, Janvier 1896, p 64.

يقول ابن أبي الدينار: «... بلغه نفاق وسلات فسار إليهم بخيله ورجله وحاصره من كل جهاته...ودخل الجبل من طرق شتى ودهم أهله بما لا قبل لهم به ولولا ما سبق في علم الله لجعله دكا »[1].

– دور الجيش:

ساهمت الأسلحة الثقيلة التي كان الجيش يحوز عليها الجيش في تحقيق الانتصار على سكان الجبل في بداية الأمر، وكان لسلاح المدفعية الثقيلة الدور الأبرز في ذلك، لكن الأمور انقلبت فيما بعد لصالح سكان الجبل، بسبب الكمائن التي وقع فيها العسكر ولاستعانة السكان بالمدافع، التي أحضرها آغا فرسان الصبايحية المدعو مصطفى اسبنيول الذي انشق عن محمد باي، يقول ابن أبي الدينار:«...فلما سمع من في الجبل حس المدافع علموا بواقعة حدثت بعدهم فوجلت قلوبهم ودخلهم الرعب فولوا منهزمين لا يلوي صديق على صديقه ولا ينظر شقيق إلى شقيقه»[2].

ج– حراسة المناطق المهددة بالأخطار:

كانت مناطق عديدة معرضة لخطر قطاع الطرق واللصوص والمارقين عن سلطة الدولة، ولحمايتها تم تشكيل مفارز خاصة من الإنكشارية، تتشكل من مجموعات من الجند تستقي معلوماتها من الأهالي ومن المتضررين وتقوم بنصب كمائن لهؤلاء الخارجين عن القانون والفتك بهم، وبالمقابل كان يتوجب على الأهالي إطعام أفراد هذه المفارز طيلة مدة إقامتهم بناحيتهم وقد تصل هذه المدة إلى 6 شهور حيث يتم استبدال المفرزة عند استيفائها لهذه المدة [3]، وكان أغلب الجند المكلفين بمهمة الحراسة من صنف أزابان أي العزاب والذين كان الاسم الشائع بين الناس لهم هو زبنطوط، وفيه بعض التحقير لهم لأنهم من عائلات فقيرة وذوي سوابق وكانوا مشردين في بلدانهم الأصلية[4].

---

[1] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 277.

[2] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 277.

[3] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 283.

[4]- Laila Temime Blili, T1, **op.Cit,** p 201.

د- النوبة:

تتمثل النوبة[1] في التداول على حراسة الحاميات المنتشرة في مختلف مناطق الأيالة الساحلية والداخلية، وكان الكولوغلية الذين تعدى عددهم 2000 كولوغلي يقومون بمهام الحراسة التناوبية أو ما يعرف بالنوبة، ويتوزعون على 10 حاميات في المناطق الساحلية وداخل البلاد[2]، كما كانت قبائل زواوة من أهم المجموعات العسكرية المكلفة بمهمة النوبة لمدة شهرين في السنة[3].

2- المهام الخارجية للجيش:

كان للجيش إضافة لمهامه الداخلية مهام خارجية متعددة تتمثل في الحفاظ على الأيالة من المخاطر الكثيرة المحدقة من كل الجهات، وقد اختلفت هذه المهام حسب المراحل السياسية التي مرت بها الأيالة، ومن بين هذه المهام:

أ- الحفاظ على حدود الأيالة:

كانت هذه المهمة تتمثل في خوض بعض الحروب التي كان معظمها مع الجارة الغربية الجزائر حيث خاضت الأيالتان الحروب التالية:

- **الحرب الأولى**: وقعت في عهد حمودة باشا المرادي وتسمى معركة السطارة التي تقع قرب مدينة الكاف يوم 17 ماي 1628م، وبالنظر لقلة عدد الجيش التونسي وضعف إمكانياته فقد مُني بهزيمة كبيرة[4]، ما أدى إلى توقيع اتفاقية[5] بين الطرفين لضبط الحدود بينهما يوم 5 جويلية 1628م[6]، من أهم بنودها:

[1] - النوبة: بمعنى الجماعة من الناس، وقد أطلق في العهد المملوكي على أفراد وحدة من الجيش كانوا يتناوبون على حراسة السلطان، ثم تم تعميمه في العهد العثماني على الفرقة الموسيقية العسكرية.ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996، ص 426.

[2] -Azzedine Guellouz et autres, T3, **op.Cit**, p 374.

[3] - Ibid, p 377.

[4]- حنيفي هلايلي، **أوراق من تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 46. وكذلك: Azzedine Guellouz et autres, T3, **op.Cit**, p54.

[5] - انظر مضمون المعاهدة في الملحق رقم 5 .

[6]- إدريس رائسي، **القبائل الحدودية التونسية- الجزائرية بين الإجارة والإغارة (1830-1881)**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016، ص 13.

- جعل وادي مجردة[1] حدا طبيعيا فاصلا بين البلدين[2].

- هدم كل المراكز العسكرية التي أقامها الجيش التونسي في المناطق المتنازع عليها[3].

تشير مراجع أخرى أن الحد الطبيعي بين الأيالتين هو وادي سراط، وبقيت المناطق الواقعة جنوبه غير محددة وتخضع لسلطة القبائل الحدودية[4].

- الحرب الثانية: وقعت سنة 1694م حيث قام الداي شعبان حاكم الجزائر بالهجوم على تونس بجيش كبير يقدر بثلاثة آلاف جندي من الانكشارية، و1500 من الأندلسيين و500 قدموا من أيالة طرابلس لدعم الجيش الجزائري[5]، واستطاع الانتصار على الجيش التونسي وعاد بغنائم كبيرة، وألزمهم بدفع ضريبة سنوية وعيّن بايا عليها، لكن بمجرد رجوع شعبان داي إلى الجزائر تم الانقلاب عليه وعزله[6].

---

[1] - ينبع من منطقة سوق أهراس شرقي الجزائر ويصب في خليج تونس على البحر الأبيض المتوسط، ويعتبر أطول الأودية بالبلاد حيث يبلغ طوله في تونس 484 كم، "بوقرادا" كلمة يونانية حملها وادي مجردة منذ قرون، وهو الوادي الأكبر والأهم في البلاد التونسية، أقيم على مجراه أكبر السدود في تونس وهو سدّ سيدي سالم، قامت على ضفتيه مدن عديدة استفادت على مر التاريخ من مياهه وخصوبة الأرض المحيطة به، منها: جندوبة، وبوسالم، وتستور، ومجاز الباب، وطبربة، والجديّدة، ويصب في مضيق غار الملح. ينظر: وزارة التجهيز والتهيئة الترابية والتنمية المستدامة، **التقرير الوطني حول وضعية البيئة 2012: رهانات استدامة التنمية**، تونس، أفريل 2014، ص 66. ينظر أيضا: أحمد الشرقاوي وآخرون، **جغرافية الممالك العثمانية**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2018، ص 408.وينظر أيضا:

موقع قناة الجزيرة الوثائقية، **على ضفة النهر- وادي مجردة**، شريط وثائقي، على الرابط التالي:https://doc.aljazeera.net/video/

[2] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 34.

[3] - حنيفي هلايلي، **أوراق، المرجع السابق**، ص 46. ويضيف حنيفي هلايلي في مقال آخر أن المعاهدة بين البلدين تنص على أن واد صراع هو الحد الفاصل بين البلدين في المناطق الجنوبية.ينظر: حنيفي هلايلي، **محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي بين الطموحات الإستراتيجية والإخفاق السياسي**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2020، ص 59.

[4] - صالح العنتري، **تاريخ قسنطينة**، تق وتح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 35.وكذلك: إدريس رائسي، **المرجع السابق**، ص 13.وكذلك: Mouloud Gaid, **chronique des beys de Constantine**, office des publications universitaires, s.d, Alger, Algérie, p 16.

[5] - laugier de tassy, **Histoire du royaume d'Alger, un diplomate français à Alger en 1724**, Chez Henri du sauzet, Amsterdam, Holland, 1725, P 303.

[6] - محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، ط 2، تق وتح : محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 25.

الحرب الثالثة: وقعت سنة 1700م حيث قام الداي مصطفى بجمع انكشارية الجزائر وقصد بايلك الشرق لمحاربة الجيش التونسي بقيادة مراد باي الثالث[1](بوبالة)، دارت المعركة بين سطيف وقسنطينة[2]، استطاع انكشارية الجزائر الانتصار وقاربت خسائر الجيش التونسي ألفين رجل، وقد كانت هذه الهزيمة السبب المباشر لاغتيال مراد باي من طرف إبراهيم الشريف[3]سنة 1702م واستيلائه على منصب باي تونس[4].

الحرب الرابعة: وقعت بين الجيشين الجزائري والتونسي سنة 1705م بسبب امتناع تونس عن دفع الضريبة المفروضة عليها في الحرب السابقة، ما دعا بمصطفى داي التوجه إلى تونس بجيش كبير والتقى الجمعان قرب مدينة الكاف، حيث انتصر الجيش الجزائري وقُبض على الباي إبراهيم الشريف ثم سُجن، صالح التونسيون الداي مصطفى على أن يدفعوا له 150 بياستر مقابل عودته للجزائر، لكنه رفض وقرر التقدم نحو العاصمة رغبة في المزيد من الغنائم وحاصرها 40 يوما، لكن صلابة التونسيين وتخاذل الجيش الجزائري أدى الى هزيمته، ما دعاه إلى فك الحصار ورجوعه إلى الجزائر تاركا أسلحته الثقيلة، التي غنمها التونسيون وأجهز الاعراب على الكثير من أفراد الجيش الجزائري في طريق العودة،

---

[1] - مراد باي الثالث: ابن علي باي بن مراد باي الثاني، ثامن البايات المراديين وآخرهم، تولى الحكم بعد عمه رمضان باي في الفترة من 1699-1703م، كان سيء السيرة نهب الأموال وجاهر بالمعاصي وقتل الأنفس حتى سمي مراد بوبالة لكبر سيفه، قام بحملة على مدينة القيروان التاريخية وعاث فيها فسادا، كما غزا الجزائر واحتل مدينة قسنطينة سنة 1700م، مما جلب عليه سخط الداخل والخارج، فأوعز السلطان مصطفى الثاني إلى إبراهيم الشريف بقتله غيلة وقضى على ما تبقى من المراديين، واستولى على الحكم في تونس. ينظر: فؤاد صالح السيد، **أشهر الأحداث العالمية**، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015، ص 346.

[2] - شارل أندري جوليان، ج2، **المرجع السابق**، ص 370.

[3] - إبراهيم الشريف: آغا الصبايحية الأتراك في عهد مراد باي الثالث قام بالانقلاب عليه وقتله سنه 1702م، تولى منصب الباي عوضا عنه، واستبد بالسلطات الثلاث حتى نودي الباشا إبراهيم الشريف باي داي، سار في بداية حكمه سيرة حسنة لكن مافتئ أن ساءت سيرته بعد ذلك، كانت هزيمته في حربه مع الجزائر سببا في سجنه ثم قتله بعد عودته إلى تونس سنة 1705م، تولى الحكم بعده حسين بن علي وأسس الأسرة الحسينية.ينظر: محمود مقديش، **المصدر السابق**، مج2، ص ص 146-155. ينظر أيضا: محمد الهادي الشريف، **خلاصة تاريخ... المرجع السابق**، ص 146.وينظر أيضا: عادل بن يوسف، **الحرب الباشية الحسينية في تونس (1728-1756)**، مجلة ليدرز، العدد 48، ديسمبر2019، تونس، ص 61.

[4] - محمد بن ميمون الجزائري، **المصدر السابق**، ص 26. وكذلك: L.péchot, T3, **op.Cit**, p 98.

كما كان لانسحاب الشيخ بوعزيز بن نصر[1] الذي يصفه بيليسيPellissier[2] بسلطان الحنانشة بقواته عن الجيش الجزائري أثر كبير في هذه الهزيمة التي كانت سببا في قتل الداي مصطفى في قسنطينة[3].

الحرب الخامسة:

وقعت سنة 1807م في عهد حمودة باشا الحسيني وكان لمشاكل الحدود دور كبير في نشوبها، من قبيل استيلاء القوات البحرية الجزائرية على عدد من المراكب التونسية إضافة إلى قطعان من الماشية قرب قلعة سنان[4] سنة 1805م كتعويض عن الضريبة السنوية[5] التي رفض الباي الالتزام بها، جمع باي تونس لهذه الحملة قرابة 40 ألف من المخازنية والمزارقية وفرسان القبائل و17 ألفا من عسكر زواوة وجند الترك

[1] - هو شيخ قبيلة الحنانشة كان يحظى بمكانة الملوك في تلك الفترة حتى أن Pellissier يصفه بالسلطان، وشن عدة حروب على الأيالتين، ينظر:أحميدة عميراوي، **علاقات بايلك الشرق تونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ب.س، ص 26. وينظر أيضا: Edmond Pellissier de raynaud, **description de la régence de Tunis**, 1ér partie, Imprimerie Impériale, Paris, France, 1853, p 8.

[2] - Edmond Pellissier de Reynaud (1798-1858) : عسكري فرنسي عمل لاحقا في السلك الدبلوماسي حيث شغل منصب القنصل الفرنسي في سوسة من سنة 1843 إلى 1848.ينظر: Houda Baïr, **Les voyageurs-cartographes en Tunisie au XVIIIe et XIXe siècle**, revue Dynamiques environnementales, N° 39-40, Presses universitaires de Bordeaux, France, 2017, p58.

[3] - صالح عباد، **المرجع السابق**، ص 149.

[4] - تقع مدينة قلعة سنان بولاية الكاف في الشمال الغربي للبلاد التونسية على الحدود الجزائرية تحديدا، ينظر: موقع بلدية قلعة سنان الالكتروني، على الرابط التالي: http://www.commune-kalaatsenan.gov.tn/page_5.html اطلعت عليه بتاريخ: 25 سبتمبر 2021م، على الساعة 19.50.

[5] - كانت هذه الضريبة السنوية في فترة حمودة باشا تتمثل في: 250 جرة زيت و50 جرة من السمن و20 جرة من الصابون وهدايا لكبار المسؤولين الجزائريين مثل الشواشي والسروج المطرزة وشيلان (جمع شال) من الحرير الرفيع وعطر الورد وغيرها، ينظر: أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 166 167.

كانت هذه الضريبة تتغير بحسب الظروف السائدة بين الأيالتين، وخاصة حسب تقدير دايات الجزائر لها، فمثلا كانت في عهد علي باي والد حمودة باشا تتمثل في دفع مبلغ 750.000 ريال، ينظر: الشافعي درويش، **علي باي الحسيني التونسي1759-1782 (مواقف من سياسته)**، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد3، المركز الجامعي غليزان، الجزائر، جانفي 2021، ص 728.

والطبجية، وهو اكبر عدد يتم تجميعه خلال المواجهات بين الأيالتين[1]، وقد انتصر الجانب التونسي وفرّ اغلب الجنود الجزائريين وأُسر الباقون وتم تخييرهم بين الانضمام لجيش تونس أو العودة للجزائر واختار أكثرهم الخيار الثاني[2]، وترجع بعض المراجع هذا النصر إلى نجاعة نظام الجوسسة الذي استخدمه التونسيون وعاد بالنفع عليهم[3].

- الحرب السادسة (بحرية):

نشبت معركة بحرية بين الأسطولين التونسي والجزائري وكانت كرد فعل على هزيمة الجانب الجزائري في حرب سنة 1807م، حيث عمل الأسطول الجزائري بقيادة الرايس حميدو[4] على عرقلة التجارة البحرية التونسية وطفق يجوب البحر قبالة السواحل التونسية، فقرر حمودة باشا تسليح أسطوله البحري وأعطى أوامره بالتصدي لاستفزازات الأسطول الجزائري، وتقابل الطرفان في معركة بحرية في ماي 1811م قبالة مدينة سوسة على الساحل الشرقي لتونس، وكان الأسطول التونسي بقيادة الرايس محمد المورالي[5] يتكون من 12 بارجة بحرية، لكن رغم تفوقه العددي على أسطول أيالة الجزائر لكنه مني بهزيمة قاسية نجم عنها فقدان عدة بوارج حربية إضافة إلى الخسائر البشرية وأسر قائد الأسطول[6].

---

[1] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 68.وكذلك:

Mukaram Hhana, **Commandeering Empires Egypt, Tripoli, 1774-1835**, PhD Graduate of Philosophy, University of Pennsylvania, Philadelphia, USA, 2016, p p 178 179.

[2] - أحمد ابن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ج3، ص 50.وكذلك: Thomas Maggill, **op.Cit**, P 37.

[3] - كوثر العايب، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013/2012، ص 40.

[4] - ولد بمدينة الجزائر سنة 1770م بدأ حياته خياطا لكن شغفه بالعمل العسكري والجهاد جعله يقرر الانضمام إلى صفوف البحرية الجزائرية في سن مبكرة وبفضل كفاءته وشجاعته ترقى في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة رايس وذاع صيته في حوض البحر المتوسط بسبب انتصاراته الكثيرة، توفي سنة 1815م في معركة بحرية ضد الأسطول الأمريكي. ينظر: علي تابليت، **الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م**، منشورات ثالة، الجزائر، 2006، ص ص 3-18، 30.

[5] - محمد المورالي: أحد أشهر رياس البحر التونسيين ترجع أصوله إلى الموريسكيين القادمين من الأندلس، كان له دور بارز في تطور الأسطول البحري التونسي وقع أسيرا في الحرب التونسية الجزائرية التونسية سنة 1811م وأرسل إلى الجزائر حيث أُعدِم. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 51.

[6] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 289.

وكخلاصة لهذه الحروب الطويلة والمنهكة لقوات الأيالتين المتجاورتين، نجد أن التفوق العسكري للأيالة الجزائرية طغى على جل هذه الوقائع، ولذلك أسباب عديدة بشرية وعسكرية وغيرها، ولا أدل على هذا الادعاء ما قاله البارون ألفونص روسو في حولياته التونسية: «...وبدا واضحا أن قوة كهذه تكفي لصد، بل لإلحاق الهزيمة بالجزائريين، إذا ما أقدموا على اكتساح الأيالة التونسية، بيد أن هذه القوة لم تكن في الوقت نفسه تبعث على الثقة فيها، بالنظر إلى الجزع والخوف الذي كان قد انطبع في نفوس التونسيين عند مجرد التفوه باسم الجزائر»[1]، بل أن المؤرخ التونسي لطفي عيسى يذهب أبعد من ذلك بوصف هذا التفوق الجزائري بأسطورة الغلبة المطلقة للوجق الجزائري أو ما يسميه بالعقدة تجاه أمحال الغرابة[2]، لكن المؤرخ لطفي بوعلي يرى أن كل هذه المواجهات العنيفة بين الأيالتين بغض النظر عن نتائجها، فإنها أدت إلى تعميق وعي التونسيين بالانتماء إلى مجال مغاير لمجال الجزائريين، كما أدت إلى تشكل مجال أيالة تونس المتميز جغرافيا وبشريا[3].

ب– مساندة الجيش العثماني:

شهدت أيالة تونس شكلا من أشكال الاستقلال الداخلي عن الدولة العثمانية في مرحلة حكم البايات، لكن رغم ذلك فان ارتباطها العسكري بها ظل مستمرا خاصة وقت الحروب الخارجية والثورات الداخلية للسلطنة التي زادت خلال القرن 19م، وصف روبرت مانتران هذه العلاقة بقوله:« إن العلاقات التي ربطت تونس بالدولة العثمانية كانت قائمة على توازن دقيق يجمع بين تجليات التبعية (طلب التكليف، الحفاظ على العلاقات الخارجية للسيادة العثمانية، إرسال الهدايا، مساعدة الدولة العثمانية عند الحاجة) مقابل قبول الباب العالي استقلال الأيالة التام»[4].

---

[1] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 260.

[2] - لطفي عيسى، **مدخل لدراسة الذهنية المغاربية خلال القرن 17م**، دار سراس للنشر، تونس، 1994، ص 59.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 66.

[4] - روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج1، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993، ص 630.

كانت الأيالة في حالة الحرب ترسل قواتها البرية أو البحرية للانضمام للقوات العثمانية والانضواء تحت لوائها وتحت إمرة القيادة العسكرية المباشرة لها[1]، ويرى المؤرخ خليفة الشاطر أن الظروف الدولية هي التي رسمت ملامح العلاقة بين الدولة العثمانية وتونس بأن يحافظا على علاقات التضامن والالتحام بينهما[2] وتتمثل هذه المساندة في المظاهر التالية:

١ – الحروب:

شارك الجيش التونسي في عدة حروب دعما للجيش العثماني ضد الجيوش الأوربية، منها:

–الحروب العثمانية الروسية: حدثت الحرب الأولى سنة 1185هـ/ 1771م حيث أرسل علي باي 5 مراكب حربية جهزها بالرجال والذخائر للدولة العلية، غير أن تلك السفن لم تشارك في القتال، بسبب عدم تمكنها من دخول مضيق الدردنيل[3]، أما في الحرب الثانية للدولة العثمانية مع روسيا سنة 1293هـ/1877م فقد قدمت الأيالة مساعدة مالية [4].

– حرب القرم:

وقعت هذه الحرب بين سنتي 1853–1856م في شبه جزيرة القرم[5]، بين الدولة العثمانية وحليفتيها فرنسا وبريطانيا من جهة، وبين روسيا القيصرية وحليفتها النمسا من جهة أخرى[6]، وساهمت الأيالة

---

[1] - محمد عصفور سلمان، **الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوربي منها**، مجلة ديالى، العدد 56، العراق، 2012، ص 3.

[2] - خليفة الشاطر، **البلاد التونسية والدولة العثمانية**، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الرابعة، العدد 41، دار السياسة للصحافة والنشر، بيروت، لبنان، مارس 1982، ص 82.

[3] - محمد الهادي الشريف، **خلاصة تاريخ،المرجع السابق**، ص 155. وكذلك: الشافعي درويش، **علي باي الحسيني**، **المرجع السابق**، ص 730.

[4] - انظر تفصيل هذه المساعدة في الملحق رقم 6 .

[5] - هي شبه الجزيرة اوكرانية ذات طابع جبلي تتصل ببقية أوكرانيا عن طريق شريط ضيق من الارض في شمال القرم .وإلى الشرق يفصلها عن روسيا مضيق كيرش، وتبلغ مساحتها 27 ألف كم²، تتمتع بالحكم الذاتي وعاصمتها مدينة سيمفروبول، كانت من ممتلكات الدولة العثمانية الى غاية نهاية القرن 18م، ضمتها روسيا لاراضيها سنة 2014م. ينظر: منير البويطي، **ماهي شبه جزيرة القرم ومأأهميتها؟**، موقع شبكة رويترز، على الرابط التالي: https://www.reuters.com/article/، اطلعت عليه في 15 اكتوبر 2021، على الساعة 18.45

[6] - عبد الرؤوف سنو، **العلاقات الروسية العثمانية: حرب القرم ممهداتها وتطوراتها ونتائجها (1853-1856)**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان 77-78، بيروت، لبنان، 1985، ص ص 11-13.

بحوالي 14 ألف مقاتل[1]، ويفصّل ابن أبي الضياف هذه المساهمة بقوله: « وقُدر العسكر نحو الأربعة عشر ألف مقاتل، مابين طبجية ورجال وفرسان وبحرية، حملهم في مراكبه الحربية وكانت سبعة، واكترى لبقيتهم خمسة وستين مركبا، وأمّر على الجميع أمير الأمراء أبا محمد رشيد[2] (أمير عسكر الساحل)[3]. »

أبحرت هذه القوات من ميناء حلق الوادي يوم 20 جويلية 1854م نحو اسطنبول التي وصلتها يوم 14 سبتمبر 1854م عند اشتداد الحرب[4]، وكان الهدف الأساسي لأحمد باي من هذه المشاركة استعراض جيشه الجديد أمام الفرنسيين[5]، وإبراز قوّته وقدرته على الدفاع عن البلاد في حال تمادت أطماع فرنسا وأرادت احتلال تونس كما فعلت مع الجزائر سنة 1830م[6]، وعند تولي محمد باي الحكم سنة 1855م قام بإرسال 1800

---

[1] - إسماعيل بك سهرنك، ج1، **المصدر السابق**، ص 432. وكذلك: صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 166. وكذلك: palotas zsolt, **op.Cit**, p 49.، يذكر حمادي دالي أن هذا العدد هو الذي كان الباي يخطط لإرساله لكنه لم يوفق في ذلك لعدة أسباب وان العدد الإجمالي للبعثة التونسية إلى حرب القرم هو 9503 جندي. ينظر: حمادي دالي، **عساكر الساحل والمشاركة التونسية في حرب القرم 1856م-1856م: القرار السياسي وتداعياته على الأجهزة العسكرية**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد 4، تونس، جوان 2014، ص 30. وتشير مراجع أخرى أنّ العدد هو 12 ألف رجل فقط. ينظر: Alphonse O'Kelly, **Études politiques sur le royaume de Tunis, imprimerie du journal le cosmopolite**, Bruxelles, Belgique, 1871, p 54. وتذكر مراجع أخرى أن العدد 15 ألف جندي. ينظر: عبد الحفيظ الهرقام وخالد الشابّي، **فرمان يثمّن مشاركة الجيش التونسي في حرب** القرم، مجلة ليدرز، العدد 24، تونس، ديسمبر 2017، ص 26. بينما يذكر الهادي التيمومي أن العدد حوالي 8000 جندي فقط، ينظر: الهادي الهادي التيمومي، **تونس والتحديث، المرجع السابق**، ص 111.ويفصل Paul-Henri-Benjamin المساعدة التونسية كمايلي: أرسل احمد باي 8381 رجلا و1000 حصان وبعض المدافع، وبعد تولي محمد باي في 1855م أرسل 1793 رجلا موزعين كمايلي: 900 جندي مشاة، 688 فرسان خيالة، 205 من سلاح المدفعية.ينظر: Paul-Henri-Benjamin, **La politique française en Tunisie : le protectorat et ses origines (1854-1891)**, Librairie Plon, Paris, France, 1891, p 17.

[2] - يقصد الجنرال رشيد (توفي سنة 1867م) قال عنه ابن أبي لضياف أن أصله مملوك من جورجيا، كان من مماليك سليمان كاهية وتربى في كنفه، ولما بلغ مبلغ الرجال انضم إلى الجندية ضمن الجيش الجديد الذي أنشأه أحمد باي، ثم ترقى إلى أن وصل إلى أعلى المراتب وهي رتبة جنرال، وكان من رجال الإصلاح في تونس. ينظر: الشيباني بنبلغيث، **رحلة الجنرال رشيد إلى الجزائر 1847**، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2007، ص ص 11-14. وكذلك: لطفي بوعلي، **المدرسة الحربية بباردو ودورها التنويري الرائد**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد7، وزارة الدفاع التونسية، تونس، 2017، ص 17.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 157.

[4] - نفسه، ص 162.

[5] - انظر صورة لجنود البعثة وقادتهم في الملحق رقم 7 ص 315**.**

[6] - عبد الحفيظ الهرقام وخالد الشابّي، **المرجع السابق**، ص 26.

جندي إضافي[1]، وكانت نتائج الحرب وخيمة على الجيش التونسي، حيث قتل 4500 في المعارك و4000 بالكوليرا، ولم يعد إلى ميناء خلق الوادي سوى 1500 جلهم مرضى، أما بقية العدد فإنهم آثروا البقاء في الأناضول، ورغم كل هذه التضحيات والخسائر فإن العثمانيين لم ينظروا لهذا الجيش كحليف، بل على العكس تمت معاملة الجنود التونسيين بازدراء ودونية[2].

٢ – الحملات العسكرية:

شارك الجيش التونسي في الحملات العثمانية التالية:

- الحملة على طرابلس سنة 1745م[3].
- الحملة على جزيرة كريت سنة 1810م[4].

– الحملة على النمسا سنة 1130هـ/1718م حيث طلبت الدولة العثمانية من تونس إرسال 5 قاليونات[5] للمساهمة في هذه الحملة[6].

٣ – إخماد الثورات الداخلية للدولة العثمانية (ثورة اليونان انموذجا):

جهز حسين باي أسطولا بحريا لإعانة الدولة العثمانية في إخماد ثورة اليونان[7] سنة 1826م[8].

---

[1] - Alexander Meyrick Broadley, **The Last Punic War Tunis, Past and Present with a Narrative of the French Conquest of the Regency**, Vol 1, William Blackwood and sons, Edinburgh and London, UK, 1882, p 108.

[2] - Arnoulet François, **Les rapports tuniso-ottomans de 1848 à 1881 d'après les documents diplomatiques**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°47, Aix-en-Provence, France, 1988, p 146.

[3] - رقية شارف، **تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية في الفترة الحديثة**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد13، الجزائر، 2011، ص 139.

[4] - نفسه، ص 139.

[5] - القاليونة: سفينة كبيرة ذات أشرعة هوائية لها أنواع عديدة مثل القراقة والبارجة، وقد كان الجدافون الأسرى يقومون بدفعها، وتمّ استعمالها بكثرة قبل اكتشاف السفن البخارية. ينظر: جودت شريف، **تاريخ جودت شريف**، مطبعة جريدة بيروت، بيروت، لبنان، 1308هـ، ص 143.وينظر أيضا: خير الدين برباروس، **المرجع السابق**، ص 32.(التهميش الموسوم*)

[6] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 335.

[7] - ثورة اليونان: اندلعت ضد الحكم العثماني، بدأ نشاطها خارج اليونان عن طريق جمعيات سرية، أول من تزعمها هو الكسندر يبسيلانتيس الذي كان موظفا في روسيا، قام بتجنيد اليونانيين من كل فئات المجتمع معتمدا على مساعدة روسيا، اندلعت الثورة في ربيع 1821م، وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية اليونانيين في كسب عدة انتصارات على القوات العثمانية التي تعددت ضدها الانتفاضات في البلقان، شهدت الثورة تقلبات عديدة ومعقدة وتدخلات أجنبية بدوافع سياسية ودينية، خاصة من روسيا في المرحلة الأولى ثم بريطانيا وفرنسا لاحقا، وانتهت الثورة بقيام دولة يونانية ملكية تضم ثلث اليونانيين الذين كانوا ضمن ممتلكات الدولة العثمانية. ينظر:تشارلز ييلافيتش وبربارا ييلافيتش، **تفكيك أوربا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية) 1804-1920**، تر: عاصم الدسوقي، دار العالم الثالث، القاهرة، مصر، 2007، ص ص 51-63.

[8] - خليفة الشاطر، **المرجع السابق**، ص 86.

وتشكل هذا الأسطول البحري من 9 مراكب مجهزة[1]، إضافة إلى إرسال فرقاطتين[2] تم تصنيعهما في مرسيليا لصالح الأيالة مباشرة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط للمساعدة في إخماد ثورة اليونان[3]، أما في ثورة البلقان سنة 1877م فقد طلب السلطان مساعدة عسكرية من تونس، لكن ظروف الأيالة الصعبة بسبب الأزمة المالية الخانقة وأوضاع الجيش المتردية حالتا دون تلبية طلب السلطان، ولم تقدم سوى مبلغ مالي قدره 140 ألف فرنك و700 بغل و400 حصان[4].

٤- المعارك:

-معركة نافارين: وقعت هذه المعركة البحرية سنة 1827م بين الأسطول العثماني مدعوما بأساطيل أيالات: مصر، الجزائر، تونس وطرابلس، والتحالف الأوربي المشكل من روسيا وفرنسا وبريطانيا[5]، وتمثلت مشاركة الجيش التونسي في عدد من القطع البحرية تحطمت جميعها بعد هزيمة الأسطول العثماني وحلفائه، فيما عدا سفينة قلعية ومركب واحد من ذوات الصواري، ما أثار غضبا وحزنا شديدين في أوساط الرعية[6].

٥ - العمليات الاستطلاعية:

كان الأسطول العثماني كثيرا ما يقوم بعمليات استطلاعية في البحر المتوسط للجهاد البحري والبحث عن الغنائم، ومن بينها خرجة استطلاعية سنة1100هـ/1688م حيث طالبت الدولة العثمانية من كل الأوجاقات (الأيالات) المشاركة فيها، وبعد نجاح المهمة أرسل السلطان لأمراء البحر المشاركين فيها الخلع والمكافآت[7].

---

[1] - رقية شارف، **المرجع السابق**، ص139.

[2] - الفرقاطة: مفردة فرنسية الأصل وهي نوع من السفن الحربية تضم من 10 إلى 17 مقعدا وكل مجذاف فيها يقوم على تحريكه رجلين أو ثلاثة. ينظر: محمد بيرم الخامس، **المصدر السابق**، ص 654. وينظر أيضا: جودت شريف، **المصدر السابق**، ص ص 143 144.

[3] - احمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 158. وكذلك: الفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 342.

[4] - Arnoulet François, **op.Cit**, p 148.

[5] - ناصر الدين سعيدوني، **معركة نافرين 1827**، مجلة الدراسات التاريخية، مج 4، العدد6، جامعة الجزائر، الجزائر، 1992، ص 91.

[6] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 352.

[7] - عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 315.

٦ – التدخل في شؤون ولاية طرابلس:

كانت العلاقة بين أيالة تونس والجارة الغربية الجزائر في حالة صراع وتوتر دائمين، وعلى النقيض كانت العلاقة مع الجارة الشرقية طرابلس في حالة سلام واتفاق، ومرد ذلك الى قبول حكام طرابلس للتدخل التونسي في شؤون ايالتهم في عديد المرات منها:

– تدخل حمودة باشا الحسيني سنة 1795م للقضاء على المتمرد علي برغل[1] الذي استولى على الحكم في طرابلس، حيث نجحت محلة الباي في إعادة حكم الأسرة القرمانلية وبسط الأمن والسلام في ربوع الأيالة[2].

– استنجاد أعيان طرابلس بحسين باي سنة 1250هـ/ أكتوبر 1834م من اجل التدخل وإنهاء حكم علي باي بن يوسف القرمانلي، الذي أرغم أباه على خلع نفسه وتقديمه لحكم طرابلس، لكن حسين باي اكتفى –بعد استشارة كبار دولته– بإرسال مكتوب للدولة العلية يقترح فيها ضم طرابلس لولاية تونس[3].

٧– استرجاع جزيرة جربة:

آلت السيطرة على الجزيرة إلى أيالة طرابلس بقيادة درغوث باشا في جوان 1560م[4]، وبعد استقرار الحكم في أيالة تونس بيد الدايات عملوا بجد على استعادة المجال الترابي الذي تعتبر جزيرة جربة من أهم ركائزه، فقام عثمان داي بالمحاولة الأولى سنة 1605م، لكن المحاولة الثانية سنة 1610م بأمر من يوسف داي هي التي حققت الانجاز المطلوب، حيث قام الجنود التونسيون بإبادة الحامية الطرابلسية وذلك بمساعدة أهالي جربة، الذين فضلوا الانضمام لأيالة تونس، بحكم الروابط التاريخية القديمة بين الجزيرة والبر التونسي، إضافة إلى الاضطرابات الكثيرة التي شهدتها الجزيرة تحت حكم أيالة طرابلس الذي دام 50 سنة[5].

---

[1] - علي برغل: انكشاري أصله من جورجيا، حكم طرابس بعد الانقلاب على الحكم القرمانيلية سنة 1796م، عندما كانت الدولة تعيش حالة من الضعف والتدهور الاقتصادي الشديد، وتمت مناداته باشا طرابس واستمرت فترة حكمه أقل من عامين، ثم قام أهالي طرابلس بالانقلاب عليه بسبب سوء سيرته واسرافه في القتل والتنكيل بالاهالي. ينظر: شارل فيرو، **المرجع السابق**، ص 366. وينظر أيضا:عادل محمد عثمان، **استيلاء علي برغل على إيالة طرابلس الغرب 29 يوليو 1793- 19 يناير 1795**، حوليات جامعة عين شمس، مج44، القاهرة، مصر، ديسمبر 2016، ص ص 527-531.

[2] - شارل فيرو، **المرجع السابق**، ص ص 366 367.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 191.وكذلك: عبد الجليل التميمي، **مسألة إلحاق طرابلس الغرب إلى تونس**، المجلة التاريخية المغربية، العدد4، جويلية 1975، ص ص 138 139. وكذلك: المنصف التايب، **المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني**، مجلة روافد، العدد4، جامعة منوبة، تونس، 2018، ص 13.

[4] - شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي**، ط3، تر وتح: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1994، ص 124. وكذلك: محمد المريمي، **المرجع السابق**، ص 188.

[5] - المنصف التايب، **المرجع السابق**، ص 12.

سادسا– أقسام الجيش والصناعة الحربية:

1– أقسام الجيش:

تشكل الجيش النظامي من 4 أقسام شملتها عملية التحديث والتجديد، وهي: المشاة، الخيالة، المدفعية، والهندسة والنقل، وتم وضع الآلاي[1] كأساس للتنظيم العسكري الذي قد يصل تعداده إلى 4 آلاف جندي[2]، حيث يحل المجندون المحليون محل المجندين الاجانب[3]، وتشكل الجيش النظامي من الأقسام التالية:

أ– المشاة:

تم تشكيل 7 أفواج للمشاة تضم جميعها 3 آلاف رجل، مقسمين على ثلاث كتائب وكل كتيبة مقسمة إلى 8 مجموعات أو فرق[4]، وقد كانت في البداية 5 آلايات موزعة على المدن الهامة ومرتبة على حسب المدن التالية: تونس، سوسة، المنستير، القيروان، وغار الملح[5] ثم زاد العدد لاحقا إلى 7 آلايات[6]، بينما يذكر عبد الحميد هنية أن عدد هذه الآلايات 6 فقط، وهي المذكورة سابقا باستثناء آلاي غار الملح وآلايين في المحمدية[7]، وقد بنى المشير أحمد باي لهذه الأفواج عددا من القشلات في باردو وغار الملح، كما بنى قشلات في مدن أخرى كالقيروان والمنستير[8]، وقد كان العدد الإجمالي لجنود المشاة في عهد أحمد باي 19266 رجل من بينهم 366 ضابطا والباقي جنود[9].

---

[1] - معناه موكب السلطان، وفي الأصل هو مفرزة عسكرية مابين الكتيبة واللواء، وقد عُدَّ الآلاي الواحد يساوي ثلاث كتائب، وكل كتيبة تتكون من ثمانية أفواج، وكل خمسة أفواج يؤلفون ألاي، أما سلاح المدفعية فكل ستة بطاريات تؤلف آلاي.ينظر:محمود عامر، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، جانفي-جوان 2012، ص 363.وينظر أيضا: إحسان ذنون الثامري وآخرون، **أحكام متعلقة بالولايات العربية من دفتري المهمة العثمانيين رقم 3 ورقم 4 (967-968هـ/1559-1561م)**، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2017، ص 81.

[2] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 97.

[3] - Mohamed Lessir, **Consuls et consulats de tunisie au xixe siecle**, Institut Tunisien des Etudes stratégiques, Tunis, Tunisie, s.d, p 1.

[4] - Jean Ganiage,**les origines …op.Cit.** p 78.

[5] - غار الملح: انظر مادته وتفصيله في الفصل الثاني، ص 202.

[6] -الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش، المرجع السابق**، ص 200. وكذلك: Jean Ganiage, **La population de…op.Cit**, p 872.

[7] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 207.

[8] -الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 51. وكذلك: أحمد الشرقاوي وآخرون، **المرجع السابق**، ص 409.

[9] - Jean Ganiage, **les origines … op.Cit.** p 79.

ب– الخيالة (les cavaliers):

لم تكن هذه الفرقة موجودة قبل 1839م حيث قام المشير أحمد باي بتشكيلها من ألف فارس، وجعل مقر إقامتهم في ناحية منوبة، وعيّن ضابطا برتبة أميرآلاي[1] قائدا عليهم[2]، وكان يقوم بالإشراف عليهم 34 ضابطا[3]، يقول ابن أبي الضياف في ذلك: « وفي هذه السنة 1255هـ/1839م جعل الباي عسكر الخيالة، وهو في غنية عنه، وأسكنهم البرج الكبير بمنوبة وقال:لَأنْ يكون رباط عسكر أحسن من بقائه قصر نزهة، وهو يسع العسكر وضباطهم وخيولهم»[4]، أما عن كيفية اختيارهم فيضيف: « وصورة جمعه لهذا العسكر انه أمر بتسريط (مرور) الفرسان على العادة، وقعد المقعد الخاص لذلك، فانتخب حال مرورهم عليه جمعا من حوانب الترك ومماليك السقيفة وصبايحية الترك، ولم يأخذ أحدا من حوانب العرب ولا من الصبايحية»[5]، وقد وصل عدد الخيالة سنة 1846م في عهد المشير أحمد باي 1034 جنديا، يشكلون آلايا واحدا، وكانت وظيفتهم الأساسية حراسة الباي[6].

جـ–المدفعية (l'Artillerie):

كان جنود سلاح المدفعية يسمون الطوبجية[7] وتأسست قشلتهم سنة 1844م خارج مدينة تونس، على أنقاض احد القصور المخصصة لاستراحة البايات، وتشكلت النواة الأولى لهذه الفرقة من 4000 جندي بكل عدتهم وأسلحتهم، وقد أولى المشير احمد باي عناية خاصة بسلاح المدفعية،

---

[1] - أميرآلاي: تعادل رتبة Colonel في سلم الرتب العسكرية الحالية، وهي مفردة من جزأين أمير وهي كلمة عربية وآلاي كلمة تركية بمعنى فيلق، ينظر: محمد محفوظ، **المرجع السابق**، ص 54. وكذلك:

Marius Bernard, **Les Côtes Barbaresques De Tripoli à Tunis**, Librairie Renouard, Paris, France, s.d, p 349.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش النظامي التونسي... المرجع السابق**، ص 200. وكذلك:

Mohamed Jouili, **Khérédine Pacha**, Centre culturel du livre, 1ér éd, Casablanca, Maroc, 2019, p 21.

[3]- Jean Ganiage, **op.Cit.** p 79

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، ج2 ، **المصدر السابق**، ص 30.

[5] - نفسه، ص 30.وكذلك: Habib boulares, **op.Cit**, p 434.

[6] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية** ، **المرجع السابق**، ص 207.

[7] - الطبجية: مفردة تركية مشتقة من كلمة طوب بمعنى المدفع، وأداة النسب التركية إلى الصنعة (جي) والطوبجي وهو المدفعي. ينظر:عبد الرحمان الجبرتي، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.س، ص 54. ينظر أيضا: Chsamy beyfrascgery, **Dictionnaire Français-Turc**, Imprimerie Mihran, Constantinpole, Turkey, 1911, p 1355.

وأسس مصنعا لصناعة مستلزمات سلاح المدفعية كالمقذوفات والمراجل وغيرها[1]، وقد بلغ عددهم 5856 جنديا في عهد الإصلاح سنة 1846م مقسمين إلى آلايين اثنين[2].

د- الأسطول البحري:

لم يحظ الأسطول الحربي البحري في تونس في بداية الحكم العثماني بذات الأهمية التي كانت للجيش البري، بالنظر إلى اعتماد الأيالة على المداخيل الناجمة عن الجباية الضريبية للسكان وللمنتوجات الزراعية المختلفة، لكن مع تولّي عثمان داي الحكم اهتم بالأسطول البحري وهو أول من أمر بالجهاد البحري أو القرصنة بالمفهوم الأوربي[3]، يقول ابن أبي الضياف: « وهو أول من اتخذ الأساطيل والسفن الكبار، للغزو في البحر، ورزق السعادة في ذلك، وامتلأت أيديه بالمغانم »[4]، لكن الدور الأكبر في تطوير الأسطول البحري والعناية به كان للمشير أحمد باي كما سيرد الحديث عنه لاحقا، أما عن مهامه في زمن التحديث العسكري فكانت حماية الثغور البحرية للأيالة إضافة إلى المشاركة في بعض الأمحال، مثل محلة سنة 1840م بقيادة الباي والتي استمرت من 7 ماي الى 26 أوت 1840م[5].

2- الصناعة الحربية:

كان للإصلاحات المتعددة التي مست كل أركان الجيش في تونس دور كبير في ظهور الصناعة الحربية، التي كان الهدف من قيامها تلبية احتياجات الجيش الحربية، وكان للبايات الحسينيين الفضل الأوفر في تشجيع هذه الصناعة والاهتمام بها ولعل أبرز هؤلاء البايات: حمودة باشا والمشير أحمد باي.

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 30.وكذلك: الشيباني بنبلغيث، **المرجع السابق**، ص 50. انظر كذلك صورا لسلاح المدفعية في الملحق رقم 8.

[2] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية** ، **المرجع السابق**، ص 207.

[3] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 155. وكذلك: عامر شرقي وفاطمة درعي، **إحسانات بايات تونس لافتداء الأسرى المغاربة في النصف الأخير من القرن 18م من خلال الدفاتر الجبائية بالأرشيف الوطني التونسي**، مج 11، العدد 3، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2020، ص 15.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق**، ص 29.

[5] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري**، **المرجع السابق**، ص 37.وكذلك: Mohammed el Hadi Chérif, **Les mouvements paysans dans la Tunisie du XIXe siècle**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°30, Aix-en-Provence, France, 1980. P 27.

أ–انجازات حمودة باشا الحسيني:

قام حمودة باشا بإنشاء ثلاثة مصانع حربية اعتبرها مبعوث الدولة العثمانية لتونس سنة 1815م أعظم الانجازات العسكرية في الأيالة[1]، وهي:

١– مصنع البارود: أسس الباي هذا المصنع في القصبة ويعتمد في عملية الإنتاج على ملح البارود، هذه المادة التي تتوفر بكثرة في البلاد التونسية، وقد وصلت كمية الإنتاج فيه بعد 3 سنوات إلى 200 قنطار من البارود سنويا، لكن رغم هذه الوفرة كانت جودته أقل مما هو عليه في أوربا[2].

٢– صناعة المدافع وقذائفها: أنشأ حمودة باشا مصنعا لصناعة المدافع بمنطقة الحفصية القريبة من تونس[3]، الذي سماه ابن أبي الضياف "دار عمل المدافع"[4]، وكان الباي يتردد على المصنع بين الحين والآخر تشجيعا للعمال، وخوفا من تعطل الإنتاج، وأثمرت جهود الباي حيث وصل إنتاج المصنع إلى قرابة 100 مدفع صنعت من مادة النحاس[5]، لكن حمودة باشا لم يكن راضيا عن وتيرة العمل والإنتاج في المصنع، وأرسل طلبا إلى الحكومة الفرنسية يتضمن رغبته في شراء كمية من المعدات والآلات، لإنشاء مسبك جديد لصناعة كمية اكبر من المدافع[6]، ويذكر Grenville الذي قام برحلة إلى تونس سنة 1830م أن المصنع كان تحت إدارة رجل فرنسي، كان يحظى بثقة الباي في تسيير وحماية المصنع[7]، في إطار التعاون بين البلدين والذي شمل كل الشؤون العسكرية، أما مسبكة القذائف المدفعية فمقرها في القصبة حسب وصف الدكتور اويس فرانك Louis Frank لمدينة تونس[8].

---

[1] - رشاد الإمام، **المرجع السابق**، ص 221.

[2] - نفسه، ص 223.

[3] - محمد بن عثمان السنوسي، ج1، **المصدر السابق**، ص 119.وكذلك: Le Comte Filippi, **op.Cit**, p 233.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج7، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1999، ص 165. وكذلك: مختار الفرحاني، **الصناعات الحربية والعسكرية بالإيالة التونسية خلال الفترة الحسينية**، مجلة الدفاع، العدد 60، وزارة الدفاع الوطني، تونس، فيفري 2013، ص 25.

[5] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 39.

[6] - رشاد الإمام، **المرجع السابق**، ص226.

[7] - Grenville T. Temple, T1, **op.Cit**, p 248.

[8] - Louis Frank, **op.Cit**, p 10.

إن عملية صناعة المدافع تتم على ثلاث مراحل هي: الصب والتفريغ والصقل، في المرحلة الأولى يقوم العمال بتحضير قالب المدفع وتقويته بصفائح حديدية ثم تنظيفه، أما المرحلة الثانية يوضع حديد من عيار معين داخل القالب، بحيث يكون فراغا بين العمود والقالب ويملأ بالمعدن المنصهر، أما المرحلة الأخيرة فيتم فيها صقل المدفع داخل الآلة وتنظيفه من الشوائب العالقة به ويصبح جاهزا للاستعمال[1].

٣– صناعة السفن الحربية:

أبدى حمودة باشا اهتماما كبيرا بمجال صناعة السفن، وذلك في إطار ما شهده عهده بالتنافس الكبير بين أيالتي تونس والجزائر، وكانت تحدوه إرادة قوية لفك التبعية لأيالة الجزائر المجاورة والوقوف بندية أمامها خاصة في المجال العسكري، ومن هذا المنطلق شرع في بناء دار لصناعة السفن الحربية في منطقة غار الملح، لكن لم يلبث طويلا وقام بتغيير مكان هذه الدار سنة 1794م إلى حلق الوادي بسبب بُعد غار الملح عن مدينة تونس، إضافة إلى ضيق المكان المخصص لها[2].

ساهمت هذه الدار في زيادة عدد السفن الحربية في تونس مما جعل أسطولها البحري يتفوق على أسطول أيالة الجزائر المجاورة[3]، وكان للعلاقات الحسنة بين تونس وفرنسا دور مهم في انتعاش هذه الصناعة، بفضل تزويد الفرنسيين أيالة تونس بما تحتاجه من آلات وقطع غيار حديثة، ويتجلى ذلك من خلال رسائل الحكومة التونسية إلى نظيرتها الفرنسية[4]، عن طريق قناصلها الدائمين بباربس الذين كان لهم دور مهم في تميز هذه العلاقات بين البلدين[5]، ومن قبيل ذلك رسالة مصطفى خوجة الذي كان يشغل منصب الوزير الأول إلى الحكومة الفرنسية بتاريخ 15 سبتمبر 1791م يطلب فيها بعض الآلات الحديثة لبناء سفن حربية عصرية[6].

---

[1] - مختار الفرحاني، **الصناعة الحربية، المرجع السابق**، ص 25.

[2] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 156.

[3] - لوسيت فالنسي، **المرجع السابق**، ص 78.

[4] - Eugéne plantet, **Correspondance des beys de Tunis 1770 1830**, T3, Felix alcan Editeur, Paris, France, 1899, p 197.

[5] - Eloy Martín Corrales, **Muslims in Spain, 1492–1814,** vol 3**,** Tra: Consuelo López-Morillas, Koninklijke Brill NV, Leiden, Netherlands, 2021, p p 43 44.

[6] - Eugéne plantet, T3, **op.Cit**, p 197.

ب- انجازات أحمد باي:

يعتبر المشير[1] أحمد باي رائد الإصلاح في المجال العسكري في تاريخ تونس الحديث، فقد نشأ منذ صغره على الحياة العسكرية، وشهد عصره انجازات عديدة في مجال الصناعة الحربية نكتفي بذكر أبرزها وأكثرها تأثيرا في تحديث الجيش التونسي.

١- مصنع النسيج (دار الملْف):

تأسست هذه الدار سنة 1260هـ/1844م في منطقة طبربة[2] على يد أحد أشهر البنائين التونسيين يدعى أبو عبد الله محمد بن عياد، بالقرب من قنطرة محمد باي المرادي، وكان يتم تحريك الآلات باستعمال المياه المنهمرة من وادي مجردة، وهو من المصانع الحربية على الطراز الأوربي التي لم يكن لسكان الأيالة سابق عهد بها[3]، وقام بتشغيل هذا المعمل الذي أسماه ابن أبي الضياف " أعجوبة دار الملف " 438 عاملا (10 فنيين أوربيين و28 عاملا فرنسيا و400 عامل تونسي)[4].

وصل إنتاج هذا المصنع إلى ما يزيد عن 500 قطعة شهريا، واكتسى من منتوجاته جميع الجنود التابعين للجيش النظامي، إضافة إلى عسكر زواوة والصبايحية والحوانب[5]، وأرّخ الشيخ أبو عبد الله محمد بيرم لهذه الصناعة بقصيدة مطولة جاء فيها:[6]

يباشر من فيها الصناعة وادعا *** ويلقي بها الراحات قد طاب وردها

---

[1] - رتبة عسكرية تعادل رتبة مارشال في الرتب العسكرية للجيوش الأوربية، أول من تسمى بهذه الرتبة احمد باي سنة 1840م، وقد سبقه والي طرابلس أحمد باشا القرمانلي في الحصول عليها. ينظر: الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 51. وينظر أيضا:

Robert Mantran, **l'evalution des… op.Cit**, p 57.

[2] - طبربة: مدينة على الضفة الشمالية لوادي مجردة على بعد 30 كم غربي مدينة تونس تابعة لولاية منوبة، تعاقبت عليها عدة حضارات كالبونية والرومانية والأندلسية والعثمانية، حيث يشكل غالبية سكانها من أحفاد الأندلسيين الذين استقروا بتونس، ينظر:الموقع الرسمي لبلدية طبربة، على الرابط التالي: http://www.commune-tebourba.gov.tn/article1.php?topic=6، اطلعت عليه بتاريخ 5 أوت 2021م على الساعة 18.05، وقد وقفت على بعض هذه الآثار أثناء رحلتي إلى تونس في أوت 2015م.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 77.

[4] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث**، المرجع **السابق**، ص 84.

[5] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 225.

[6] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 77.

اذا تعب الافكار أنتج خصلـــــة *** تباعد عن سمت الجوارح كدها

هـو السيد المشير الـــذي غـــــدا *** له سطوة في الغيل تخشاه أسدها

فجئت به مع وصف حال مؤرخـا *** مصانع مافوق البسيطة ندها

٢- مصنع الأسلحة:

بني هذا المصنع بثكنة سيدي إسماعيل في مدينة تونس، وكان يشرف على تسييره ضابط فرنسي بمساعدة مختصين من دول أوربية في صناعة الأسلحة، من قبيل البنادق والمسدسات والسيوف والحراب والفؤوس والرماح وكانت جميعها مصنوعة وفق النموذج الفرنسي[1].

[1] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 228.

سابعا – التحصينات العسكرية:

تتمثلت التحصينات العسكرية في الأبراج والقلاع والحصون وغيرها، وشهدت الأيالة خلال تاريخها الحديث جملة من التحصينات لازال بعضها شاهدا للعيان ليومنا هذا، وشملت المناطق الساحلية الهامة على وجه الخصوص مثل بنزرت وطبرقة[1] وسوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وجربة[2].

أما فيما يتعلق بالمناطق الدّاخلية، فقد حصنت المدن الكبرى مثل باجة والقيروان وقفصة، وفي هذا المجال أولت السلطة التّركية مدينة الكاف عناية خاصّة، فقد أوكلت إليها مهمّة التصدّي لهجمات عساكر الجزائر، وأنشأت بها حصنين، الأول وهو الصّغير في بداية عهد الدايات سنة 1601م والثاني سنة 1675م[3].

1– الأبراج:

هي الأبنية التي تمثل مراكز لجنود الحراسة الذين يتوزعون عبر المدن الساحلية والداخلية من الشمال إلى الجنوب وقد بلغ عددها في عهد محمد الصادق باي حوالي 117 برجا[4]، من أهمها[5]:

- أبراج الحاضرة (تونس) وهي: 14 برجا من بينها أبراج: القصبة، باب سعدون، الرابطة، باب الجلاز، باب سيدي قاسم.
- أبراج حلق الوادي وعددها 3 هي: البرج الكبير، سيدي بوسعيد، شكلي.

---

[1] - شبه جزيرة غربي تونس تبعد عن العاصمة 175كم احتلها الإسبان ثم الجنويون وأقاموا عليها تحصينات قوية مدعمة بمدافع نحاسية، وكان عدد أفراد حاميتها سنة 1724م زهاء 1500 رجل، تمت استعادة المدينة أثناء الحرب بين تونس وفرنسا سنة 1741م. ينظر: Robert Lambert Playfair, **Travels in the footsteps of bruce in Alegria and Tunis**, c. kegan paul & co, London, UK, 1877, p 249.

[2] - خليفة الشاطر وآخرون، **تونس عبرالتاريخ** ،ج 2، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية، تونس،2005، ص 256. وكذلك: وزارة الدفاع التونسية، **المنشئات العسكرية والنظام الدفاعي في العهد العثماني**، مقال الكتروني، 05-09-2013، على الرابط: http://www.hmp.defense.tn/index.php/ar/.

[3] - خليفة الشاطر وآخرون، **المرجع السابق**، ج2، ص 256.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 116.

[5] - نفسه، ص ص 118-119.

- أبراج غار الملح وعددها 3 هي: البرج الكبير(الوسطاني)، سيدي علي المكي (البرج اللوطاني)، برج باب تونس[1].
- أبراج سوسة وعددها 13 برجا ومن أهمها: برج القصبة، باش طبجي، دنقزلي.
- أبراج جربة وعددها 7 أبراج ومن بينها: البرج الكبير، وبرج المرسى، وبرج البيبان الذي كان بمثابة الحد الفاصل بين أيالتي تونس وطرابلس[2].

–اتخاذ المساجد أبراجا !:

من الغريب أن سكان جزيرة جربة اتخذوا مساجدهم أبراج مراقبة لرصد الغزاة وكملاذ آمن للسكان زمن الحروب، ويمكن للزائر لمكتبة الباسي بالجزيرة ومن خلال المخطوطات الهامة[3] التي تزخر بها، أن يكتشف الدور البالغ الأهمية للمساجد في الشأن العسكري[4]، أما المساجد القريبة من الساحل[5] والتي تسمى مساجد الشطوط التي يدل اسمها على السواحل، وكانت تبين حدود الجزيرة الجغرافية، ويبلغ عددها أكثر من 25 مسجدا فقد استعملت كرباطات لخفر السواحل[6].

---

[1] - سمير الشامي، **التراث المعماري العسكري بالبلاد التونسية**، مجلة الدفاع، العدد 58، وزارة الدفاع الوطني، تونس، مارس 2012، ص 59.

[2] - المنصف التايب، **المرجع السابق**، ص 13.وكذلك: محمد المريمي، **المرجع السابق**، ص 190.ويذكر ابن أبي دينار أن البرج الكبير بني في عهد مراد كورسو داي على يد المعلم موسى، ينظر: ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 233.

[3] - هذه المخطوطات قيد الرقمنة حاليا حيث تم إكمال مخطوطين منها سنة 2017م، هما: الرايات السمهرية في شرح المقصورة الخزرجية لبركات بن عبد الرحمن بن باديس، و المخطوط الثاني: شرح القصيدة الخزرجية المعروف بفتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الانصاري. ينظر محتوى الرابط التالي: https://archive.org/details/EAP0993103

[4] - موقع التلفزيون العربي، **مساجد جزيرة جربة: جزء من تاريخ تونس العسكري** بتاريخ 4 جانفي 2021، اطلعت عليه يوم: 13 أوت 2021م على الساعة 21.50، على الرابط التالي: https://www.alaraby.com/news/

[5] - للتعرف على اسماء هذه المساجد ومواقعها ينظر: رياض المرابط، **دور المساجد في تشكل النظام الدفاعي المحلي بجزيرة جربة الى نهاية العصر الوسيط**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد3، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أكتوبر 2011، ص ص 20 21.

[6] - محمد المريمي، **المرجع السابق**، ص 189.

2- الأسوار:

وُجدت الأسوار في المدن التونسية منذ عهد الدولة الأغلبية[1] في أوائل المائة الثالثة للهجرة[2]، وتمّ إنشاؤها لحماية المدن من الغارات المختلفة من داخل البلاد أو خارجها، وقد اهتم البايات المراديون بتجديد هذه الأسوار وتدعيمها، خاصة في مدينة تونس وقصبتها وفي المدن الهامة الأخرى[3]، ويذكر Pieter Boudewijn Van Der Aa، الذي زار مدينة تونس مطلع القرن 18م أن ارتفاع جدران الأسوار المحيطة بها يبلغ 20 ذراعا، وتتخلل هذه الأسوار عدة أبراج وقلاع في حالة جيدة[4].

3- الحصون:

قامت السلطة ببناء عدة حصون أغلبها ذات صفة دفاعية، من أهمها:

- حصون ميناء غار الملح وهي عبارة عن أقبية صغيرة مُعدّة لوضع المدفعية صغيرة الحجم، أنشأها أسطا مراد[5] داي في مدينة غار الملح لحمايتها من الهجمات الخارجية[6]، وكان للأندلسيين دور بارز في ذلك لخبرتهم في الجهاد البحري[7].

[1] - الدولة الأغلبية: دولة قامت بالمغرب الأدنى (تونس حاليا) سنة 184هـ/800م، على يد إبراهيم ابن الأغلب التميمي الذي كان واليا على افريقية من قبل الدولة العباسية، ونظرا لخدماته الكبيرة للعباسيين وحسن سيرته في الولاية، وافق هارون الرشيد أن تكون الولاية في عقبه، وشهدت افريقية استقلالا في علاقاتها بالدولة العباسية واحتفظت معها بالولاء الاسمي فقط، واستمرت تحكم المغرب الأدنى إلى أن سقطت على يد العبيديين سنة 296هـ/909م. ينظر: عبد الرحمان حسين العزاوي، **المرجع السابق**، ص ص 70-72.وينظر أيضا: عبد العزيز الثعالبي، **المرجع السابق**، ص 319.

[2] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 26. وكذلك: محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص 358.

[3] - خليفة الشاطر وآخرون، ج2، **المرجع السابق**، ص 256.

[4] -Pieter Boudewijn Van Der Aa, **La galerie agréable du monde, où l'on voit en un grand nombre de cartes très exactes et de belles tailles douces les principaux empires**, T1, marchand libraire, Leide, Allemagne, p 4. Et : Marius Bernard, **op.Cit**, p 283. **.**

[5] - أصله من مدينة جنوى كان اسمه بيزوزو قبل أن يعتنق الإسلام في سن الكهولة، بدأ مشواره كقائد سفينة (أميرال) ثم أصبح قائدا لإحدى الفرق العسكرية، ثم مستشارا خاصا ليوسف داي وكان مقربا منه، تولى منصب الداي بعده سنة 1637م لمدة ثلاث سنوات كانت زاخرة بالأحداث والانجازات، منها إصداره لقانون الأعمال البحرية. ينظر: محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص 50. وكذلك:

Jacques Revault, **Palais et demeures de Tunis (XVIe et XVIIe siècles)**, la section antiquité Recherches sur du Centre de l'Afrique Méditerranéenne, Aix-en-Provence, France, p 13.

[6] - خليفة الشاطر وآخرون، ج 2، **المرجع السابق** ، ص 256.

[7] - الشافعي درويش، **الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري**، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج 4، العدد1، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، جوان 2020، ص 688.

- حصن قوي شيّده الداي مصطفى لاز (1653-1665م) في جزيرة شكلي في بحيرة تونس، على أنقاض الحصن الذي شيده الإسبان عند احتلالهم للمدينة ثم دمره الأتراك كما ذكرنا سابقا[1].

4- تحصينات مدينة تونس (مقر الحكم):

تميزت مدينة تونس عاصمة الأيالة بتحصينات خاصة، لأنها دار القرار وعاصمة الحكم، وحظيت القصبة بتحصينات كثيرة وقوية، يصف Léon de bisson ذلك بقوله:« في حي القصبة حيث تونس القديمة محاطة بسور بحالة جيدة تتوزع على أنحائه عدد من المدافع القوية، وتوجد بهذا السور عدة أبواب متقدمة هي: باب قرطاجنة، باب سويقة، باب البنات، باب سيدي علي زواري، باب المنارة، باب جديد، باب دزيرة، باب البحر»[2].

---

[1] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 123.

[2] - Léon de bisson, **op.Cit**, p p 43 44.

للتعرف أكثر على هذه الأبواب العتيقة وصورا ومعلومات عنها. ينظر: موقع المعهد الوطني للتراث الالكتروني، على الرابط التالي: http://www.inp.rnrt.tn/ ، انظر أيضا صورة لباب البحر رسمت سنة 1879م في الملحق رقم 9 .

ثامنا: الأوضاع الصحية لأفراد الجيش:

1- الأطر الطبية (الأطباء والممرضون):

تواجد الأطباء في اغلب الثكنات والقشلات المتواجدة في المدن الكبرى، لكن عددهم كان يتفاوت من قشلة إلى أخرى حسب أهميتها وعدد الجنود بها، حيث ضمت قشلة اللآلاي الأول وقشلة الطبجية بمدينة تونس طبيبان، بينما القشلات الأخرى كان بها طبيب واحد فقط[1]، كما أن المحلة كانت لا تخلو من طبيب للاعتناء بصحة الجنود وغيرهم من المشاركين فيها، وقد يكون أجنبيا على غرار الألماني غوستاف نختغال[2]، كما عمل الطبيب الفرنسي كوتون في سلاح المدفعية والطبيب الانجليزي مانسيال Mancial في فرقة فرسان الباي[3].

-رواتبهم:

كانت رواتب هؤلاء الأطباء فإنها تتراوح بين 100 و350ريال في الشهر[4]، ومرد هذا التفاوت إلى نوع التعاقد مع الطبيب وجنسيته وطول مدة خبرته[5].

2- اقتناء الدواء ونوعيته:

اعتمد الأطباء خلال القرن 19م على الأدوية المتاحة لديهم والتي كان اغلبها ذا نوعية رديئة، ويرجع سبب ذلك إلى ضعف الميزانية المخصصة لاقتنائها بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة، واعتمدت الدولة في اقتنائها على اللزمة[6] حيث يقوم طبيب معروف بالتعاقد مع الدولة لتلبية جميع احتياجات الجيش من الدواء[7].

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق،** ص 172.

[2] - منير الفندري، **المرجع السابق،** ص 14.

[3] - .Henri Dunant, **op.Cit**, p p 252 253 وكذلك: نور الدين صحراوي، **النفوذ الأوربي (الفرنسي-الانجليزي-الايطالي) في تونس 1857-1881م،** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر2، 1433-1434هـ/2012-2013، ص 76.

[4] - انظر الملحق رقم 10 .

[5] - ا.و.ت، صن 165 ملف831 وث 37 بتاريخ 1285هـ/ 1868– 1869م.

[6] - انظر ما يتعلق بمفهوم اللزمة وشروطها ونماذج عنها في الفصل الثالث.

[7] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق،** ص 173.

3-الأوبئة الفتاكة وتأثيرها على أفراد الجيش:

اجتاحت أيالة تونس خلال تاريخها الحديث عدة أوبئة فتاكة كان الطاعون أخطرها على المجتمع، ومن اشدها خطورة خلال سنوات:

- سنة 1643م في عهد الداي أحمد خوجة ودام 7 سنوات[1].
- سنة 1679م (40.000 ضحية)[2].
- سنة 1689م (60.000ضحية) بمعدل 900 ضحية يوميا[3].
- سنة 1705م (700 ضحية يوميا)[4].
- بين سنتي 1785-1787م هلك زهاء 80 ألفا بمعدل يتراوح بين 500 و1000 ضحية يوميا[5].

كما شهد القرن 19م عدة أوبئة منها الطاعون سنوات 1818م، 1819م،1837م وهو آخرها بحسب الطبيب الفرنسي شارل نيكول[6]، لكن مافتئت أن ظهرت الكوليرا التي كان أول ظهورها بتونس سنة 1845م حيث كانت تُعرف بالوباء الأصفر، قبل أن يطلق عليه الأطباء الأوربيون اسم الكوليرا[7]، ولقد واجه الأطباء معاناة كبيرة للسيطرة على هذه الأوبئة بالاعتماد على القليل من الأدوية والمعدات الطبية، ما جعل بعضهم يتخلى عن القيام بمهامه خوفا على أنفسهم، كما فعل طبيب محلة باجة سنة 1867م الذي غادرها متجها إلى تونس هروبا من الوباء الذي اجتاح المنطقة[8].

---

[1] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 121.

[2] - Mohammad al Haddad, **Histoire de la peste en Tunisie (de l'Antiquité jusqu'à nos jours)**, thése pour le doctora en médcine, libraire L.Rodstein Paris, France, 1935, p 21.

[3] - محمود مقديش، ج2، **المصدر السابق**، ص 135.

[4] - Anselme des Arcs, **op.Cit**, p VI.

[5] - محمد بن عبد الوهاب المكناسي، **رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785**، تح: محمد بوكبوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2003، ص ص 325 326.

[6] - إدريس رائسي، **المرجع السابق**، ص 135.

[7] - نفسه، ص 53.

[8] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي**، **المرجع السابق**، ص 172.

عانى أفراد الجيش كغيرهم من أفراد المجتمع من هذه الأوبئة، ومن قبيل ذلك ما أورده ابن أبي الضياف ناقلا ما قاله خير الدين لأحمد باي، حين طلب منه جمع جنود من ناحيتي كسرى وبرقو[1] لتعويض العسكر الذين ماتوا من الوباء: « سيدي إني تركت الجهة فارغة»[2]، استمر هذا الوباء قرابة 8 أشهر من ديسمبر 1849 إلى أوت 1850م[3]، كما يذكر قنصل الولايات المتحدة في تونس Amos Perry في رسالة إلى وزير الخارجية الأمريكي William Henry Seward بتاريخ 6 جويلية 1867م تحدث فيها عن معاناة المجتمع والجيش من وباء الكوليرا، هذا نصها: « سيدي: منذ إرسالي الأخير، تحسنت الصحة العامة لهذه المدينة بالتأكيد، على الرغم من أن الحسابات الواردة من داخل الوصاية بعيدة كل البعد عن أن تكون مُرضية، ظهرت الكوليرا في العديد من القرى، بين بعض القبائل المتجولة وفي جيش الباي، على الرغم من أنها ليست مدمرة بأي حال من الأحوال كما كانت في السنوات السابقة »[4].

4-الأوضاع الصحية للجنود:

كانت الأوضاع الصحية لأفراد الجيش مزرية على العموم، وتجمع أغلب المصادر التاريخية أن السلطة الحاكمة لم تول الأهمية اللازمة لصحة الجنود، وهذه بعض الحالات الصحية المزرية لأفراد الجيش:

- قام الطبيب الفرنسي Philippe Daumas بزيارة للمستشفى العسكري في المحمدية للاطلاع على وضعية بينباشي[5] تونسي تم بتر يده ووصفه بقوله: « تابعت المراحل المختلفة من هذا البتر، سألته حتى لو كان قد عانى من معاناة شديدة، إذا كان في القلب أقل ندم على خطئه، وأجوبته مليئة بالتردد، أنا افترض أنه كان لديه ندم واحد فقط، فقد ارتكب سرقته بشكل خرقاء ومعتدل للغاية

---

[1] - المدينتان تقعان بولاية سليانة الحالية.

[2] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص152.

[3] - إدريس رائسي، **المرجع السابق**، ص 136.

[4] - Office of the Historian, us Department of State, Washington, USA, on the following link: . https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1867p2/d83

[5] - رتبة عسكرية أصلها بيكباشي ثم حُرفت، ومعناها رأس ألف (بيم: ألف ، باش: رأس)، ينظر: محمد محفوظ، **المرجع السابق**، ص 53.

عندما يكتمل علاجه، وفي الأخير تم إطلاق سراحه وإعادته إلى عائلته»[1]، وكان الباي قد أصدر عقوبة الإعدام في حقه أولا، لكنه تراجع وأمر بقطع يده تنفيذا للحد الشرعي للسرقة[2].

- كان جند البحرية متعرضين للإصابة بأمراض عديدة لعل أبرزها والتي يتواتر ذكرها في المراسلات هي: مرض المفاصل أو الروماتيزم الذي يُعبر عنه في المراسلات "بالبرد"، إضافة إلى أمراض عديدة أخرى كرمد العيون وتسوس الأسنان[3].

5-الاستعانة بالأطباء الأوربيين:

تماشيا مع حركة التحديث التي قام بها أحمد باي في المجال العسكري قام بانتداب أطباء أوربيين في صفوف الجيش النظامي، فقام بتعيين الطبيب الايطالي Donato Quadrini سنة 1838م متفقدا عاما للصحة في الجيش، ثم قام بتعيين الدكتور Cotton في سنة 1846م طبيبا للجيش، وعيّن كل من Quantilio Mugnaini و Valantino Spezafuno و Guisseppe Tagiure أطباء بسلاحي المدفعية والمشاة[4]، وتتمثل مهمة الطبيب في فحص ومعالجة المرضى في القشلات وعلى المراكب، وفحص وقبول المجندين الجدد أو المعوضين لهم في بعض الأحيان، أما في سلاح البحرية فقد خُصص طبيب لكل مركب من مراكب الدولة الحربية عند السفر ليرافق الطاقم البحري، ومن أبرز أطباء البحرية الطبيب التاجوري الذي ورد ذكره كثيرا في عديد الكتب وفي مراسلات وزارة البحر، هذا بالإضافة إلى الطبيب الألماني غوستاف نختغال الذي كان طبيبا للمحلة كما أسلفنا، ثم عُين طبيبا للأسطول الأول في سبتمبر 1865م[5].

6-أثر الأوضاع الصحية السيئة على أفراد الجيش:

يصف الجنرال رشيد حالة الجنود الذين شاركوا في حرب القرم في أحد التقارير المرسلة إلى الباي بقوله: «...ومع ذلك فان الذين عندنا صحاح من العساكر التونسية الآن 2000 وكيفية صحتهم أنهم

---

[1] - Philippe Daumas, **quatre ans a Tunis**, Tissier libraire-éditeur, Alger ,1887, p 62.

[2] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 193.

[3] - ليلى زغدود، **الحياة اليومية، المرجع السابق**، ص ص 39 40.

[4] - منير الفندري، **المرجع السابق**، ص 23.

[5] - ليلى زغدود، **الحياة اليومية، المرجع السابق**، ص 40.

يحملون المكحلة ويمشون عل أرجلهم، وأما الجوالق[1] لايقدرون على حملها في الطريق من الضعف البادي بهم من أثر المرض، وأما بقية العساكر فإنهم أمراض وسواقط ضعاف بعضهم تحت الأخبية والبعض بالمارستانات[2]...ولم ينحصر عندنا حساب الأموات والأحياء»[3].

[1] - الجوالق: جمع مفرده جولق وهو وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما، أو جراب كبير. ينظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق العربية، القاهرة، مصر، 2014، ص ص 148 149.

[2] - ترجع أصل كلمة مارستان الى بيمارستان الفارسية وتعني " دار المريض" وقد كان يعالج فيها جميع أنواع الأمراض، حيث تشكل الماريستانات النواة الحقيقة للمستشفيات الحديثة.ينظر: سكينة التوزاني، **تعرف على "المارستان" المغربي الذي علم الغرب أصول الطب النفسي**، مقال الكتروني، موقع نون TV، بتاريخ: 22 جويلية 2016، على الرابط التالي: **https://www.noonpresse.com/.** اطلعت عليه بتاريخ 22 اوت 2021م على الساعة 19.15

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 79.

تاسعا: القضاء العسكري:

يعتبر القضاء بين صفوف العسكر وظيفة مرموقة، وتحظى بأهمية بين الجنود الذين كانوا كثيرا ما تنشب بينهم خلافات وخصومات، يرجعون بعدها للقاضي للحكم فيما بينهم، وقد كان لسنان باشا الفضل في إنشاء النظام القضائي للأيالة، وسار على إثره كل من حكم بعده، حيث جعل مع العساكر قاض يفصل في خلافاتهم، وقد كان قاضي العسكر في بداية القرن 18م يتم إرساله من اسطنبول بعد أن يحظى بتزكية شيخ الإسلام فيها، الذي يقوم باقتراح القاضي على السلطة، ثم أصبح يعين من أبناء البلاد الذين يتصفون بالعلم وحفظ القرآن، ومن قبيل ذلك ماورد في المجلة التونسية أن أحد أبناء مدينة باجة يسمى إبراهيم بن شعيب تم تعيينه قاضيا في موطنه باجة ثم لما سمع الباي بعلمه وفضله قام بتعيينه قاضيا في الجيش[1].

منذ نهاية القرن 16م كانت الشكاوى المرفوعة إلى الباشوات، ثم بعد ذلك إلى الدايات وبعدهم البايات، من طرف سكان الدواخل تحمل في أغلب الأحيان إمضاءات القضاة والمفتين المشتغلين هناك[2]، ويشير ابن أبي الضياف أن هؤلاء القضاة قد بالغوا في الظلم وفرض الأحكام الجائرة وارجع ذلك لجهلهم و قلة مبلغهم من العلم فيقول: « وحصل العسف من هؤلاء القضاة في اقتضاء مغارم رتبوها على تنفيذ أحكام الشريعة، وقسمة التركات بين الورثة وغير ذلك، مع القصور في العلم لأن العلماء بأرض الروم لا تقتضي رفعتهم وثروتهم التغرب في البلدان الشاسعة، لإقامة خطة القضاء بين طائفة من العسكر، مع نزر الدخل...»[3]، ثم أضاف بأن هؤلاء القضاة كانوا أقرب إلى الجنون بتصرفاتهم وجهلهم بالقضاء وأحكامه منهم للقضاة والعلماء، ولذلك طلب حسين بن علي باي من الدولة العلية أن يكون قاضي العسكر من علماء أبناء العسكر في مدينة تونس وتمّ قبول هذا الطلب[4].

تفيد المصادر التاريخية والأرشيفية وشهادات الدبلوماسيين والرحالة الأجانب على عدم وجود نظام قضائي مدون خلال الفترة التي سبقت التحديث العسكري خلال القرن 19م، هذا إذا استثنينا بعض المحاولات

---

[1]- Mohammed Seghir ben Youssef, **soixante ans …op.Cit**, p 222.

[2] - أحمد قاسم، **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم 1574-1600**، تق: عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004، ص 108.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج2 ،**المصدر السابق**، ص 117.

[4] - نفسه، ص ص 117 ، 118.

القليلة لسن بعض الأعراف القضائية العسكرية فيما يخص الجريمة والعقاب[1]، ومن قبيل ذلك ما نصت عليه إحدى الوثائق الأرشيفية التي ترجع إلى سنة 1838م حيث كتب احمد باي إلى وزير الحرب مصطفى آغا قائلا: « الذي تخلف عن العمل بعد تسريحه لمدة يحكم عليه بالحكم المعتاد، وإذا تخلف بعد الأجل بثلاثة أيام فالحكم عليه كالعادة مع قطع نصف راتبه»[2].

لكن احمد باي رغم أسبقيته في مجال تقنين العقوبات في الجرائم العسكرية بمختلف أنواعها، لم يأمر بتدوين هذه العقوبات أو الجزاءات وبقيت تخضع لحالة الظرفية الزمانية والمكانية، وقام البايات من بعده بهذه العملية تحت وطأة ظروف داخلية وخارجية متداخلة ومتدافعة[3]، وقد استخلص محمد باي الذي خلفه هذه الوضعية السيئة في سلك القضاء العسكري، وأن إصلاحات احمد باي لم تطبق على أرض الواقع، وفي ذلك يقول ابن أبي الضياف: « ثم نظر في أمر العسكر، فرأى أيدي الضباط تجول فيهم بلا قانون ولا حد معلوم، يستعملونهم في خدمة أنفسهم كالعبيد، فأنكر ذلك»[4].

كان للجهاز القضائي الموجود في البلاد وظيفتان، أولا يعتبر إحدى الآليات المكرسة لاستعمال العنف من قبل الدولة، من خلال امتلاك سلطة إصدار الأحكام بالسجن وسلب الحرية وتسليط الغرامات، وثانيا يؤدي دور السلطة المضادة في الحدّ من تنفذ الأعوان المحليين للإدارة وضمان مستوى من المراقبة على أعمالهم، وينحدر أغلب القضاة والمفتون من بين أوساط الأعيان المحليين، وهم يشكلون ضمانة إضافية للسكان في شعورهم بالتمتع بدرجة من الحماية[5].

1-استنباط القوانين الأوربية:

عملت السلطة في تونس على استنباط بعض القوانين الأوربية في مجال القضاء العسكري، وذلك تماشيا مع روح التحديث التي سادت البلاد في القرن 19م، ومن بين المحاولات في هذا الإطار:

---

[1] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 90.

[2] - ا.و.ت، صن 164، ملف 811، وث رقم 12.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 92.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص198.

[5] - مصطفى التليلي، **المرجع السابق**، ص 66.

- قام الجنرال رشيد بتكليف من وزارة الحرب بترجمة الإجراءات الجزائية العسكرية الفرنسية وقارنها بما يقابلها في القضاء التركي، بهدف تطبيقها على الإجراءات القضائية في تونس[1].
- تشكيل لجنة عسكرية بأمر من وزير الحرب في جانفي 1863م تتألف من كبار الضباط منهم: أمير اللواء محمود مستشار بوزارة الحرب، ومحمد بن صالح وهو قائد الآلاي الخامس ومصطفى صفر وهو أمير آلاي[2] بوزارة الحرب وغيرهم، وقد كلفت هذه اللجنة بصياغة قانون الجزاء العسكري التونسي على غرار المعمول به في الدولة العثمانية[3].

2-الجزاء العسكري التونسي:

الجزاء العسكري التونسي هو قانون العقوبات العسكرية الخاص بالجيش التونسي والمجموعات الداعمة له، صدر الجزاء بتاريخ 14 ذي القعدة 1279هـ/20 ماي 1863م وقد استغرق إعداده وقتا طويلا نسبيا، وتمّ استنباط الأحكام العسكرية بترجمة الجزاءين العسكريين الفرنسي والتركي[4]، ومثلت عقوبة الإعدام نسبة معتبرة في هذا الجزاء، حيث بلغت نسبتها 33.5% من مجموع العقوبات. أما الأحكام بالسجن لمدة تفوق 5 سنوات فان نسبتها بلغت 24% من مجموع الأحكام (العقوبات)[5]، أما بقية النسبة فهي للأحكام المخففة مثل السجن لمدة تقل عن 5 سنوات، والخدمة بالكراكة[6] من سنتين إلى 5 سنوات وغير ذلك من الأحكام[7].

[1] - الجنرال رشيد، **رسالة في الجزاء العسكري الفرنسي**، ا.و.ت، مخطوط رقم: 18005.

[2] - أمير آلاي: مصطلح عثماني بمعنى قائد وحدة عسكرية أُختُلف في عدد افرادها تبعا لاختلاف نظام الجيش بين فترة واخرى، يعادلها اليوم في المصلحات العسكرية الحديثة ما يعرف باسم لواء. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **المرجع السابق**، ص 39.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 98.

[4] - نفسه، ص 102.

[5] - نفسه، ص 102.

[6] - الكراكة: آلة تُطَهر بها الأنهار والقَنوات العظيمة مما ترسَّب فيها من رمل أَو طين طارئ. ينظر: مجمع اللغة العربية، **المرجع السابق**، ص 784.

[7] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 102.

3-العقوبات العسكرية المترتبة:

عملا بالمثل العربي القائل:" الجزاء من جنس العمل"، فان السلطة في تونس أصدرت قانونا للعقوبات الجزائية تم استنباطه من الجزاءين العسكريين الفرنسي والعثماني، عُرف باسم: "قانون في كيفية الحكم على العسكر الصادر منهم جنايات تتعلق بخدمتهم العسكرية وفي كيفية تركيب مجلس الحكم"، وضمّ هذا القانون 4 أبواب مقسمة إلى 98 فصلا [1].

4-أبرز أنواع العقوبات العسكرية:

اختلفت العقوبات العسكرية بين المخففة والمشددة وذلك حسب الجرم المرتكب وفي الجدول التالي بعض العقوبات المشددة ومايقابلها من الجرم المرتكب[2]:

الجرم المرتكب	العقوبة المسلطة
من سرق شيئا من القشلة أو الغرف كالألبسة أو من المؤونة أو علف الدواب	- الضرب 100 جلدة الى السجن من شهر الى 3 أشهر.
من سرق البارود الحربي	- الضرب 100 جلدة الى السجن من شهر الى 3 أشهر.
من سرق الطعام أو الأواني من مطابخ القشلات	- الضرب 100 جلدة الى السجن من شهر الى 3 أشهر.
من سرق شيئا من مؤونة الجيش	- الضرب 200 جلدة الى السجن من شهر الى 4 أشهر.

5- قضاء المحلة:

من المعلوم أن المحلة تكون مرتين في السنة وأنها تدوم لعدة أشهر حتى تحقيق أهدافها، وقد اقتضى ذلك تعيين قضاة يتبعون المحلة للفصل في كل القضايا العسكرية والمدنية التي تترتب خلال حل المحلة وترحالها، وعُرف قضاء المحلة منذ عهد الدولة الحفصية، ثم أثناء حكم المراديين وصولا للعهد الحسيني، وقد ذكر محمد بن عثمان السنوسي عددا من هؤلاء القضاة منهم: الشيخ علي شعيب، قاسم بن غانم، الشيخ محمد الشافعي، الشيخ علي التميمي في أواخر سنة 1200هـ/1785م...الخ[3].

[1] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 105.

[2] - ا.و.ت، صن 144، ملف 556، وث 8.

[3] - محمد بن عثمان السنوسي، ج3، **المرجع السابق**، ص ص 72 73.

6– القضاء العسكري بعد إحداث الجيش النظامي:

ظهر قانون القضاء العسكري للوجود سنة 1863م وقد تم استلهام نصوصه من القانون العسكري الفرنسي الذي صدر سنة 1858م، لكن مع ذلك تم الاحتفاظ ببعض العقوبات التي كان معمولا بها سابقا مثل عقوبة الجلد التي حدّد أقصاها بمائتي جلدة[1]، لكن هذا القانون ظل حبرا على ورق واستمر الضباط في التمادي في احتقار الجنود وبسط مختلف العقوبات الجسدية عليهم[2].

7– الانتقال إلى مرحلة التدوين التوصيفي: تطورت طريقة تدوين الأحكام القضائية في صفوف الجيش من مجرد سرد وقائع الجريمة ونقل حيثياتها للباي أو للقاضي، إلى مرحلة تدوين هذه الوقائع في سجلات خاصة بالجنايات بكل تفاصيلها وأطرافها والأحكام التي صدرت فيها[3].

8– الانتقال إلى مرحلة التقنين: تماشيا مع ضروريات التحديث العسكري تم الوصول إلى المرحلة الأخيرة في تطور القضاء العسكري، وهي وضع قوانين ثابتة لمختلف أنواع الجنح والجنايات التي يرتكبها العسكر، وتمّ استنباط نسبة معتبرة من هذه القوانين من التشريع القضائي الفرنسي ولم تكن نابعة من المجتمع المحلي، وهو ما أثر سلبا على العلاقة بين الجنود وقادتهم العسكريين بسبب عدم تقبلهم لهذه التغيرات في النظام القضائي العسكري[4]، وبعد هذه التطورات تمّ تأسيس مجلس سمي" مجلس الحرب" للنظر في النوازل (القضايا) العسكرية[5].

(القضايا) العسكرية[6].

[1] - Jean Ganiage, **Les Origines …op.Cit,** p 83.

[2] - ibid, p 83.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 96.

[4] - نفسه، ص 96.

[5] - **وثيقة الدستور**، الباب الثالث، الفصل 8.

[6] - **وثيقة الدستور**، الباب الثالث، الفصل 8.

الفصل الثاني

مراحل تطور الجيش التونسي والامتيازات الممنوحة لأفراده

أولا- مراحل تطور الجيش التونسي

ثانيا – تعداد الجيش النظامي والمجموعات الداعمة له

ثالثا- تطور العتاد التدريب والجانب اللوجيستي للجيش

رابعا - التعليم العسكري

خامسا- أهم القوانين العسكرية

سادسا- التسليح في الجيش التونسي

سابعا- الامتيازات الممنوحة لأفراد الجيش

أولا- مراحل تطور الجيش التونسي:

1-بناء مؤسسة الجيش:

تمكن سنان باشا من دخول تونس عاصمة السلطنة الحفصية في سبتمبر1574م وقضى على دولة امتدت لأزيد من ثلاثة قرون، وشملت مساحتها كل مناطق المغرب الأدنى وجزءا من ليبيا الحالية وأجزاءا من شرق الجزائر وصولا إلى غرب مدينة بجاية، وقام في حينه بإعلان ضم تونس إلى الإمبراطورية العثمانية وأرسى جملة من المؤسسات السياسية والعسكرية والقضائية، ومجموعة من الرموز السياسية الأيديولوجية تؤمن بتبعية الأيالة للباب العالي وهي تتجسد في الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة لأنه أمير المؤمنين[1]، ومن بينها منصب الباشا بلقب أمير الأمراء الذي كان حيدر باشا أول من تولى هذا المنصب، ويكون تابعا لأيالة الجزائر إبان حكم العلج علي لها إلى غاية 1587م[2]، لقربها من تونس وأسبقيتها في الانضمام للدولة العثمانية، إضافة إلى منصب أمير اللواء لحفظ الأمن، وقاضيا للأحكام الشرعية، ومسؤول عن الجباية بلقب باي[3]، وبعد سنة 1587م تم تعيين باشا من اسطنبول لمدة سنتين أو ثلاث سنوات ممثلا للسلطان، وتتفق المراجع على أن سلطته كانت رمزية لا تتعدى ضمان ولاء الحامية للدولة العثمانية وجلب أجور الجنود[4].

اختلفت المراجع التاريخية في تعداد الحماية الذي أبقاه سنان باشا في تونس فالأستاذ محمد الهادي الشريف يحدد العدد أنه 3000 محارب[5]، بينما يذكر عبد الحميد هنية أنها من 3000 أو4000 جندي[6]، وتذكر

---

[1]- عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ...المرجع السابق**، ص 98.

[2] - ارجمند كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847**، ط2، تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1974، ص 14.

[3] - عبد المنعم الجميعي، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2007، ص 58.

[4] - محمد فوزي المستغانمي، **عثمان داي (1598-1610) رمز الدولة**، مجلة الدفاع، العدد63، وزارة الدفاع الوطنية، تونس، أكتوبر 2015، ص 75.

[5]- محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة، المرجع السابق**، ص 140.

[6]- عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 98. وكذلك:

Sami Bargaoui, **Des turcs aux hanafiyya La construction d'une catégorie « métisse » à Tunis aux XVIIe et XVIIIe siècles**, Annales Histoire, Sciences Sociales, 160e année, vol 60, N°1, Cambridge university press, London, UK, 2005, p 212.

مراجع أخرى أن العدد 4000 جندي[1]، ويعود هذا الاختلاف في تقدير عدد أفراد الحامية إلى قلة المصادر المكتوبة حول الفترة التأسيسية لأيالة تونس العثمانية في القرن الثاني لتأسيسها حيث يعتمد اغلب المؤرخين على (الرواية الشفوية) مصادر يعود أكثرها إلى بداية القرن الثاني لتأسيس الأيالة على غرار كتاب المؤنس لأبن أبي دينار الذي أتم كتابته بين سنتي 1682/1681م[2]، ربما هذا ما دعا بالمؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان إلى القول: « وليس أدعى إلى الملل من دراسة تاريخ الأيالتين[3] في القرن السابع عشر»[4].

عهد أمر الأيالة إلى طائفة عسكرية (طائفة الانكشارية) وتعرف في بعض المراجع بجند الكابيكولو[5] kapikulu وكانت الطائفة متمرسة على الحرب الحديثة التي ظهرت في أوربا بعد عصر النهضة، وهي حرب الأسلحة النارية وكانت طائفة الانكشارية قد عرفت بتلاحمها وانضباطها وطاعتها التامة لقادتها العثمانيين[6].

ويجدر التساؤل عن تركيبة الجيش الذي استقر في تونس بعد ضمها للدولة العثمانية، وحسب ابن أبي دينار أنه يعود إلى الانكشارية بينما يذكر المؤرخ توفيق البشروش أنه مركب من الانكشارية وجيش المرتزقة المسمى اللوند، إضافة إلى المتطوعين والمغامرين الآملين في تحسين أوضاعهم الاجتماعية المتدهورة في الأناضول[7].

ساعدت الظروف الداخلية في الفترة الموالية، على إرساء قواعد المؤسسة العسكرية المتمثلة في الجيش، حيث قلّت بصورة ملحوظة الاضطرابات والفتن الداخلية التي لازمت العهد الحفصي الأخير، ويُرجع المؤرخون ذلك إلى النهج السياسي الذي اتبعه الحكام العثمانيون الجدد لأيالة تونس إذ ساروا في أهلها

---

[1] - Léon carl brown, **op.Cit,** p 54. Et: Laugier de Tassy, **op.Cit,** p 287.

[2]- عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق،** ص 95.

[3] - يقصد تونس والجزائر.

[4] - شارل أندري جوليان، ج2، **المرجع السابق،** ص 351.

[5] - بمعنى عبيد الباب العالي وهم فيلق المشاة الإنكشارية بالإضافة إلى فرق الفرسان الستة، وهم يختلفون عن الجنود المكلفون بجمع ضرائب المقاطعات أو ما يسمون التيماريوت والقوات غير النظامية (ليفند)، وكانت هذه القوات دائمة ومحترفة، تم تجنيدها في الغالب من خلال نظام الدفشرمة، وشكلوا العمود الفقري للجيش العثماني خلال فترة القوة من القرن 15م حتى الواقعة الخيرية 1826 التي أدت إلى إلغاء الكابيكولو خلال تنظيمات القرن 19م. ينظر: Auteur Collectif, **les armées des premiers ottomans: fantassins ottoman début XV siècle**, osprey publishing, Paris, France, 2005, p7.

[6]- محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة...المرجع السابق،** ص 140.

[7] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق،** ص 157.

سيرة محمودة، ووفروا لهم الأمن والاستقرار اللذْين افتقدهما الأهالي، ويقول ابن أبي دينار في هذا الصدد: «...وعهد البلاد وأمّن العباد، وقمع وخافه أهل الفساد»[1].

أما عن الفترة الموالية للتأسيس فلا تذكر المصادر التاريخية الكثير عن طبيعة التنظيمات العسكرية، أو عن طرق التجنيد أو الانضمام إلى جند الحامية، أو عن توسع العثمانيين عسكريا في جهات البلاد الأخرى، وتعود الحادثة الأولى التي تطرق لها المؤرخون بعد ضم تونس للدولة العثمانية إلى سنة 999هـ/1591م، وهي الحادثة التي تخص تمرد الجنود علي ضباطهم نتيجة سوء المعاملة التي كانوا يلقونها من طرفهم، مما أوغر في قلوبهم الضغينة والرغبة في الانتقام وبداية تأسيس حكم محلي،[2] كما سيرد ذكره لاحقا.

2-الانقلاب العسكري الأول في تونس العثمانية:

تشير أغلب المصادر التاريخية إلى أن هذا الانقلاب العسكري كان بمثابة نقطة تحول في نظام الحكم بالإيالة، حيث كانت السلطة السياسية بيد الباشا المعيّن من اسطنبول وإن كانت لا تتجاوز الصفة الشرفية لا أكثر[3].

تطرق ابن أبي دينار إلى تفاصيل هذا الانقلاب[4] الذي وقع يوم الجمعة 29 ذوالحجة 999هـ الموافق 18 أكتوبر 1591م[5]، حيث يقول:« فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه واجتمع أهل الديوان، دخل عليهم العسكر على حين غفلة ووضعوا السيف في من وجدوه هناك ولم يمنع إلا من لم يحضر ذلك اليوم وتبعوهم في

---

[1]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 223.

[2] - Mohamed Hédi Chérif, **La déturquisation du pouvoir en Tunis du pouvoir en Tunisie: classes dirigeantes et société Tunisienne de la fin du XVI[éme] siècle à 1881**, cahiers de Tunisie, N°117-118, Université de Tunis, Tunisie, 1981, p 179.

[3] - André Raymond et Jean Poncet, **la Tunisie**, 3[éme]éd, presses Univérsitaires de France, Paris, France, 1977, p 17.

وينظر أيضا: شهرزاد بوترعة، **الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2015/2014، ص 15.

[4] - تذهب اغلب المراجع إلى وصف هذه الانتفاضة من طرف الدايات بالانقلاب، ينظر: عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 106.

[5] - Paul Sebag,**Tunis au XVIIé siècle une cite barbaresque au temps de la course**, edition l'Harmattan, Paris, France, 1989, p 9.

و يذكر بعض المؤرخين أن الانقلاب حدث سنة 1590م، مخالفين بذلك جمهور المؤرخين ينظر: شارل أندري جوليان، **المرجع السابق**، ص353. وينظر أيضا: Pierre Grandchamp, **op.Cit**, p XV. Et:

victor silvera, **Du régime beylical à la République tunisienne**, revue Politique étrangère, N°5, 22[e] année, Paris, France, 1957, p 595 .Et: L. **hallgatók diákköri** péchot ,T3, **op.Cit**, p 159. Et: palotas zsolt, **Tehetségek a történettudomány szolgálatában IV,** történelem szakos dolgozatai, University of Szeged, Malta, 2018, p47. Et: Mohamed-el aziz ben achour, **LA cour du bey de Tunis**, Espace Diwan, Tunis, Tunisie, 2003, p 3. (note N° 3).

وقد يكون هذا الاختلاف ما أدى ببعض المؤرخين بوصفها بثورة 91-1590م. ينظر: Azzedine Guellouz et autres, T3, **op.Cit**, p47.

منازلهم وقتلوا منهم من ظفروا به ولم ينج إلا من فرّ بنفسه، وكانت هذه الواقعة آخر ذي الحجة سنة 999هـ»[1].

قام بهذا الانقلاب أو الثورة العسكرية[2] فئة الدايات[3]على مرؤوسيهم من فئة البولكباشية، الذين أسلفنا الذكر أنهم كانوا يشكلون غالبية أعضاء الديوان، بسبب سوء معاملتهم لهم وإهانتهم وضربهم أحيانا، مما ولّد لدى هذه الفئة حقدا وضغينة على البولكباشية وتحينوا الفرصة للفتك بهم يقول ابن أبي دينار في هذا الموضوع : « وجعلوا اصطلاحا على عادة أهل الجزائر التحكم في الديوان والعسكر جماعة البلوكباشية، ولكن ساروا في أحكامهم بعنف على من دونهم في العسكر ووقع منهم الجور حتى أن الواحد من البلوكباشية إذا كان عنده صبيان وهم المعبّر عنهم بالعزرية تكون له حرمة وافرة وربما مدّ يده في اليولداش وما عسى من دونه»[4].

يذكر توفيق البشروش طرحا مختلفا للواقعة بقوله:«...أنه في الوجق التونسي فان الدايات إما أنهم قاموا مقام البلوكباشية فعوضوهم، أو أنهم لازموهم حتى يراقبوا أعمالهم وهو الافتراض المرجح، لكن بعد أن تم تعويض المفقودين من كبار القواد وبهم حل التصرف القاعدي محل التصرف النخبوي من حيث أنهم وكلاء الجند لا دخل للإدارة العسكرية في تسميتهم»[5]، إضافة إلى العامل الرئيسي لهذا الانقلاب وهو سوء معاملة البلوبكباشية للدايات، فإن الغضب الشعبي الذي تفشى بين الأهالي على كبار الضباط، ساهم أيضا في تأجيج الوضع لأن البلوكباشية احتكروا مؤسسة الديوان وتجلت مظاهر تعاليهم على الأهالي في كثير من الوقائع مما هيأ الظروف للدايات لتنفيذ هذا الانقلاب[6]، كما ذكرت بعض المراجع أن صغار

---

[1] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 225.

[2] - يذكر بعض المؤرخين أن هذا الحدث الهام هو ثورة عسكرية ذات نزعة ديمقراطية. ينظر: شارل أندري جوليان، ج2، **المرجع السابق**، ص 353.

[3] - الدايات مفردها داي وهي كلمة تركية بمعنى الخال ويكنى بها الشخص الذي يلتف حوله عدد من الجنود ويكون ذا جاه ونفوذ ويكتسبه غالبا من الجهاد البحري، ينظر: توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 50، ينظر أيضا: عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 106.

[4] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق** ص 224. ينظر أيضا: L. Péchot, T3, **op.cit**, p 158.

[5] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 52.

[6] - محمد الهادي الشريف، **خلاصة تاريخ، المرجع السابق**، ص 71.

الضباط الذين قاموا بالانقلاب هم الأودباشية (مفردها أوداباشي) والذين تسموا بالدايات ابتداء من أكتوبر 1591م[1]، وتشير مراجع أخرى أن ما وقع كان ثورة دموية وليس انقلابا[2].

تم تنفيذ هذا الانقلاب بمساعدة وكيل الخرج في الديوان، المدعو طبال رجب الذي كان بحوزته مفتاح بيت السلاح، حيث تواطأ مع الدايات ووعدهم بعدم حضوره في اليوم المتفق عليه للفتك بالبلوكباشية ونجحت هذه المؤامرة، حيث وقعت مذبحة كبيرة في صفوفهم ولم ينج منهم إلا من فر خارج مدينة تونس[3]، ويذكر ألفونص روسو أنه لم ينج إلا ثلاثة من البلوكباشية[4]، لكن رغم هذا التغيير في تركيبة الديوان الذي سيطر عليه الدايات إلا أن ذلك لم يؤد إلى أي تغيير في سلم ترتيب المؤسسات السياسية[5].

بعد نجاح الانقلاب أصبح جميع الدايات أعضاء في مؤسسة الديوان بنفس الرتبة، وهم بذلك يمثلون جميع الجنود في تونس وهو ما يمكن وصفه بالديمقراطية العسكرية المباشرة [6].

بلغ عدد هؤلاء الدايات حوالي 300 داي وعندما يحدث ما يتوجب عليهم النظر فيه يجتمعون في القصبة، ويتشاورون في الأمر غير أنهم قلما يتفقون على رأي لكثرة عددهم[7]، وتم الاتفاق بين الحكام الجدد على تقديم احد الدايات الأربعين لتولي مهام السلطة في البلاد وتعمدوا تهميش دور الباشا، الذي أصبح يحتل المرتبة الثانية في سلم السلطة الفعلية في الأيالة[8]، بعدما كان يعتبر ممثلا للسلطان ويتمتع بامتيازات كثيرة أصبح لا يملك من الأمر شيئا[9]، ثم استطاع الدايات والبايات التخلص منه والاستحواذ

---

[1] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص 57.

[2] - Hussein Boujarra, **Représentation(s) de l'Etat tunisien chez certains auteurs européens du XVIIe siècle**, National Centre of Research in Social and Cultural Anthropology, Oran, Algerie, 2006, p 193.

[3] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص ص 51 52.

[4] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 106.

[5] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص105.

[6] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 71.

[7] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 225.

[8] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 106.

[9] - جون ب وولف، **المرجع السابق**، ص 134.وكذلك: محمد محمود السروجي، **العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال**، المكتبة الوطنية، بنغازي، ليبيا، ب.س، ص11. وكذلك:

Pieter vander AA , **La Galerie agréable du monde, où l'on voit en un grand nombre de cartes très exactes et de belles tailles douces les principaux empires, roiaumes, republiques, provinces, villes**, Marchand libraire, Leide, Germany, 1733, p4.

على منصبه[1]، لكن تجربة " الديمقراطية العسكرية " كما سماها بعض المؤرخين لم تدم طويلا، وما لبثت أن تحولت إلى" اوتوقراطية[2]عسكرية " تمحورت فيها كل السلطات حول منصب الداي[3]، وقد لخص المؤرخ توفيق البشروش ذلك بقوله: « اتسمت الجمهورية العسكرية بضرب من الديمقراطية القطاعية تحولت في النهاية إلى رئاسة استبدادية إما مدى الحياة أو حتى تتم الإقالة»[4]، بينما يصفها القنصل pellissier بأنها كانت عبارة عن " إدارة جمهورية "[5]، أو كما أورد chevalier d'Arvieux هي جمهورية أسند اليها اسم ملكية على غرار جمهورية بولونيا[6]، وابتداء من تشكيل الديوان الجديد المكوّن من الدايات أصبح للسلطة في تونس رأسان: الأول هو الباشا الذي يمثل الدولة العثمانية ويسهر على ضمان الولاء التام لها، والثاني هو الداي الذي يمثل الجيش المسيطر على الأيالة، لقد أملت ظروف البلاد في تلك الفترة على رأسي السلطة ضرورة التعايش في كنف هذا النظام السياسي المعقد الذي أفرزته عوامل متعددة[7].

استطاع الدايات بحكم مساندة الديوان ذو الصفة العسكرية لهم من التحكم في زمام السلطة، وتقلص نفوذ الباشا ودوره بسبب قصر مدة توليه للمنصب (3 سنوات) وأصبح يتقلد مهام سفير الباب العالي بدل حاكم الأيالة[8]، حتى أن المصادر التاريخية أهملت ذكر الباشوات الذين يتم إرسالهم من الباب العالي بعد هذا التغيير في هرم السلطة، وذلك بسبب دورهم الثانوي في الأحداث القادمة وأصبح التنافس على السلطة حكرا على

---

[1] - خليل ساحلي أوغلي، **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، اسطنبول، تركيا، 2000، ص 376.

[2] - الأوتوقراطية: مصطلح يقصد به نظام الحكم الذي تكون فيه السلطة مركزة في يد فرد واحد يمتلك وحده كل السلطة التي لا يحدها شيء، وهذا لا يعني دائما غياب القوانين والدساتير في هذا النظام، ولكن يعني بالأساس قدرة الحاكم الأوتوقراطي (الفرد) من الناحية الواقعية على تخطي القوانين والدساتير حتى في حالة وجودها. ينظر: وليد سا لم محمد، **النظام الفردي (الأوتوقراطي) دراسة نظرية للسلطة المطلقة**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج11، العدد2، جامعة الموصل، العراق، أكتوبر 2011، ص 656.

[3] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص 57.

[4] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 71.

[5] - Edmond Pellissier de Reynaud, **op.Cit**, p 8.

[6] - Laurent d'Arvieux, **Mémoires du chevalier d'Arvieux, envoyé extraordinaire du Roy à la Porte, consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et autres Échelles du Levant: contenant ses…**, Jean-Baptiste Labat éditeur, Lyon, France, 1735, p49.

[7] - Victor Silvera, **op.Cit**, p 595.

[8] - Mohamed-el aziz ben achour , **LA cour du…,op.Cit**, p 3.Et: Amos Perry, **op.Cit**, p 184

الدايات والبايات فحسب[1]، ثم ما لبث أن ظهر منصب الباي بصورة أقوى في هرم السلطة ابتداء من سنة 1613م، ويتجلى ذلك في المعاهدات التي أبرمتها تونس مع بريطانيا سنتي 1662م[2] و1685م[3]، حيث وردت أسماء كل من الباشا والداي والباي في تلك المعاهدات دلالة على المكانة المتقاربة سياسيا بينهم[4]، ثم تم التخلي عن لقبي الباشا والداي وتم توقيع معاهدة دولية سنة 1756م باسم باي تونس[5]، أو بيلرباي كما جاء في نص المعاهدة بين بريطانيا وتونس في عهد علي باشا سنة 1756م[6].

أ-أهم نتائج الانقلاب:

من أبرز نتائج هذا الانقلاب تحكم الدايات في زمام الأمور وإبعادهم للإنكشارية عن سلطة القرار، إضافة إلى أن الباشا أصبح يُنتخب من طرف الديوان ولا يُعيّنه الباب العالي[7]، ولا يستطيع إبرام أي شيء

---

[1] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 127. (هامش رقم1)

[2] - هي أول معاهدة أبرمت بين تونس وبريطانيا تخص السلام بين البلدين والتجارة الحرة بينهما وقد ضمت عدة تنازلات من طرف أيالة تونس، وجاءت هذه المعاهدة في وقت كان فرنسا تهدد بمهاجمة تونس. ينظر:

George Chalmers, **A Collection of Treaties Between Great Britain and Other Powers**, Vol 2, Printed for J. Stockdale, Piccadilly. London, UK, 1790, p 394.and :

Harris William, **A Complete Collection Of All The Marine Treaties Subsisting Between Great-britain And France, Spain, Portugal...Commencing In The Year 1546, And Including The Definitive Treaty Of 1763**, D.Steel and J.Millan, London, UK, p 198. And :

Alexander Meyrick Broadley, **op.cit**, Vol 1, p p 52 53. and**:** palosat zsolt, **the foundations … op.Cit**, p 50.

انظر بنود المعاهدة كاملة في: Her Majesty's Stationery Office, **british and foreign state papers 1812-1814,** vol I, James Ridgway and sons, London, UK, 1841, p p 733 734.

[3] - تبين سجلات القنصلية البريطانية أنه تم إبرام هذه المعاهدة بسبب سوء المعاملة التي يلقاها قناصل بريطانيا من طرف أحد الأمراء المراديين هو محمد باي أثناء الخلاف على السلطة مع أخيه وعمه. ينظر: Barbe Patteson, **op.Cit**, p 22.

[4] - Zsolt Palotas, **Diplomatic and military relations between England and the regency of Tunis in early modern age (1662-1751)**, revue archives-histoire, N°1, Publication Annuelle des Archives Nationales de Tunisie, Tunis, Mai 2014, p 29.

[5] - Robert Gauthier**, le bey de Tunis,** journal le monde, Paris, France, 12 juillet 1945, sur le lien suivant: https://www.lemonde.fr/archives-du-monde/12-07-1945/ .

[6] - Armand de Flaux, **op.Cit**, p377.

[7] - رقية شارف، **المرجع السابق**، ص 138.

دون موافقة الديوان لان سلطته كانت نظرية وعليه التداول في المسائل العسكرية والقضائية والمالية مع الديوان[1]، ثم أصبح ينتخب من طرف رياس البحر بعد ذلك[2]، وقد شبّه Jean Baptiste Salvago [3] منصب الداي في تونس بمنصب الملك في أوربا، فعلى الرغم أنّ القرارات الهامة تصدر على الديوان لكن بعد موافقة الداي[4]، واستطاع الداي إخضاع كل من الباشا والباي لسلطته[5].

ب-التطورات السياسية في تونس بعد انقلاب 1591م:

تشكل الحكم العثماني بتونس من المناصب العليا التالية: الباشوات (ولاة أتراك معينين مباشرة من الآستانة) ثم الدايات (قادة العسكر من الدرجة الدنيا) ثم البايات (قادة المحلة لجمع الضرائب)، وهذا التطور كان بالأساس بسبب تفاعلات داخل الفئة التركية الحاكمة قبل أن يكون ناجما عن أي تأثير للأهالي المحليين[6].

ارتقى إلى سدة الحكم كل من الداي والباي وهما شخصيتان غير عسكريتين من حيث الوظيفة، ولم تُمكّن المصادر من إعطاء توضيحات دقيقة حول وضعية كل منهما داخل الجهاز العسكري التركي، فكلا الشخصيتين تنتميان إلى الانكشارية وإن أضفت عليهما الصفة السياسية[7]، لكن المؤرخ لطفي بوعلي يستثني البايات من الانتماء للانكشارية ويحصرها في طائفة الدايات، حيث يقول: « كما أن هذه الفترة

[1] - عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574 إلى 1671**، مجلة دراسات إنسانية، مج2، العدد2، جامعة الجزائر2، الجزائر، 30 /2002/06، ص 117.وكذلك: Victor Silvera, **op.Cit**, p 595.

[2] - فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، **الحكم العثماني في الجزائر وتونس دراسة مقارنة**، مجلة القرطاس، العدد 4، جامعة تلمسان، جانفي 2017، ص 44.

[3] - هو مبعوث مملكة البندقية إلى أيالتي الجزائر وتونس للتفاوض حول إطلاق أسرى البندقية وسفنها لدى الأيالتين، قدم إلى تونس سنة 1625م في عهد يوسف داي بمعية سفينة عثمانية لحراسته، لكنه فشل في مسعاه مما يؤكد استقلال هذه الأيالات في قراراتها عن الباب العالي. ينظر: Asma Moalla, **op.Cit**, p XV.

[4] - Pierre Granchamp, **Une mission…op.Cit**, p 482.

[5] - Alexander Meyrick Broadley, vol I, **op.Cit**, p 49.

[6] - عبد الرحمان الهذلي، **هكذا أسس العثمانيون للدولة القطرية التونسية**، مركز الدراسات الإستراتيجية والديبلوماسية، تونس، 15 ماي 2020، مقال الكتروني، اطلعت عليه بتاريخ: 8 أوت 2020، على الرابط التالي:

.http://www.csdscenter.com/article/

[7] - خليفة الشاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ**، ج2، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007، ص 206.

(يقصد فترة حمودة باشا الحسيني) سجلت تطورا لافتا في الأداء السياسي والعسكري تمثل في تأدية الباي لزيارة غير مسبوقة للداي قارة برنلي الذي يمثل الطائفة الانكشارية في مسعى لمهادنتهم والتقرب منهم»[1].

كان أول من تولى منصب الداي إبراهيم روديسلي(1591-1592م) والذي يدل اسمه بأنه أصيل جزيرة رودس اليونانية[2]، ثم عقبه موسى داي الذي تطلع إلى التفرد بالحكم ما جرّ عليه غضب العسكر فتخلى عن الحكم، ثم تولى السلطة عثمان داي[3] سنة 1593م الذي شهدت الأيالة في عهده استقرارا وأمنا، واستطاع بما أوتي من فطنة وحسن تدبير أن يُسير البلاد ويعم الرخاء بين ربوعها، واستمر في الحكم إلى غاية 1610م[4] تاريخ وفاته[5]، غير أن بعض المؤرخين يقولون أنه واضع أسس الحكم الاستبدادي شبه المطلق، وأنه قضى على نظام الديمقراطية العسكرية الذي ينص على أن القرارات الهامة تتم بموافقة غالبية الدايات[6].

تمكن عثمان داي من التحكم في الديوان واستحدث منصبين هامين، أولهما منصب الباي ويختص بالنظر في شؤون القبائل واستخلاص الجباية منهم[7]، وهذا المنصب يشبه ما يعرف في أوربا بالمتصرف العام وهو رئيس الجند والمكلف بتحصيل الضرائب[8]، والثاني منصب القبطان وهو رئيس بحرية الأيالة[9]، وأول من

---

[1] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري...المرجع السابق**، ص 70.

[2] - ينفرد فكتور بيكيه أن اسمه إسماعيل رودسلي. ينظر: Victor Piquet, **Les Civilisations… op.Cit**, T3, p 213.

[3] - عثمان داي: أحد الجنود الذين قدموا إلى تونس مع سنان باشا وأحد الدايات الذين قاموا بالانقلاب سنة 1591م، استطاع أن يصل إلى السلطة سنة 1593م وفرض حكما استبداديا، سادت في فترة حكمه مظاهر الرخاء والأمان وكان له دور مشهود في إنقاذ الكثير من مسلمي الأندلس وسهل لهم الاستقرار في تونس، نشطت في عهده القرصنة البحرية واكتسبت تونس مكانة بين دول البحر المتوسط، وهو جدّ المحسنة الشهيرة في تونس"عزيزة عثمانة ". ينظر: محمود مقديش، ج2، **المصدر السابق**، ص ص 88 89. وينظر أيضا: ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص ص 202 203. وينظر أيضا: محمد الهادي الشريف، **خلاصة تاريخ...المرجع السابق**، ص ص 135 136.

[4] - تذكر مراجع أخرى أن تاريخ وفاته كان يوم 4 شوال 1019هـ/الموافق11 جانفي1611م حسب ما جاء في المرثية الموضوعة على قبره. ينظر: Jean Pignon-Reix, **Un document inédit sur les relations franco-tunisiennes au début du XVIIe siècle**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°20, Aix-en-Provence, France, 1975, p 109.

[5] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 109.

[6] - Hussein Boujarra, **op.Cit**, p 193.

[7] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 109.

[8] - صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 31.وكذلك: Asma Moalla, **Sipahis…op.Cit**, p115.

[9] - jacques Revaault, **palais et demeures de Tunis (XVIe et XVIIe siècles)**, éditions du centre nationale de la recherche scientifique, Paris, France, 1967, p12.

تقلده محمد بن الحسين باشا[1]، حيث تحظى هذه الوظيفة بأهمية بالغة في بلد يعتمد على النشاط البحري، وما ينجم عنه من مداخيل لخزينة الدولة في ما عرف بالقرصنة البحرية التي كان أوج نشاطها خلال القرنين 16 و17م[2]، ومن أهم انجازاته العسكرية بناء جسر بطول 9 أميال بين جزيرة جربة والساحل التونسي لتسهيل حركة الجيش نحو الجزيرة[3].

بعد وفاة عثمان داي تولى السلطة يوسف داي (1610-1637م)، وازدهرت في عهده البلاد بسبب كثرة الغنائم من نشاط المراكب البحرية، وزاد عددها حتى وصل 25 مركبا كبيرا مجهزا[4]، تفصيلها الآتي: 12 قطعة من الحجم الكبير (vaisseau) و6 غاليرات و4 بطاشات و3 فرقاطات[5]، كما قام بفرض الانضباط والنظام على الجنود اليولداش وكان مهابا صارما[6].

يذكر أ Alphonse Dilhan أن هذا الداي كان يحوز على ثروة ضخمة من عائدات القرصنة وكان سخيا على أفراد الجيش المعوزين ويتكفل لهم بكمية من الخبز يوميا مقسمة كمايلي: 200 للكراغلة و100 للأتراك و50 للأندلسيين و50 للعرب[7]، ثم تولى الأمر بعده أسطا مراد[8](1637-1640م) وكانت حسناته كثيرة في الاهتمام بأمور الرعية وعمّ الرخاء في زمانه وتدنت أسعار السلع في الأسواق فعمّ الرضا عامة الناس[9]،

---

[1] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 109.

[2] - Auguste Pavy, **op.Cit**, p 340.

[3] - Robert Mantran, **La description des côtes de la Tunisie dans le Kitâb-i Bahriye de Piri Reis**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°24, Aix-en-Provence, France, 1977, P 231.

[4]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 229.وكذلك: Jean Baptiste De la faye, **Etat des royaumes de barbarie Tripoly Tunis et Alger**, Guillaume Behourt, Rouen, France, 1703, p 26.

[5]- توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 86.

[6] - victor piquet, T3, **Les Civilisations…op.Cit**, p 265.

[7] - Alphonse Dilhan, **op.Cit**, p105.

[8] - أصله من مدينة جنوى كان اسمه بيزوزو قبل أن يعتنق الإسلام وهو في سن الكهولة، كان مقربا من يوسف داي ثم تولى منصب الداي بعده سنة 1637م لمدة ثلاث سنوات، كانت زاخرة بالأحداث والانجازات منها إصداره لقانون الأعمال البحرية. ينظر: محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص 50.

[9]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 230.

أما عن إسهاماته في المجال العسكري فقد قام بمساعدة الجيش العثماني في حرب أولونة (Avluna)[1] ضد أسطول البندقية وأرسل 8 غلايط[2] مجهزة بالعدة والعدد[3]، كما أنشأ أول وحدة عسكرية من المماليك بعضهم من الأسرى، إضافة إلى إنشاء ميناء غار الملح وتحصيناته العسكرية[4].

بعد وفاة أسطا مراد تولى الحكم احمد خوجة (1640-1647م)، وكانت أهم انجازاته العسكرية تتمثل في:

- أمر ببناء برج حصين لتأمين مرسى تونس بعد إغارة سفن من مالطا عليه، واستيلائهم على عدة مراكب وحرق أخرى في حلق الوادي[5].

- قام بمساندة الجيش العثماني في حربه ضد البنادقة سنة 1055هـ/1645م[6]، حيث جهز جيشا من المتطوعين وأمر أهالي تونس وضواحيها بالمساهمة في تجهيزه.

- سيطرته المطلقة على الجيش بجميع وحداته وهذا بسبب الانضباط والصرامة اللتان فرضهما على أفراده، ويورد ابن أبي دينار واقعة تؤكد نفاذ أمره وطاعة جيشه له فيقول: « وكان مطاعاً في عسكره بحيث أنه استنفر العسكر إلى غار الملح لأجل واقعة يطول شرحها فلم تكن إلا ساعة من النهار حتى خرج العسكر عن آخره ولم يبق في المدينة احد وهذا من نفاذ أمره»[7].

---

[1] - حرب وقعت بين أسطول الدولة العثمانية وأسطول جمهورية البندقية، حيث حاصر هذا الأسطول 16 سفينة عثمانية كانت في طريق العودة من غزوة بحرية في قلعة أولونة على ساحل جزيرة كريت، وقد طال هذا الحصار دون نتائج تذكر ولما بلغ البنادقة قدوم الأسطول العثماني مدعوما بأساطيل الولايات المغاربية، قاموا برمي القلعة المحاصرة بالمدافع واستولوا على السفن وأطلقوا سراح الأسرى المسيحيين. ينظر: خليل ساحلي أوغلي، **المرجع السابق**، ص 333.

[2]- غلايط أو غلائط مفردها غليوط وهي مراكب صغيرة وخفيفة وسريعة جدا مخصصة لنقل الأحمال تضم 25 صفا وثلاثة مجاذيف لكل مجذف وأشرعتها تكون في المؤخرة.ينظر: Luis del Mármol Carvajal et Mika Ben Miled, **histoire des derniers rois de Tunis**, éditions cartaginoiseries, Tunis, 2007, p 72.

[3]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 233.

[4] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 120.

[5]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 233.

[6] - كانت هذه الحرب لفتح جزيرة كريت وضمها للدولة العثمانية والتي استمرت إلى سنة 1669م.ينظر: نجاة سليم المحاسيس، **المرجع السابق**، ص 429.

[7]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص235.

ج- نهاية عهد الدايات وبداية حكم البايات:

اختلفت المراجع في تاريخ نهاية سلطة الدايات في تونس وسيطرة البايات عليها، ونستعرض فيمايلي بعضا من هذه الأقوال:

يقول عبد الكريم غلاب: أن لقب داي تحول إلى لقب باي، وذلك بمنح رتبة الباشوية من السلطان العثماني إلى باي تونس وأول الذين حصلوا على هذا اللقب مراد باي[1]، ويقول مفيد الزيدي: «...وأصبح الحكم وراثيا في هذه الأسرة " مراد كورسو" وحكم مراد (1675-1695م) وقضى على نظام الدايات التونسي بشكل نهائي، وطرد آخر داي خارج تونس مستغلا غضب الشعب على سياسته، ونصب بدلا عنه دايا مطيعا لأوامره عام 1671م»[2]، أما حسين خوجة الذي عاصر حسين بن علي مؤسس السلالة الحسينية فيذكر أن آخر من تولى هذا المنصب هو قارة مصطفى داي سنة 1114هـ/ 1702م ثم عزله إبراهيم الشريف الذي منح لنفسه الألقاب الثلاثة، ثم يذكر لاحقا أن حسين بن علي باي أعاد تنصيب هذا الداي سنة 1117هـ/ 1705م ولم يرد ذكر لخليفته بعد التاريخ المذكور[3]، وإلى ذلك تميل Barbe Patteson الذي ذكرت بأنه تولى حكم تونس 23 دايا خلال فترة زمنية قصيرة (1591-1631م)، تم الإطاحة بهم جميعا ومات أغلبهم نتيجة أحداث عنيفة[4]، أما توفيق البشروش فيخالفهم حيث أفاد أنه تولى منصب الداي خلال الفترة من 1791-1705م 31 دايا منهم 4 لاذوا بالفرار وغادروا البلاد نهائيا، و7 ماتوا ميتة طبيعية، وتم عزل 11 منهم قتل 3 منهم لاحقا، ومات 3 ميتة شنيعة، ونفي اثنان داخل البلاد إلى زغوان وسوسة، وطلب واحد الإعفاء من المنصب، وأن آخر هؤلاء الدايات هو محمد كشك داي أصله من الأرناؤوط الألبان، قضى آخر حياته في الإقامة الجبرية التي فرضها عليه الباي صاحب السلطة الحقيقة في تونس، توفي في 7 سبتمبر 1860م[5].

---

[1] - عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2016 ، ص 350.

[2] - مفيد الزيدي، **المرجع السابق**، ص ص 94 95.

[3] - حسين خوجة، **المرجع السابق**، ص ص 15 16.

[4] - Barbe Patteson, **Chips from Tunis**, Libraire Hachette & co, London, UK, s.d, p21.

[5] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 69.

3- الانقلاب العسكري الثاني 1702م:

قام بهذا الانقلاب ضابط تركي يسمى إبراهيم الشريف ضد حكم البايات المراديين، حيث قام بتصفيتهم جسديا واستولى على الحكم سنة 1702م[1]، ولم يكتف بذلك بل أرغم قادة الجيش على منحه لقب الداي سنة 1704م، ثم اقنع الباب العالي بمنحه لقب الباشا وبذلك اجتمعت بيده السلطات الثلاث السياسية والعسكرية لأول مرة في تاريخ الأيالة[2].

4- تحديث الجيش التونسي:

أ-ظروف التحديث:

ظلت الحامية العسكرية العثمانية تمثل لفترة معتبرة الصورة المصغرة للجيش في تونس، وكانت ترتكز أساسا على الأتراك والمجندين من الولايات العثمانية خاصة في أوربا، وعند الضرورة في حالات الخطر والحرب تستعين بمجموعات عسكرية مختلفة، أما سكان البلاد فقد كانوا مقصيين عن هذه القوة التي كان الباي ينتدب جنودها ويدفع رواتبهم ويقودها بنفسه[3]، ولم تتحلى هذه القوة العسكرية بالصفة النظامية التي تؤهلها لمصاف الجيوش الحديثة في القرنين 17و18م.

مع بداية حكم الأسرة الحسينية بدأت مظاهر التحديث لهذه القوة العسكرية تأسيا بالدول الأوربية التي بلغت في تلك الفترة درجة كبيرة من التحديث والتنظيم لجيوشها، وفي الجانب التوثيقي العسكري كذلك شهد عهد هذه الأسرة ثراء كبيرا خاصة في الفترة بين 1860-1881م[4]، وكانت أولى المحاولات في هذا المجال من لدن حمودة باشا الحسيني الذي تولى الحكم سنة 1782م، حيث أدخل بعض التغيرات على تركيبة

---

[1] - محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة...المرجع السابق**، ص 143.

[2] - شارل أندري جوليان، ج2، **المرجع السابق**، ص 354.

[3] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 15.

[4] - المنصف الفخفاخ، **المرجع السابق**، ص 193.

القوة العسكرية الموجودة بتونس، التي لم تشهد تغيرات كبيرة منذ قرنين من الزمن ومن بين ما قام به في هذا الصدد أنه قام بتطعيم هذه القوة بعناصر محلية وأخرى غير تركية[1].

لم يكن في تونس قبل سنة 1830م جيش نظامي بالمفهوم الحديث، حيث اعتمدت السلطة على الجنود الأتراك والفرسان العرب، الذين كانوا عديمي الخبرة بالمهارات العسكرية وبعضهم كانوا من ذوي السوابق في بلدانهم، ولم يكن لهم زي عسكري موحد ولا يمتلكون أسلحة عصرية[2]، وكان هذا الجيش يتشكل أساسا من جنود الانكشارية (المشاة والمدفعية) وكانت أغلب وحداته تتمركز في المدن الرئيسية، بينما كان أغلب مناطق البلاد الأخرى تعاني من الاضطراب والفوضى والعصيان[3]، مما أدّى بالبايات في تلك الفترة إلى الرغبة في تحديث الجيش تحت تأثير ظروف داخلية وخارجية، فماهي هذه الظروف بنوعيها؟

١- الظروف الداخلية:

- حالة عدم التنظيم التي سادت الجيش في تونس واعتماده على مجموعات مختلفة غير متجانسة ولا يربطها ببعضها إلا المنافع المادية.
- عدم كفاءة القوى العسكرية التي تعرضت للهزيمة أكثر من مرة خاصة أمام الجيش الجزائري[4].
- عدم وجود قوانين منظمة لعمل الجنود وتدريبهم ورواتبهم، مما أدى إلى كثرة التمردات والعصيان.
- رغبة البايات مع بداية القرن 19م في تحديث الأيالة في كل المجالات، وبالأخص في المجال العسكري نظرا للأخطار الداخلية والخارجية التي تهدد سلطتهم[5].

---

[1] - Thomas Macgill, **Nouveau voyage à Tunis,** C.L.F Panckoucke, Paris, France, 1815**,** p 12.

[2] - Armand Flaux, **op.Cit**, p 175.

[3] - Mohamed-el aziz ben achour, **LA cour du …op.Cit**, p XIV.

[4] - عبد الرحمن الهذلي، **المرجع السابق**

[5] - عبد اللطيف بلمعطي، **التجربة الإصلاحية المغاربية زمن القرن التاسع عشر: الإصلاحات السلطوية -تونس والمغرب- نموذجا**، موقع أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان، المغرب، مقال الكتروني، 6 أفريل 2018، على الرابط التالي: https://www.anfasse.org/.

٢- الظروف الخارجية:

- تخوف حسين باي من توصل فرنسا والجزائر إلى صلح ينجم عنه انتقام الجزائريين من الموقف التونسي الموالي لفرنسا وعد التزامه للحياد[1].

- بسط فرنسا نفوذها على قسنطينة سنة 1837م مما أثار قلق السلطة في تونس من استهدافها لبلادهم[2].

- تمكن الدولة العثمانية من القضاء على حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا وإعادتها للحكم المباشر منذ سنة 1835م، مما أجج مخاوف الباي من تكرار التجربة الليبية في تونس[3].

- انتشار أفكار الحداثة ومظاهر الثورة الصناعية في الأوربية في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك الدولة العثمانية وولاياتها[4].

ب- بوادر الإصلاحات العسكرية الأولى:

حدثت بوادر الإصلاحات العسكرية الأولى سنة 1831م[5] عندما أسس حسين باي[6] نواة الجيش النظامي الجديد، تحت تأثير وزيره الأكبر يوسف صاحب الطابع الذي كان معجبا بإصلاحات محمد علي باشا في مصر[7]، وفي ذلك يقول ابن أبي الضياف: «...رجعنا في جمادى الأولى سنة سبع وأربعين (أكتوبر-

[1] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 352.

[2] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث...المرجع السابق**، ص 81.

[3] - منير الفندري، **رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835**، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 1991، ص 123. وكذلك: الحبيب الجنحاني، **الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، حوليات الجامعة التونسية، العدد6، جامعة تونس، 1969، ص 115.

[4] - خالد زيادة، **المسلمون والحداثة الأوربية**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الظعاين، قطر، 2017، الفصل الثاني، ص 5.

[5] - أو في سنة 1832م في مراجع أخرى، ينظر: المختار كريّم، **رأي في محمد سلامة التونسي والعقد المنضد أو (حلقة التاريخ الثقافي التونسي المفقودة)**، حوليات الجامعة التونسية، العدد29، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 1988، ص 197.

[6] - حسين باي: (1824-1835م) تولى الحكم خلفا لأخيه قام بحل الفرق الانكشارية سنة 1829م، وانتدب عوضاً عنها القولوغلية وتخلى عن كل انتداب من الخارج وشرع فعليا في إنشاء الجيش النظامي في نفس السنة، كما قام بالاستعانة بمدربين فرنسيين لتحديث هذا الجيش، كان موقفه سلبيا من احتلال فرنسا للجزائر. ينظر: إبراهيم حسين عبد الله، **تمردات وثورات الإنكشارية في تونس خلال عهد الأسرة المرادية والنصف الأول من عهد الأسرة الحسينية (1631-1831م)**، مجلة جامعة سرت العلمية، جامعة سرت، ليبيا، ديسمبر 2016، ص 79.

[7] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 81.

نوفمبر 1831م)، بعد أن لبسنا هناك زي الجيش النظامي، وجاء معنا رسول بالشعار الملكي النظامي، فلبسه الباي في ديوان حافل عل العادة»[1].

تكونت النواة الأولى من ألف جندي من الأتراك وعسكر زواوة والعناصر المحلية[2]، تم اختيار هؤلاء العناصر من الشباب المسجلين في ديوان الجنود وجعلهم الباي في فرقة المدفعية وأمر بإقامتهم في ناحية المحمدية[3]، وأشرف على تدريبهم عسكريون فرنسيون حيث كان الاتجاه العام حينذاك هو تبني التقنية والتنظيم الأوربيين[4]، وكانت هذه التجربة الأولى من نوعها حيث يجتمع عساكر مسلمين ومسيحيين في مؤسسة واحدة تابعة للجيش النظامي واعتبرت كخطوة جريئة من طرف الباي التونسي في مسار الانفتاح على أوربا[5]، يقول ابن أبي الضياف في ذلك: « وفي شعبان 1246 (جانفي)، شرع الباي في ترتيب العسكر النظامي، وذلك انه جمع شبانا من أولاد الجند الثابتين في ديوانه، أكثرهم طبجية، وضم لهم آخرين من أولاد البلاد، وأسكنهم المحمدية، وجلب لهم معلما من فرانسا لصناعة الرمي بالمدفع والمكحلة، على الترتيب النظامي، ثم كثر عددهم شيئا فشيئا»[6]، وقد تم الاستغناء عن هذه التجربة بسبب عدم جدواها في تحديث الجيش لأنها اتسمت بالارتجال ولما يبدأ التحديث الحقيقي للجيش إلا في عهد أحمد باي[7] في العقد الخامس من القرن 19م[8].

---

[1] - احمد ابن أبي الضياف، ج 3، **المصدر السابق**، ص 179 .

[2] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث**...**المرجع السابق**، ص 76. لكن المؤرخ محمد العزيز بن عاشور يقول أن العناصر المحلية أي التونسيين لم يخضعوا للتجنيد قبل سنة 1836م. ينظر: Mohamed El Aziz Ben Achour, **révoltes et… op.Cit,** p 68.

[3] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 75.

[4] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 207.

[5] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 85.

[6] - احمد ابن أبي الضياف، ج 3، **المصدر السابق**، ص ص 179 180.

[7] - أحمد باي: يُعرف بالمشير احمد باي تولى الحكم سنة 1837م خلفا لعمه مصطفى باي، كان طموحا وذكيا وكانت تربيته وميولاته عسكرية، حيث كان المؤسس الحقيقي للجيش النظامي التونسي الحديث، كما قام بتأسيس مدرسة باردو الحربية ومن أبرز انجازاته كذلك إلغاء الرق سنة 1846 م. ينظر: الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956**، المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ب س، ص ص 16 17.

[8] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش النظامي التونسي ومحاولات تحديثه خلال القرن 19م**، أعمال ندوة : تاريخ الجيش التونسي « من العهود القديمة إلى عهد التحول» ،وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30و31 اكتوبر 1997، ص 196.

قام أحمد باي بحركة إصلاحية عامة شملت كل مؤسسات الدولة وأحدث قدرا من الاستقلالية عن السلطة المركزية في اسطنبول، وبدأ بتشكيل قوة عسكرية جديدة على أسس عصرية يكون ولاؤها التام للباي مما يقتضي صرف النظر عن الطرق القديمة في التجنيد[1]، ويُجمع عدد من المؤرخين أن أحمد باي تأثر في خطواته التحديثية هذه بعدة عوامل كانت سائدة في فترة حكمه منها إصلاحات السلطان العثماني محمود الثاني[2] وتجربة محمد علي باشا[3] في مصر خاصة في الميدان العسكري[4]، ويقول محمد ابن سلامة واصفا مدى تأثر الطبقة الحاكمة في تونس بفكر محمد علي وإصلاحاته:«...ثم إن هذا النظام كثر وشاع خبره بين جميع الناس وأحكم أمره غاية الإحكام الباشا النجيب محمد علي حاكم مصر ورتبه وزاد في معناه ونحن في بلادنا ليس لنا منه إلا السماع »[5]، إضافة إلى زيارة الباي التاريخية إلى فرنسا التي تركت صداها البالغ في فكره، وعملت هذه العوامل جميعها على الدفع به إلى إقرار تحديثاته والخروج من دائرة التردد التي وقع فيها والده حسين باي[6]، غير أن بعض الباحثين يقولون أن أحمد باي قام بهذه الإصلاحات بضغط من الدولة العثمانية باعتبار ذلك مظهرا من مظاهر الولاء والتبعية لها حيث تم إرسال أمر تنظيمي من

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش...المرجع السابق**، ص 197.

[2] - محمود الثاني: (1785-1839) تولى مقاليد الحكم سنة 1808م في فترة ضعف الدولة واجتهد في محاولة بعثها من جديد، من خلال إصلاحات كثيرة منها القضاء على الانكشارية وتحديث الجيش العثماني على أسس عصرية مقتبسة من النظم الأوربية، كما أرسل الطلاب إلى الكليات العسكرية الألمانية واهتم بتعليم اللغات الأوربية، وأجرى تحسينات على نظام المواصلات وقام بأول مسح عام للأراضي في الدولة. ينظر: تيسير جبارة، **تاريخ الدولة العثمانية 1280-1924**، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، رام الله، فلسطين، 2015، ص 170.

[3] - محمد علي باشا:(1769-1849) أصله من ألبانيا، تولّى حكم مصر منذ سنة 1805م، يعرف بأنه مؤسس مصر الحديثة بسبب انجازاته الكثيرة، منها: إضفاء الصبغة القومية على قراراته السياسية، تأسيس جيش حديث والأسطول المصري، إضافة إلى إنشاء عدد كبير من المدارس الحربية والجسور والطرق. ينظر: جمال بدوي، **محمد علي وأولاده بناة مصر الحديثة**، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 1999، ص 15. وينظر أيضا: عمر طوسون، **الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا**، مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014، ص ص 22-25.

[4] - Léon Carl Brown, **op.Cit**, p 272.

[5] - محمد بن سلامة، **العقد المنضد في أخبار المشير أحمد**، دار الكتب الوطنية، مخطوط رقم 18618، الورقة 58.

[6] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش...المرجع السابق**، ص 197. وكذلك:

Léon Carl Brown, **op. Cit**, p 6. Et: Amos Perry, **op. Cit**, p471.

اسطنبول إلى تونس بتاريخ 14 صفر 1247هـ/ 1830م من اجل الشروع في إحداث جيش نظامي على الطريقة العثمانية[1]، لأن الدولة العثمانية شرعت في هذه الإصلاحات التي عرفت باسم" تنظيمات"[2]، على نمط خط شريف كلخانة[3] الذي يتضمن حريات الأفراد الأساسية[4]، وقد أبدى احمد باي اهتمامه بهذه الإصلاحات وإعجابه بها، لكنه رفض تطبيقها بحجة اختلاف الطباع والبقاع، مما يؤكد على خصوصية الأيالة رغم تبعيتها الاسمية للدولة العثمانية[5]، بينما تذكر مراجع أخرى أنّ الباي هو من أراد تطبيق التنظيمات العثمانية في بلاده لما يراه من أهمية وايجابية لهذه التنظيمات[6]، ولعل المؤرخة بارب باتسون barbe Patteson قد جانبت الصواب حينما وصفت عصر أحمد باي بكلمتين: التقدم والحضارة[7].

---

[1] - Ministère des affaires étrangères, **Affaires de Tunisie**, supplément, avril-mai 1881, imprimerie nationale, Paris, France, 1881, p 48.

[2] - منى صالحي، **تأثير الإصلاحات العثمانية على تونس من خلال إتحاف أهل الزمان لأحمد بن أبي الضياف**، مجلة البحوث التاريخية، مج3، العدد1، جامعة المسيلة، الجزائر، مارس 2019، ص 98. وكذلك:

Hedi Saidi, **Le protectorat et le droit La Régence de Tunis entre la Charte de 1861 et le système colonial français**, revue Insaniyat, N° 65-66, Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle, Algérie, juillet - décembre 2014, p 241.

للتعرف على فحوى هذه التنظيمات ونتائجها على الدولة العثمانية وولاياتها ينظر: أنكه لهارد، **تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية**، تر: محمود علي عامر، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017، ص ص 92 93. وينظر أيضا: نور الدين الصغير، **إشكالية الحداثة لدى النخبتين التونسية والمصرية في القرن التاسع عشر**، دار المنظومة، تونس، 1993، ص 17.وينظر أيضا:

Le général Khérédine, **Réformes nécessaires aux États musulmans: essai formant la première partie de l'ouvrage politique et statistique intitulé "la plus sûre direction pour connaître l'état des nations"**, E.Dentu Editeur, Paris, France, 1875, p 34.

[3] - بمعنى مرسوم قصر الزهور السلطاني نسبة للقصر الذي يقيم به السلطان العثماني في اسطنبول. ينظر: معتز القرقوري، **المرجع السابق**، ص 45.

[4] - صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 166.وكذلك: معتز القرقوري، **المرجع السابق**، ص 45.

[5] - معتز القرقوري، **المرجع السابق**، ص 46.

[6] - André Raymond, **British Policy towards Tunis (1830-1881)**, University of Oxford, London, UK, 1953, p 248.

[7] - Barbe Patteson, **op.Cit**, p 34.

ج- أبرز المواقف من مسألة تحديث الجيش:

١- موقف العلماء:

عارض غالبية علماء مدينة تونس تحديث الجيش وتقليد الجيوش الأوربية في تنظيمه وزيّه وأنكروا ذلك، ولعل ابرز هؤلاء شيخ الإسلام محمد بيرم الرابع[1] الذي عارض كل مشاريع التحديث في البلاد كالمجلس الشرعي والجيش، وذلك بسبب رفضه للإطار الذي وضعت فيه هذه التحديثات وكيفية تطبيقها[2].

٢- موقف قادة الجيش القديم:

لم يستسغ كبار قادة الجيش من الأتراك والمماليك مشروع الباي لتحديث الجيش على النمط الأوربي خوفا على مناصبهم وحفاظا على امتيازاتهم ورفضا لكل ما يأتي من الأجنبي، لكن هذا الموقف لم يكن حادا ولا عنيفا على عكس ما تعرض له السلطان محمود الثاني من طرف الانكشارية ولا ما واجهه محمد علي باشا في مصر من المماليك[3]، ومع ذلك فقد عمل حسين باي ومن تولوا الحكم من بعده على التأني والتريث في تنفيذ برنامج تحديث الجيش، لعلمهم المسبق بمعارضة قادة الجيش لأي تغيير في نظمه أو طريقة التجنيد أو تشكيلاته العسكرية، ويلخص ابن أبي الضياف ذلك بقوله: « ...وتقدم في ترتيب هذا العسكر متأنيا، مراعاة للجند السابق وهم الحامية يومئذ، وبيدهم حصونها في الحاضرة والبلدان، متوقعا منهم ثورة »[4].

---

[1] - ولد سنة 1805 بتونس لعائلة عريقة عرفت بالفضل والعلم، بدأ مهنة التدريس مبكرا في سن 18 في كل من المدرسة العنقية والمدرسة الباشية، أصبح بعدها مفتي الأحناف ونقيب الأشراف، عرف بعدله وإنصافه وهو كذلك أهم الشخصيات المحافظة التي تحيط بالباي. ينظر: احمد ابن أبي الضياف، ج 7، **المصدر السابق**، ص ص 124 125.

[2]- فاطمة الزهراء رحماني ومحمد دراج، **موقف علماء الأزهر والزيتونة من الفكر التحديثي خلال القرن 19م**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج1، العدد1، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، جوان 2020، ص 177.

[3] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 60 .

[4] - احمد ابن أبي الضياف، ج 3، **المصدر السابق**، ص 180.

٣- موقف أهل الحاضرة (مدينة تونس):

قابل أهالي الحاضرة قرار الباي تحديث الجيش وتجنيد أبناءهم في صفوفه بالرفض والاحتجاج، يقول ابن أبي الضياف: «...وقالوا أن أهل الحاضرة لا يؤخذ منهم العسكر، وأبناء الترك هم العسكر لثبوتهم في ديوان المرتب، وأي حاجة لكثرة العسكر الذي يزداد به مصرفنا ويقل بهم دخلنا...كما لا نتحمل عادة لم تجر على آوائلنا من آوائلك وعسكر تونس ترك وزواوة»[1].

5- مراحل تكوين الجيش النظامي:

أ- المرحلة الأولى قبل 1831م:

شكّل الأتراك غالبية فرقة الإنكشارية المكون الأساسي للجيش النظامي التونسي، أما العرب والموريسكيون والمماليك فلم يتمكنوا من الانضمام إلا بنسبة قليلة، وتم استخدامهم في مجالات أخرى كالإدارة وغيرها[2]، وذلك لمنعهم من تشكيل جماعات منافسة للأتراك يمكن أن تصل بهم إلى إعلان الثورة، وهذا ما أطلق عليه بعض الباحثين la turcophilie أي سياسة تتريك النظام والدولة[3]، لكن منذ وصول البايات إلى سدة الحكم تخلوا تدريجيا عن العنصر التركي واتجهوا إلى تجنيد العنصر العربي من جميع طبقات المجتمع التونسي[4].

في مطلع القرن 19م كان بإمكان الباي حمودة باشا الحسيني في أي وقت جمع من 40 ألف إلى 50 ألف رجل يمثل الفرسان ¾ منهم، ويصل عدد الأتراك من بينهم حوالي 6 آلاف رجل الذين يعتبرون الفئة الأكثر شجاعة وقوة في الحروب[5]، لكن عددهم شهد تناقصا ملموسا في نهاية حكم والده علي باي حيث بلغ سنة 1782م حوالي 8 آلاف رجل[6].

---

[1] - احمد ابن أبي الضياف، ج 3، **المصدر السابق**، ص 209.

[2] - Sami Bargaoui, **op.Cit**, p 211.

[3] - Isabelle Grangaud, **La ville imprenable Histoire sociale de Constantine au XVIII^ème siècle**, thése de doctorat en l'histoire, Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales (EHESS), Paris, France, 1998, p 294.

[4] - Armand de Flaux, **op.Cit**, P 94.

[5] - Thomas Maggill, **op.Cit**, P 36.

[6] - Armand de Flaux, **op.Cit**, P 94. Et: , Narcisse Faucon, **op.Cit**, P 172.

كان انتداب الجنود في عهد حمودة باشا الحسيني من مناطق غرب وجنوب الأناضول يتم عبر وكلاء في مدن أزمير وأيدين وسينوب وغيرها[1]، لكن بعد كثرة تمرد هذه المجموعات بدأت السلطة في تونس تفكر جديا في الاستغناء عن العناصر الانكشارية القادمة من الأناضول خاصة بعد سنة 1816م[2]، واستعاضت عنهم بالعناصر التركية المولودة بتونس والتي تولّد لديها انتماء باعتبارها بلدهم الأصلي، وأصبحوا لا يرتبطون حسيا ولاماديا بوطن آبائهم[3]، وتشكلت في عهده الدولة المجالية بُعديها الترابي والبشري في أعلى درجات تكوينها[4]، وكان المشير أحمد باي رائدا في هذا الاتجاه حيث قام لأول مرة في تاريخ الأيالة بمنح بعض القيادات العسكرية العليا " لأبناء البلد ولادةً "، وأبطل هذا الامتياز الذي كان حكرا على المماليك[5]، الذين كانوا بمختلف رتبهم (قياد، آغوات، جنود، كبار الضباط) يسيطرون على أعلى المراتب السياسية والعسكرية وتمتعوا بحظوة كبيرة[6].

حظي اليونانيون بأفضلية في الحصول على فرص لممارسة التجارة أو العمل في الإدارة أو في الانضمام للجيش، وسبب ذلك أن اندماجهم في فئة الأتراك كان أكثر سهولة من بقية الأوربيين المهتدين "المماليك"، فبرغم من أن عددهم كان لا يتعدى المئات إلا أن تأثيرهم في المجتمع والسلطة والجيش كان كبيرا[7]، ولا أدل على ذلك من أن المجلس الأكبر[8] الذي ظهر بمقتضى دستور 1861م[9] كان يتكون من 60 عضوا من بينهم 40

---

[1] - Asma Moalla, **op.Cit**, P 88.

[2] - Gérard van Krieken, **Khayr al-Din et la Tunisie 1850-1881**, E. J. Brill, Leiden, Netherlands, 1976, p10.

[3] -9. Raymond Drevet, **op.Cit**, P

[4]- عبد الحميد هنية، **بناء الدولة المجالية، المرجع السابق**، ص 24.

[5]- الهادي التيمومي، **تونس والتحديث، المرجع السابق**، ص 85.

[6]- منى كمون، **الأتراك بمدينة القيروان محمد الشاوش التركي وداره من خلال الوثائق**، مجلة السبيل، العدد7، تونس، 2019، ص 3.

[7] - Julia A. Clancy-smith, **op.Cit**, p p 84 85.

[8] - ظهرت هذه المؤسسة في عهد محمد الصادق باي قد نص دستور1861م، على بعث المجلس الأكبر الذي يتكون من ستين عضوا، 20 منهم يختارون من بين كبار الموظفين والضباط السامين بالدولة و40 من بين أعيان البلاد، وهم لا يتقاضون مقابلا على ذلك والجميع يعيّنهم الباي، وأهم مهامه وضع القوانين وتنقيحها وشرحها وتأويلها والموافقة على الأداءات ومراقبة الوزراء، ودرس مشروع الميزانية، وتبرز هذه الوظائف مدى شمولية اختصاصات المجلس الأكبر التي كانت في الوقت نفسه تشريعية ومالية وقضائية وإدارية، بما يؤكد أهمية دور هذه المؤسسة، إلا أن العمل بهذه المؤسسة لم يستمر طويلا ووقع التخلي عنها غداة ثورة علي بن غذاهم عام 1864م. ينظر: **وثيقة الدستور**، الباب السادس، الفصول من 1 إلى الفصل 16. ينظر أيضا: Hedi Saidi, **op.Cit,** p243. Et : Jean Ganiage, **op.Cit,** p 56.

[9] - يذكر بعض المؤرخين أن الدستور صدر سنة 1860م مخالفين بذلك جمهور المؤرخين. ينظر على سبيل المثال:

Victor Piquet, **La colinisation francaise dans l'afrique du nord**, Librairie Armand Colin, Paris, France, 1914, p 309.

من المماليك حاشية الباي[1]، والذي كان من مهامه التشريع في كل الأمور من بينها شؤون الجيش مثل: سن قوانين جديدة أو تغيير قانون معين، أو زيادة أو تخفيض الرواتب أو النفقات مهما كانت، زيادة الجيش أو عتاده أو عتاد البحرية أو إدخال صناعة جديدة وكل ما هو جديد في الشؤون العسكرية[2].

١- انتداب الجنود الأتراك المحليين:

كان الأتراك مطالبون بتسجيل أسماء أبنائهم منذ ولادتهم في دفاتر الديوان (ديوان الجند) ويكون هذا التسجيل بمثابة التزام بالخدمة العسكرية، ويتقاضون مقابل ذلك الالتزام راتبا يساوي ½ ناصري يوميا[3]، وأضاف لهم الباي عددا من الشباب من أبناء السكان المحليين وجعلهم في سلاح المدفعية خاصة، وكان جلهم من مدن الساحل والقيروان[4].

٢-مرحلة التجنيد العشوائي:

كانت عملية التجنيد تتم بصورة عشوائية[5]، أو عشوائية للغاية كما ذكر بيار زاكون Pierre Zaccone[6]، ومن قبيل ذلك أن الباي كان يرسل من يمثله في مختلف جهات البلاد لتجنيد عدد من الجنود فيتم ذلك بدون قانون أي انتداب قهري دون مواصفات محددة[7]، يذكر ابن أبي الضياف نموذجا لهذا الانتداب العشوائي في عهد حمودة باشا الحسيني حيث يقول: « فكان إذا رأى شابا قوي الجسم من سواد البلاد يقول له: أبوك تركي ولم يُرسّم اسمك في الزمام، وأنت لم تأت لرسم اسمك مع إخوتك هروبا من مشقة الخدمة فيقول له: يا سيدي أبي فلان وجدي فلان فتُكذّبه رؤساء حوانب الترك ويشهدون أن أباه "أُزن

[1] - عبد الكريم عزيّز، **نضال شعب أبيّ تونس 1881-1956**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 34.

[2] -Jean Ganiage, **op.Cit,** p 56.

[3] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص 157.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 46.

[5] - Lisa Anderson, **op.Cit**, p 68.

[6] - Pierre Zaccone, **op.Cit**, p 218.

[7] - محي الدين المبروك، **المرجع السابق**، ص 115.

محمد" أو "دالي باش" أو" كور علي" وغير ذلك من الألقاب التركية، فيعمل شهادتهم، ويثبته في ديوان الجند»[1].

أبدى القنصل الأمريكي استغرابه من هذه الطريقة العشوائية في التجنيد، فيقول: « طريقة تجنيد الجيش غريبة، يقوم الضباط الكبار بجولات للمراقبة ويصلون إلى أي مكان يريدونه، ويُصدرون الأوامر لجميع الشباب للمثول أمامهم، واختيار من يصلح للجندية، ويحاول أولياء هؤلاء الشباب بطرق مختلفة تجنب تجنيد أبنائهم بدمائهم، وبالتضرعات، والمؤامرات، والتضحيات، والمقاومة المفتوحة لإنقاذهم من التجنيد في الجيش»[2]، ثم يسرد لنا واقعة تحاكي ذلك الواقع، بقوله: « كنت أعرف مسلمًا كان يعاني من فظاعة الجيش لدرجة أنه لإبعاد ولديه عنه، لم يعرضهم أبدًا للمصادرة حتى بلغوا العشرين من العمر، عندما انتقلوا من سقف الأب إلى الخدمة في القنصليات الأجنبية ليجنبهم التجنيد في الجيش».[3]

ب- المرحلة الثانية بعد سنة 1831م:

بدأ احمد باي في تجنيد أفراد الجنود النظاميين من السكان المحليين ابتداء من سنة 1838م، حيث تم إدماج جميع العناصر في بوتقة واحدة وهي الجيش النظامي الذي لا يتضمن مجموعات على أساس عرقي أو جهوي أو ديني[4]، أما بالنسبة للضباط فقد كانت هذه الرتب في بداية تأسيس الجيش النظامي حكرا على الأتراك والمماليك[5].

كان أحمد باي يرسل الضباط لانتداب الجنود النظاميين إلى المناطق الحضريّة خاصّة إلى مدن الساحل وقراه حيث يتم التجنيد بالصدفة[6]، فيُثبتون من يرونه صالحا للجنديّة حتى الاكتفاء، وهذا الاكتفاء لم يكن ثابتا ولا معروفا من قبل باعتبار أن الجندية فرض كفاية، والجديد في الموضوع أن الجنود الجدد تونسيون من قرى ومدن تونسيّة لم يعرفوا هذا العمل من قبل، وهو ما سيترتّب عليه ظهور مفهوم

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 54.

[2] - Amos Perry, **op.Cit**, p 472.

[3] - Ibid, p 473.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش...المرجع السابق**، ص 198.

[5] - Léon carl brown, **op.Cit**, p 62.

[6] - Jean Ganiage, **Les Origines …op.Cit,** p 79.

جديد للجنديّة، إلا أنّ ما يُؤاخذ عليه أحمد باي أنه لم يتّخذ قاعدة ثابتة لانتداب الشباب ولم يحدّد مدّة العمل العسكري[1]، ومن قبيل هذه الإجراءات العشوائية في الانتداب ما أمر به المشير أحمد باي الأميرآلاي محمد قائد الآلاي الثاني في سوسة، أن يجمع من الساحل والقيروان وصفاقس ما يستطيع جمعه من الجنود دون تحديد شروط معينة لهؤلاء المجندين[2].

١ –التجنيد عن طريق القرعة:

لجأ البايات لطريقة التجنيد عبر القرعة[3] التي تُظهر مدى عشوائية التجنيد في تلك الفترة، حيث كان الباي عند حاجته إلى جنود لوحداته العسكرية للجيش النظامي، يرسل سرية عسكرية إلى المناطق الداخلية من البلاد حيث يقومون بإيقاف جميع الرجال الذين يقابلونهم في الطريق العام، حيث يتم إجراء القرعة وتجنيد من تقع عليهم[4]، لكن Leila Temime Blili ترى أن هذه الطريقة تؤسس المساواة الفعلية بين الأفراد في عموم الأيالة[5]، وثبتت هذه الطريقة وثيقة عهد الأمان[6] حيث يقول ابن أبي الضياف في ذلك: « وفي هذه السنة (1857) أمر الباي بجعل قانون لإثبات العسكر بالقرعة»[7]، وجاء نصها في المادة 5 من عهد

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش...المرجع السابق**، ص 198. وكذلك: Jean Ganiage, **Les Origines ...op.Cit,** p79.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 54.

[3] - للاطلاع أكثر على طريقة إجراء القرعة وتفصيلها ينظر: الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص ص 83 84.

[4] - Alphonse Dilhan**, op.Cit**, p 230.

[5] - Leila Temime Blili, **op.Cit**, p 220.

[6] - عهد الأمان: وثيقة إصلاحية أصدرها محمد باي سنة 1857م، قام بتحريره وزيره أحمد ابن أبي الضياف بعد مشاورات عديدة مع سياسيين تونسيين ودبلوماسيين أوربيين، يتألف من 11 مادة من بينها مادة تنظيم الجيش تحت عنوان" **المصباح المسفر في تثبيت العسكر**"، كما تضمن مواد أخرى في الشأن الاقتصادي والقضاء وغيرها. ينظر: رابحة محمد خضير وملى عبد العزيز مصطفى، **التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1859-1881 (دراسة في طبيعتها وأبعادها)**، مجلة Route، العدد 6، اسطنبول، تركيا، جانفي 2019، ص ص 504 505. وينظر أيضا: فتحي معيفي، **المرجع السابق**، ص ص 168 169. وينظر أيضا:

Albert Devoulx, **Ahd Aman ou règlement politique et militaire**, R.A, vol 4, A. Jourdan Libraire-Éditeur, Alger, 1859-1860, p p 211-213. Et : Alphonse O'Kelly, **op.Cit**, p 71.

ويسميه Alphonse O'Kelly نص الميثاق الأساسي.

[7] - - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 250.

الأمان كمايلي: « لما كان العسكر من أسباب حفظ النوع ومصلحته تعم المجموع ولابد للإنسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله فلا نأخذ العسكر إلا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكري في الخدمة أكثر من مدة معلومة كما نحرره في قانون العسكر»[1].

قامت السلطة بإحصاء الشبان الذين تنطبق عليهم شروط الخدمة العسكرية، لكن العملية باءت بالفشل لعدم انصياع البدو لها علاوة على عدم نزاهة أعوان الباي ومنحهم إعفاءات لبعض الشبان مقابل مصالح مختلفة، وفي نهاية العملية تم إحصاء 21 ألف شاب وهو رقم بعيد عن التقديرات الرسمية التي بلغت 50 ألفا، وبعد إجراء القرعة تم تجنيد 10 آلاف شاب فقط الذين كان الباي في حاجة إليهم[2].

٢- طرق أخرى للتجنيد:

من بين الطرق التي استخدمها البايات في التجنيد هي إغراء الأسرى المسيحيين بالانضمام لصفوف الجيش بعد إسلامهم، وذلك بمنحهم حصانًا جيدًا وسترة (أي بدلة كاملة) وأجرة شهرية قدرها 7 بياستر، إضافة إلى بطاقة مجانية للاستفادة إحدى الامتيازات بمقدار ¼ بياستر مدى الحياة[3].

كما اقترح الوزير شاكير صاحب الطابع على مصطفى باي تشكيل فرق من العبيد السود المعتوقين تتكون من ألف جندي، فاستحسن الباي الفكرة وأمر بالتعجيل في تشكيلها تحسبا لثورة مرتقبة من الجنود الأتراك، وقد أساء الضباط طريقة جلب هؤلاء حيث تم جلب كل من كانت بشرته سوداء في العاصمة وضواحيها حرا كان ام عبدا دون سابق علم لهم بذلك، مما أثار استياء لدى السكان واستهجانهم لذلك، مادعا الباي إلى إطلاق سراحهم وفشلت عملية تشكيل هذه الفرق العسكرية[4]، بينما يرى الباحث سيونغ هيون كيم Seong Hyun Kim أن تونس لا تحتاج إلى مثل هذا الجيش من العبيد بسبب عدم وجود

---

[1] - وثيقة عهد الأمان، ص 2.

[2] - Jean Ganiage, **Les Origines …op.Cit,** p 83.

[3] - Jean Baptiste De la faye, **op.Cit**, p 118.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 46.

طموحات توسعية لدى بايات تونس على حساب جيرانهم، وإنما سعوا إلى ضمان بقاء الأيالة، وعليه لم يؤثر قرار تحرير العبيد على الوضع العام في الأيالة عكس ما هو عليه الحال في مصر[1].

6-تأسيس وزارة الحرب ومهامها:

تم إنشاء وزارة الحرب في عهد المشير احمد سنة 1837م، ودورها يتمثل في إدارة شؤون الجيش ويتولى وزير الحرب إضافة إلى مهامه الإدارية رئاسة أركان الجيش[2]، وتنقسم وزارة الحرب إلى 4 أقسام هي:[3]

القسم الأول: دوره يتمثل في متابعة الجنود المرسمين في سجلات الجيش وتسييرهم وجميع الأمور المتعلقة بمهامهم العسكرية.

القسم الثاني: دوره يتمثل في الدعم اللوجستيكي للجيش مثل اللباس والمؤونة والرواتب، وعموما كل ما يحتاجه الجيش من مستلزمات للقيام بمهامه العسكرية.

القسم الثالث: دوره يتمثل في متابعة شؤون الصبايحية بالحاضرة (تونس)، والأوجاق الأخرى المرسمين في سجلات الجيش غير النظامي.

القسم الرابع: يختص بالشؤون المالية والتدقيق في المصاريف المختلفة لوحدات الجيش وتحضير الميزانية لها.

أ-الوزراء الذين تولوا وزارة الحرب:

أمير الأمراء مصطفى باش آغا (1837-1862)، أمير الأمراء محمد خزندار(1862-1865)، أمير الأمراء أحمد زروق (1865-1870)، أمير الأمراء أبو الضياء رستم (1870-1878)، الفريق سليم (1878-1881)[4].

---

1 - Seong Hyun Kim, **op.Cit**, p 8.

2 - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 176.

3 - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 77.

4 - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 176.وكذلك: عبد العزيز بوقزي، **عسكريون من القرن التاسع عشر**، مجلة الدفاع، العدد 64، وزارة الدفاع الوطني، تونس، جوان 2016، ص 101.

ب-تنظيم العلاقة بين الضباط والجنود:

كان الضباط يعاملون العساكر من الجنود معاملة سيئة يسودها لاحتقار والضرب والإهانة، إضافة إلى استخدامهم في قضاء أمورهم الشخصية، وقد بلغت مسامع محمد باي روايات متواترة عن سوء المعاملة الذي ينتهجه الضباط، فأصدر أوامره بتاريخ 29 أكتوبر 1855م بمنع هذه التصرفات مهما كانت خطيئة الجندي، وأن تتم استشارته في كل الحالات التي تتوجب العقاب، ليكون القرار في ذلك للباي، وأورد ابن أبي الضياف نص هذا الأمر كمايلي: « أما بعد، فقد بلغني أن بعض الضباط تمتد أيديهم في العسكر بالسجن والضرب وغير ذلك من استخدامهم في حاجات أنفسهم، وليس لهم ذلك، وإنما حسبهم الرئاسة عليهم في التعاليم العسكرية والقواعد الحربية، والترتيبات النظامية التي اليد فيها واحدة،...ومن الآن لا يقع عقاب لعسكري بضرب أو سجن إلا عن أمرنا، فلا يعاقب بضرب من عصى إلا من بيده العصا، وإذا صدر من بعضهم ما يقتضي العقوبة، وخشيتم هروبه، فحسبكم إيقافه في القشلة، وارفعوا إلينا نازلته فورا لنأمركم بالذي يكون عليه عملكم»[1].

ومع مقدم البعثة الفرنسية وإشرافها على تنظيم الجيش التونسي وتدريب الجنود، ساد الانضباط والنظافة بين صفوفهم، ويشيد الكاتب الانجليزي دوقلاس سلادن Douglas Sladen بذلك فيقول:« هم جيدون جدا والجنود نظيفون جدا في لباسهم وعاداتهم ويقول الفرنسيون إنهم يطيعون ضباطهم بالمعنى الحرفي للكلمة أكثر من أي جندي في العا لم»[2]، لكن هذا الانضباط لم يستمر، ودبّ الارتخاء بين صفوف الجند، ويفيدنا المؤرخ Amos Perry الذي عمل قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية بتونس سنة 1862م عن سوء المعاملة التي يلقاها الجنود، فيقول: «...لا أحتاج إلى القول إن الجيش التونسي لا يتميز بالترتيب والانضباط، فالجنود هم الضحايا وأدوات الاستبداد لا تظهر شيئا من روح الأحرار وطموحهم »[3].

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 199.

[2] - Douglas Sladen, **op.Cit**, p p 345 346.

[3] - Amos Perry, **op.Cit**, p 472.

ثانيا-تعداد الجيش النظامي والمجموعات الداعمة له:

1-التعداد:

أ-احصاءات مفصلة:

يتكون الجيش التونسي النظامي من: المشاة، الفرسان، المدفعية، سلاح الهندسة، البحرية، الحرس البلدي[1]، وقد تطور تعداد هذه الفرق بمرور الزمن حسب المعلومات المستقاة من المصادر المتعددة، من بينها:

* يورد جون هنري دونان Jean Henry Dunant تعداد الجيش التونسي والمجموعات الداعمة له في عهد حمودة باشا الحسيني كمايلي:[2]

الفئة	التعداد
الجيش النظامي	20.000
الأتراك والمماليك والكراغلة	أكثر من 5.000
الصبايحية	2.000
عسكر زواوة	3.000

* قدم الضابط السامي في الهندسة الحربية Anselme Guy تقريرا حول الموضوع سنة 1831م، على النحو التالي:[3]

[1] - Pierre Zaccone, **op.Cit**, p 217.

[2] - Henry Dunant, **op.Cit**, p 75.

[3] - Anselme Guy, **mission de commandant de genie guy a Tunis**, Imprimerie de henri dupuy, Paris, France, s.d, p 24.

الفئة	التعداد	ملاحظات
الجيش النظامي	من 900 إلى 1000	
الأتراك والمماليك والكراغلة	ما لا يقل عن 2.000	
الصبايحية	4 أوجاق	لم يذكر عددهم.
عسكر زواوة	حوالي 1500	
رجال القبائل (المخازنية والمزارقية)	حوالي 40.000	اقترح تقليص عددهم إلى 20.000.

* بعد سة أي سنة 1832م، أصبح تعداد على النحو التالي:[1]

الفئة	التعداد	ملاحظات
قوات المشاة النظامية	2000	فوجين يضم كل منهما كتيبتين
سلاح المدفعية والمهندسين	320	
الأتراك	3000	
المماليك والحراس الشخصيين	300	مشاة
عسكر زواوة	2000	4 أفواج (الفرسان المأجورين)
الصبايحية	2000	
أبناء القبائل العربية	40000	

[1] -Grenville T. Temple, **op.Cit**, p 232.

على رأسها الفرسان		
المجموع	49620	

* بحسب المعلومات الواردة في The Almanach de Gotha لسنة 1871م فان تعداد الجيش النظامي وعدد الفرق كمايلي:[1]

الفئة	**التعداد**	**ملاحظات**
المشاة	15000	5 فرق
المدفعية	6000	فرقتين
الفرسان	500	سرب
القوات البحرية	1000	
الكولوغلية	6000	
زواوة	2000	
الصبايحية	4500	موزعين على 9 أوجاق
المجموع	35000	

وهي ذات الإحصائيات التي نقلها Amos Perry لتعداد القوات النظامية وغير النظامية، اعتمادا على إحصائيات قدمها Charles Cubisol نائب قنصل فرنسا العام قبل وفاته سنة 1871م[2].

[1] - **Almanach de Gotha**,108 Année, Gotha ustus Perthes, Ghota, Allemagne, 1871, p 788.

[2] - Amos Perry, **op.Cit**, p 471.

ونلاحظ من المعلومات أعلاه انخفاض في تعداد الجيش عموما والقوات غير النظامية خصوصا، ويرجع السبب في ذلك الى تداعيات الازمة الاقتصادية والعجز المالي الذي ظهرت بوادره سنة 1867م.ويظهر ذلك في المنحنى البياني الذي يمثل تطور وتناقص تعداد الجيش النظامي الوارد في الملاحق[1].

ب- احصاءات أخرى:

يذكر الشيباني بنبلغيث أن تعداد الجيش النظامي في نهاية عهد المشير أحمد باي بلغ 20 ألف جندي[2]، ويضيف أن العدد قد وصل إلى 26 ألف نهاية 1853م[3]، ويؤيد هذا الطرح المؤرخ Alphonse Dilhan بأن العدد هو 20 ألفا لكنه يضيف أنه هذا العدد مبالغ فيه[4]، أما إسماعيل بك سهرنك وشوقي عطاالله الجمل و Alexander Meyrick Broadley فيقولون أن العدد يقارب 30 ألف جندي[5]، بينما يذكر Joseph Fabre أن تعداد الجيش النظامي بلغ 40 ألف جندي[6]، ويشكك المؤرخ الهادي التيمومي في العدد الوارد في المصادر الرسمية وهو 26 ألف جندي، ويقول أن العدد لا يتجاوز 10 آلاف فقط[7]، أما ابن أبي الضياف فلم يذكر العدد لكنه يشير إلى كثرة الجنود بقوله:« وأقبل الباي بعد قدوم ريالة باي[8] في جمع العسكر وترتيبه وتدريبه وصرف كل عنايته لذلك حتى جمع جموعا لم تنتظم لغيره من ملوك تونس»[9].

---

[1]- ينظر الملحق 23.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش...المرجع السابق**، ص 198.

[3] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 51.وكذلك: حمادي دالي، **المرجع السابق**، ص 29.

[4] - Alphonse Dilhan**, op.Cit**, p 228.

[5] - إسماعيل بك سهرنك، ج1، **المصدر السابق**، ص 432. وكذلك: شوقي عطاالله الجمل، **المرجع السابق**، ص 114.وكذلك:
Alexander Meyrick Broadley, vol 1, **op.Cit**, p 10.

[6] - Joseph Fabre, **op.Cit**, p 119.

[7] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث...المرجع السابق**، ص82.

[8] - ريالة باي: اسمه عثمان هو نائب أميرال البحرية العثمانية قدم إلى تونس في عهد أحمد باي لحشد الجيوش ضد ثورة اليونان. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 17. وينظر أيضا:
Albert Devoulx, **Recherches sur la de la Régence d'Alger A la guerre de l'indépendance Grecque**, R.A, vol 1, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1856, p 207, p 300.

[9] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 25.

تقلص عدد الجنود الأتراك في عهد احمد باي حتى صار لا يتعدى بضع مئات، فاغلبهم تجاوز سن الخدمة واندمج في الحياة المدنية.

أما The chevalier de Hesse-Wartegg الذي زار تونس سنة 1880م، فيذكر عدد فرق الجيش النظامي وتعداد قواته حسب ماحصل عليه من وزارة الحرب، كمايلي:[1]

- 5 أفواج من المشاة.

- فوج واحد للمدفعية

- 20 رجلا يمثلون سلاح الفرسان بدون أحصنة (سلاح الفرسان موجود على الورق فقط).

التعداد العام للقوات بين 2000 و3000 رجل، منهم 1000 رجل في العاصمة والبقية موزعون عبر باقي المناطق.

وفي سنة 1881م قبل الحماية الفرنسية، كان الجيش النظامي بالتعداد التالي:[2]

- 4000 رجل من المشاة في 7 أفواج

- 600 رجل مدفعية موزعون على 4 كتائب.

بينما يذكر Lucien Lanier أن مجموع الوحدات هو7، موزعة على النحو التالي:[3]

- 5 أفواج للمشاة.

- فوج واحد للمدفعية.

---

[1] - The chevalier de Hesse-Wartegg, **Tunis the land and the people**, Chatto & Windus piccadilly, London, UK, 1882, p 59.

[2] -Amédée Riviére, **La Tunisie: Géographie, évènements de 1881 organisation politique et administrative, organisation judiciaire**, pré: Albert Mailhe, challamel ainé éditeur, paris, France, 1887, p 101.

[3] - Lucien lanier, **l'Afrique**, libraire classique Eugène belin, Paris, France, 1884, p 294.

- فيلق واحد للفرسان تعدادهم بين 2000 و3000 رجل.

* أما Victor Piquet فيذكر أن تعداد الجيش في هذه السنة كان كمايلي:[1]

- 5000 جندي نظامي.

- 500 فارس.

أما الجيش غير النظامي فكان يتكون من مجموعات الفرسان التالية:[2]

- زواوة: سلاحهم يتألف في بندقية (بندقية صيد أو بندقية حجرية أو مكبس) وخنجر ومسدس

- الكلوغلية والحوانب: تقوم المجموعتان بما يشبه مهام الشرطة والدرك حاليا.

أما تعدادهم فهو10.000 رجل منهم 3000 كولوغلية و5000 من مشاة زواوة و1500 من الفرسان الصبايحية و500 من الحوانب، أما كلوفيس لامار Clovis Lamarre وشارل فلينيو Charles Fliniaux الذيْن زارا تونس سنة 1878م، فيذكران أن تعداد الجيش النظامي مكون من الفئات التالية:[3]

الفئة	عدد أفرادها	تنظيمها
المشاة	3900	7 وحدات
المدفعية	600	4 كتائب
الفرسان	بضعة مئات (غير محدد)	/

أما المجموعات غير النظامية فكان عددها الإجمالي 11500 رجل، ¼ منهم فرسان[4]، وقدّر المقدم فولي Folly عدد هذه المجموعات التي يمكن للباي استدعاؤهم عند الضروة بين 55 و56 ألف رجل[5].

---

[1] - Victor Piquet, **La colinisation… op.Cit,** p 314.

[2] - Amédée Riviére**, op.Cit**, p 101.

[3] - Clovis Lamarre et Charles Fliniaux, **l'Égypte, la Tunisie, le Maroc et l'Exposition de 1878**, librairie Ch.Delagrave, Paris, France, 1878, p 11 (partie de Tunisie).

[4] - Ibid., p 11.

[5] - Jean Ganiage, **Les Origines …op.Cit,** p 81.

ج- قوات المحلة:

المحلة كما سبق تعريفها هي عبارة عن حملة عسكرية منظمة داخل البلاد مرتين في السنة، بهدف جمع الضرائب والإتاوات وفرض سلطة الباي على الأيالة، وتتشكل من قوات عسكرية متعددة تحت قيادة " باي المحلة "، وحسب التاجر الفرنسي Paul Lucas الذي زار تونس مطلع القرن 18م فان قوات المحلة كانت تتكون من 5000 فارس، من بينهم 2000 يحملون أسلحة، أما البقية فكانوا مسلحين برماح فقط[1]، وأورد الرحالة الانجليزي James Richardson تفصيل هذه القوات للمحلة التي سُمح له بمرافقتها سنة 1845م إلى منطقة الجريد[2] بالجنوب التونسي، وكانت على النحو التالي:[3]

الفئة	دورها في المحلة	عدد أفرادها
المماليك (أصولهم أوربية)	القيادة	20
مماليك السقيفة (أصولهم من المشرق)	حراسة خيمة الباي	20
البوابون	حراسة الباي في حلّه وترحاله	20
الجنود الأتراك	فرقة المشاة للدفاع في حال الخطر	300
الصبايحية العرب	حراسة المحلة	300
القبائل العربية (عددها قابل للزيادة)[4]	المساندة	2000
المجموع		**2660**

وفي فترة لاحقة سنة 1845م انخفض عدد الجنود المشاركين في المحلة حيث بلغ 2500 جنديا بما في ذلك المماليك والحوانب وغيرهم[5]، ثم ما لبث الصادق باي أن ألغى قوات المحلة بسبب الأزمة الاقتصادية التي شهدتها الأيالة، ولم يُبقي سوى على القوات غير النظامية التي ناهزت 12000 رجل[6].

---

[1] - Paul Lucas, **voyage du sieur paul lucas fait par ordre du roi dans la Grece l'asie mineure la macedoine et l'afrique**, T1, Amesterdam, Holland, 1714, p 268.

[2]- هو اسم يطلق عل منطقة الجنوب التونسي عموما، وقاعدته مدينة قفصة اشتهر بزراعة النخيل وإنتاج أنواع التمور، يسوده المناخ الصحراوي الجاف. ينظر:
James Richardson, **travels in Morocco**, T2, Charles j. skeet publisher, London, UK, 1860, p 200. Et : Jean Ganiage, **Les Origines …op.Cit**, p 115.

[3] -James Richardson, **op.Cit**, p p 216 217.

[4] - Ibid., p 217.

[5] - John Clark Kennedy, **Alegria and Tunis in 1845**, vol II, Henry Colburn publisher, London, UK, 1846, p 20.

[6] - Pierre Zaccone, **Notes sur la régence de Tunis**, Tanera Éditeur, Paris, France, 1875, p 217.

تجدر الإشارة أن مشاركة القبائل العربية كان لها الأثر السلبي في عدة وقائع، على غرار حرب سنة 1694م، بين الجيشين التونسي والجزائري حيث تخلى أولاد سعيد وغيرهم عن مساندة جيش الأيالة ما أدى إلى هزيمة كبيرة [1].

2-التنظيم:

أ-توزيع وحدات الجيش:

في بداية القرن 19م كان نصف أفراد الجيش النظامي متواجدين في مدينة تونس، بعضهم في حاميتها والبعض الأخر في جيش المحلة، أما النصف الثاني بتعداد 1450 رجل فهم موزعون على حدود البلاد كمايلي:

- طبرقة 600، قفصة 75، جرجيس 75، المهدية 50، قليبية 50، الحمامات 50، بنزرت 150، غار الملح 100، حلق الوادي 300 جندي[2].

ب- توزيع أفراد المجموعات الداعمة للجيش:

كان توزيع هذه المجموعات يتوافق غالبا مع توزيع الجيش النظامي، فمثلا كان عدد عسكر زواوة في بداية القرن 19م حوالي 800 رجل يتوزعون كمايلي:

جربة 100، جرجيس 25، beben 25، Gouvanes 25، قابس 25، الحامة 25، صفاقس 25، سوسة 25، طبربة 50، سيدي داود 25، في قصور تونس 150، A Aubarbe [3] 200، حلق الوادي 50، والبقية (50) يتم ضمهم للفرقة التي يتم إرسالها كل سنة إلى الحدود مع أيالة طرابلس لتأمينها[4].

---

[1] - عبد القادر صحراوي ومحمد عطية، **مشروع توحيد الأيالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688-1695م**، مجلة الحوار المتوسطي، العددان 15-16، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، مارس 2017، ص 553.

[2] - François-René Vicomte de Chateaubriand, **op.Cit**, p 462.

[3] - لم أجد ترجمة أو معنى اصطلاحي لهذه الكلمة فأوردتها كما وردت في المصدر.

[4] - François-René Vicomte de Chateaubriand, **op.Cit**, p 462.

ثالثا- تطور العتاد التدريب والجانب اللوجيستي للجيش:

1-العتاد الحربي:

شرع الباي حسين في تحديث عتاد الجيش موازاة مع التحديث العسكري الشامل واعتمد في ذلك على حليفته فرنسا، حيث قامت البعثة العسكرية الفرنسية سنة 1831م بجلب بعض العتاد تفصيله على النحو التالي:[1]

أ- عتاد مخصص لفرقة المدفعية:

نوع السلاح	العدد	المصدر	المواصفات
بطارية مدفع	1	/	طليعية (d'avant-garde)
بطارية مدفع	2	فرنسا	ذات 4 سم
بطاريات موضعية	1	فرنسا	ذات 12 سم
	3	اسبانيا- فرنسا	ذات 8 سم
مدفع هاوتزر	2	روسيا	

ب- عتاد مخصص لفرقة مدفعية الجبل:

- 6 قطع مدفعية فرنسية ذات 6 سم منهما 2 أحضرتا من الجزائر.

ج- الذخيرة: 2000 شحنة منها 200 طلقة عنب (mitraille).

د- عتاد مخصص لفرقة الهندسة:

- 800 أداة جديدة.
- عربتان تم إصلاحهما.

[1] - Henri Hugon, **op.Cit**, p 397.

2-التدريب العسكري:

تعتبر مهمة التدريب[1] ذات أهمية بالغة وهي من بوادر تحديث الجيش التونسي، وتمت هذه العملية بمساهمة قوات أجنبية كان لفرنسا السبق في تنفيذها[2]، وكانت باكورة هذا السبق بعثة فرنسية قدِمت إلى تونس في جانفي 1831م بطلب من الباي حسين هدفها تدريب الوحدات التونسية وتمكينها من الأساليب الحديثة في القتال[3]، وتكونت من ثلاثة ضباط هم: الرائد قاي Guy وهو ضابط مختص في الهندسة العسكرية، ويساعده كل من النقيب لوقان Logan وهو مختص في سلاح المدفعية[4] والنقيب قاي وهو أخو المذكور سابقا، ثم انضم إليهم النقيب بوسكي ومعه طاقم موسيقى عسكرية[5].

بعد شهر بدأت سرايا المدفعية والمهندسين معا تدريبهم الفني الخاص، للسماح بدمج السلاحين إذا لزم الأمر، كان يستلزم أن تكون قوات المهندسين ذات كفاءة بسبب صعوبة الطرق وعبور العديد من الأنهار والعوائق، قاد Logan هذين السلاحين وتم تشكيل كتيبتين[6]، لكن هؤلاء المتعاونين الفرنسيين غادروا تونس في 26 جويلية 1831م وتركوا فراغا كبيرا في قيادة الكتيبتين، اللتين تم تنظيمهما وتأهيلهما مما تسبب في فوضى عارمة بين الجنود، ما دعا الباي إلى اتخاذ قرار عاجل بالبحث عن مدربين من جنسيات أخرى ولو بصفة غير رسمية، أي الاتصال بهؤلاء المدربين دون المرور على حكوماتهم[7]، من بين هؤلاء المدربين

---

[1] - للتعرف على بعض الحركات العسكرية التي يقوم بها الجنود أثناء التدريب ينظر على سبيل المثال الملحق رقم 12 .

[2] - عبد الحميد هنية، **بناء الدولة والمجال...المرجع السابق**، ص 207.

[3] - Pierre Marty, **Historique de la mission militaire Francaise en Tunisie (1827-1882)**, R.T, N°22, imprimerie j.aloccio, Tunis, 1935, p 180.

[4] - للتعرف أكثر على دوره في هذه البعثة انظر: Henri Hugan, **Note sur trois contes tunisiens d'un officier francais (j L lugan** 1834), R.T, N° 121, Tunis, 1917, p p 82-84.

[5] - Marcel Gandolphe, **avant l'occupation de la Tunisie l'armée beylicale – les instructeurs français**, journal l'africain- hebdomadaire, 11éme année, N° 41, Paris, France, 19/12/1930, p3.

وقد تم ضرب أول جوق للموسيقى النظامية سنة 1835م بمناسبة تقلد الباي مصطفى نيشان المشير. ينظر: إسماعيل بك سهرنك، ج1، **المصدر السابق**، ص 431.

[6] -Henri Hugon, **La mission du commandant Guy a Tunis 1831**, R.T, N° 31-32, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1937, p 395.

[7] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 85.

سيزونفسكي من بولونيا ولويس فيسكونتي من نابولي وضباط فرنسيين قدموا على حسابهم الخاص، على غرار أرمانياك لتدريب الخيالة وباغوسكي لتدريب المشاة[1]، وارغوت لتدريب المشاة وكولين لتدريب جنود المدفعية[2]، وكان تعداد هذه الفرق حسب ما جاء في تقرير Guy الذي حرره بتاريخ 31 أوت 1831 كمايلي:[3]

تعداد كتيبة المشاة 128 جنديا تحت إشراف ضابطين 02، أما كتيبة الهندسة فتضم 123 جنديا و ضابطين 02.

أُستعمِل قصر الوردة[4] لإيواء الضباط الأوروبيين الذين كانوا يدرّسون في المدرسة الحربية بباردو، أثناء الفترة الأولى التي فتحت فيها أبوابها (1840-1853) وكذلك أثناء الفترة الثانية (1859- 1866)، التي عقبت غلق المدرسة بسبب مشاركة الجيش التونسي في حرب القرم.

3- تطور الأسطول البحري:

لم تكن للبحرية في تونس نفس المكانة التي كانت لها في الجارة الغربية الجزائر، ولم تكن مداخيل الجهاد البحري بتلك الأهمية في تمويل خزينة الأيالة، حيث كانت جل أموال الخزينة ناتجة عن مداخيل المحلات (الأمحال) والأتاوات الداخلية، واستعاضت تونس عن ذلك بالملاحة التجارية واستخدمت موانئها لتصدير بعض البضائع على غرار زيت الزيتون[5].

---

[1] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 86.

[2] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ...المرجع السابق**، ص 207.

[3] - Henri Hugon, **op.Cit**, p 397.

[4] - بني قصر الوردة سنة 1798م في عهد حمودة باشا الحسيني، في مدينة منوبة (غرب العاصمة تونس)، وهي منطقة تعرف بمناخها المعتدل وطبيعتها الجميلة، قرب البرج الكبير بمقر الحدائق الملكية التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر، واستعمل القصر لمدّة طويلة مكانا لاصطياف العائلة الحاكمة، كما أُستغل أيضا لاستقبال الشخصيات الأجنبية البارزة وإيوائها. ينظر: جيهان بن عزيزة، **رحلة التاريخ العسكري التونسي المتحف العسكري بمنوبة " قصر الوردة"**، مجلة الدفاع، العدد 66، تونس، جوان 2018، ص ص 29-31. وينظر أيضا: وزارة الدفاع التونسية، **المتحف العسكري الوطني بقصر الوردة**، مقال الكتروني، 5 أفريل 2019، على الرابط التالي: // http://www.defense.tn.

[5] - صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 31.

أ- عوامل تطور الأسطول:

تضافرت عدة عوامل أدت إلى تطور الأسطول البحري في تونس، وتفوقه في بعض الفترات على أساطيل الأيالات المجاورة، ومن هذه العوامل:

١- العامل البشري: شهدت الأيالة بعد ضمها للدولة العثمانية قدوم عدة أعراق بشرية كان لهم دور بارز في تطور الأسطول البحري على غرار الأعلاج[1]، الموريسكيون، المغامرون الأوربيون والذين كان من أشهرهم الأنجليز والهولنديين، وذكر ابن أبي دينار بعض هؤلاء مثل صمصوم ووردية وهما القبطانان الانجليزيان صامسون samson ووارد ward اللذين أسلما لاحقا مع زملائهم الأسرى الانجليز وتَسمّى ward بالقبطان يوسف، وقاموا بتقديم خبرتهم البحرية للأسطول التونسي خاصة في مجال صناعة السفن الشراعية[2]، أما الموريسكيون فقد كان لهم دور كبير في تعليم الأتراك والتونسيين صناعة السفن لأنهم كانوا من أشهر من احترف هذه المهنة[3].

٢- توفر رأس المال (تمويل الأسطول): إن توفير الأموال اللازمة لصناعة السفن البحرية وتوفير الرجال والمؤن لها تكفلت به السلطة، وكل من يتمكن من توفير الأموال وتجهيز السفن أن يفعل ذلك مثل الباشا والباي والداي والأعيان والتجار من الأهالي، مثل ما قام به علي ثابت ومصطفى قردناش وهو شيخ الأندلسيين في تونس مطلع القرن 17م[4]، وكذلك الجلولي من صفاقس وابن عايد من جربة[5]، وقد ساهم الخواص بقدر معتبر في هذا المجال حتى عرف نشاطهم بالبحرية الخاصة والذي شهد ذروته خلال القرن

---

[1]- الأعلاج: جمع مفرده علج وهو مصطلح يطلق على القراصنة من غير المسلمين أو الذين أسلموا بعد ذلك. ينظر: حسان حلاق وعباس الصباغ، **المرجع السابق**، ص 156.

[2]- ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 229. وكذلك: محمود مقديش، ج2، **المصدر السابق**، ص 92.وكذلك: أندريه ريمون، **المرجع السابق**، ص 42. وكذلك: Julie Guerrand, **Recueil de jurisprudence commerciale et maritime du Havre**, T5, Imprimerie De H Brindeau et comp, Le Havre, France, 1859, p 181.

[3]- محمد قشتيليو، **المرجع السابق**، ص 58.

[4]- حسام الدين شاشية، **تونس والجزائر في عيون الإسبان خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر: مثال الراهبين فرانثيسكو خيمينات ومالغور غارثيا نفاراو**، أعمال ندوة فكرية بعنوان" هجرة الآثار في المتوسط "، المندوبية الجهوية للثقافة، المهدية، تونس، جانفي 2016، ص 141. وكذلك: Houssam Eddine Chachia, **Una nota sobre los cautivos ibéricos en tunez (1724-1725) a través de el diario del frayFrancisco ximénez**, revue d'histoire maghrebine, 41ème année, N° 154-155, Tunis, Février 2014, p 57.

[5] - لوسيت فالنسي، **المرجع السابق**، ص 79.

18م، وتذكر المصادر عن وجود 24 سفينة ملكا للخواص لكن أغلبها كان يعاني من ضعف البناء وقلة التسليح، وعليه فإنها كانت لا تجوب البحر إلا في الفترة بين شهري ماي وسبتمبر، لتفادي العواصف الهوجاء التي تكثر في بقية الأشهر[1].

ب- أهمية الاسطول البحري في دعم الخزينة:

بالمقابل كانت القرصنة البحرية تدر أرباحا كبيرة تتمثل في السفن التي يغنمونها، سواء أكانت سليمة أو محطمة، وكمثال عن ذلك أورد المؤرخ سامح ألتر أن عدد السفن التي غنمها التونسيون والجزائريون بين سنتي 1613-1621م بلغ 900 سفينة بمحتوياتها[2]، وكانت موانئ بنزرت، غار الملح، حلق الوادي كقواعد لانطلاق عمليات القرصنة التي تعود على خزينة الدولة بالأموال وأنواع البضائع والعبيد[3]، ويقدم ميشال فونتاني Michel Fonteny تفصيلا لعدد هؤلاء الأسرى حيث يقول: « اعتمادا على أرشيف القنصلية الفرنسية في تونس تم في الفترة بين 1681-1700 تحرير 423 أسيرا (عبدا) مسيحيا على النحو التالي: 3 بدون مقابل، 8 في عملية تبادل، 412 بدفع فدية»[4]، إضافة إلى ما تحتويه هذه السفن من أموال والتي كانت بالريال الاسباني في تلك الفترة[5]، وكان يتم تقسيم هذه الأرباح بالتساوي بين المساهمين في هذه الحملات برأسمالهم أو بقوتهم العضلية[6]، وعليه فان رأس المال يعد ضروريا لأجل تقديم تسبقة أتعاب للجنود وتوفير ضروريات التجهيز، وكذلك لاقتناء الأسلحة النارية أو السلاح الأبيض وللحصول على قطع الغيار اللازمة للصواري والمدافع وغير ذلك[7].

---

[1] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 157.

[2] - عزيز سامح الترِ، **المرجع السابق**، ص 298.

[3] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 155.

[4] - Michel Fonteny, **l'esclavage en méditerranée occidentale au XVII siécle**, Association des Historiens Modernistes, bulletin N° 14, presses de l'Université de Paris sorbonne, Paris, France, December 1990, p 32.

انظر تفصيل هؤلاء الأسرى في الصفحة 36 من المرجع السابق

[5] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ...المرجع السابق**، ص 113.

[6] -لوسيت فالنسي، **المرجع السابق**، ص 81.

[7] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 85.

أما في القرن 18م الذي شهد بداية حكم الأسرة الحسينية، فإن الأسرى كان يتم بيعهم في مدينة تونس، حيث وصل عددهم نهاية شهر ماي 1720م ما يربو عن 45 أسيرا فرنسيا، و50 آخرين من البلدان المسيحية الأخرى[1]، ويقدم الراهب Fray Francisco Ximénez [2] إحصاء للأسرى الأوربيين خلال سنتي 1724 و1725 كمايلي:[3]

البلد	العدد	النسبة
اسبانيا	59	14.28
ايطاليا	263	63.69
اليونان	25	6.05
البرتغال	11	2.67
بلدان أخرى	55	13.31
المجموع	413	100

قام علي باي (1759-1782م) مطلع سنة 1759م بتأسيس البحرية الحربية على الطراز الأوربي، وجلب لهذا الغرض مهندسا فرنسيا ودعمّه بفنيين أسبان وأنشأ ما يعرف بالترسخانة[4] في غار الملح، وبقيت تمارس نشاطها كما أسلفنا سابقا إلى سنة 1794م وهو تاريخ تحويلها إلى حلق الوادي، وتم بناء الميناء الجديد برصيف يتراوح عمقه بين 4-5 متر[5].

---

[1] - Gillian Weiss, **Captives and corsaires France and slavery in the early modern mediterranean**, stanford university press, California, USA, 2011, p 95.

[2] - هو غير الكاردينال فرانشيسكو خمينيس الذي ورد ذكره سابقا، إنما هو تشابه في الاسم والصفة وبينهما ما يقارب قرنين من الزمن، ولمعرفة دور المتأخر منهما أنظر: ألفونص روسو، **المصدر السابق**، ص 171.

[3] - حسام الدين شاشية، **المرجع السابق**، ص 143.

[4] - الترسخانة: لفظ تركي يعني دار الصناعة تم تعريبه بلفظ الترسانة. ينظر: جودت شريف، **المصدر السابق**، ص 140.

[5] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 156.

ج- تطور القطع البحرية للأسطول:

تفيدنا المصادر التاريخية أن الأسطول البحري مطلع القرن 17م كان يتكون من غليوطين (Galiote) أو ثلاثة[1]، ويخبرنا ابن أبي دينار في سياق حديثه عن يوسف داي أنه كان شغوفا بتجهيز المراكب البحرية بغرض الغزو حيث وصل عددها في عهده 15 مركبا كبيرا[2]، وتذكر لوسيت فالنسي أن عدد قطع الأسطول التونسي في ذروة القرصنة في الربع الأول من القرن 17م كان يتراوح بين 15 و30 سفينة[3]، وذكر الرحالة الألماني هابنسترايت الذي زار تونس سنة 1732م حالة الأسطول البحري في تلكم الفترة بقوله: « القوة البحرية التونسية قليلة الأهمية، فهي لا تتجاوز بعض السفن الحربية الراسية بمرسى بورتو فارينا على بعد ثلاثة أميال من مدينة تونس، وسفن هذه القوة البحرية من نوع الغليوطات[4].

أما Jean-Joseph Marcel فيذكر أن الأسطول التونسي الذي كان موجودا في حلق الوادي أواخر القرن 18م، يتشكل من 16 قطعة على النحو التالي: فرقاطة واحدة، سفينتين كبيرتين من نوع شيباك، بعض السفن الصغيرة من نوع البريك والطراد، عدد قليل من القوارب المصنوعة من خشب الصنوبر[5]، ومن الشهادات الموثقة حول تشكيلة الأسطول البحري مطلع القرن 19م كذلك ما أفاد به القنصل الأمريكي في تونس جيمس دودج James dodge في رسالة وجهها إلى قائد البحرية الأمريكية John Rodgers يقول في مضمونها أن حمودة باشا الحسيني استقبله بتاريخ 11 أفريل 1806م وأخبره بتركيبة الأسطول الحربي التونسي الراسي بميناء غار الملح كما يلي:[6]

---

[1] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 86.

[2] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 229.

[3] - لوسيت فالنسي، **المرجع السابق**، ص 79.

[4] - ناصر الدين سعيدوني، **رحلة العالم ...المصدر السابق**، ص 119.

[5] - Jean Joseph Marcel et Louis Frank, **op.Cit**, p76.

[6] -The Office of Naval Records and Library Navy Department, **naval operations related with united states wars with barbary powers** , vol VI, united states government printing office, Washington, USA, 1944, p 416.

نوع المركب	القائد	التجهيز	عدد البحارة
فرقاطة	مصطفى المورالي	38 مدفع	350
فرقاطة	الرايس محمد المورالي	36 مدفع	300
فرقاطة	الرايس محمد لارآغلي	34 مدفع	280
فرقاطة	الرايس الشيخ محمد	32 مدفع	280
كرويطة صغيرة	الرايس...المغربي	16 مدفع	100

يظهر الكشف الآتي المستخرج من محاضر مجلس الأمة الأمريكي في بداية القرن 19م، تطور سلاح المدفعية في الأسطول البحري التونسي، كمايلي:[1]

نوع القطعة	عددها	عدد المدافع في كل قطعة
سفينة كبيرة	3	48
سفينة صغيرة	9	26
مراكب	10	16
زوارق	80	2 -1

د- ضعف نشاط الأسطول:

تضاءل نشاط الأسطول بعد هذه الفترة بسبب الضغوط الأوربية على أيالات المغرب العربي، واتهامها بممارسة القرصنة خاصة بعد مؤتمر فيينا 1815م[2]، وعليه فقد خضعت تونس للتهديدات والضغوطات وأهملت الأسطول البحري، مأدى الى تلف أغلب قطعه لطول مدة توقفها[3]، وفيمايلي تعداد الأسطول البحري الذي كان يقوده مصطفى رايس سنة 1820م:[4]

[1] - منصور عمر الشتيوي، **حرب القراصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة**، ط1، مؤسسة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1970، ص 16.

[2] - Charles Simond, **op.Cit,** p 63.

[3] - رأفت غنيمي الشيخ، **تاريخ العرب الحديث**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2005، ص 280.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 134.

- 4 فرقطات تحمل الأسماء التالية: الزهراء، الهجينة، المحرزية، الاسلامبولية.
- كرويطتين (02) تحت مسمى: الجديدة، الاسبنيوزية
- بريك كبير
- سكونة كبيرة

ويذكر ايميل كاردون Emile Cardon تعداد الاسطول سنة 1860م، كمايلي:[1]

- فرقاطة شراعية
- ثلاث سفن بخارية صغيرة

وقد كان المدفعجية والبحارة تونسيون، أما الميكانيكيون والسائقون فكانوا من الأوروبيين.

أما تعداد الأسطول البحري سنة 1878م، فهو على النحو التالي:[2]

- 20 سفينة صغيرة مسلحة بشكل سيء.
- باخرتين صغيرتين مسلحتين
- 1 أفيسو(aviso)[3] حمولتها 500 برميل و8 مدافع وبقوة دفع قدرها 160 حصان.
- سفينة نقل 400 حمولتها برميل ومدفعين وبقوة دفع قدرها 140 حصان.
- 2 بوارج كانتا قيد الإنشاء في فرنسا بطلب من الحكومة.

أما في سنة 1881م عند فرض الحماية الفرنسية، فقد كان تعداد الأسطول قليلا جدا كما يلي:[4]

- 20 سفينة صغيرة

---

[1] - Emile Cardon, **op.Cit**, p 44.

[2] - Clovis Lamarre et Charles Fliniaux, **op.Cit**, p 11.

[3] - Aviso سفينة حربية سريعة كانت تستخدم في السابق لأغراض الاتصال، واليوم لمرافقة السفن الأخرى أو قتال الغواصات، وهي سفينة ذات حمولة منخفضة تحمل البريد. ينظر: https://www.linternaute.fr/dictionnaire/fr/definition/aviso.

وينظر أيضا: https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/aviso/7119.

وردت في بعض المراجع vaiseau.ينظر: Jean-Pierre Poussou, **Rivalités maritimes européenes (XVIe-XIXe siècle)**, presses de l'univerité paris-sorbonne, Paris, France, 2005, p 123.

[4] -Amédée Riviére, **op.Cit**, p p 101 102.Et **: Zsolt Palotás, Political, militar and cultural impact of the North African muslims on the United States during the first years of the early republic 1783-1807**, Mediterrán Tanulmányok revue, vol 24, University of Szeged, Hungary, 1 Jan 2015, p 26.

- 2 باخرة صغيرة مسلحة.
- 1 أفيسو (aviso) حمولتها 500 برميل و8 مدافع.
- سفينة نقل 400 حمولتها برميل ومدفعين.
- 2 بوارج كانت قيد الإنشاء في فرنسا.

هـ- تعداد الجنود في الأسطول:

حسب الجدول السابق فان عدد الجنود في عهد حمودة باشا وصل إلى أكثر من 1300 جندي، لكن نلاحظ أن هذا العدد تناقص بشكل كبير بسبب الضغوط الأوربية على أيالات المغرب العربي بعد حملة اللورد اكسماوث[1] سنة 1816م عليها[2]، حتى أصبح هذا العدد دون أهمية تذكر[3]، وبلغ في عهد الصادق باي بين سنتي 1865-1881م حوالي 800 جندي من بينهم 600 فقط مباشرين للخدمة[4].

كان بإمكان التونسيين من الأهالي التجنيد في سلاح مشاة البحرية[5] في تونس من خلال صيغة التعاقد بموجب قانون يسمى" الاستبدال الإداري"[6]، حيث تساوي مدة الانخراط مدة الخدمة الإلزامية المنصوص عليها في القانون التونسي للتجنيد، أو نصفها، إما ثلاث سنوات أو ثمانية عشر شهرًا[7].

---

[1] - إسمه إدوارد بيلاو Edward Pellew ولد يوم 19 أفريل 1757م بانجلترا، قام بحملة على مدينة الجزائر برفقة الأميرال الهولندي فان كبيلان نهاية أوت 1816م، توفي عام 1833م عن عمر يناهز 76 سنة. ينظر: فاتح بلعمري، **حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رّحالة محلي وقنصل أجنبي**، مجلة معارف، العدد 17، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2014، ص 35.

[2]- باغتت هذه الحملة تونس في عهد محمود باي، في إطار تصدي بريطانيا لنظام القرصنة البحرية في المتوسط، وتهديدها بقصف ميناء حلق الوادي بالمدفعية ما لم يصدر الباي أمرا يلغي بمقتضاه القرصنة ويحرر جميع الأسرى والمعتقلين في الإيالة. ينظر: Narcisse Faucon, **op.Cit**, p 176. وينظر أيضا: زهير بن يوسف، **إلغاء الرق والعبودية بتونس بسجل اليونيسكو لذاكرة العالم**، موقع جسور ميديا على الانترنت، تونس، 24 جانفي 2021، على الرابط التالي: https://joussour-media.tn/2021/01/24/ اطلعت عليه بتاريخ:7 فيفري 2020، على الساعة 11.30.

[3] -Raymond Drevet,**op.Cit**, P11.

[4]- ليلى زغدود، **الحياة اليومية داخل المؤسسة العسكرية: جند البحر نموذجا**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد7، وزارة الدفاع الوطني، تونس، ديسمبر 2017، ص 37.

[5]- انظر صورة لجنود سلاح البحرية في الملحق رقم 13 ص 307.

[6]- صدر هذا القانون بموجب القانون البايلكي الصادر بتاريخ 7 فيفري 1860م، ينظر: Ministère de la marine, **op.Cit**, p 4.

[7] - Ministère de la marine, **op.Cit**, p 3.

و- محاولات لإعادة الاعتبار للأسطول البحري:

١- جهود المشير أحمد باي:

حاول المشير أحمد باي إعادة الاعتبار للأسطول البحري حيث قام بشراء عدد من السفن الحربية، كما قام ببناء مرسى حربي في حلق الوادي وأنشأ بعض المصانع لتلبية حاجيات هذا الأسطول[1]، وقد وصل عدد السفن في عهده إلى 12 مركبا ووحدة حربية[2]، لكن بعض المؤرخين يرون أن هذه الجهود كانت تتسم بالارتجال وتقليد الأوربيين، وكمثال عن ذلك أنه أنفق أموالا طائلة لشراء ثلاث بواخر حربية لم تستعمل للدفاع عن الأيالة وإنما ظلت راسية في الميناء حتى تلفت أخشابها من قلة الاستعمال[3]، كما أمر ببناء فرقاطة من الطراز الأول سنة 1840م[4] لكن الاستعجال في انجازها دون تبطينها بالنحاس أدى إلى عدم نجاعتها وهدمها لاحقا[5].

لكن ذلك لم يحط من عزيمته إذ أنه بعد عودته من زيارته إلى فرنسا سنة 1846م، طلب من الملك لويس فيليب مساعدته في إعادة تنظيم بحريته، فأمده بضابطين من صفوف البحرية هما العقيد Médoni والمقدم Alliez على التوالي[6]، إضافة إلى فنيين في تقنية الآلات كما أهداه باخرة صغيرة اسمها Danté، لكنها غرقت لجهل التونسيين بكيفية استعمالها، فأرسل له الملك الفرنسي باخرة أخرى اسمها Minos، واشترى المشير بعد ذلك بواخر حربية وأخرى تجارية قام بتحويلها إلى حربية من ايطاليا وفرنسا، فأصبح أسطوله مكونا من 6 قطع مصنوعة من الخشب مثل: الكشاف، السد، الصادقية، واثنتان مصنوعتان من المعدن سماهما: البشير، المنصور[7]، وكان التعاون الفرنسي التونسي وثيقا في مجال البحرية حيث توالى على

---

[1] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية ...المرجع السابق**، ص 208.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 53.

[3]- صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 166.

[4]- يذكر جان غانياج أن بناءها كان سنة 1853م وسماها الأحمدية نسبة له. ينظر: Jean Ganiage, **Les Origines…op.Cit,** p 86.

[5] -Narcisse Faucon, **op.Cit**, p 188.

[6]- محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 163.

[7] -Jean Ganiage, **Les Origines…op.Cit,** p 86

تونس نخبة من ضباط البحرية ذوي الخبرة العالية على غرار: الملازم Veschi والضابط Deluchi وغيرهم، وكانت السفن التونسية لا تقوم بالإبحار إلا بوجود أحد الضباط المذكورين[1].

٢- جهود الوزير المصلح خير الدين:

تقلد خير الدين[2] وزارة البحر بين سنتي 1857-1862م قام خلالها بعدة أعمال إصلاحية هامة، من بينها:[3]

- توسعة ميناء حلق الوادي.
- إنشاء مصنع لبناء السفن وإصلاحها.
- وضع عدة قوانين لعصرنة الوزارة تخص: تقييد الوثائق الصادرة، تسجيل كل الأعمال اليومية في دفتر، تشكيل مجلس شورى منتخب.

٣- تأسيس وزارة البحر:

تقوم هذه الوزارة بالإشراف على كل أقسام البحرية العسكرية، أسسها أحمد باي لتطوير هذا المجال وعصرنته وجعل مقرها في باردو، كما كلف وزير البحر بتسييرها وجعل نائبا له مقره في ميناء تونس حيث يباشر الأمور المدنية والعسكرية في إطار اختصاصه[4].

---

[1]- محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 163.

[2]- ولد سنة 1820م في قرية بالجنوب الغربي من جبال القوقاز، توفي والده في إحدى المعارك العثمانية ضد روسيا، فأسر صغيرا على إثر غارة وبيع في سوق العبيد بإسطنبول، وجيء بخير الدين إلى تونس وهو في السابعة عشر من عمره سنة 1837م، وأصبح مملوكا لأحمد باي الذي قربه وحرص على تربيته وتعليمه، ولحدة ذكائه أقبل على تحصيل الفنون العسكرية والسياسية والتاريخ، وعين مشرفاً على مكتب العلوم الحربية، ثم ولاه أحمد باي أميرا للواء الخيالة سنة1849 ، وفي سنة 1857 عين وزيرا للبحرية فقام بالعديد من الإصلاحات، من أهمها: تطوير ميناء حلق الوادي وتنظيم إدارة الوزارة، إصلاح لباس الجيش البحري وضبط اتفاقيات وقوانين مع الأجانب لحفظ الأراضي التونسية، كما قام بعدة إصلاحات أخرى، وساهم في وضع قوانين مجلس الشورى الذي أصبح رئيسا له سنة1861، وأمام ازدياد فساد الوضع السياسي في البلاد نتيجة سوء تصرف المسؤولين وسرقاتهم، قدم خير الدين استقالته من جميع وظائفه سنة 1862 إلى غاية 1869م، انعزل فيها في بستانه يتأمل ويكتب، وقد ترك حصيلة تأملاته وأفكاره الإصلاحية في كتابه الشهير أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. ينظر: Mohamed Jouili, **op.Cit**, p p 19-23.

[3]- فتحي معيفي، **النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 10، العدد 2، جامعة تبسة، الجزائر، ديسمبر 2019، ص 169.

[4]- محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 177.

مهام الوزارة: تهتم بالشؤون التالية:[1]

- تسيير شؤون كل ضباط وجنود البحرية.
- ضبط مخازن السلاح في ميناء حلق الوادي.
- الإشراف على مراكز الحراسة في الموانئ والجزر إضافة إلى المنارات وترسخانة حلق الوادي.
- مراقبة نقاط العبور عبر الموانئ البحرية وكل السفن التجارية.
- القيام بتفتيش السفن القادمة والمغادرة (مهام جمركية).

٤- اصدار قوانين عمل وزارة البحر:

صدر الأمر الأول بتاريخ 18 شعبان 1276هـ/ 12 مارس 1860م، وأهم ما تضمنه: ضبط مشمولات الوزارة وأقسامها، إضافة إلى واجبات وزير البحر وكيفيات قيامه بعمله، أما الأمر الثاني فصدر في 10 ربيع الثاني 1277هـ/ 24 أكتوبر 1860م الذي حدد كيفيات العمل بالوزارة والمناصب السامية في الوزارة وتحديد الدفاتر الواجب فتحها لكل أعمال الوزارة[2].

وفي هذا الإطار يقول محمد بيرم الخامس:« عملها*يتعلق بحلق الوادي وأبراجه وحصونه وآلات دفاعه وحاميته من الطبجية والعسة العسكرية، وما يتعلق بهم من لوازم الخدمة وسكانه، وضبطيته، والشقوف وضباطها وبحريتها والترسخانة وخدمتها»، ويقول أيضا حول تنظيم شؤون الوزارة وموظفيها:« ...رتب خدم الوزارة، بتقيد المكاتب الصادرة، وضبط جميع الحركات اليومية في دفتر، وكان أول من عرف ذلك في القطر، وكانت الأمور تجري بلا ضبط»[3].

4-أهم الموانئ:

تعتبر الموانئ ذات أهمية للأسطول البحري ومن أبرزها في تاريخ تونس الحديث: حلق الوادي وغار الملح وبنزرت ويصفها الرحالة التمكروتي الذي زار تونس سنة 1589م بقوله: «...إلا أن بنزرت أوسع منها

---

[1]- الشيباني بنبلغيث، **المرجع السابق**، ص 78.

[2] - المنصف الفخفاخ، **المرجع السابق**، ص 193.

* يقصد وزارة البحر

[3] - محمد بيرم الخامس، **المصدر السابق**، ص 225.

كلها، وغار الملح أفضلها للسفن ولا عمارة فيه يخاف أرباب السفن عليها من العدو، وكذلك حلق الوادي وهو أصعبها للسفن وأقربها للمدينة»[1].

أ- ميناء حلق الوادي:

يقع في الطرف الجنوبي الغربي لخليج تونس ويبعد على وسط المدينة بحوالي 12 ميلا أي 17كم[2]، أطلق عليه المختصون تسمية " قناة- ميناء" أو (canal-porte)[3]، ويُذكر الإدريسي أن هذه القناة تم حفرها بالأيدي ولم يوضح الأسباب لذلك[4]، يعتبر أقدم موانئ تونس وأكثرها حضورا في تاريخها الحديث أعاد بناءه خير الدين برباروس سنة 1535م[5]، كانت قلعة حلق الوادي والمرسى المجاور لها أهم ركائز الأسطول البحري في تونس، حيث تم تشييد القلعة وتوسيع الميناء في عهد احتلال الاسباني لتونس من طرف الملك شارلكان سنة 1535م، وبعد سيطرة العثمانيين على تونس عمدوا إلى هدم القلعة وتوسيع رصيف الميناء بحجارتها، واتخذوا منه همزة الوصل الرئيسية بالدولة العثمانية والعالم الخارجي حيث أصبح الميناء الأول في أيالة تونس[6]، وهذا الميناء تم بناؤه كعلامة بارزة في نهاية قناة بحيرة تونس، ويضم الميناء حصنين ورصيف جيّد ودار جمارك وعدد من المخازن[7]، وما يدل على

---

[1] - علي بن محمد التمكروتي، **المصدر السابق**، ص 41.

[2] -Trench Townshend, **a cruise in Greek waters with hunting excursion in Tunis**, Hurst and blackett publishers, London, UK, 1870, p 73. Et: Édouard Gasselin, **op.Cit**, p 8. Et : Lambert Playfair, **Handbook for Travellers in Algeria and Tunis: Algiers, Oran, Tlemçen, Bougie, Constantine, Tebessa, Biskra, Tunis, Carthage, Etc**, Second Edition, John Murray books, London, UK, 1878, p 278.

[3]- عبد العزيز الدولاتلي، **أضواء تاريخية على بحيرة تونس**، المجلة التاريخية المغربية، العدد 3، تونس، جانفي 1975، ص 31.

[4] - Petr de Tchihatchef, **Espagne, Algérie et Tunisie, lettres à Michel Chevalier**, Libraire J-B Bailliére et Fils, Paris, France, 1880, p 478.

[5] -La Residence générale de la Tunisie, **la Tunisie**, j barreau éditeur, Paris, France, s.d, p 6.

[6] -Amedee Riviere, **La Tunisie: Géographie, évènements de 1881, organisation politique et administrative, organisation judiciaire**, pré:Albert Mailhe, Challamel Ainé Éditeur, Paris, France, 1887, p 11.Et : Gaston des godins de souhesmes, **Tunis, histoire, moeurs, gouvernement, administration, climat, productions, industrie, commerce, religion, etc**, Gustave Guérin, libraire-commissionnaire, Paris, France, 1875, p 292.

[7] -Laugier de Tassy, **Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie**, T1, Herissant imprimeur, Paris, France, s.d, p 151.

وكذلك: محمد بن عبد الوهاب المكناسي، **المصدر السابق**، ص 325.

ضخامة الأشغال بالميناء أنّ شق القناة وتهيئتها تطلّب تسخير 20 ألف من العبيد الأوربيين[1]، بينما يشير رحالة فرنسي أنه شاهد بعض السجناء يعملون في شق القناة[2]، ويستدل من هذا أن العدد المذكور لم يتم تسخيره دفعة واحدة، وقد كانت السفن التي تُدعي صنادل[3] ترسو مرغمة خارج هذه القناة في عرض البحر[4]، حيث كانت تتعرض للرياح الشديدة من جهتي الشرق والشمال[5]، والسفن ذات الحمولة الأعلى التي كانت مجبرة في السابق على التوقف عند حلق الوادي، أصبحت تعمل على رصيف الميناء منذ حفر قناة بطول 9 كيلومترات في وسط البحيرة[6]، وقد وصف بايسونال Peyssonnel هذا الميناء في رسالة له بتاريخ 28 ماي 1724م بقوله: « ويظهر أن عرضه أربعة فراسخ ومثلها طولا ويبدأ من رأس قرطاج تقريبا، وترسو به المراكب الحربية والسفن الكبرى، ويمكن للمراكب الأخرى التقدم مسافة فرسخ أمام حصون حلق الوادي»[7].

قامت السلطة في تونس بعدة أشغال لتطوير هذا الميناء الهام في نهاية القرن 18م من بينها:[8]

- حفر منفذ كبير على حافة البحيرة.
- انجاز حوضين كبيرين مختلفين طول كل منهما حوالي45 متر وعرضه 28 مترا، أحدهما يستعمل من طرف البحرية العسكرية والثاني للسفن التجارية، ويمكن لكل حوض استيعاب 50 سفينة في آن واحد.

---

[1] -Graham Petrie, **Tunis kairouan & carthage described and illustrated with forty eight paintings**, William Heinemann, London, UK, 1908, p 90.

[2] -Charles Thierry-Mieg, **six semaines en Afrique: souvenirs de voyage**, Imprimerie de j.Clayb, Paris, France, 1861, p 45.

[3] - الصندل هو قارب صغير ذو سطح مستو. ينظر: Sadok Boubkeur, **op.Cit,** p 59.

[4] - Trench Townshend **op.Cit,** p 297. Et: Laugier de Tassy, **op.cit,** p 73

[5] -Edmond Pélissier de Reynaud, **op.Cit,** p 25.

et : Ali Darmoul, **Découvertes archéologiques dans le Lac de Tunis**, Actes du colloque organisé dans le cadre des manifestations relatives au choix de L'UNESCO de Tunis Capitale Culterelle 1997 " Tunis ville de la mer" l'or du temps, Grenoble, France, 1999, p 116.

[6] - Alfred Alphonse Baudouin, **En Tunisie: Notes de voyage**, Imprimerie daloux, Baugé, France, 1900, p 19.

[7] - Jean-André Peyssonnel, **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger. Relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie**, librairie de Gide, Paris, France, 1838, p 20

[8] - Paul Sebag, **Grands travaux à Tunis à la fin du XVIIIe siècle**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°15-16, Aix-en-Provence, France, 1973, p 314.Et: Robert Lambert Playfair, **op.Cit**, p 276.

- تم تطهير جوانب الحوضين لبناء مخازن ومباني مستقبلا.
وتفيد بعض المراجع أنه رغم أن الحوضين كانت تفصل بينهما القناة المذكورة بيْد أنّهما يتصلان من كلا الطرفين بتنقية حفر كانت تسمى آنذاك Lido[1].

أما في القرن 19م، تم إضافة أشغال أخرى من قبيل بناء مخازن حلق الوادي في عام 1835م، ثم انجاز الورشات الخاصة بالآلات والحدادة والمسابك في عام 1860م[2]، وبناء سد يفصل القناة عن البحر للتحكم في عملية الدخول والخروج من الميناء، وإنشاء خط للسكة الحديدية يربط الميناء بوسط مدينة تونس[3]، الذي تم تدشينه بحضور الجماهير بتاريخ 2 أوت 1872م بطول 16 كم[4].

ب- ميناء بنزرت:

تقع بنزرت على بعد 60 كم عن مدينة تونس، ويعتبر ميناؤها ذا أهمية بالغة منذ عهد الحفصيين وصولا إلى العهد العثماني، وترجع هذه الأهمية إلى وقوع الميناء بين حوضين في البحر المتوسط[5]، ويتصل بالبحر عن طريق قناة تعبرها السفن بسهولة رغم ضيقها، وهي تمتد مسافة 5.5كم داخل اليابسة[6]، ويصفه الرحالة التمكروتي بقوله: « ثم سافرنا منها إلى ميناء بنزرت، فأقمنا فيها يوما واحدا وفيها حلق ينفذ منه البحر إلى بحيرة هناك واسعة يدخل منه ماء البحر...اكتنفته الديار والبنيان على عدوتيه فتدخل السفن فيه وتكون كأنها في داخل البلد»[7]، وتصفه La Contesse Drohojowska بأنه الميناء الأفضل في الساحل الشمالي للأيالة[8].

---

[1] - Paul Sebag, **Tunis histoire d'une ville,** l'harmattan histoire et perspectives méditerranéennes, Paris, France, 1998, p 24.

[2] - وزارة النقل واللوجيستيك التونسية، **ديوان البحرية التجارية والموانئ**، تونس، 2016، على الرابط التالي: /http://www.ommp.nat.tn ، اطلعت عليه بتاريخ: 12 مارس 2020، عل الساعة 19.20.

[3] -Philippe Jousset, **Un Tour de Méditerranée,** Ancienne Maison Quantin Librairies -Imprimeries Réunie, Paris, France, s.d, p 238.

[4] - موقع الشركة الوطنية للسكك الحديدية التونسية، **تاريخ السكك الحديدية بتونس**، اطلعنا عليه بتاريخ: 2020/05/21م على الرابط التالي: /http://www.sncft.com.tn/Ar، اطلعت عليه بتاريخ: 12 مارس 2020، عل الساعة 19.40.

[5] - Henri Lorin, **Promenade en Tunisie**, Librairie Hachette, Paris, France, 1896, p 3.

[6] - ناصر الدين سعيدوني، **رحلة العالم...المرجع السابق**، ص ص 105 106.

[7] - علي بن محمد التمكروتي، **المصدر السابق**، ص 40.

[8] - La Contesse Drohojowska, Les **anciens états barbaresques Alger, Tunis, Tripoli, Maroc**, Librairie de j. Lefort, Lille, France, 1882, p 129.

ج- ميناء غار الملح:

مرسى صغير قرب بنزرت كانت تسمى Porto Farina[1]، قام بإنشائها الباي أسطا مراد كورسو، كانت تشكل ميناء هاما وقاعدة عسكرية كبيرة خلال العهد العثماني، وبها تحصينات عسكرية كبيرة مازالت قائمة ليومنا هذا، كان يشتمل على ميناء اصطناعي محصن ودار صناعة للسفن وثلاثة حصون مشحونة بالمدفعيّة، وظيفتها الدّفاع عن أسطول الإيالة الذي يلتجأ إليها[2]، هذا المجمع العسكري وضع مخططه وقام ببنائه المهندس أسطى موسى الأندلسي، الذي أنشأ قبل ذلك عديد الحنايا والأبراج في مدينة الجزائر[3]، ويصف الرحالة التمكروتي الميناء بقوله: «...وغار الملح أفضلها للسفن ولا عمارة فيه يخاف فيه أرباب السفن عليها من العدو»[4].

اعتني المشير أحمد باي بالميناء وأراد أن يجعله مماثلا لميناء طولون الفرنسي الشهير، فبنى أرصفة ومخازن وثكنات ودارا للصناعة بتكاليف باهظة، لكن هذه المشاريع الضخمة أهملت دراسة عمق الخليج الذي لا يسمح برسوّ السفن الكبيرة للأسطول، فتحول اهتمام الباي إلى ميناء حلق الوادي[5].

د- ميناء صفاقس:

هو مرسى آمن جدا، على الرغم من أن السفن ملزمة بالرسوّ عند نقطة معينة المسافة، ويمكن لبطارية من المدافع أن تصد بسهولة تامة أي إنزال بحري في حالة الحرب[6].

[1] - محمد الهادي الشريف، **خلاصة تاريخ... المرجع السابق**، ص137.

[2] - وزارة الدفاع التونسية، **المنشئات العسكرية والنظام الدفاعي في العهد العثماني**، مقال الكتروني، بتاريخ 5 سبتمبر 2013، على الرابط التالي: /http://www.hmp.defense.tn/index.php/ar ،. اطلعت عليه بتاريخ: 23 جوان 2020، عل الساعة 10.30.

[3] - Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit,** p 63.

[4] - علي بن محمد التمكروتي، **المصدر السابق**، ص 41.

[5] - Jean Ganiage, **les origines…op.Cit,** p 86.

[6] - La Comtesse Drohojowska, **op.Cit**, p 126.

رابعا: التعليم العسكري:

1- واقع التعليم لإفراد الجيش قبل القرن 19م:

كان التعليم في تونس عموما في القرنين 17 و18م يتسم بالضعف وقلة الانتشار، ولا يوجد في المصادر الرئيسية لتلك الحقبة ما يدل على وجود تعليم وفق مناهج وعبر مؤسسات رسمية، ونتيجة لذلك انتشرت الأمية بين عامة الشعب بما فيهم العسكر بمختلف رتبهم، وحتى من حالفهم الحظ للتميز والظهور في صفوف الجيش، انتقلوا إلى مدارس جامع الزيتونة بفروعه المتواجدة في المدن الرئيسية[1].

2- بعث التعليم العسكري:

كان حسين باي يطمح إلى إحداث جيش نظامي يقوم على أسس عصرية من بينها التعليم العسكري، حيث قام بمعية كبار ضباطه المماليك ببعث هذا النوع من التعليم الذي لم يكن معروفا بالبلاد التونسية، وأحدث انفصالا وتصدعا عميقا في الطبقة السياسية التي لم تستسغ هذه الخطوة الجريئة، وبدأ في الشروع لتأسيس مدرسة حربية لهذا الغرض[2].

سار ابنه المشير أحمد باي على نحوه في هذا التوجه حيث يعتبر أكثر البايات اهتماما بالتعليم العسكري ورفْع المستوى التعليمي لمنتسبي الجيش، ويصفه المؤرخ فلاديمير لوتسكي "الطاغية المثقف"[3]، وأسس في سبيل ذلك ما عُرف بمكتب الحرب[4] الذي يعتبر النواة الأولى للتعليم العسكري، وقد كان يهدف من ذلك إلى تكوين ضباط متعلمين في الجيش النظامي الجديد من خلال إنشاء مدرسة باردو الحربية[5]، وسميت أيضا مدرسة المهندسين école polytechnique ومكتب العلوم الحربية[6].

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي... المرجع السابق**، ص 93.

[2] - Anna maria Medici, **op.Cit**, p 7. Et: Émile Cardon, **Étude sur les progrès de la civilisation dans la Régence de Tunis**, E.Dentu libr-Éditeur, Paris, France, 1861, p20.

[3] - فلاديمير لوتسكي، **المرجع السابق**، ص 205.

[4] - هو الاسم الذي عرفت به مدرسة باردو الحربية في وثائق الدولة والمراسلات الرسمية. ينظر: احمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 36. وينظر أيضا: الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 56.

[5] - Léon carl brown, **op.Cit,** p 185.

[6] - الحبيب الجنحاني، **المرجع السابق**، ص 118.

3-التعليم العسكري في مدرسة باردو الحربية:

افتتحت المدرسة في غرة محرم 1256هـ/ 5 مارس 1840م[1] في سراية الباي في باردو[2] وتم إنشاؤها على الطراز الأوربي، بهدف تعليم أفراد الجيش النظامي المناهج العسكرية التي كانت سائدة وقتئذ في البلدان الأوربية، لصقل كفاءاتهم وتدعيم التدريب العسكري بمعارف علمية حديثة، وقد شملت الدروس المقدمة معظم العلوم المتداولة كالهندسة والمساحة والحساب وغيرها[3]، بدأت المدرسة بخمسين تلميذا[4] من صغار المماليك وبعض أبناء السكان المحليين[5]، الذين كانوا شبه أميين وموكلين لأنفسهم في أغلب الأوقات وكانت نتائجهم التعليمية في البداية مخيبة للآمال[6]، وحظي الفرنسيون بالنصيب الأكبر في عملية التدريب في المدرسة، إلى جانب الايطاليين والتونسيين الذي كان محمود قابادو[7] أشهرهم بها[8]، كما اهتمت المدرسة

---

[1] - يختلف المؤرخ جان غانياج عن غالبية المؤرخين في تاريخ تأسيس مدرسة باردو الحربية حيث يذكر أنه كان سنة 1838م. ينظر: Jean Ganiage, **Les Origines… op.Cit,** p 79.

[2] - سراية باردو أو بلاط باردو تقع في ضواحي مدينة تونس، بدأت أهميته السياسية في عهد الأسرة المرادية حتى اتخذها حمودة باشا مقرا لإقامته، بعيدا عن القصبة مقر حكم الداي بعد أن قوي نفوذه في عموم البلاد، والتحق به الموالون له من العسكريين والمدنيين، ثم واصل البايات الحسينيون بعد ذلك الإقامة في باردو، حتى تحولت نهائيا إلى مقر الحكم الرسمي. ينظر: محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص ص 77 78.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 36. وكذلك: فتحي معيفي، **المرجع السابق**، ص 167. وكذلك: Armand de Flaux, **op.Cit**, p 60.

[4] - تشير بعض المراجع أن عددهم 60 تلميذا من الضباط. ينظر: Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit,** p 377.

[5] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 56.

[6] - Jean Ganiage, **Les Origines… op.Cit,** p 80.

[7] - محمود قابادو:(1814-1871م) أصله من صفاقس هو مفتي المالكية وشاعر تونس في عصره، كان مع اشتهاره بالشعر وسرعة بديهته فيه، غزير العلم بالفقه والفنون وكان يُرجع إليه في المسائل الحسابية العويصة في الجبر والمقابلة، وفي حل أشكال إقليدس، تولى التدريس في مدرسة باردو الحربية. ينظر: زين العابدين السنوسي، **محمود قابادو**، مطبعة العرب، تونس، 1951، ص ص 9-13. وينظر أيضا: محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 562. وينظر أيضا: خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ج7، ص 185. وينظر أيضا: الطاهر عبد الله، **المرجع السابق**، ص 19. ويخالف زين العابدين السنوسي الآخرين في تاريخ مولده ويذكر أنه في 1812م.

[8] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 56.وكذلك: Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit,** T3, p 377.

بالتعليم العسكري ومختلف الفنون الحربية والإجراءات الانضباطية، المستوحاة من المدارس الأوربية التي قطعت شوطا كبيرا في مجال التعليم العسكري[1].

أ- برنامج المدرسة:

إن برنامج المدرسة لم يكن عسكريا بحتا بل كان عسكريا تربويا، وهي أول مدرسة في تونس احتوى برنامجها على العلوم العصرية في تلك الفترة، كما اهتمت بالترجمة أيضا[2]، ويدرس التلاميذ 17 مادة مقررة من بينها الرياضيات والتاريخ والجغرافيا، واللغات: الفرنسية والايطالية وقيس الأراضي (علم المساحة)، وعلم القوانين العسكرية وصناعة الطبجية، إضافة للفروسية والفنون العسكرية[3].

ب- تطور التعليم بالمدرسة:

مرت المدرسة بمرحلتين أساسيتين المرحلة الأولى من 1840 إلى 1854م، حيث كانت تحت إشراف إدارة ايطالية ممثلة في شخص لويجي كاليقاريس Luigi Calligaris[4]، والمرحلة الثانية من 1855الى 1869م حيث كانت المدرسة تحت إشراف إدارة فرنسية، وقد تولى إدارتها الضابطان الفرنسيان الرائد كمبينون Campénon [5] والعقيد دو تافارن De taverne [6] على التوالي[7]، حيث قام هذا الأخير بفرنسة التعليم في المدرسة من خلال

---

[1] - Azzedine Guellouz et autres, **op.Cit**, p 366.

[2] - الحبيب الجنحاني، **المرجع السابق**، ص 119.

[3] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص ص 96 97.

[4] - ولد سنة 1808م في مدينة تورينو الايطالية كان شغوفا بالشرق وحضارته، وأتقن عدة لغات أوربية واللغة التركية، مارس مهنة الترجمة حيث ترجم عدد كبير من الكتب في الفنون العسكرية من اللغة التركية، ثم تولى إدارة مدرسة باردو الحربية سنة 1840م إلى غاية 1852م وكان له دور بارز في التجديد البيداغوجي وإدخال التخصصات العلمية والتطبيقية في التكوين. ينظر: الهادي التيمومي، **تونس والتحديث...المرجع السابق**، ص 77. ينظر أيضا: لطفي بوعلي، **المدرسة الحربية...المرجع السابق**، ص 17.

[5] - جنرال فرنسي ولد في مدينة طونير سنة 1819م ارتقى إلى رتبة نقيب سنة 1848م، عُرف بأفكاره الجمهورية مما أدى إلى فصله عن الخدمة، وصل لتونس سنة 1852م وتولى إدارة مدرسة باردو لمدة سنتين، ثم غادرها بسبب إعادة ضمه لصفوف الجيش، وبعد مشاركته في عدة حروب عاد إلى تونس سنة 1862م، وعُين من جديد لإدارة مدرسة باردو وساهم في إدخال المناهج البيداغوجية الأوربية، ترقى في صفوف الجيش الفرنسي حتى وصل إلى منصب وزير الحربية توفي سنة 1891م. ينظر: Jean Ganiage, **Les Origines… op.Cit**, p79.، ينظر أيضا: لطفي بوعلي، **المدرسة الحربية...المرجع السابق**، ص 17.

[6] - Ernest- Jean- Nicolas De Taverne: (1819- 1861) ضابط فرنسي تولى منصب مدير مدرسة باردو الحربية من سنة 1855 إلى 1861م، ووصل قبل وفاته بعدة أشهر إلى رتبة Lieutenant-colonel. ينظر: محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص483.وينظر أيضا: Armand de Flaux, **op.Cit**, 173. Et: Jean Ganiage, **Les Origines… op.Cit**, p 82. P

[7] - الشيباني بنبلغيث، **إحداث الجيش...المرجع السابق**، ص 201. وكذلك: نور الدين صحراوي، **المرجع السابق**، ص 75.

الإكثار من المدرسين الفرنسيين، وأصبحت اللغة العربية زمن إدارته للمدرسة لغة ثانوية، كما قام بإعادة ترجمة الكتب الفرنسية بدعوى أنّ الترجمة السابقة لها كانت رديئة من حيث الشكل والمضمون، واستطاع بحكم منصبه ومكانته لدى الباي أن يجعل من اللغة الفرنسية في تونس لغة العلم والتعليم العسكري، ولم يبق للغة العربية مكانة سوى في كتب التراث والأدب[1].

لكن هذا الوضع سرعان ما تغير حيث أصدر الباي نشرة رسمية يأمر فيها بوقف كل المهمات الفرنسية، والاكتفاء حصرا بالضابط دو تافارن مدير المدرسة الحربية وثلاثة أساتذة فرنسيين، وبقية الكادر التعليمي يكون من التونسيين[2].

تخرج من هذه المدرسة نخبة من اليوزباشية[3] من أبرزهم: عبد الله حسين، أبي الضياء رستم، محمد جمعة القرقني[4]، إضافة إلى تخرج زمرة من رجال الإصلاح في تونس من هذه المدرسة مثل: خير الدين باشا[5]، الجنرال حسين[6]، عثمان هاشم ومحمد القروي وغيرهم[7].

---

[1] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث...المرجع السابق**، ص ص 83 84.

[2] - Émile Cardon, **op.Cit**, P 43.

[3] - رتبة عسكرية عثمانية بمعنى ضابط في الجيش، ينظر: Sadok Boubaker, **op.Cit**, P 43.

[4] - محي الدين المبروك، **المرجع السابق**، ص 115.

[5] -ولد سنة 1820 في قرية بجبال القوقاز أسر وهو طفل على إثر غارة، ثم بيع في سوق العبيد بإسطنبول، فتربى في بيت نقيب الأشراف تحسين بك، وانتهى به المطاف في قصر أحمد باي وأصبح أحد مماليكه، وعندما أنهى درسه انضم للجيش وأكسبته مواهبه اهتمام احمد باي، فعهد اليه بإدارة المدرسة العسكرية فترة من الزمن، ثم عينه أميرا للواء الخيالة سنة 1849، ثم عُيِّن في جانفي 1857م وزيرًا للبحرية في عهد محمد باي الذي رقاه إلى رتبة فريق، وظل في هذا المنصب إلى سنة 1862م، أجرى خلالها العديد من الإصلاحات، ونتيجة سوء تصرف المسؤولين وسرقاتهم قدم خير الدين استقالته من جميع وظائفه سنة 1862م، واختير سنة 1869م رئيسًا للجنة المالية، ثم أُسند إليه منصب الوزير المباشر1871م، وبعد عامين 1873م تولى منصب الوزير الأكبر خلفًا لمصطفى خزندار إلى غاية أكتوبر1877م، واستغل هذه الفترة لينفذ منهاجه الذي ضبطه في كتابه (أقوم المسالك)، ليفيد بلاده من تجربته التي اكتسبها في أوربا من خلال اطلاعه على وسائل التطور وأسبابه، فأقبل على إجراء الإصلاحات التنظيمية في مجالات الإدارة والاجتماع والقضاء والاقتصاد والثقافة والتعليم. ينظر: عبدالرزاق خلف محمد الطائي، **خير الدين التونسي ومشروعه النهضوي**، مجلة دنيا الوطن الالكترونية، فلسطين، 21-05-2010، على الرابط: https://pulpit.alwatanvoice.com/ .

[6] - الجنرال حسين:(1828-1887) عسكري وإصلاحي ورجل دولة تونسي من أصل شركسي، من تلاميذ مدرسة باردو الحربية ورفيق خير الدين باشا، شغل منصب رئيس بلدية تونس من 1858 إلى 1865، ساهم في إنشاء أول مطبعة ودار نشر تونسية وإصدار "الرائد الرسمي التونسي" وهي الجريدة الرسمية للبلاد التونسية، تولى الجنرال حسين وزارة المعارف والأشغال العامة، حيث عمل على إصلاح التعليم الزيتوني، ووضع نواة البرامج التعليمية للمدرسة الصادقية التي شارك في تأسيسها سنة 1875، شغل خطة الوزير إلى حدود سنة 1881، تاريخ توقيع الباي معاهدة باردو وبداية الإستعمار، فعاد إلى المنفى من جديد حيث توفي في فلورنسا يوم 17 جويلية 1887. ينظر: أحمد الطويلي، **الجنرال حسين حياته وآثاره**، منشورات بلدية تونس، 1994، ص 17. وينظر أيضا: حياة الماجري، **المرجع السابق**، ص ص 81 82.

[7] - أحمد عبد السلام، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987، ص 85.

أما عن مدة الدراسة فهي تختلف تبعا لكفاءة التلميذ وأهليته، لكن على العموم فإن التلاميذ لا يتخرجون إلا إذا قدّر الأساتذة كفاءتهم وأهليتهم للتخرج[1]، ويلخص ابن أبي الضياف ذلك بقوله: «...بحيث يخرج التلميذ عالما بما يلزمه ضرورة في غير العلوم العسكرية، متضلّعا في اللغة الفرنساوية وبما يلزم العسكر من العلوم العقلية»[2]، أما بعد سنة 1860م فقد تم تحديد مدة الدراسة بست سنوات، يتخرج التلميذ بعدها لينضم إلى صفوف الجيش برتبة ملازم ثاني، وقد تم إعادة تنظيم المدرسة في السنة المذكورة وبلغ عدد التلاميذ 60 تلميذا، موزعين على أربعة صفوف من السنة الأولى إلى الرابعة[3].

ج- مصير المدرسة الحربية:

يصف الطبيب الألماني سالف الذكر مصير المدرسة في إحدى رسائله التي بعث بها إلى أمه وأخته بتاريخ 27 فيفري 1864م بقوله: « كل شيء في تداع واضمحلال في هذا القطر فحتى انجازات أحمد باشا أعني المدرسة الحربية التي يشرف فيها ضباط وأساتذة فرنسيون على التعليم تقلص شأنها منذ أمد طويل وأوشكت اليوم على الاندثار تماما، وما الباي الحالي[4] بالرجل الحازم الدؤوب وأشك أن له الذكاء الذي كان يلمس فيه لما كان ولي العهد[5] " باي المحلة "»[6]، وقد تعرضت المدرسة إلى صعوبات عدة من أهمها وفاة مديرها دي تافارن الذي كان له دور كبير في تحقيق الانجازات التي شهدتها المدرسة، ورغم محاولات الرائد كامبنيون لإعادة بعث دور المدرسة، لكنها باءت بالفشل بسبب الظروف العامة المزرية خاصة الازمة المالية التي مرت بها الأيالة، ولهذه الأسباب وغيرها قرر الباي غلق مدرسة باردو سنة 1869م[7].

[1] - الحبيب الجنحاني، **المرجع السابق**، ص 119.

[2] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 37.

[3] - Émile Cardon, **op.Cit**, P 43.

[4] - يقصد محمد الصادق باي.

[5] - الصحيح: كان وليا للعهد، لكن الالتزام بالاقتباس الحرفي للنص فرض كتابتها كما وردت في المرجع.

[6] - منير الفندري، **المرجع السابق**، ص 90.

[7] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص ص 101 102.

خامسا-أهم القوانين العسكرية:

1- قوانين عهد الأمان:

صدر عهد الأمان في 9 سبتمبر 1857م[1]، بضغط من قناصل الدول الأوربية، الانجليزي ريتشارد وود Richard wood والفرنسي ليون روش Léon roches[2] على وجه الخصوص[3]، حيث يقول ابن أبي الضياف في ذلك على لسان القنصل البريطاني: « إذا سمعت نصيحتي فبادر إلى هذا الأمر، لأن أسطولنا في مالطة ينتظر جوابي مع فابور حاضر لحمله، وإذا طال مقام الأسطول الفرنساوي، فلا جرم أن دولتي تبعث أسطولها، ولا يبعد أن الأسطول العثماني يقدم، ولا نعلم ما يكون، وربما يتسع الخرق على الراقع، إذ لا قدرة لك على ثلاث دول عظام مطلبهم واحد...»[4].

تضمن عهد الأمان بعض القوانين المنظمة لشؤون العسكر، وصدرت هذه القوانين تحت مسمى"المصباح المسفر في ترتيب ثبوت العسكر"[5]، الذي تم صياغته من قبل لجنة من أبرز أعلام تونس في تلك الفترة وهم: خير الدين باشا، الجنرال رشيد، إسماعيل صاحب الطابع، أمير الأمراء محمد عامل

---

[1] - منى صالحي، **المرجع السابق**، ص 101.

[2] - هو ميشيل جول ماري ليون روش من مواليد 27 سبتمبر 1809 في غرونوبل، عمل مترجما عسكريا من الدرجة الثالثة سنة 1839م، ثم تدرج في الوظائف حتى ارتقى إلى منصب القنصل العام في طرابلس في 26 مايو 1852م، ثم **القنصل** العام والقائم بالأعمال في تونس في1 جويلية 1855م، كما عمل كاتبا للأمير عبد القدر لأكثر من 20 سنة، سُرح من العمل سنة 1870م ونال عدة أوسمة من دولته. ينظر: حياة الماجري، **المرجع السابق**، ص 95. وينظر أيضا:

Léon Roches, **Dix ans A travers L'Islam 1834-1844**, Librairie Acadèmique Didier, Paris, France, 1904, p p 1-13. Et: Jean Ganiage, **op.Cit**, p 20.

[3] - عبد الكريم عزيّز، **المرجع السابق**، ص 30. وكذلك: Charles Combs Harber, **op.Cit**, p p 23 24.

يذكر Harber أن السفن الفرنسية كانت مرابطة في ميناء حلق الوادي تحسبا لتراجع الداي عن إعلان عهد الأمان.

[4] - أحمد ابن ابي الضياف، ج 4، **المصدر السابق**، ص 236.

[5] - عبد المجيد بلهادي، **تطور القوانين المنظمة للخدمة العسكرية في تونس 1860-1962**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد9، وزارة الدفاع الوطني، تونس، ديسمبر 2019، ص 41. وبحسب لطفي بوعلي فان اسمه: المصباح المسفر في ترتيب دخول العسكر.ينظر: لطفي بوعلي، **التحديث العسكري...المرجع السابق**، ص 100.

الساحل، الكاتب محمد الباجي المسعودي[1]، وكذلك محمد بيرم ومحمود قابادو وآخرون[2]، وقد تم الانتهاء من كتابته في آخر عهد محمد باي وطبع بعد وفاته[3]، ومن بين هذه القوانين:

أ- قانون مدة الخدمة:

مدة الخدمة الإلزامية هي 8 سنوات وبعد إكمالها يحوّل الجندي إلى صفوف العسكر اليداك القريب من مقر سكناه لمدة 8 سنوات أخرى[4].

ب- السن القانونية للتجنيد:

يخضع لعملية القرعة المواطنون المسلمون على مختلف أصولهم، ما بين 20 سنة إلى 30 سنة[5]، وكان القصد من إجرائها تعويض الخارجين من العسكر كل سنة لأسباب مختلفة، ولم يكن من اليسير على السلطة إحصاء من تتوفر فيهم شروط الخضوع للقرعة لانعدام دفاتر للحالة المدنية آنذاك، وعليه كان الشباب يتهربون من القرعة بأساليب وحيل مختلفة[6].

ج- الإعفاء من الخدمة:

يعفى من الخدمة العسكرية الفئات التالية من المجتمع التونسي:

أرباب المراتب العلمية:العلماء[7]، المفتون، القضاة ونوابهم.

المدرسون وجميع أصحاب الخطط المخزنية (المخازنية).

خطباء الجوامع والأئمة عموما والمؤذنون والقائمون على المساجد،(مع اشتراط قيامهم بمهامهم بانفسهم وعدم تكليف نوابهم بذلك)[8].

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 250.

[2]- Charles Combs Harber, **op.Cit**, p28

[3] - الشيباني بنبلغت، **إحداث الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 60.

[4] - المصباح المسفر، ص ص 4-5. وكذلك : Lisa Anderson, **op.Cit**, p 68.

[5] - نفسه، ص 4.

[6] - محي الدين المبروك، **المرجع السابق**، ص 119.

[7] -كان أول من بادر إلى إعفاء العلماء من الخدمة العسكرية هو علي باي بن حسين، ينظر: حمودة بن عبد العزيز، **المصدر السابق**، ص 298.

[8] - المصباح المسفر، **المصدر السابق**، الباب الثاني، الفصل الثالث.

أبناء العلماء والمشائخ وسائر من تم ذكرهم سابقا[1].

طلبة المدارس شرط حفظهم للقرآن الكريم كاملا[2].

كل من تجاوز سنه 75 سنة أو قلّ عن 16 سنة، وكذلك المرضى وذوي العاهات[3].

الشاب القائم على أمه الأرملة حيث يؤجل أمره للسنة المقبلة[4].

يعفى من القرعة اليتيم الذي ليس له أخ أو القائم على يتامى أو أخت ليس لها كفيل[5].

يعفى من دفع ثمن الاستبدال، أي مقابل مالي لمدة ذلك الالتزام يساوي الخدمة الإجبارية وهي ثلاث سنوات[6].

د- قانون القرعة:

- تتم عملية القرعة في المدينة الكبرى لكل منطقة في الأيالة وذلك في بداية شهر مارس، والهدف من ذلك تقليص تكاليف جمع الشباب لإجراء هذه العملية[7].
- تتم القرعة بحضور جماعة وذلك درء للتزوير أو المحاباة وغير ذلك[8].
- تمنح لمن وقعت عليه القرعة مدة 15 يوما لتوديع أهله وإتمام شؤونه العالقة، ومن لم يلتحق بالجيش بعد هذه المدة يتعرض لأشد العقوبات[9].

---

[1] - نفسه، الباب الثاني، الفصل الثالث.

[2] - نفسه، الباب الثاني، الفصل الرابع.

[3] - المصباح المسفر، **المصدر السابق**، الباب الثاني، الفصل الخامس.

[4] - نفسه، الباب الثاني، الفصل السادس. وكذلك: إبراهيم حداد، **تاريخ الخدمة العسكرية بتونس**، مقال الكتروني، موقع نواة، تونس، 30 جانفي 2015. على الرابط التالي: /https://nawaat.org/2015/01/30 ، اطلعت عليه بتاريخ: 17 نوفمبر 2020، على الساعة 16.35.

[5] - نفسه، الباب الثاني، الفصل السابع.

[6] - Ministère de la marine, **Guide pour l'instruction et la réception des engagements dans les corps de marins indigenes d'Algérie et de Tunisie,** l'imprimerie nationale, Paris, France, 1937, p2.

[7] - المصباح المسفر، ص 5.

[8] - نفسه، ص 6.

[9] - نفسه، ص 7.

- يحرم الهارب من القرعة أو المختفي يوم إجرائها من الإجراءات الاستثنائية المتمثلة في الإعفاء من الخدمة أو تخفيض مدتها، أما عن العقوبات فالهارب قبل القرعة يجازى بعد الإمساك به بتثبيته في الخدمة العسكرية دون قرعة، أما من هرب بعد خروج اسمه في القرعة فيعاقب عند الإمساك به بزيادة سنة في مدة خدمته العسكرية[1].

- من ألحق ببدنه ضررا ليتفصى (يتخلص) من الخدمة يزاد له في مدتها عامان[2].

- يندرج ضمن الحالات الخاصة الاستثنائية للقرعة إمكانية الإعفاء والتعويض والتطوع وإعادة التطوع الاختياري[3].

2- دستور 1861م:[4]

أ- التعريف بالوثيقة:

يعتبر أول دستور في العالم العربي، جاء مكرسّا لعديد المبادئ والمؤسسات السياسية والإدارية الهامّة، وقد صدر في عهد محمد الصادق باي وبدأ العمل به يوم 26 أفريل 1861م، ويتضمن هذا الدستور تنظيم الحياة السياسية بالبلاد التونسية، والفصل بين السلطات الثلاث والحد من سلطة الباي وإقرار مسؤوليته أمام المجلس الأكبر[5]، كما هو مبين أدناه:

السلطة	ممثلها حسب دستور 1861
السلطة التنفذية	الباي
السلطة التشريعية	الباي والمجلس الأكبر
السلطة القضائية	10محاكم إبتدائية محكمة إستئناف في العاصمة محكمة التعقيب: المجلس الأكبر

[1] - المصباح المسفر، ص 6.

[2] - إبراهيم حداد، **المرجع السابق**

[3] - Jean Ganiage, **les origines…op.Cit,** p 83.

[4] - انظر الملحق رقم 14 .

[5] - وزارة العدل التونسية، الموقع الالكتروني للوزارة، اطلعت عليه بتاريخ: 17 نوفمبر 2020، على الساعة 16.35، على الرابط التالي: https://www.justice.gov.tn/index.php?id=427.

ب–القوانين العسكرية الواردة في الدستور:

أهم البنود التي تخص الشؤون العسكرية والجيش في هذا الدستور:

- تقييد أي تغيير في تعداد العسكر أو مرتباتهم بالزيادة أو النقصان، أو إرسال العسكر في مهمات لجهة معينة قصد أخذ الجباية منها، إلا بموافقة المجلس الأكبر[1].
- عدد الرتب العسكرية ستة أولها أمير أمراء وآخرها بنباشي[2].
- يستفيد العسكري بعد قضاء فترة 30 سنة فعلية من تقاعد تحدد قيمته وتفاصيله في قانون خاص[3].
- الخدمة العسكرية إجبارية على كل من تتوفر فيه الشروط طبقا لقانونها وتتمثل في بلوغ 18 سنة وأن يكون مولودا بتراب الأيالة، ويعاقب المتهرب من آدائها بمقتضى القانون العسكري[4].
- لا يُجبر على آداء الخدمة العسكرية رعايا الدول الصديقة والخدم المولودون بالأيالة[5].
- لا يبقى الجندي في حالة خدمة إلى وقت غير محدد، فالجيش مطالب بضمان حماية الناس لكن من حق الجندي الاهتمام بعائلته وقضاء وقت معها، وسيتم تفصيل ذلك في القانون العسكري[6].

---

[1] - وثيقة دستور 1861، الفصل 4.

[2] - نفسه، الباب العاشر، الفصل الأول

[3] - نفسه، الباب الحادي عشر، الفصل الثالث.

[4] - نفسه، الباب الثاني عشر، الفصل السادس.

[5] - نفسه، الباب الثالث عشر، الفصل الرابع.

[6] - Émile cardon, **op.Cit**, p 34.

سادسا-التسليح في الجيش التونسي:

1- **مصادر السلاح ونوعيته:**

شهدت الأيالة مع تولي حسين بن علي الحكم استقرارا شمل أغلب ربوعها، لكنه أثر على مدى استعداد الجيش وجاهزيته لخوض المعارك، حيث أن أغلب الجنود لم يتدربوا على الأسلحة ولم يخوضوا مواجهات دامية[1]، ومع بداية عملية التحديث للجيش اتجه أحمد باي للتعامل مع فرنسا في هذا المجال، وكان من أولويات هذا التعاون تسليح الجيش بأسلحة متطورة تواكب ما وصلت إليه الجيوش الأوربية، وفي هذا الإطار حصلت تونس على أسلحة من فرنسا تخص سلاح المدفعية الذي كان يشرف على تدريبه الرائد لوقان[2]، وتفصيلها كمايلي:[3]

نوعية السلاح	عدد البنادق	وزن المعدن	مدافع الهاورتز	وزن المعدن
مدفعية ميدانية	2	4	2	12
مدفعية موضعية	1	12	2	24
	3	8		
ثنائي الحصار	2	12	—	—
	2	16		
مدفعية جبلية	6	3	—	—
المجموع	16		4	

وفي سنة 1860م تمت عملية شراء أخرى للسلاح تتمثل في كمية معتبرة من البنادق من فرنسا، بلغت الكمية 10 آلاف بندقية بمبلغ إجمالي قدره 39 ألف فرنك فرنسي، ونظرا للضائقة المالية تم الاتفاق على تسديد المبلغ على عدة أقساط[4].

1 - Mohammed Seghir ben youssef, **Mechra el melki chronique tunisienne (1705-1771)**, tra: victor serras et mohammed lasram, Imprimerie rapide, Tunis, 1900, p 70.

2 - نجيب السميراني، **المرجع السابق**، ص 203.

3 - Grenville Temple, vol 1, **op.Cit**, p 235.

4 - أ.و.ت، صن 172، ملف 914، وث 147، لسنة 1860م.

بعد تطور صناعة السلاح في الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الثاني للقرن 19م، عملت على الترويج لصناعتها وإيجاد أسواق جديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط التي كانت تسيطر عليها الدول الأوربية، وكان من بين هذه المبادرات قيام قنصل الولايات المتحدة بتقديم أسلحة لباي تونس كهدايا بهدف الترويج لها والحصول على صفقات تجارية مع تونس في هذا المجال[1]، وبالفعل قام الباي محمد الصادق بطلب مدافع من الولايات المتحدة سنة 1283هـ/1866م لكن بحسب أمير لواء الطبجية الذين عاين الشحنة فان هذه المدافع قديمة الصنع ولا تفي بالغرض من شرائها[2].

2-جهود بعض رجال الإصلاح في تطوير الجيش:

- جهود خير الدين التونسي أنموذجا:

يعتبر خير الدين التونسي أبرز رجال الإصلاح والتحديث في تاريخ تونس الحديث، وبحكم تنشئته العسكرية فقد عمل من موقع مسؤولياته في وزارة البحرية أو في رئاسة الحكومة (الوزير الأكبر) على القيام بخطوات إصلاحية جريئة، قصد تطوير الجيش وباقي مؤسسات الدولة ومن قبيل ذلك: إنشاء معهد التعليم الحديث، تأسيس المدرسة الصادقية، إنشاء إدارة مسؤولة عن إدارة ممتلكات المؤسسات الدينية والمصلحة العامة الوقف أو الحبوس، إنشاء المستشفى الصادقي، إعادة تنظيم الإدارة المركزية وإنشاء الإدارات والخدمات والمراسيم المتعلقة بالفلاحين[3].

---

[1] - محمد بليل وعبد الحق شرف، **العلاقات التونسية مع العالم الخارجي خلال القرن التاسع عشر**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 1، العدد2، الجزائر، سبتمبر 2018، ص ص 290 291.

[2] - أ.و.ت، صن 164، ملف 792، وث 114، 115، 1283هـ/1866م.

[3] - Mohamed-el aziz ben achour , **La cour du…, op.Cit**, p XV.

سابعا- الامتيازات الممنوحة لأفراد الجيش:

1- الرواتب:

أ-رواتب الجنود والضباط:

تختلف رواتب الجنود والضباط حسب رتبهم وحسب الأعمال الإضافية التي يقومون بها، على غرار الخدمة المتعددة، الضيافة، العلوفة وهي العناية بالخيل وغير ذلك، وتعتبر رواتب الجند من أولى أولويات الباشا لأن أي تأخير في تسديدها ينجر عنه احتجاجات وانتشار الفوضى وقد يتفاقم الأمر إلى التمرد والعصيان[1].

ورد في الدفاتر الجبائية للتعبير عما يتقاضاه الأعوان عموما في الأيالة بما في ذلك الأعوان العسكريون بكلمتي" راتب "و" ثمرة "، وتخصص اللفظة الأخيرة لما يحصل عليه الحوانب العرب والأتراك والصبايحية الأتراك والمماليك الملحقين بقصر باردو وآغا باردو وكواهي (جمع كاهية) بنزرت وغار الملح، أما كلمة راتب فتخصص للدلالة عما يحصل عليه صبايحية فرق تونس والقيروان والكاف وباجة وعسكر زواوة[2].

كان الجنود في نهاية القرن 16م يتقاضون 20 أقجة[3] واحتج الجنود مطالبين بزيادة رواتبهم إلى 22 أقجة، وقد راسل باشا تونس الباب العالي عدة مرات يعلمه بعدم قدرة خزينة الأيالة التكفل بمطالب الجنود بزيادة الرواتب، نظرا لضعف المداخيل في نفس الوقت الذي تم فيه رفع رواتب الضباط من 30 إلى 40 أقجة[4]، وعلى العموم يتقاضى الجنود رواتب تتراوح بين 3 و28 ناصري[5] في اليوم، وذلك التفاوت الكبير في

---

[1] - Leila Temime Blili, T1, **op.Cit**, p 205.

[2] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 33.

[3] - الأقجة: عملة عثمانية فضية سكها السلطان أورخان سنة 1327م، تساوي ربع أو ثلث البارة (هي عملة عثمانية ضُربت في عهد السلطان مراد الرابع الذي حكم بين عامي 1623-1640م). ينظر: محمود عامر، **المرجع السابق**، ص 362.

[4] - Leila Temime Blili, T1, **op.Cit**, p 211.

[5] - الناصري التونسي عملة فضية مربعة الشكل مشتقة من الدرهم، وضعت في التداول من قبل الحاكم الموحدي الرابع محمد الناصر الذي حكم بين عامي 1199-1214م، ومن هنا جاء اسمه، ويخبرنا مبعوث البندقية إلى تونس Salvago أنه تم صنعه عن طريق تذويب العملات الإسبانية المستعملة آنذاك، وأطلق عليه التجار الأوربيون اسم أسبرaspre. ينظر: البنك المركزي التونسي، **النقود التونسية عبر التاريخ**، شركة الطباعة والقص، تونس، نوفمبر 1993، ص 2. ينظر أيضا: صورة للناصري وغيره من العملات المتداولة في تونس إبان العهد العثماني في الملحق رقم 15 وينظر أيضا: Paul Sebag, **Les monnaies**...**op.Cit**, p260.

الراتب يرجع إلى سيطرة كبار الضباط على الأوضاع في الأيالة، واحتقارهم لعامة الجنود وهو ما انعكس سلبا على العلاقة بين الطرفين[1].

كان الجندي المصنف في رتبة يولداش والمندمج في الخدمة العسكرية والمنضم إلى أورطة يتقاضى راتبه كل شهرين[2]، ويؤكد ذلك الوزير حمودة بن محمد بن عبد العزيز بقوله:«...لأن الجند يأخذون رواتبهم كذلك ستة مرات في السنة»[3]، بينما يذكر Ernest Mercier أن الجنود الانكشارية يتقاضون رواتبهم في الغالب كل 4 أشهر، حيث يستفيدون كذلك من زيادة سنوية تقارب 130 فرنك[4]، ويؤيد بيار غرانشان Pierre Grandchamp ذلك ويضيف عليه أن اليولداش كان يتقاضى مايعادل 60 فرنكا شهريا يتقاضاها كل 4 أشهر[5].

شهدت رواتب الجنود عموما وقادتهم خصوصا استقرارا خلال الفترة (1735-1814م)، التي عرفت حكم علي باشا بعد حرب أهلية مريرة، ثم حكم محمد الرشيد وعلي باشا ابني حسين بن علي، وأخيرا حكم حمودة باشا[6]، والجدول التالي يوضح تفاصيل هذه الرواتب:[7]

الرتبة	**الرواتب في عهد علي باشا 1735-1756** (ريال سنويا)	**الرواتب في عهد حمودة باشا 1782-1814** (ريال سنويا)
آغوات الصبايحية	400	400
كواهي وجق الترك	240	240
كاهية وجق تونس	124	124

[1] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 54.

[2] - Leila Temime Blili, T1, **op.Cit**, p 205.

[3] - حمودة بن عبد العزيز، **المصدر السابق**، ص 365.

[4] - Ernest Mercier, T3, **op.Cit,** p 131.

[5] - Pierre Grandchamp, **op.Cit**, p XIV.

[6] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 34.

[7] - نفسه، ص 34.

كـــواهي وجـــق الجهات	84	84
كـــواهي بنـــزرت وغار الملح	200	200
آغا باردو	201.5	201.5
باش حانبة العرب كاهيته	141.5 80	141.5 80
اوضباشي المماليك	121.5	121.5
خوجة زواوة كاهيته	34.5 34.5	34.5 34.5

كان الجنود الأتراك والمماليك يتمتعون دون غيرهم برواتب منتظمة، ووصل الأجر اليومي للجندي مطلع القرن 19م إلى فلسين[1] ويتم رفع هذا الأجر كل 3 سنوات، لكن بنسبة ضئيلة لا تتجاوز 9 فلسات مهما بلغت أقدمية الجندي في الجيش[2]، بينما يتقاضى الضباط ذوي الرتب العليا على غرار أمير لواء في صفوف البحرية الذي بلغ 1500 ريال شهريا[3]، أما المؤرخ Armand Flaux فيذكر أن راتب الجندي في نفس الفترة وصل إلى 4 بياستر شهريا، أما الضباط برتبة نقيب (Capitaine) فيتقاضون 30 بياستر، ويصل راتب الضباط برتبة رائد (Colonel) إلى 200 بياستر[4]، ويذكر الطبيب Louis Frank الذي زار تونس سنة 1806م أن ¾ المجموعات العسكرية المقيمة كانت تتقاضى رواتبها المعتادة من طرف الباي[5]، وبحسب السياسي الفرنسي دوشاتوبريان De chateaubriand الذي زار تونس مطلع القرن 19م في عهد حمودة باشا، فإن الأتراك

[1]- الفلس:عملة نحاسية ذات شكل دائري، واسمها مشتق من الكلمة اليونانية فولس، الذي يشير إلى عملة نحاسية بيزنطية، واطلق التجار الأوروبيين عليه اسم الطين، ولم يعرف سبب تسميته بذلك، تم تداول هذه العملة خلال الفترة الأولى من ضم العثمانيين لتونس من 1569 إلى 1573م، كما يتضح من الفلس الذي ضرب باسم السلطان سليم الثاني (1566-1574م)، ينظر:

Paul Sebag, **Les monnaies**..., **op.Cit**, p 261.

[2] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 48.

[3] - دفتر رقم 3727، دفاتر وزارة البحر، ا.و.ت، 1290هـ/1873م.

[4] - Armand de Flaux, **op.Cit**, P 174.

[5] - Louis Frank, **op.Cit,** p 72.

والمماليك والكولوغلية الذين يمثلون النواة الأولى للجيش، كانوا يكلفون خزينة الأيالة ما يفوق 700 ألف بياستر سنويا، في شكل رواتب وامتيازات أخرى[1].

أما بالنسبة لجنود البحرية فان الجندي حديث العهد بالتجنيد يتقاضى 5 ريالات شهريا، أما الرتب البسيطة فتترواح رواتبهم بين 7و92 ريال شهريا، بينما الضباط يتقاضون بين 130 و260 ريالا شهريا حسب رتبتهم[2].

ب–مصادر رواتب الجند وكيفية تدبيرها:

إن رواتب الجنود في العهد العثماني الأول من مسؤولية الباشا، وعليه تدبيرها قبل وصول آجال تسديدها، وكان المصدر الرئيسي لهذه الرواتب يتمثل في الضرائب التي كانت تفرضها السلطة على السكان في مدينة تونس والضواحي القريبة منها، وفي حالة عجز هذه المداخيل على تأمين رواتب الجند كان الباشا يلجأ إلى الاقتراض سواء من الخزينة العامة أو من التجار الأثرياء (مثلا: اقترض الباشا على سبيل المثال في أفريل 1583م مبلغ 2500 إيكوس ecus من تاجر فرنسي لتسديد رواتب الجنود)، وفي حالة عدم تسديد هذا القرض يعتبر الباشا مسجونا نظريا ويتم بيع أملاكه[3]، كما أن عائدات النشاط البحري تدر أموالا معتبرة لخزينة دار الباشا ناتجة عن بيع السلع والعبيد، حيث يحظى الباشا بنسبة 10 % من إجمالي الأرباح[4].

أما في عهد البايات المراديين والحسينيين فقد تعددت مصادر مداخيل الأيالة وكانت الضرائب التي يتم تحصيلها من المحلة إحدى هذه المداخيل، وقد شكلت 10/1 منها في أواخر العهد العثماني في تونس التي بلغ مجموعها مايقارب 20 مليون فرنك فرنسي[5]، كما كانت الضرائب غير المباشرة على السلع المستوردة مصدرا أخرا للخزينة، لا يمكن فرض ضرائب عليها بما لا يزيد عن 3% بسبب اللوائح التنظيمية،

---

[1] - François-René Vicomte de Chateaubriand, T2, **op.Cit**, p 461.

[2] - ا.و.ت، صن 187، ملف 1076، وث 189.

[3] - Leila Temime Blili, T1, **op.Cit**, p 211.

[4] -Alphonse Dilhan, **op.Cit**, p 98.

[5] - Alexandre Dumas, **op.Cit**, p 49.

باستثناء الخمور التي تصل نسبتها 10%[1]، أما مداخيل القرصنة فكانت في حدود مابين 30.000 و40.000 بياستر سنويا[2].

تولى الأمر بعد وفاة الداي احمد خوجة الحاج محمد لاز (1057-1063هـ/1647-1653م)، الذي كانت عهدته حافلة بالأحداث من جملتها في الجانب العسكري أن وقعت فتنة كبيرة سماها ابن أبي دينار الطامة الكبرى، وملخصها حسب ما أورده ان صرافا يهوديا يدعى داوود قام باختلاس أموال من مرتبات العسكر، واستلم الجنود مرتبات أقل من معلومهم الشهري مما جعلهم يقومون بالتمرد، وكادت الفتنة أن تطال الداي محمد لاز لولا حكمته، التي تجلت بأنه تحمل المبالغ الناقصة من مرتبات الجند، وكانت شيئا مستكثرا كما وصفها ابن أبي دينار[3].

2-الامتيازات العينية:

كان أفراد الجيش يحصلون إضافة إلى رواتبهم على بعض الامتيازات العينية أو النقدية أثناء ممارسة مهامهم العسكرية، منها أنه يخصص للجند على حد السواء بصرف كسوة للشتاء وأخرى للصيف، أما الوجبة الغذائية فقد كانت تشتمل في البداية على عناصر غذائية متنوعة ومغذية إذ خصص لهم اللحم والخبز والبرغل والزيت والقمح والشعير والخضر، كما يُصرف لهم الصابون والأغطية الصوفية والعلف للدواب التي يركبونها[4].

3-الترقية في صفوف الجيش:

أ- الترقيات قبل تحديث الجيش:

قبل تأسيس الجيش النظامي كانت الترقية في الرتب من صلاحيات الباي المطلقة، التي لا يضبطها قانون أو يشرعها تنظيم، فإذا ما نال احد العسكريين رضا الباي في موقف من المواقف اصدر أوامره بترقيته إلى عريف أو ضابط أو حتى جنرال، وفي بعض الأحيان تكون الترقية برتبتين أو أكثر حسب تقدير الباي

---

[1] -Charles Combs Harber, **Reforms in Tunisia 1855-1878**, dissertation presented in partial fulfillment of the requirements the degree doctor of philosophy, school of the ohio state university, Ohio, USA, 1970, p 5.

[2] - The chevalier de Hesse-Wartegg, **op.Cit**, p 53.

[3] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص237.

[4] - ليلى زغدود، **الحياة اليومية...المرجع السابق**، ص ص 37- 38.

ومقدار رضاه عن العسكري[1]، ورغم الطابع العشوائي الذي شهدته عملية الترقية في المناصب العسكرية، إلا أنّ الجندي المشهود له بالكفاءة والانضباط كان يحظى بترقية إلى الرتبة الأعلى، وكانت هذه العملية تتم آليا في مدة 6 أشهر[2].

كانت بعض الترقيات تكون بتدخل الباي شخصيا، ومثال ذلك أن علي باي (1759-1782) أوصى بترقية احد الجنود إلى رتبة شاوش، وجاء في نص التوصية إلى رئيس الديوان: « تذكرتنا هذه هو احد المستخدمين بالوجق وله مدة طويلة في تلك الخدمة وقد طلب من عنايتنا هذه المرة أن نعيّنه شاوشا بالديوان المنصور وبناء على ذلك وكثرة ما له من سوابق في الخدمة فقد أحسنا عليه بالدخول في الخدمة المذكورة وأصدرنا أمرنا هذا لكي لا يتعرض له احد وبموجبه يكون العمل»[3].

كانت الترقيات غالبا لا تخضع لقانون الكفاءة في العمل أو الانجازات المحققة في صفوف الجيش، بل إلى اعتبارات القرب من مركز السلطة وغيرها من المزايا، ومن أمثلة ذلك: ترقية احد المخازنية من مدينة القيروان المدعو محمد المرابط الذي بدأ حياته المهنية كجندي في صفوف الجيش النظامي، ثم اختير من زمرة حراس شاكير صاحب الطابع وبعد وفاة الوزير اجتباه أحمد باي، وترقى بعدها في الرتب العسكرية من قائمقام إلى أمير قشلة المحمدية، ثم أمير لواء عسكر المحمدية بين سنتي 1845و1846م، ثم رقاه أحمد باي إلى رتبة فريق وأصبح يلقب بأمير الأمراء منذ سنة 1851م[4].

ب- الترقيات بعد تحديث الجيش:

كان الجيش النظامي في سنة 1880م يضم 100 جنرال و1000 ضابط من جميع الرتب، من ملازم إلى عقيد، ويمكن للجندي الوصول إلى رتبة ملازم خلال مدة 14 سنة، وهناك من تمت ترقيته إلى إحدى هذه الرتب نظير خدماته المختلفة للباي، رغم انه لم يستعمل السلاح طول حياته، لكون هؤلاء يقضون كامل مدة خدمتهم في احد قصور الباي[5]، وقد حاول الصادق باي وضع حد للتلاعب في منح مناصب الترقية

---

[1] - Marius Bernard, **op.Cit**, P 350.

[2] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 30.

[3] - أ.و.ت، ملف رقم 4، صن 1.

[4] - منى كمون، **الأتراك بمدينة، المرجع السابق**، ص 12.

[5] - The chevalier de Hesse-Wartegg, **op.Cit,** p 60.

لمن لا يستحقها، فأصدر أمرا بمنح الرتب العسكرية عن طريق اجتياز مسابقة بمقر وزارة الحرب، لكن هذا الإجراء بقي حبرا على ورق واستمرت طرق الترقية العشوائية، وكمثال عن ذلك أن أحد الضباط برتبة أمير آلاي يدعى إسماعيل بناحية سوسة، اشتكى من عدم ترقيته لرتبة أعلى رغم أقدميته لمدة 14 سنة في الرتبة المذكورة، في حين أن ابنا للوزير مصطفى بن إسماعيل مُنح رتبة بينباشي (رائد) وهو لا يزال طفلا[1].

4-الإعفاء من الضرائب:

كان جنود الباي معفيين من دفع ضريبة المجبى وغيرها من الضرائب، خاصة بعد هروب أفراد الجيش النظامي في منطقة الساحل، وأجبرت السلطة كل قايد مطالب بتجنيد من 1200 إلى 1300 شاب من منطقة الساحل لتعويض النقص[2].

5-امتيازات العسكر بعد نهاية خدمتهم:

لا تقتصر امتيازات العسكر بمختلف رتبهم على فترة تواجدهم في حالة الخدمة الفعلية، بل تستمر بعد انتهاء خدمتهم في الجيش، سواء بإحالتهم على التقاعد أو بتسريحهم أو لأسباب العجز المختلفة، ومن بين هذه الامتيازات يمكن ذكر الآتي:

أ- في حالة التقاعد:

يستفيد الجندي أو الضابط المتقاعد من عدة امتيازات منها:

١ - الراتب: يختلف العسكريون في حالة تقاعدهم حسب رتبهم:

مثلا الآغا المتقاعد أي معزول آغا يتقاضى نفس الراتب الذي كان يتقاضاه سابقا[3]، ويبلغ 20 ناصري ثم قام علي باي (1759-1782) برفعه إلى 24 ناصري[4].

٢ - الحصول على وظيفة مدنية: يلقب العسكري المتقاعد بلقب باش آغا، ويتيح له ذلك تقلد وظيفة مدنية تسمح بزيادة دخله على غرار وكيل بيت المال أو وكيل الأوقاف، أو يكلف بتسيير مهام مخزنية[5].

[1] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 105.

[2] - Jean Ganiage, **La population de…op.Cit,** p 872.

[3] - محمد مقصودة، **أوضاع الكراغلة في الجزائر وتونس وليبيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة سوسيوتاريخية مقارنة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1، الجزائر، 1439-1440هـ/ 2018-2019، ص 113.

[4] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 35.

[5] - نفسه، ص 31.

٣ - **الحصول على امتيازات تجارية:** استطاع بعض القادة العسكريين النافذين في هرم السلطة الحصول على امتيازات التجارية ومن أمثلة ذلك: حصول قاسم بن سلطانة على امتياز تسليح سفن القرصنة في بداية القرن 18م، واستغلال عوائد تجارته في شراء المباني والأراضي الزراعية، كما كان سليمان بلحاج ثاني أكبر مصدر للزيت والقمح، واحتكر كل من حمودة الأصرم آغا زواوة وأمين الجمارك تصدير الخشخاش[1](نبات مُخدر).

٤- الإعفاء من ضريبة المجبى:استفاد قدامى الجنود الذين هم في حالة تقاعد من إعفاء من دفع ضريبة المجبى، التي كانت تفرضها الدولة على المواطنين[2].

ب- في حالة التسريح:

يستفيد الجندي المسرّح من الخدمة العسكرية من نصف مرتبه مدى حياته، كما يمكنه إضافة لهذا الامتياز أن يشغل أي وظيفة أخرى مدنية تسمح له بزيادة دخله، وكثيرا ما تساعده صفته العسكرية السابقة في الحصول على هذه الوظيفة، وجاء في كتاب من محمد باي إلى اللجنة التي سبق ذكرها المكلفة بالنظر في إصلاح الجيش النظامي وإعادة تنظيمه ما يلي:« أما بعد فإننا لما رتبنا العسكر على ما اقتضته المصلحة في الوقت والحال، وأبقينا من أمثاله من يقوم بضبط أولئك الرجال، أنفت حميتنا العسكرية من طرحه وإهماله، ولا مقتضى لها من حاله، إذ لم يصدر منه عيب، ولا شأن خدمته العسكرية بريب، مع عدم الحاجة لإبقائه بلا عمل في خدمته، وتعطيل مصلحته، فسرحناه من مباشرة الخدمة العسكرية، وأبقينا له نصف مرتبه واستحقه سالف خدمته المرعية، مدة حياته الدنيوية، مع اعتبار ما ناله من العناية والاحترام، باعتبار الخطة والمقام، فهو وان لم يباشر الخدمة العسكرية، يؤمل أن يباشر ما يستكفى به في خدمتنا السياسية، وبابنا له مفتوح، وإكرامنا له ممنوح، خصوصية له ولأمثاله»[3].

---

[1] - Khalifa Chater, **Introduction à l'étude de l'establishment tunisien: l'Etat Makhzen Husseinite et ses mutations**, revue Cahiers de la Méditerranée, N°49, Nice, France, 1994, p 9.

[2] - Jean Ganiage, **La population de…op.Cit**, p 872.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص ص 258 259.

هذا عن الامتيازات المادية، أما المعنوية فهي تتمثل في تفضيل الجندي المسرح عن عامة الناس في سائر مكاتب الحكومة ومؤسساتها وفي هذا الإطار يوصي محمد باي ذات اللجنة بما يلي: « وأوصينا له بالرعي والاحترام، وأن لا يقاس به العوام، لأنه وإن لم يكن في العسكر الآن، فله من الاحترام عين ما كان[1]».

ج- في حالة العجز الصحي:

يستفيد العسكري الذي تعرض لإصابة في بدنه تمنعه من مواصلة خدمته من راتبه كاملا، وفي ذلك يوصي محمد باي بقوله:«...والأثر في بدنه شاهد بحسن خدمته، وهو أعظم نيشان لحرمته، فسرحناه لعجزه عن الخدمة العسكرية، وأبقينا رواتبه مجرية، مادام في الحياة الدنيوية، وله منا مزيد التقريب والعناية والاحترام، على ممر الدوام»[2].

6- امتيازات المجموعات العسكرية عير النظامية:

أ- الرواتب (عسكر زواوة أنموذجا):

كان جند زواوة يتقاضون جراية (راتبا) أقل من الجنود الأتراك[3]، ويلخص حالهم في تلك الفترة مثل شعبي مازال يتردد في تونس هو: (كِيفْ عسكر زواوة مقَدْمين في الشقاء موخْرين في الراتب)[4]، وأفاد De chateaubriand أن مجموع عدد عسكر زواوة الذين يتقاضون راتبا يتراوح بين 2000 و2500 فردا، بينما يصل العدد الإجمالي لأفراد هذه الفرقة 20 ألفا، ويستفيد باقي أفراد المجموعة من امتيازات مختلفة عند الاستعانة بهم في الظروف غير العادية[5]، وكان جنود هذه الفرقة يتقاضون راتبا يوميا قدره فلسين خلال فترة حكم حسين باي (1824-1835م)[6].

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، المصدر السابق، ص 259.

[2] - نفسه، ص 259.

[3] - وزارة الدفاع التونسية، " **الجيش التونسي في العصر الحديث** "، **مقال إلكتروني**، تاريخ النشر 5 /9 / 2013، اطلعت عليه بتاريخ: 2 جويلية 2019م على الساعة 10:30.على الرابط التالي: /http://www.hmp.defense.tn . .

[4] - Abdelwahed Mokni, **op.Cit**, p145.

[5] - François-René Vicomte de Chateaubriand, T2, **op.Cit**, p 461.

[6] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 45.

ب–امتيازات أخرى:

أما عن الامتيازات الكبيرة لقادة هذه الفرقة فنجد على سبيل المثال أن حمودة الأصرم وهو خوجة زواوة، الذي كان يحظى بمنصب وكيل الجمرك قام بعمليات تصدير لبضائع متنوعة بلغت قيمتها 11.700 ريال[1].

ج– نماذج لامتيازات قادة المجموعات غير النظامية:

يوضح الجدول التالي بعض الامتيازات الممنوحة لبعض قادة المجموعات العسكرية:[2]

الوظيفة	النشاط	قيمة الدخل	التاريخ (م)
باش حانبة العرب	لزمة طليان حلق الوادي	4000 ريال	1745-1744
	لزمة طليان بنزرت	21741 ريال	1745
خوجة زواوة	200 قفيز قمح من حلق الوادي	13500 ريال	1802
	100 قفيز خشاخش	900 ريال	1804
باش حانبة القيروان	200 قفيز قمح من حلق الوادي	13500 ريال	1802
آغا زواوة	100 قفيز قمح من صفاقس	36 ريال	1802

كانت تكاليف هذه المجموعات غير مكلفة للسلطة وتتمثل غالبا في تسبقة راتب وسلاح يوزع عليهم عند التجنيد، أما الامتيازات فهي تتمثل في إعفاءات ضريبية، إضافة إلى ما يعود عليهم من عمليات السلب والنهب التي يقومون بها دون تعرضهم للعقاب من الحكومة[3]، لكن الرائد في الجيش الفرنسي Raymond Drevet يذكر أن جزءا من قبيلة زواوة كان خاضعا للضريبة على الرأس (l'impôt de capitation) وقدرها 15 بياسترا[4].

[1] - رضا بن رجب، **يهود البلاط ويهود الحاضرة في تونس العثمانية (1685-1857)**، ط1، تق: عبد الحميد الأرقش، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2010، ص 418.

[2] - سلوى هويدي، **المرجع السابق**، ص 36.

[3] - Jean Ganiage, **op.Cit,** p 151.

[4] - Raymond Drevet, **op.Cit**, P 15.

د-امتيازات القبائل التونسية الداعمة للجيش:

كانت القبائل تُجبر في حالات الخطر المهدد للسلطة على القتال إلى جانب الجيش، وبالمقابل تتحصل على امتيازات مختلفة وإعفاءات ضريبية ومكافآت مالية، تصل في بعض الأحيان إلى 2100 ريال وكميات من التمور[1].

هـ-الامتيازات العقارية:

تعددت هذه الامتيازات وتوعت عبر مراحل تاريخ الايالة الحديث، وسكتفي بمثال واحد يمثل أحد أشهر العقارات بمدينة تونس، الذي حظي به افراد الجيش وهو دار بن عبد الله[2] التي يعود تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن 18م وتحديدا سنة 1796م، وكانت ملكا للحاج محمد القسنطيني أحد أعيان مدينة تونس، وفي سنة 1801 اشترى الخليفة سيلمان الحنفي، قائد عسكري أوكلت له مهمة قيادة الجيش النظامي في عهد حمودة باشا باي تزوج ابنة محمد باي الذي حكم من 1814 إلى 1824م، وبقيت تحت ملكيته إلي حدود سنة 1875م، وبعد وفاة سليمان كاهية تم بيع الدار بالمزاد العلني إلي أحد أغنياء "القماشة" بمدينة تونس وهو "الطاهر بن صالح بن عبد الله" الذي سمي القصر باسمه لاحقا[3].

---

[1] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 51.

[2] - انظر الملحق رقم 20 .

[3] - موقع المعهد الوطني للتراث، **متحف الفنون والتقاليد الشعبية دار بن عبد الله**، على الرابط التالي:.http://www.inp.rnrt.tn/index ، اطلعت عليه بتاريخ: 16 اكتوبر 2021، على الساعة 18.20.

الفصل الثالث

ملامح تأثير الجيش على الأوضاع العامة للأيالة

أولا- ملامح التأثير على الأوضاع السياسية

ثانيا – الملامح على الأوضاع الاجتماعية

ثالثا- ملامح التأثير في الجانب الثقافي

رابعا - على الأوضاع الاقتصادية

خامسا- الملامح العسكرية

أولا- ملامح التأثير على الأوضاع السياسية:

1- على الصعيد الداخلي:

أ- البيعة السياسية:

إن عدم حاجة صاحب السلطة في البلاد التونسية من عهد الدايات إلى عهد البايات إلى بيعة كتابية تصدر عن المجموعات الداخلية، مرّده إلى أن النفوذ المركزي لا تزعجه الانتفاضات في داخل البلاد، إذ إنه يحظى بمساندة قاعدة اجتماعية حضرية ذات حضور كبير في البلاد التونسية، ثم إنه لا يعوّل على سند وثيقة مكتوبة من المجموعات الريفية، لأن ميزان القوى بما في ذلك الجانب العسكري على وجه الخصوص، الذي يعتبر العمود الفقري للسلطة في الأيالة، هو لصالح صاحب السلطة بلا منازع[1].

ب- تأثير أهم الصراعات السياسية الداخلية:

١- الصراع بين الدايات والبايات:

كان الداي يمثل رأس طائفة الانكشارية الأتراك وأعلاهم مرتبة، ومن بين أولى مهامه المحافظة على وحدة صف طائفة الانكشارية، الذين كانوا يطمحون لتأسيس ديمقراطية عسكرية، أي يتم التداول على رأس الطائفة عن طريق الاقتراع العام دون السماح لغيرهم (الكراغلة أو الأهالي أو المماليك أو المجموعات الأخرى) بالانضمام لهذه المجموعة[2]، وقد كان الدايات يتمتعون بسلطة شبه كاملة على مدينة تونس، بينما تخضع باقي ربوع الأيالة لنفوذ البايات[3]، حيث كان منصب الباي

[1] - عبد الحميد هنية، **بناء الدولة المجالية، المرجع السابق**، ص 12.

[2] - محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة، المرجع السابق**، ص 144.

[3] - Jean-Paul Roux, **L'Afrique du Nord ottomane**, Revue clio voyages cultureles, Paris, France, Novembre 2002, p 4.

وراثيا غالبا خلال عهد الأسرتين المرادية والحسينية وتتمثل وظيفته الأساسية في قيادة المحلة وجباية الضرائب.

أما عن أصول الدايات فنلاحظ من خلال أسمائهم أن أغلبهم من أصول تركيّة، مثل: أحمد خوجه ومحمد ومصطفى لاز ومصطفى كره كوز ومحمد أوغلو ومحمد بيشارة (biçar) وأحمد شلبي ومحمد طاباق[1]، ومنهم من مارس القرصنة البحرية وجمع ثروة طائلة ساعدته إلى جانب الصفة العسكرية للوصول الى منصب الداي[2]، مثل محمد طاباق الذي وصفه الوزير السراج بقوله: « كان له اقتدار عظيم على رئاسة البحر في الغلائط والمراكب وكان له خبرة عظيمة برمي المدافع[3]. »

بعد وفاة أسطا مراد سنة 1640م، عزم ابنه حمودة باشا على الحد من النفوذ القوي للدايات، وقد سمحت له فترة حكمه الطويلة (أكثر من 35 سنة) على فرض سيادته بشكل كامل ومحكم، وقام باكمال مشوار أبيه القائم على قمع وإخضاع القبائل المتمردة، خاصة الواقعة على أطراف البلاد وثغورها، كقبائل أولاد سعيد، وأولاد شنوف غرب البلاد وقبيلة ورغمة بالجنوب وجبالية عمدون، وامتدت حملاته العسكرية إلى غاية سنة 1645م[4]، وخلال هذه الفترة كان البايات يعملون تحت إمرة الباشوات إلى غاية سنة 1658م، بسبب العداء والصراع بين قطبي السلطة العسكرية في تونس أي الدايات والبايات[5].

أتاحت السيطرة الواسعة لحمودة باشا على الأقاليم الداخلية للبلاد فرصة تنظيم سلطته وتطويرها، وقام بتركيز اهتمامه على الجيش وزوّده بعناصر هامة من قبائل المخزن، بالإضافة إلى فرقة

---

[1] - Leila Temim Blili, T1, **Op.Cit**, p 247.

[2] - مؤيّد المناري، **المرجع السابق**، ص 258.

[3] - الوزير السراج، **المصدر السابق**، ص 497.

[4] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص59.

[5] - André Peyssonnel, **Op.Cit**, p 401.

"زواوة" التي استقدمها من بلاد القبائل بالجزائر، وعدد من فرق الصبايحية بكل من تونس، القيروان، الكاف، وباجة، مما أضفى على البلاد استقرارا وأمنا، ولكي يستميل العامة قام بعقد تحالفات مع أعيان البلاد، الذين يملكون تأثيرا مباشرا على الفئات المجتمعية المحلية، مثل العلماء والقياد وأصحاب اللزم من التجار، وبذلك ضمن الباي ولاء أغلب الفئات البارزة في المجتمع، مما مكّنه أن يكون الحاكم الفعلي للبلاد، خصوصا بعدما حصوله على لقب الباشا من الباب العالي سنة 1658م[1].

وتجلت سيطرة الدايات ونفوذهم في أحداث عديدة منها:

- تمكن مراد باي الثاني[2] من جمع كلمة البايات (أخاه وعمه) وخلع الحاج شعبان خوجة (1669-1672م)، الذي كان ينوي القيام بعمل عسكري ضد البايات واستئصال شأفتهم، وتم تعويضه بالحاج محمد منتشالي (1082-1083هـ) (1672-1673م)[3]، ثم خلف من بعده خلف من الدايات كان أمرهم صوريا بيد مراد باي الثاني قائد الجند.

- حاول الداي محمد شلبي استعادة مكانتهم السياسية والعسكرية خلال فترة الحرب التي نشبت بين الأخوين محمد وعلي ابني مراد الثاني سنة 1686م، وبالتالي إعادة هيمنة الطائفة العسكرية التركية على مقاليد السلطة، مما أدى إلى التفاف العناصر التركية حول مشروعه إضافة إلى عناصر أخرى على غرار كراغلة باجة، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل بعد انتصار محمد باي على أخيه وسيطرته على

[1] - دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص59.

[2] - مراد باي الثاني: ابن حمودة باشا المرادي تولى الحكم سنة 1666م، من أهم انجازاته: اهتمامه بالأسطول البحري الذي شهد تطورا في عهده، إضافة إلى بنائه للمدرسة المرادية والقنطرة الكبيرة على واد مجردة المعروفة بقنطرة مجاز الباب، التي وصفها ابن أبي الضياف بالعجيبة، توفي سنة 1675 بقصر باردو ودفن بتربة والده، وترك ثلاثة أبناء: محمد وعلي ورمضان تقاتلوا على الحكم من بعده قرابة 20 سنة. ينظر: احمد ابن أبي الضياف، ج 2، **المصدر السابق**، ص 109.

[3] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 239.

الحكم، وانطلق بعدها في معاقبة كل من ساند الداي محمد شلبي[1]، حيث قتل الداي خنقا في رجب سنة 1097هـ/ جوان 1686م وعوقب أولاد سعيد الذين ساندوه بتهجيرهم ونهب بيوتهم[2].

– آل الأمر في نهاية المطاف إلى محمد باي بن مراد الثاني الذي حكم ما يقارب الثماني سنوات (1686–1694م) واجه فيها مشاكل عديدة، أهمها اصطدامه بثورة كاهيته ابن شكر المتحالف مع كل من داي الجزائر شعبان خوجة وداي طرابلس محمد الإمام[3]، مما أدى إلى فقدان محمد باي لمنصبه واستولى ابن شكر على السلطة وقام بتعيين محمد طاطار دايا، وعمل منذ توليه الحكم على مصادرة أموال الناس وفرض ضرائب استثنائية على جميع أصحاب المهن والحرف، وذلك لاستيفاء المبلغ الذي طلبه الجزائريون مقابل دعمهم له[4].

– أما في العهد الحسيني فقد عمد حسين بن علي باي بعد توليه مقاليد الحكم سنة 1705م أن نال ثقة قادة الجيش والعلماء والأعيان بمدينة تونس، ثم بادر للتقرب من الداي محمد الأصفر واستمالته ريثما تستتب له الأمور وتحسبا للخطر المتوقع من جهة أيالة الجزائر[5].

٢– الصراعات بين أفراد الأُسر الحاكمة:

حدثت صراعات عديدة وعنيفة بين أفراد الأسرتين المرادية والحسينية، اللتين حكمتا تونس خلال العصر الحديث، وسنكتفي بذكر مثال في كل عهد، للدلالة على تأثير هذه الصراعات على المجتمع والأيالة عموما.

---

[1] - محمد فوزي المستغانمي، **الصغير بن يوسف العسكري المؤرخ**، مجلة الدفاع، العدد 62، وزارة الدفاع الوطني، تونس، سبتمبر 2014، ص 77.

[2] - محمود مقديش، ج2، **المصدر السابق**، ص 133.

[3] - الوزير السراج، ج2، **المصدر السابق**، ص 460.

[4] - الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص 235.وكذلك: ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص ص 142 143.

[5] - احمد ابن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ج 3، ص 179 .وكذلك: محمد مقصودة، **أوضاع الكراغلة، المرجع السابق**، ص 142. يورد شارل أندري جوليان رواية مخالفة، حيث يذكر أن أول ما قام به حسين بن علي بعد توليه الحكم هو إلغاء منصب الداي. ينظر: شارل أندري جوليان، ج2، **المرجع السابق**، ص 354.

-الصراعات في العهد المرادي (حرب الإخوة الأعداء):

شهد العهد المرادي صراعات خطيرة على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، أبرزها الصراع الدامي بين أبناء مراد الثاني إضافة إلى دور عمهم محمد الحفصي[1]، ونستهل التطرق إلى هذه الأحداث بما أورده ابن أبي دينار الذي عاصرها وكان شاهدا على تطوراتها، حيث يقول في ذلك: « واتصلت الحرب بالحرب خمسة أعوام متتابعة حتى قيل هل من راق، وكثرت العداوة بين البادي والحاضر وظن كل أحد أنه الفراق، وكم سيقت من نفوس إلى حتفها في عدة أيام والى ربك يومئذ المساق، وما قصر كل من الأخوين في طلبه لثأره، وقاوم كل واحد منهما صاحبه في المحاربة، ورمى بنفسه في الحرب واصطلى بناره، فكم تلفت من نفوس، وقطعت من رؤوس، وكم أنفقوا من الأموال، وكم أُتلفت من رجال وأي رجال، وسمحت بين الاثنين أقوام بالنفوس وبالأموال النفائس، وسمعت عن حروبهما أهل المشرق والمغرب ما لم يُسمع عن حروب الغبراء وداحس»[2].

بدأ هذا الصراع بعد وفاة مراد الثاني بين ابنيه محمد وعلي وعمهم محمد الحفصي، حيث استطاع الأخير دفع الديوان لتزكيته بايا للأمحال، بدعم من ابن أخيه علي الذي كان مقربا منه، لكن محمدا لم يرض بالأمر الواقع، وهرب إلى مدينة الكاف التي كان له فيها أنصار وأتباع[3]، ووصل إليها في 13 شعبان 1086هـ/ نوفمبر 1675م وبدأ في التعبئة والحشد وجمع السلاح لقتال عمه[4]، وقد استغل الداي مامي جمل هذا الصراع لصالحه وأراد استرجاع سلطته المفقودة على الجيش والمحلة[5].

استطاع محمد بن مراد الثاني حشد عدد كبير من الأنصار بالمناطق الغربية، وهدد بالزحف على العاصمة وطالب بخروج عمه منها، ونظرا لضعف السند لدى محمد الحفصي اضطر لمغادرة تونس نحو اسطنبول، وترك المجال مفتوحا لمحمد باي الذي دخل تونس في 28 رمضان 1086هـ/ ديسمبر1675م،

[1] - إبراهيم حسين عبد الله، **المرجع السابق**، ص 68.

[2] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص ص 297 298.

[3] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 127.

[4] - Nicolas Béranger, **Op.Cit**, p 20.

[5] - Habib Boulares, **Op.Cit**, p 372.

ثم جمع أعضاء الديوان وطالبهم بمبايعته بايا جديدا للبلاد دون استشارة الداي والباشا[1]، لكنه لم يهنأ طويلا بمنصبه حيث استطاع أخوه علي أن يضمن ولاء زعيم قبيلة الحنانشة[2] القوية سلطان بن نصر ثم مصاهرته لاحقا، وزحف على العاصمة وانتصر على جيش أخيه في موقعة "الكريمة"، ودخل الحاضرة منتصرا وأرغم الديوان والأعيان والعامة على مبايعته بايا جديدا لتونس[3]، ثم عزل الداي مامي جمل وأتى بمحمد بيشارة دايا جديدا بدلا عنه[4].

- **أثر الأزمة على المجتمع:**

شهد صراع الإخوة الأعداء والدايات خلال الفترة الزمنية بين 1685-1686م انعكاسات خطيرة على المجتمع، حيث قُتل عدد كبير من العسكريين والمدنيين والعلماء، ومن تلك المآسي ما قام به الداي محمد طاطار، الذي أسرف في القتل والنهب في مدينة تونس ضد كل من ناصر خصمه محمد باي، لكن السكان مع ضعفهم لم يستطيعوا رد هذه المناكر، واستكانوا تحت سطوة هذا الطاغية وتأسفوا على أحوالهم زمن محمد داي[5].

---

[1] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 128.

[2] - الحنانشة: قبيلة كبيرة ذات بطون كثيرة، تتواجد على طرفي الحدود بين تونس والجزائر، تضم ثلاثة بطون كبرى هي: هوارة والهلالية وبنو سليم، أما مرابعها فتمتد شمالا إلى وادي الحميز وجنوبا إلى وادي مسكانة ضواحي تبسة، على امتداد أربعة فراسخ غربي وادي سيراط، وكانت هذه القبيلة تدين بالولاء لإحدى الأيالتين بحسب الظروف والمصالح. ينظر: جميلة معاشي، **الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من 10هـ(16م) إلى 13هـ(19م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص 41. وينظر أيضا: أحميدة عميراوي، **المرجع السابق**، ص 25. وينظر أيضا: يوسف بن حيدة، **علاقة القبيلة بالطريقة الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة (الشابية والحنانشة نموذجا)**، مجلة المعيار، مج24، عدد50، الجزائر، 2020، ص ص 197 198. وينظر أيضا: توفيق بن زردة، **إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ-1192هـ/1756-1779م من خلال الدفترين 2144،2145 بالأرشيف التونسي**، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، جانفي 2017، ص6. يسميهم شارل فيرو أحرار الحنانشة. ينظر: Charles Féraud, **les harar seigneurs des Hanencha**, R.A, vol 18, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1874, p p 120 121.

[3] - الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص ص 227 228. وكذلك: ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 129.

[4] - Nicolas Béranger, **Op.Cit**, p 21.

[5] - الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص 235.

– في العهد الحسيني (الحرب الحسينية الباشية 1728–1740):

تعتبر الحرب التي دارت رحاها بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا[1] والمسماة الحرب أو الفتنة أو الأزمة الحسينية الباشية من أشد الحروب الأهلية تأثيرا على الأيالة حكومة وشعبا، وذلك بسبب انقسام القبائل والمدن التونسية إلى فرقتين، حسينية تناصر الباي وباشية مؤيدة لابن أخيه، وساندت الباي قبائل: دريد وجلاص وأولاد سعيد والهمامّة ...، بينما آزرت علي باشا قبائل: ماجر والفراشيش وأولاد عيّار وورتان والمثاليث وأولاد عون وكعوب والسواسي، وسكان مساكن وجمّال والقلعة الصغرى وأكودة وزاوية سوسة، وبقيّة قرى الساحل وسكان جبل وسلات[2].

وفي الجنوب انقسمت القبائل إلى صفين هما شداد ويوسف، حيث تزعمت قبيلة بني زيد صف شداد المساند لعلي باشا ودعمتها قبائل حازم والعزايزية والحمارنة والعلاية، أما صف يوسف المساند للحسينيين فضم قبائل ورغمة والتوازين والخروز وعكارة[3].

[1] - علي باشا: ابن أخ حسين بن علي مؤسس الأسرة الحسينية في تونس وكفيله، تعهد بتربيته صغيرا لعدم إنجابه للأبناء الذكور ثم عهد له بولاية العهد من بعده بتنصيبه بايا للأمحال، وبعد أن رزق بالذكور نحّاه عن ولاية العهد وراضاه بمنصب الباشا، لكن عليا لم يرض بذلك وأعلن الثورة على عمه بما عرف بالفتنة الباشية الحسينية، انتصر علي باشا على عمه سنة 1735م وقام ابنه بقتله سنة 1740م في القيروان، واستأثر بالحكم والسلطة، وُصف علي باشا بالعلم والشجاعة إلا أنه كان جريئاً على سفك الدماء، وألف كتاب شرح التسهيل لابن مالك وجمع في مقره في مدينة باردو مكتبة غنية بالمخطوطات النادرة، وضم بلاطه علماء وأدباء أجلاء، بنى عدة مدارس منها: الباشية أو السليمانية وبئر الحجار، وبنى حصن قلعة الوادي وبرج جبل المنار ومصانع عدة في أماكن متفرقة من البلاد. ينظر: عادل بن يوسف، **الحرب الباشية الحسينية، المرجع السابق**، ص 60. وينظر أيضا: موقع الموسوعة العربية الالكتروني، **مادة الأسرة الحسينية**، على الرابط التالي: http://arab-ency.com.sy/detail/3186 .

[2] - احمد ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق**، ص 140. وكذلك: عادل بن يوسف، **الحرب الباشية الحسينية، المرجع السابق**، ص 61. وكذلك: Jean Ganiage, **La pOpulation de…Op.Cit**, p 877.

[3] - علي المحجوبي، **المرجع السابق**، ص ص 15 16.

– أثر الحرب على الجيش والمجتمع:

– أثرها على الجيش:

انقسم الجيش والمجموعات الداعمة له كذلك في تأييدهم للطرفين المتحاربين، والجدول التالي يوضح انتماءات بعض قادة الجيش ومن يتبعهم من جنود في هذه الحرب الأهلية[1]:

الأعوان ذوو الانتماء الباشي	الأعوان ذوو الانتماء الحسيني
عبداللطيف السهيلي قايد وسلات	طراد بن قبران قايد الكاف
أحمد بن متيشة كاهية عسكر زواوة	مصطفى آغا الصبايحية
الحاج مبارك الأوراسي كاهية الكواهي	آغا زواوة الحامة سليمان الصباغ
القايد علي الخطاب ابن القايد بوكراع اليعقوبي	

ولم نجد فيما اطلعنا عليه أفضل من تلخيص المؤرخ لطفي بوعلي لحالة الجيش وتعامله مع هذه الأزمة الكبيرة حيث يقول: « إن المؤسسة العسكرية النظامية كانت منذ انتصاب حسين بن علي في السلطة أهم مؤسسة للتنفيذ في الداخل، وقد تكرس ذلك زمن الفتنة الباشية حيث دخل العسكر بقوة في اللعبة السياسية وفي الصراع على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة[2]. »

–أثرها على الرعية:

عانى الشعب التونسي الويلات من جراء هذه الحرب الأهلية التي أزهقت فيها أرواح كثيرة ويلخص محمد الصغير بن يوسف حالة الشعب بقوله: « وصارت العباد كالقمح بين شقي الرحى»[3]، باعتبار أن الكاتب كان شاهد عيان على الأحداث وشارك فيها[4].

[1] - عبد القادر سوداني، **السلطة في تونس، المرجع السابق**، ص ص 306 307.

[2] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 86.

[3] - محمد الصغير بن يوسف، **المصدر السابق**، ص 105.

[4] - أحمد الطويلي، **في الحضارة العربية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د.س، ص 137.

– أثرها على الأعيان والنخبة:

كان أعيان المدن الكبرى وخاصة تونس خلال فترة هذه الحرب الأهلية المريرة يتقلبون في ولاءاتهم بحسب ظروف الحرب، وكانوا يساندون الطرف الأقوى دائما ويبايعونه ويطيعونه، ويقدمون له الدعم والعون متى احتاج إلى ذلك[1]، وهم ليسوا بدعا في ذلك، فهذا هو حال الطبقة الارستقراطية في كل زمان ومكان، ومن هذه العائلات: الجلولي، وبن ساسي وبن الحاج وغيرهم، الذين سارعوا لتقديم الولاء والبيعة لعلي باشا بعد إطاحته بعمه حسين بن علي وتوليه الحكم[2].

كانت هذه الحرب الأهلية فرصة سانحة لظهور بعض العائلات المخزنية التي لم تتبوأ مكانة في عهد حسين بن علي (1705–1735م)، وبعد تمكن علي باشا من تفوقه عسكريا على عمه انحازت هذه العائلات إليه وقدمت الولاء والمساندة له[3]، وتجلى ذلك بداية من سنة 1728م، وظهر دورها في معركة سمنجة في 4 أوت 1735م حيث قلبت موازين القوى لصالح علي باشا[4]، وتعتبر عائلة بن خضر أصيلة مدينة الجمال كأبرز مثال عن هذه العائلات المخازنية التي استفادت من هذه الحرب الأهلية[5].

كما أن السلطة بعد نهاية الأزمة لم تقم بسحب الأراضي من المتنازعين عليها، حتى من القبائل التي ساندت علي باشا أثناء الفتنة الباشية الحسينية، ولم تتدخل في أساليب الاستغلال المعتادة من طرف تلك القبائل[6]، وهو ما يمكن اعتباره إشارة للمصالحة الوطنية إن صح التعبير.

---

[1]- Othman Barhoumi, **Op.Cit**, 281.

[2] - Mohamed-El Aziz Ben Achour, **Hammouda Pacha Bey ou l'apogée de la dynastie husseïnite**, revue leaders, N° 70, Tunis, Tunisie, Mars 2017, p 68. Et: Couland Jacques, **Lucette Valensi, Fellahs tunisiens L'économie rurale et la vie des campagnes aux XVIII^{e} et XIX^{e} siècles**, Revue d'Histoire moderne et contemporaine, T 28, N°2, Belin, France, Avril-juin 1981, P374.

[3] - Othman Barhoumi, **Op.Cit**, p279.

[4] - عادل بن يوسف، **الحرب الباشية الحسينية، المرجع السابق**، ص 62.

[5] - Othman Barhoumi, **Op.Cit**, p279.

[6] - كمال مايدي، **الأوقاف والملكية، المرجع السابق**، ص 371.

2- على الصعيد الخارجي:

- مظاهر الاستقلال عن الدولة العثمانية:

كشف المؤرخ الفرنسي روبرت مانتران Robert Mantran من خلال جرد الوثائق التركية بأرشيف دار الباي المتعلق بفترة ما قبل1881م، أن عدد الوثائق المكتوبة باللغة التركية لا يتجاوز 1500 وثيقة و100 دفتر من مجموع 400 ألف وثيقة و15 ألف دفتر[1]، فيما أكّد الباحث التونسي زبير خلف الله أنه رغم طول حكم العثمانيين لم يتعلم التونسيون اللغة التركية، لأنها ببساطة لم تفرض عليهم[2]، إنما تم تطوير اللغة العربية والتدريس بجامع الزيتونة وظهر علماء وشيوخ كبار طبعوا بكتاباتهم تلك المرحلة، كما أن وثائق التراسل مع الباب العالي كانت باللغة العربية، وتواصل تعامل تونس مع الخارج كدولة مستقلة دون تفويض أو تنسيق مع إسطنبول، إضافة إلى رفض أحمد باي العمل بالإصلاحات التي أقرها الباب العالي سنة 1839م، وتعلله باختلاف الطباع والظروف، في رسالة رفعها وزيره أحمد بن أبي الضياف تدل على أن الدولة العثمانية لم تُمارس حكمًا مباشرًا على الأيالة التونسية، ولم تسلبها قرارها السيادي، بل استمر هذا النزوع للاستقلالية إلى بعض المؤرخين الذين أطلقوا على ذلك مصطلح "الذاتية التونسية"[3].

إن ما يجعل الحكم في تونس أقل ولاء للعثمايين من غيره، ما تميزت به النخب التونسية من إدارة صراع خفي مع العثمانيين ولم يدينوا لهم بالولاء الكامل، وتكرس ذلك بمجيء الباي حسين الذي حاول كسب نوع من الاستقلال الذاتي، فزاد من عدد الموظفين من الأهالي ودعم اللغة العربية، وأهم ما يميز الأسرة الحسينية في القرن 19م موجة الإصلاحات الكبيرة التي حدثت في مجالات الإدارة

---

[1] - Robert Mantran, **Inventaire des documents d'archives Turcs à Dar El Bey (Tunis)**, presses Universitaires de France, Paris, France, 1961, p 69.

[2] - رانيا الزعبي، **التحريف وسوء التأريخ وراء الجفاء بين العرب والأتراك**، موقع الجزيرة الالكتروني، بتاريخ: 6 أكتوبر 2007، على الرابط التالي: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/6/11،_ اطلعت عليه بتاريخ: 25 مارس 2020، عل الساعة: 16.10.

[3] - أنيس العرقوبي، **تونس في العهد العثماني.. نظام الحكم والإصلاحات**، مجلة نون بوست الالكترونية، المغرب، 20 مارس 2020، على الرابط التالي: **https://www.noonpost.com/content/36455** ، اطلعت عليه بتاريخ: 25 مارس 2020، عل الساعة: 16.40.

والجيش وغيرها، ثم استمرت الاستقلالية في عهد أحمد باشا باي (1837–1855م)، حيث شيَّد قصر باردو الشهير الذي أراده مقرا للحكم المستقل، بعيدا عن التأثير العثماني المتجذر في القصبة والحاضرة عموما[1].

وعلى هذا الأساس تصرف البايات الحسينيون في إدارة شؤون الأيالة الخارجية باستقلالية عن السلطة العثمانية، وتم الاعتراف بهم كحكام لدولة ذات سيادة، وكان لديهم مكانة وجيشا وقضاءا مستقلا، كما أبرمت الدول الأوربية معاهدات السلام والاتفاقيات التجارية معهم، وقامت تونس بأعلان الحرب على بعض الدول دون الرجوع إلى الحكومة العثمانية[2].

[1] - زايد هدية، "**العثمانيون" في المغرب العربي ذاكرة من دماء**، موقع جريدة الأندبندنت عربي، 17 أفريل 2020، على الرابط التالي: https://www.independentarabia.com/node/111711.، اطلعت عليه بتاريخ: 22 أوت 2021، عل الساعة 20.55

[2] - Jamil Miri Abun-Nasr, **The Tunisian state in the eighteenth century**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°33, Aix-en-Provence, France, 1982, p33.

ثانيا – الملامح على الأوضاع الاجتماعية:

1– العلاقة بين أفراد الجيش والمجتمع:

كان انتداب الجنود في صفوف الجيش يتم بصفة عشوائية عبر مختلف المندوبين في الأناضول وغيرها، مما يضفي صفة عدم التجانس بينهم وينعكس سلبا على تصرفات هؤلاء الجنود عند اختلاطهم بأفراد المجتمع في تونس، حيث غلب عليها سوء المعاملة وفضاضة القول ونهب الأموال وغيرها من التصرفات الدنيئة، ويتجلى ذلك عند إرسالهم في مفارز لحماية بعض المناطق من اللصوص وقطاع الطرق، فيقومون ببعض الأعمال ضد الأهالي تخالف ما جاؤوا من اجله، من قبيل أنهم كانوا يجمعون الأموال عنوة بدعوى حق الضيافة، كما أنهم كانوا يفرضون على الأهالي أطعامهم مدة مكوثهم إلى غير ذلك من الأفعال الأخرى المخزية، ما أوغر صدور الأهالي عليهم وأحدث القطيعة بينهم وبين السلطة[1]، وفي ذات المنحى يصف توماس ماغيل Thomas Maggill الجيش التونسي بأنه عبارة عن عصابة من المجرمين بسبب شدة قسوة الجنود تجاه الأهالي[2].

يسرد ابن أبي الضياف واقعتين حول العلاقة بين أفراد الجيش والمجتمع، الواقعة الأولى حدثت بين بلوكباشي في الجيش وأحد العلماء، توضح سطوة الجنود واستعلاؤهم على التونسيين بما فيهم العلماء، حيث يقول: « يحكى أن أحد البلكباشية وقع بينه وبين الشيخ العالم الفقيه أبي العباس أحمد بوحريص[3] نزاع أفضى إلى تشاجر، إلى أن أغلظ البلكباشي على الشيخ بالقول، فرد عليه الشيخ، فأنف من ذلك واشتكى للباي، فبعث إلى الشيخ مع شيخ الربض[4] وحضر البلكباشي، فقال الباي

---

[1] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 284.

[2] - Thomas Maggill, **Op.Cit**, P 36.

[3] - أصله من جبل وسلات، كان بارعا في الحفظ ومشهودا له بالذكاء وسعة الاطلاع، تقلب في وظائف الإمامة والخطابة وتولى القضاء سنة 1220هـ/1804مـ بعد تمنع، وانكب على التدريس والتأليف وذاع صيته في ربوع البلاد، توفي سنة 1240هـ/ 1824م. ينظر: محمد مخلوف، ج1، **المرجع السابق**، ص 529.

[4] - الربض: بفتح الراء تعني ما يتبع المدينة من أحياء قريبة منها، أو ضواحي خارج أسوارها. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، ب.س، ص467.

للشيخ: "ويجب أن يكون لأعيان الجند مقام محترم، وهذا ما يسمى في الديوان بالاختيار، من باب التسمية بالمصدر، ولابد لهذه التسمية من معنى يقتضي عدم الرد عليه، وإنهاء الشكاية به إلينا"»[1].

أما الثانية فقد اشتكى أحد الأعيان العمال من آل عياد إلى الباي حمودة باشا فارسا من حوانب الترك أساء الأدب معه، ويسرد ابن أبي الضياف الحوار بين بن عياد والباي على النحو التالي: « إنه يتجاسر عليّ وأنا خديمك، فأجابه الباي: وهو أيضا خديمي، فقال العامل أمنزلته عندك كمنزلتي؟، فأجاب الباي: نعم وهو أنفع عندي لأنه يبيت في حراستي تحت أديم السماء وأبعثه إلى الموت فينبعث وأنت أشبه بتاجر يشتري الغلة في أشجارها، إن رأيت ربحا قدمت وإلا تأخرت وهو الحارس للشجر مثمر أو غير مثمر[2]. »

نستنتج من الواقعتين سالفتي الذكر أن العلاقة بين أفراد الجيش والمجتمع (علماء، أعيان، عامة الناس...) شابها الكثير من الخلافات، والتي تعود أسبابها إلى مكانة العسكر لدى البايات ودعمهم لهم، ولو أن هذه المكانة لم تكن دائما على نفس الحال.

وبالمقابل حدثت واقعة للعلامة الفقيه محمد الصفار شيخ القراء بحزب السبع[3] بجامع الزيتونة، حيث خرج لبيع غلته من الزيتون في الوطن القبلي، وعند عودته مر بحمام الأنف فوجد أفرادا من جند الترك قاموا باهانته وسطوا على ماله وهددوه بالقتل إن اشتكى عليهم، فوصل تونس عند الغروب وبات في غم وحسرة، وفي الصباح ذهب إلى الباي وكان من العادة تقبيل يده فلم يفعل، وندع ابن أبي الضياف يكمل سرد الواقعة، حيث قال له الباش حانبة: « تكلم أيها الشيخ إن سيدنا يسمعك، فقال له الشيخ: سيدك أنت أما أنا فلا سيادة له علي حتى يكون حاميا لديني ونفسي ومالي، أينهبني جنوده قرب الحاضرة، وأدين له بالسيادة؟،...فتغير(الباي) وقال له: امكث بمحلك حتى نبعث لك، ...حتى ظفر بهؤلاء المحاربين، واستخلص المال بعينه[4]. »

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص56. وكذلك: لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 122.

[2] - احمد ابن أبي الضياف، ج 3، **المصدر السابق**، ص 86.

[3] - حزب السبع أو الحزب الكبير كان يُقرأ بمحراب جامع الزيتونة بعد صلاة الصبح، ويختم فيه القرآن الكريم كاملا كل يوم جمعة من طرف أزيد من 100 قارئ، مقسمين إلى سبع طوائف لكل طائفة يوم من أيام الأسبوع. ينظر: حمودة بن عبد العزيز، **المصدر السابق**، ص 191 .

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص ص 80 81.

أما عن علاقة السلطة بالمجتمع عموما فنتناول بعض الوقائع التاريخية لمعرفة أبعاد هذه العلاقة، منها:

- يصف هاينريش بارت في رحلته إلى تونس سنتي 1845 و1846م الوضع في البلاد بأنه في حالة يرثى لها من التعاسة، ويرجع ذلك إلى إصرار المشير أحمد باي على التجنيد الإجباري للشباب لتأسيس الجيش النظامي على نمط الجيوش الأوربية، كما يذكر بان بعض القرى قد أمست خالية من أهلها، ومن قبيل ذلك ما وقع لقرية المعمورة بنواحي مدينة سليمان التي ناقضت اسمها وغدت خالية، بسبب خوف الأهالي من انتقام الباي بعد اغتيالهم لأحد الجنود لكثرة جوره وظلمه للسكان[1].

- من أمثلة علاقة البايات بالرعية ما حدث مع أهل منطقة الجريد أنه بعد عدة سنوات من الجفاف وخلال فترة المجاعة، أمر الباي بإقامة صلاة الاستسقاء في جميع أنحاء الأيالة، رفض أهل الجريد الانصياع لأمر الباي، فغضب وأمر بحضور كبار الأعيان لحضرته والمجيء إلى تونس لعقابهم، ولما وقفوا أمامه قال لهم: « كيف يحدث أن تمتنعوا أن تنفذوا أمري بالصلاة العامة لنزول المطر المبارك الذي سيعطي الثروة لبلدنا التعيس؟ »، فأجاب أعيان منطقة الجريد أنه تزول المطر يضر بمصدر رزقهم وهو التمر واحضروا حبة تمر ناعمة وعطرة وأضافوا القليل من الماء لها، فتغير طعمها ولونها، وقالوا: « إن تمورنا تتطلب الكثير من أشعة الشمس من أجل إنتاج عسلها، وليس للمطر»، فاقتنعً الباي بكلامهم وعفا عنهم وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم[2].

2- علاقة أفراد الجيش بالسلطة:

في هذا الإطار يمكن استنباط عناية السلطة بالعسكر من خلال المراسلات التي كانت بين النوبات المختلفة والبايات الحسينيين خلال القرن 18م، للإخبار حول سلامة تعداد العسكر بالديوان وعلى سبيل المثال إرسال آغا نوبة المهدية البلوكباشي أحمد خوجة تقريرا إلى حمودة باشا سنة 1795م حول صحة إحصاء العسكر بديوان الحنفية، الذي يتكون من 43 جنديا ولقّبهم بالمجاهدين، وقد وصل أبناء العائلات التركية إلى أعلى المناصب العسكرية والإدارية، مما أهّلهم

[1] - هاينريش بارت، **المصدر السابق**، ص 26.

[2]- Thomas H. Kearney, **Date Varieties and Date Culture in Tunis**, Government printing office, Washington, USA, 1906, p 52.

للسيطرة على المدينة، ومحاولة الانصهار والاختلاط بالعنصر المحلي من خلال عدة مظاهر اجتماعية مثل المصاهرات أو عن طريق الملكية الفلاحية المشتركة[1].

3-علاقة الجيش بالقبائل التونسية:

أ-اخضاع القبائل للسلطة:

كانت السلطة في بداية الوجود العثماني تقتصر على مدينة تونس (الحاضرة) وأرباضها، أما باقي المناطق فقد كانت في حالة شبه استقلال عن السلطة المركزية، وتتمثل في سيادة القبائل على مناطقها ومحاولة التوسع والسيطرة على مناطق القبائل المجاورة لها[2]، وكانت المناطق الداخلية في حالة اضطراب وتمرد مستمر على السلطة الجديدة، التي وجدت نفسها مقتصرة على مدينة، تونس وما جاورها ما أدى بالسلطة القائمة إلى ضرورة التحرك نحو مناطق الداخلية والساحلية لبسط سيطرتها عليها، خاصة إبان حكم البايات المراديين الذي شهد تطورا في بنية الجيش وعدته وعتاده[3].

كانت أولى هذه الحملات العسكرية التأديبية سنة 1614م في عهد يوسف داي، حيث توجهت الحملة إلى الحدود الغربية مع الجزائر لإخضاع قبيلة أولاد شنوف[4] الذين تمردوا على السلطة، واستطاع يوسف داي الانتصار عليهم واستعادة ولائهم للدولة، كما قام برسم الحدود مع الجزائر لأول مرة في هذه السنة[5].

---

[1] - سنية حمدي، **المرجع السابق**، ص 55.

[2] - للتعرف على هذه القبائل ومواقعها خلال القرن 19 ينظر الملحق رقم 19 .

[3] - Khalifa Chater, **Introduction…Op.Cit,** p 8. Et: Mohammed Hédi Chérif, **Document relatif à des tribus tunisiennes des débuts du XVIIIe siècle**, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N°33, Aix-en-Provence, France, 1982. p 67.

[4] - أولاد شنوف: قبيلة كبيرة تقع مضاربها بالقرب من الكاف عل طرفي الحدود التونسية الجزائرية، وكثيرا ما استغلت هذه القبيلة هذا الوضع للتنقل بين الأيالتين وتغيير الولاء، للتهرب من الضرائب أو لتحقيق منافع أخرى وقد كانت سببا مباشرا في أول مواجهة بين الأيالتين سنة 1614م. ينظر: المنصف التايب، مرجع سابق، ص 15.

[5] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 232. وكذلك: عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 298 .

قامت سلطة الباي بإجراء إحصاء عام لسكان الأيالة بين سنتي 1726–1727م[1] شمل حوالي 20 قبيلة، كان الهدف منه تحديد المناطق التي شملها سلطة الباي التي تدين له بالولاء أو ما اصطلح عليه لاحقا "الرعية"[2]، وبُنيت العلاقة بين الطرفين على إستراتيجيتي الممانعة أو الخنوع وان كانت هذه الاستراتيجيات تخضع دائما للتقلبات السياسية والعسكرية التي شهدها التاريخ الحديث للأيالة[3].

كانت ثمة مصلحة مشتركة بين السلطة وبعض القبائل من خلال إعفائهم من بعض الضرائب[4] في مقابل عدم تهديد الدولة وأمنها واستقرارها وتحمل سكان المدن وبعض القبائل عبء تلك الضرائب المختلفة[5]، ومن قبيل ذلك توسع دائرة القبائل المخزنية الموالية للسلطة خلال القرنين 18و19م خاصة في ناحية الشمال الغربي أو ما يعرف بحوض وادي مجردة، وكان هذا الولاء يتلخص في أمور عديدة منها: توفير الفرسان للجيش وقت الضرورة أو دفع آداء أطلق عليه مسمى " زمالة "[6]، إضافة إلى تأمين مناطق القبائل المخزنية من غارات القبائل المتمردة أو المناوئة[7]، التي يصفها المؤرخ عبد الحميد هنية بالقبائل شبه البدوية التي تحافظ على علاقتها بالسلطة المركزية من خلال الاعتماد القوة

---

[1] - ا. و.ت، دفتر رقم 620.

[2] -عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 220.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري قراءة ميكرو- تاريخية في التجربة التونسية (1830-1881)**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019، ص 60.

[4] - تنوعت الضرائب المفروضة على السكان ومنها: ضريبة المجبى، العشر، القانون...الخ. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ، المرجع السابق**، ص ص 11 12.

[5] - سمير أبو حمدان، **خير الدين التونسي**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1993، ص 23.

[6] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 60.

[7] - عبد القادر سوداني، **الإغارة في تونس و طرابلس الغرب خلال القرنين 18 و19: ذهنية السكان وشروط المخزن**، موقع المغاربي للدراسات والتحاليل، بتاريخ 10 جويلية 2018، على الرابط التالي: /https://almagharebi.net/2018/07/10 ./، اطلعت عليه يوم 30 أوت 2019، على الساعة 23.40.وكذلك: Jean Ganiage, **La pOpulation de…Op.Cit**, p 877.

العسكرية البايلكية (قوات المحلة)[1]، كما أقبل بعض السكان من أبناء القبائل على شراء الأسلحة والبارود المهرب عبر مالطا إلى شواطئ تونس، لتدفعوا عن أنفسهم عنف السلطة والمجموعات المعادية، مما جعل مجال اقتناء السلاح غير خاضع لمراقبة السلطة، كما شملت التغييرات الاجتماعية تبديل حاشية الباي والمقربين منه بآخرين قادرين على تلبية مطالب السلطة، في زمن العسر وشح الموارد أي القادرين على اعتصار السكان جبائيا[2].

إن تعامل القبائل مع الأرض نظمته السلطة في عهد حسين بن علي وفق قواعد كانت في البداية شفوية ثم تحولت إلى مكتوبة في سجل سمي " العادة "، وهذا باقتسام السلطة والقبائل التصرف في الأراضي، إضافة إلى شرط دخولها في خدمة السلطة أي تتحول إلى قبائل مخزنية على غرار قبائل جلاص والهمامة، وبالمقابل تستفيد هذه القبائل من تخفيف الضرائب أو الإعفاء منها ومن الحصول على غنائم من المشاركة العسكرية[3].

شهد عهد حمودة باشا الحسيني اختراقا للقبيلة كسلطة اجتماعية، وذلك من خلال الدسائس والجواسيس والعيون وغير ذلك من الوسائل المخابراتية، وعليه أصبحت المعارضة بشكلها القبلي مكشوفة لدى السلطة وتعمل على التحكم في قراراتها وتسخيرها لمصالحها، وبالتالي فان هذه العمليات المخابرتية مكنت السلطة من تجنب المواجهات العسكرية العلنية التي استنزفت طاقاتها لعقود عديدة[4].

انقسمت القبائل التونسية في علاقتها مع السلطة إلى ثلاث مجموعات:

- مجموعة متحالفة مع السلطة في كل أحوالها وتطوراتها مقابل امتيازات ومصالح متعددة.

---

1 - Abdelhamid Henia, **L'exercice du pouvoir dans et sur les communautés locales en Tunisie aux XVIII^{e} et XIX^{e} siècles**, Mélanges de l'École Française de Rome. Moyen-Age, T 115, N°1, 2003, p 590.

2 - عبد القادر سوداني، **السلطة في تونس، المرجع السابق،** ص 301.

3 - كمال مايدي، **الأوقاف والملكية، المرجع السابق** ، ص 371.

4 - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري...المرجع السابق،** ص 57.

- مجموعة مستقرة ومسالمة يمكن وصفها بالمحايدة تدفع بانتظام ما عليها من ضرائب، أو واجبات إجبارية مثل: الضيافة والعادة والمعونة.

- مجموعة مستقرة في التخوم القريبة من الحدود وخصوصا مع الجزائر، عرفت هذه المجموعة بالقبائل الممانعة التي ترفض دفع الضرائب وتقوم بحركات التمرد والعصيان، وتلجا إلى الأراضي الجزائرية في حال وجود تهديد من جهة السلطة في تونس[1].

١ – المحلة كأداة لفرض سلطة الدولة على القبائل:

تتفق أغلب المصادر التاريخية على أن المحلة لم تكن أداة للعنف والقوة في عهد العثماني الأول، أي قبل تولي عثمان داي قيادتها بنفسه ما يعدّ تعد على صلاحيات الباي المنوط به قيادتها[2]، لكن بعد ذلك عُرفت المحلة تاريخيا بالأساس كجهاز قمعي، فهي في الوقت نفسه تيسّر الاتصالات المباشرة بالسكان المحليين، حيث يقيم باي المحلة في بعض المحطات في الأرياف والمدن الداخلية مدةً محدودة، تعبيرا عن تقريب رموز السلطة المركزية من سكان هذه المناطق، وتكون فرصة لتجديد عبارات الولاء لها خاصة من قبل الأعيان المحليين، ولجمع الضرائب، ولمعاقبة مرتكبي أعمال الإغارة والتمرد، وقد ساهمت هذه الجولات الدورية للمحلة في تيسير المرور من مرحلة الدايات المحتمين داخل أسوار القصبة والمحاطين بثكنات العاصمة إلى مرحلة البايات المحتكين أكثر بالأوساط الأهلية، وأثمر هذا التحول في ظهور الحكم السُلالي أو العائلي للبايات المراديين في القرن 17م ثم حكم العائلة الحسينية ابتداء من سنة 1705م[3].

---

[1] - الأزهر الماجري، **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي**، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2005، ص ص 240 241.

[2] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 42.

[3] - مصطفى التليلي، **حضور الدولة وتمثّلاتها في المجالات الطرفية إيالة تونس في الفترة الحديثة**، مجلة أسطور، العدد 12، جويلية 2020، ص 64.

بدأ استخدام العنف عن طريق القوى العسكرية المكوّنة للمحلة في فترة حكم المراديين، ومن قبيل ذلك ما قام به محمد بن شكر [1] إثر سيطرته على الحكم في تونس، حيث قام استعمال العنف ضد الأهالي واستولى على محاصيلهم الزراعية التي كانت وفيرة في تلك السنة، مقابل ثمن بخس وأعاد تسويقها بأثمان مرتفعة وصلت 8.5 قرش للكيلة[2] الواحدة، وتحصل بذلك على أرباح كبيرة[3]، كما استخدم مراد بن علي باي (الثالث) العنف المفرط في محلة الصيف لسنة 1699م التي اتجهت غربا نحو باجة ويصف ابن أبي الضياف ما تعرض له الأهالي من جور الباي والعسكر المرافق له بقوله: « وخرج بمحلة الصيف إلى باجة وفعل بأهلها ما هوّن عليهم فراق الوطن فخرجوا منها للشعاب والأودية...وتركوها خاوية على عروشها»[4].

ولعل من ابرز المحلات التي عُرفت بعنفها وانتقامها من الأهالي محلة احمد زروق[5] التي اتجهت نحو مدن وقرى الساحل الشرقي، وذلك بهدف الانتقام ممن ساندوا ثورة بن غذاهم تغريمهم من عسكريين ومدنيين[6]، قام الوزير مصطفي خزندار بتكوين 2600 عسكريا من الرعاع عنفي السلوك على رأسهم الجنرال أحمد زروق كلفهم بجمع المحلة، وقد تمكن الجنرال زروق من دخول سوسة وهو

[1] - محمد بن شكر: أحد قادة الجيش قام بالانقلاب على محمد باي واستولى على مدينة تونس بمساعدة حكام الجزائر، وقام خلال فترة حكمه القصيرة بعمليات قتل ونهب والفساد حتى بلغت القلوب الحناجر وخافه الناس واسترهبوه، ثم ثار عليه أهل سوسة والقيروان وبعثوا لمحمد باي وواجهوا بقيادته جيش ابن شكر، والتقى الجمعان في واد برق الليل فانهزم جيش ابن شكر وقتل في المعركة سنة 1106هـ/1694م. ينظر: محمد بن مخلوف، ج2، **المصدر السابق**، ص 181.

[2] - الكيلة: مصطلح يستخدم في وزن بعض المنتجات الزراعية مثلا كيلة القمح تعادل 12 كغ، ينظر: جمعة محمد عطا، **تعريف بعض المقاييس والأوزان والمصطلحات**، مقال الكتروني، أُطلع عليه بتاريخ: 27 جويلية 2021، على الرابط التالي: .https://f.zira3a.net/showthread.php?t=33057

[3] - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 144.

[4] - احمد ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق**، ص 75.

[5] - كان عبدًا للعربي زروق خزندار ووزير محمود باي (1814-1824)، دخل في الخدمة العسكرية في عهد حسين وبعد ترقيه في المناصب وتقربه من الباي طلب الزواج من ابنته زنيخة، هذه المصاهرة أمكنته من الترقية في جميع الدرجات العسكرية حتى وصل إلى رتبة جنرال.ينظر: Jean Ganiage, **Op.Cit**, p 60.

[6] - Moncef Charfeddine, **Ahmed Zarrouk -I- La terreur du Sahel,** Site Web Tunis-Hebdo électroniques, Tunis, 06 Mai 2019, sur le lien suivant: **https://www.webdo.tn/2019/05/07/ahmed-zarrouk-i-la-terreur-du-sahel/.**

يجر وراءه أسراه مكبلين بالسلاسل والأغلال، وجاب كامل منطقة الساحل فنزع السلاح بالقوة وتجبر على العزل ونفذ جرائمه الكثيرة[1].

٢- العقوبات داخل مؤسسة المحلة وأثرها على المجتمع:

تعتبر المحلة مؤسسة عسكرية واقتصادية قائمة بذاتها، ولها تأثير كبير على المجتمع منذ العهد الحفصي بتونس، لكن هذه المؤسسة الهامة كانت تفتقر إلى قوانين تحكمها وتبُتّ في الأحداث التي تقع فيها، لأنها تدوم لعدة أشهر وتضم عددا كبيرا من أفراد الجيش والمجموعات العسكرية الداعمة له، إضافة إلى كل الفئات الاجتماعية الأخرى التي تقدم الدعم اللوجيستيكي لها، وفي الطرف الآخر نجد المجتمع بكل خصائصه القبلية وغيرها، ولم يتم إصدار قانون يحكم هذه المؤسسة إلا في شهر ربيع الأنور 1278هـ/ سبتمبر 1861م، وسمي " قانون خدمة المحلة المنصورة " الذي تضمن العديد من المسائل المختلفة من بينها العقوبات الجزائية وعلاقتها بالمجتمع[2]، ومن بينها:

- الشكاوى التي تتقدم بها الرعية إلى قائد المحلة ضد العمال أو القياد وغيرهم من المسؤولين المحليين، وقد تعددت أسباب هذه الشكاوى وخلفياتها، وكان الفصل فيها يتم من طرف مستشار باي المحلة، الذي يقدم تقارير يومية لهذه الشكاوى والحكم الذي أصدره فيها للباي الذي يبدي موافقته أو رفضه لهذا الحكم، ويحتفظ المستشار بهذه التقارير إلى حين انتهاء المحلة[3].

- المعارك التي وقعت سنة 1206هـ/ 1792-1791م بين عروش "الهيشرية " و"الحنية " و"عين رباو" من قبيلة الهمامة بقمودة، وعرش أولاد مساهل من قبيلة ماجر بمساعدة أبناء عمومتهم الفراشيش بقيادة الأخوين عامر وحامد ابني شريفة الفرجاني، وبلغ عدد القتلى 15 قتيلا في صفوف الهمامة وانتهت المواجهة بتدخل المحلة العسكرية وتسليط حمودة باشا لعقوبات مالية وعينية على أطراف الصراع،

---

[1] - محمود القزاح، **المدخل إلى تاريخ مدينة مساكن من خلال وثائق تنشر لأول مرة**، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، 2009، ص467.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 114.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 114.

وبلغت عقوبات ماجر والفراشيش 000 127ريال إضافة إلى 326 رأس من الخيل والإبل كعقاب لهم على تعديهم على عروش الهمامة بسهل قمودة[1].

٣– تغريم القبائل المناوئة:

قام البايات عن طريق القوى العسكرية للمحلة بفرض غرامات مالية كبيرة على القبائل المناوئة للسلطة بعد انهزامها مقابل العفو عن أفرادها، وتمثل هذه الغرامات الكبيرة كإجراءات انتقامية ضد هذه القبائل أو كتعويض مادي للسلطة عن خسائرها خلال الحصار والمعارك[2]، وتنوعت أنواعها ومطالبها فهناك اللزمة التي تفرض على القبائل الجبلية عادة والغرامة التي تُؤخذ من القبائل الممتنعة والبعيدة عن السلطة، والخطية والدية على القبائل التي ترتكب مخالفات أو تضطر لإعلان خضوعها وطاعتها، ويقوم شيوخ وقياد القبائل باستخلاصها[3]، ومن الأمثلة على ذلك:

– فرض علي باي بن حسين غرامة على قبيلة ماجر قدرها 1000 بعير و400 فرس مقابل العفو عنهم، وذلك لتحالفهم مع غريمه إسماعيل باي[4] الذي ثار على ابن عمه الباي[5].

– قام علي باي كذلك بفرض غرامة قدرها 5000 دينار على أولاد زيد وهم أحد بطون قبيلة المثاليث، وذلك بسبب كثرة تعديهم على القبائل الأخرى وعلى أملاك البايلك[6].

---

[1] - خديجة يعقوب، **حامد بن شريفة شيخ أولاد مساهل وثورته على السلطة بتونس،** مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد50، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، 2018، ص 35.

[2] - جمال بن طاهر، **الفساد وردعه: الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية 1705-1840،** سلسلة التاريخ، مج7، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، 1995، ص 110.

[3] - ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق،** ص 22.

[4] - إسماعيل باي: هو إسماعيل ابن يونس حفيد علي باشا قام بثورة على علي باي سنة 1762م، والتجأ إلى جبل وسلات وناصره عدد من معارضي الباي، لكن الباي استطاع إخماد الثورة. ينظر: حمودة بن عبد العزيز، **المصدر السابق،** ص ص 58 59.
وينظر أيضا: **الشافعي درويش، علي باي، المرجع السابق،** ص ص 725 726.

[5] - احمد ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق،** ص 163.

[6] - ا.و.ت، دفتر رقم 142.

٤- تطور مفهوم المحلة في القرن 19م:

تغير مفهوم المحلة مع مرور الزمن من أداة لتحصيل الضرائب وأنواع المجبى[1] وفرض سلطة الدولة، إلى مفهوم جديد بمعنى حملة عسكرية ضد جيش معادي بحيث تقوم هذه المحلة بتحميل القبائل التي تمر بأراضيها مختلف احتياجات الجيش، ومن هذا المفهوم نلاحظ أن المحلة قد شملت البعدين الداخلي والخارجي في إظهار قوة الجيش والسلطة الحاكمة، ومن قبيل ذلك ما أورده ابن أبي الضياف في وصف الحملة العسكرية التي قادها سليمان كاهية سنة 1807م ضد أيالة الجزائر، حيث يقول: « وسافرت المحلة لقسنطينة يوم السبت منتصف ذي القعدة سنة 1221هـ (24 جانفي 1807م)، وأميرها وزيره وثقته أبو الربيع سليمان كاهية الأول...واقتصر الباي في هذه المحلة على عسكر الترك والمخازنية والصبايحية والحوانب»[2].

٥- التغيير في إستراتيجية قيادة المحلة:

منذ مطلع القرن 19م ظهرت تغييرات عميقة في العديد من مظاهر السلطة العسكرية في تونس، ومن أهم مظاهرها المحلة التي كان الباي ثم ولي العهد من يقومون بقيادتها، لكن هذه التقاليد السياسية تغيرت حيث أصبح بإمكان صاحب الطابع أو الكاهية قيادتها، وتم إعطاء هؤلاء القادة الصلاحيات الكاملة للتعامل مع المستجدات والطوارئ التي يواجهونها، وذلك دون الرجوع إلى الحاضرة لأخذ الأوامر وما يترتب عن ذلك من تداعيات وتأخير في مسيرة المحلة، ومن قبيل ذلك تكليف الباي لحمودة الأصرم قائد عسكر زواوة بقيادة المحلة إلى جبل الرقبة بنواحي قبيلة ماجر لاستيفاء جبايته، فقام بتحصيل الضرائب بشتى أنواعها مستغلا الصلاحيات الكاملة الممنوحة له، ورجع إلى مدينة تونس بتاريخ 6 أوت 1807م[3].

---

[1] - للتعرف على أمثلة عن قيمة المجبى المحصل من مختلف القبائل التونسية والمدن والقرى لسنة 1277هـ/1860-1861م. ينظر: Jean Ganiage, **La pOpulation de…Op.Cit**., p 882. (الملحق رقم 1).

[2] - احمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 41. وكذلك: أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع وتق: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 120.

[3] - احمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 49.

ب- القبائل المساندة للسلطة:

سعت السلطة الجديدة إلى احتواء المجموعات القبلية المحاربة وتوظيفها طبقا لإستراتيجية الدولة، مثل الحنانشة وطرود[1] وكذلك قبيلة دريد التي كانت تشكل إحدى الأذرع المحاربة للحركة الشابية سابقا قبل وصول العثمانيين[2]، ثم انتقل ولاؤهم للأتراك وأصبحوا من القبائل المخزنية المساندة للسلطة، وكانت مساهمتهم كبيرة في وأد انتفاضة 1864م حيث أمدوا الباي بثلاثة آلاف فارس[3]، ولقد مثلت هذه القوات غير النظامية اليد الضاربة للسلطة صد القبائل المناوئة أو المتمردة، بيْد أنه مع تأسيس الجيش النظامي أو قبله بعدة سنوات بدأ الاستغناء عن هذه المجموعات بوصول المشير احمد باي للحكم، ورغبته في تأسيس جيش نظامي يضاهي أو يماثل الجيوش الأوربية، وبدأ تحول السلطة في التعويل على الفرق النظامية بدلا عن القبائل الموالية التي كانت يؤدي مهاما موسمية[4].

وبالمقابل تستفيد هذه القبائل من امتيازات وإعفاءات ضريبية مختلفة لقاء خدماتها للبايلك، ومن قبيل ذلك: استفادت قبيلة الفراجنة أو الفرجان من إعفاءات ضريبية تمثلت في زمالتين من الحيوانات وعادة مقدارها 200دينار[5].

تعوّل السلطة في ضمان الولاء التام لها على شيوخ القبائل حيث يُعدّ منصب شيخ القبيلة[6] الأدنى في سلم التراتبية الاجتماعية وكان يتم اعتماده بناء على أمر صادر عن الباي، مع اشتراط

---

[1] - كانوا أول أمرهم في طرابلس ونواحيها بليبيا، ثم انتقلوا نحو البلاد التونسية، واستقروا في نواحي عقلة الطرودي وبودخان أواخر القرن السابع الهجري 690هـ/1592م، أما دخولهم واستقرارهم في وادي سوف فكان في حدود 800هـ/ 1398 هـ، حين استقرت بعض فروعهم مثل أولاد أحمد بجوار سيدي مستور قرب تكسبت القديمة. ينظر:أحمد بن علي القلقشندي، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة و دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 112.وينظر: محمد العدواني، **المصدر السابق**، ص 100.

[2] - فاطمة بن سليمان، **الأرض والهوية: نشوء الدولة الترابية في تونس(1574-1881)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2009، ص91.

[3] - Anonyme, **Notes sur les tribus de la Régence**, R T, N°33, imprimerie rapide, Tunis, 1902, p 18.

[4] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 37.

[5] - خديجة يعقوب، **المرجع السابق**، ص 33.

[6] - يسميه Léon de Bisson شيخ الدوار. ينظر: Léon de Bisson, **Op.Cit**, p 117، وهو بمثابة رئيس بلدية في التنظيمات المعاصرة. ينظر: Henri Duveyrier, **Op.Cit**, p 23.

موافقة إخوته وتزكيتهم لهذا التعيين، ويُسلم بعد ذلك طابعا يحمل اسمه لإضفاء الصفة الرسمية عليه[1]، لذلك يُسمى الشيخ حارس الأختام[2]، ويحدث أن يتم اتخاذ قرار العزل تجاه بعض المشايخ الذين يبدون قلة انسجام مع سياسة السلطة المركزية، ولا تعاني السلطة المركزية جهدا في إيجاد البديل المناسب بالنظر للمحزون المعتبر من الأعيان الراغبين في تولي المنصب[3].

مهامهم الأساسية: يعتبر شيوخ القبائل ونوابهم اليد الضاربة للسلطة المركزية كما يمكن اعتبارهم أداة لتنفيذ قراراتها، خاصة قبل صدور إصلاحات القرن 19م، فهم يقومون بإحصاء السكان واستخلاص الإعانة والنظر في الجنايات ورفع محاضرها وجلب المطلوبين للسلطة أو للعدالة، والاهتمام بمختلف النزاعات التي تقع في المناطق التي تحت تصرفهم[4].

ج- القبائل المذبذبة بين الولاء والتمرد:

كانت بعض القبائل التونسية وبالأخص المتاخمة للحدود الجزائرية تتقلب في ولائها للسلطة تبعا لمنطق المصلحة، وقد شهد القرن 17م حركة نزوح كثيرة بين طرفي الحدود التونسية الجزائرية، وذلك وفق تقلب المصالح وقوة أو ضعف أحد الطرفين، ومن أبرز هذه القبائل أولاد سعيد ودريد والشنانفة (أولاد شنوف) والحنانشة وغيرها[5]، فمثلا حرّض بنو شنوف الجزائريين على محاربة تونس بهدف إضعاف جيشها، حتى لا يتمكن من فرض سيطرته على منطقة الكاف وما جاورها[6]، كما أن أولاد سعيد دعموا الجيش الجزائري حتى يكونوا أكثر حرية في مناطقهم، وقد أدت هذه الظاهرة القبلية إلى توتر حاد بين الأيالتين خلال النصف الأول من القرن11هـ/17م[7]، أما الحنانشة فقد كان لهم دور في رسم

[1] - مصطفى التليلي، **المرجع السابق**، ص 65.

[2]-Henri Dunant, **Op.Cit**, p 65.

[3] - مصطفى التليلي، **المرجع السابق**، ص 65.

[4] - بية عبيدي بلحاج، **عمارة الأبراج بضواحي مدينة تونس خلال القرن التاسع عشر**، مجلة منبر التراث الأثري، العدد 13، جامعة قفصة، تونس، ديسمبر 2014، ص 211.

[5] - عمار بن خروف، **المرجع السابق**، ص 119.

[6] - المنصف التايب، **المرجع السابق**، ص 15.

[7] - عمار بن خروف، **المرجع السابق**، ص ص 119 120.

الخريطة السياسية لتونس في عهد حكم الأسرتين المرادية والحسينية، من خلال تأثيرها المباشر في مسألة تولى منصب باي تونس، الأمر الذي أدى إلى انخراطها في حروب طويلة بسبب قوتها العسكرية لنصرة طرف على آخر، كما أن مصاهرات بايات تونس لشيوخها ترتب عنه تولي بايات أخوالهم الحنانشة، مثل مراد باي الثالث (بوبالة)[1].

د- منصب القايد كوسيط بين السلطة العسكرية والأهالي:

كان منصب القايد معروفا قبل مجيء العثمانيين، حيث عمد الحفصيون إلى تأسيس مؤسسة القيادة لأهميتها كوسيط بينهم وبين الأهالي، وعند مجيئ العثمانيين عملوا على الإبقاء عليها والاستفادة من خدماتها السياسية والإدارية والعسكرية[2]، وكان يعين مع بداية كل سنة من طرف الباي وكان لكل قايد خليفة[3] ينوبه حال غيابه[4]، ونجد في تاريخ العدواني سردا متواترا لدور هؤلاء القياد في بداية القرن 17م، حينما كانت الأيالة تمر بظروف اقتصادية صعبة في بداية تشكلها، ومن جملة ما أورده في هذا السياق: « ثم بعث الهادف[5] إلى صاحب[6] باجة: أرسل إلى سيدنا[7] خمسة آلاف درهم، وبعث إلى صاحب سفاقس كذلك، والى صاحب قفصة، وإلى صاحب الكاف، والى صاحب القيروان، والى صاحب نفزاوة (كل واحد من هؤلاء خمسة آلاف درهم)»[8].

ظهرت مع منتصف القرن 18م سلالات من التونسيين احتكرت منصب القايد، على غرار آل بن عياد في جربة وعبان في القيروان وعائلة الهادف في توزر والسماوي في قفصة...الخ[9]، لكن الحال

---

[1] - توفيق بن زردة، **المرجع السابق**، ص 13.

[2] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 37.

[3] - Léon de Bisson, **Op.Cit**, p 117.

وهو يعادل رتبة ملازم Lieutenant في الرتب العسكرية للجيوش المعاصرة. ينظر: Henri Duveyrier, **Op.Cit**, p 23.

[4] - محمد العدواني، **المصدر السابق**، ص 221.

[5] - هو جد عائلة أولاد الهادف ذات النفوذ الواسع في مدينة توزر إبان الحكم العثماني، حيث كانت أهم العائلات المخزنية، وتوارث أفرادها وظيفة "القايد" لقرون عدة. ينظر: محمد البشير الرزاقي، **سيرة العدواني الشعبيّة: الذاكرة العائليّة وبناء المكانة الاجتماعيّة في لقرن البلاد التونسيّة خلال القرن 17 مثال عائلة أولاد الهادف**، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، مج1، العدد2، جامعة وهران1، الجزائر، ديسمبر 2019، ص 278.

[6] - صاحب هنا بمعنى قايد

[7] - يقصد الداي

[8] - محمد العدواني، **المصدر السابق**، ص 221.

[9] - نفسه، ص ص 197 198.

تغيرت لاحقا وتمّ تكليف المماليك بهذه الوظيفة، تبعا للظروف العامة في الأيالة التي تكون فيها أحيانا السلطة على غير وفاق مع الأهالي، أو عند إقرار نظام جبائي جديد يستلزم الصرامة في التحصيل، وهو ما يكون المماليك أقدر عليه من غيرهم[1]، ومن قبيل ذلك تحصيل المجبى من منطقة الساحل سنة 1276هـ/1859- 1860م من طرف قايدين من 20 ألف معني بدفع هذه الضريبة في مدن سوسة والمنستير والمهدية ومساكن والقلعة الكبرى[2]وغيرها من المناطق[3]، وفي هذا السياق يورد صاحب كتاب نور الأرماش أن قايد مدينة قفصة مطلع القرن 17م كان من الأتراك ويدعى محمد بن بركات الزواري لكن المحقق يقول أن لقب الزواري ينتسب إلى الأعيان المحليين[4]، وذكرت La Contesse Drohojowska التي زارت تونس سنة 1881م أن قايد قفصة كان تحت سلطته جميع القبائل المجاورة، التي تضم بين 8 و10 آلاف[5].

كان هؤلاء الأعيان يمارسون نفوذهم المحلي، ويقتطعون جزءا من العائدات الجبائية بطريقتهم الخاصة تحجبها الدفاتر الجبائية كليا، وتعقد السلطة المركزية، في إطار إستراتيجية سياسية، اتفاقا ضمنيا مع الأعيان المحليين يقضي مبدأ الاعتراف المتبادل بمجال نفوذ كل طرف: نفوذ مركزي بيد الباي ومن يمثله في الجهة مثل مؤسستي "القايد" و"المحلة" من ناحية، ونفوذ محلي عتيد يمثله الأعيان المنتظمون في مجالس محلية من ناحية ثانية، حتى أن الكونت فيليبي الذي زار توزر سنة 1829م يصف قايد المدينة الذي ينحدر من عائلة الهادف بأنه بمثابة « الباي الحقيقي للجريد[6]، ولعل هذا النفوذ هو مجرد انعكاس أو صورة مصغرة لما هو عليه الحال في قمة هرم السلطة، حيث احتكر البايات وخاصة في العهد الحسيني الذي تميز باحتكار الجيش، والسلطة المطلقة للتعيين في المناصب الإدارية، والاستيلاء

---

[1] - مصطفى التليلي، **المرجع السابق**، ص 37. بينما يذكر علي المحجوبي أن المماليك تم تعيينهم كقياد على المناطق المستقرة من حيث السكان والأوضاع العامة، في نواحي تونس وسهول مجردة ومدن الساحل. ينظر: علي المحجوبي، **المرجع السابق**، ص 15.

[2] - انظر الخريطة التوضيحية لهذه المنطقة في الملحق رقم19 .

[3] - Jean Ganiage, **La pOpulation…Op.Cit**, p 871.

[4] - المنتصر بن المرابط القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، المكتبة العتيقة، تونس، 1998، ص 129.

[5] - La Contesse Drohojowska, **Op.Cit**, p 126.

[6] - Le Comte Filippi, **Op.Cit**, p 54.

على الأرض، ومحاكاة هذه الأساليب من قبل حكام المقاطعات أي القياد[1]، فتكشف الدفاتر عن المجال الأول، وتخفي (تقريبا كليا) مجال النفوذ المحلي، وتكشف الوثائق العائلية وحدها عن مجال النفوذ المحلي[2].

كان أغلب هؤلاء القياد يمارسون وظيفة اللزامة أي أنهم يتفقون مع السلطة على تحصيل أنواع الجبايات من أوطانهم، مقابل مبلغ سنوي يدفعونه لها ويستحوذون على المبلغ الزائد عن اللزمة وبذلك ينمون ثرواتهم[3]، وقد تقلد بعض اليهود رتبة قايد ومنهم نسيم شمامة الذي كلفه الباي سنة 1859م بتمثيل يهود الحاضرة في كل شؤونهم[4].

يذكر الكاتب السويسري Henri Dunant أن تونس قُسمت إلى عدة دوائر أو عمالات على رأس كل منها ضابط عسكري (commandant) أو حاكم أو قايد ويدعون كذلك باشاوات ولكل صفة منها الوجه الذي تستخدم فيه ومن هذه الدوائر ذكر: سوسة، المنستير، صفاقس، بنزرت، الكاف، القيروان، حلق الواد، جربة، قابس، الجريد، كاهية المثاليث وبني سعيد أو بني زيد[5]، ومثال ذلك ارتقاء بعض المماليك في المناصب العسكرية ثم تم تعيينهم قيادا على مدينة القيروان خلال النصف الثاني من القرن 19م أبرزهم أمير الأمراء رشيد آغا (1858-1863م)[6]، وكان قياد الكاف والقيروان وقابس يحظون بمكانة خاصة لأنهم آغوات في الجيش، كما أنهم كانوا مكلفين بمراقبة القبائل الرحل بالشمال والوسط والجنوب، الذين كانت السلطة ترتاب في ولاءاتهم[7].

---

[1] - Chater Khalifa, **Introduction à l'étude… Op.Cit**, p 3.

[2] - عبد الحميد هنية، **تجربة بحث...المرجع السابق**، ص 238.

[3] - Mohammed Hadi Chérif, **L'Etat tunisien et les campagnes au XVIIIe siècle**, Cahiers de la Méditerranée : série spéciale, N°1, Nice , France, 1973, p 12.

[4] - محمد بيرم الخامس، **صفوة الاعتبار، المصدر السابق**، ص 1851. وكذلك: احمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 154.وكذلك: Général Heusseïn**, Lettre du général Heusseïn au collège de la défense du gouvernement tunisien, dans l'affaire du caïd Nessim Samama,** Typographie et Lithographie Ves renou, Paris, France, 1878, p p 4 5.

[5]- Henri Dunant, **Op.Cit**, p p 64 65.

[6] - منى كمون، **المرجع السابق**، ص 3.

[7] - Jean Ganiage, **La pOpulation…Op.Cit**, p 872.

4- التصاهر مع الدايات والبايات وسائر أعضاء الأسر الحاكمة:

إن العلاقة بين كبار الضباط والبايات وسائر أعضاء الأسرة الحاكمة مرت بمراحل وفترات مختلفة، بين الولاء والمكائد والانتقام وغيرها، لكننا سنركز على علاقة التصاهر التي تُعد أقوى الروابط الأسرية وكان من أهم هذه التصاهرات:

- زواج عزيزة عثمانة[1] حفيدة عثمان داي وابنة ابنه أبي العباس احمد، من أحد الضباط البارزين في الجيش يقال أنه مراد باي[2].

وفيمايلي أمثلة من شبكة التّزاوج بين أفراد الأسرة الحسينيّة الحاكمة ومماليكها في الفترة موضوع البحث كما أوردها ابن أبي الضياف:[3]

- تزّوج اسماعيل كاهيه من ابنة حسين بن علي.
- تزوج رجب خزنه دار من فاطمة ابنة حسين بن علي.
- تزوج مصطفى خوجه من ابنتين على التّوالي من بنات علي باي.
- تزّوج يوسف صاحب الطّابع ابنة علي باي التي توفّ عنها زوجها.
- تزوج شاكير صاحب الطّابع من ابنة حسين بن محمود باي.
- تزّوج سليمان كاهيه ابنة محمود باي.

---

[1] - هي ابنة أبي العباس احمد بن محمد بن عثمان داي، اشتهرت بلقب عثمانة نسبة إلى جدها عثمان داي، عُرف عنها طيبة النفس والبر والإحسان وعتق العبيد، من أهم أعمالها الخيرية: إقامة مارستان (مستشفى) للفقراء في حاضرة تونس، كما وقفت عقارا كبيرا جعلت ريعه لعتق العبيد وإغاثة اللهفان وإنقاذ الأسرى المسلمين، ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، **شهيرات التونسيات**، المطبعة التونسية، تونس، 1353هـ، ص ص 90 91. وكذلك: Leila Temime Blili, T2, **Op.Cit**, p p 145-147.

[2] - عبد الحفيظ الهرقام، **عزيزة عثمانة (1606–1669) المحسنة والمثقفة**، مجلة ليدرز، العدد 13، تونس، جانفي 2017، ص 56.

[3] - الشيباني بنبلغيث، **دور المماليك، المرجع السابق**، ص 31.

– تزّوج مصطفى آغا ابنة مصطفى باي.

– تزّوج رشيد بن مصطفى صاحب الطابع[1] من ابنة مصطفى باي سنة 1254هـ/1838م[2].

5– إصلاحات القرن 19م وانعكاساتها على الجيش والمجتمع:

حقق هذا التزامن في موجة من الإصلاحات المدنية والعسكرية، بقيادة أحمد باي في ثلاثينيات القرن 19م، ففي عام 1827 أضعفت هزيمة نافارين الأسطول التونسي وبعدها كان غزو الجزائر سنة 1830م ووقوعها تحت الإدارة المباشرة لفرنسا، بالإضافة إلى ذلك، تجلت الحركة الإصلاحية التي قادتها إسطنبول في المقاطعات الأخرى المجاورة مثل تونس وطرابلس وبرقة، الذين خضعوا للإدارة المباشرة للباب العالي، وهو وضع يخشاه الباي في تونس مما دعاه إلى إنشاء الجيش النظامي التونسي بالإضافة إلى القوات العسكرية السابقة في الأيالة[3].

6– بعض الفئات المجتمعية الفاعلة في الجانب العسكري:

أ– المماليك:

المماليك فئة من المجتمع فقدوا حريتهم وبيعوا في الأسواق، وتم امتلاكهم عن طريق الأسر في الحروب أو الشراء من مناطق مختلفة، وانتقلوا إلى أماكن أخرى بعيدة عن مواطنهم الأصليّة حسب

---

[1] - تم شراؤه صغيرا من سوق العبيد بالعاصمة العثمانية إستانبول، من قبل وكيل القايد محمود الجلولي هناك، ثم قام الأخير بإهدائه إلى الباي، وفي قصر باردو، ألحقه الوزير النافذ يوسف صاحب الطابع بخدمة عثمان باي الذي ما لبث أن اغتيل، ثم ألحقه محمود باي بخدمة ابنه مصطفى باي، فأصبح يرافقه في الخروج مع المحلة بصفته صاحب الطابع، وقد كلفه مصطفى باي بتربية ابنه أحمد، وفي عهد حسين باي الثاني عين صاحب الطابع فيما بين 1835 و1837م، كما قام بالتفاوض مع الجنرال الفرنسي برتراند كلوزال (Bertrand Clauzel) في نوفمبر1830 من أجل إسناد حكم بايلك قسنطينة ووهران إلى بعض الأمراء الحسينيين، وزاد نفوذه لاحقا ما مكنه من الزواج من الأميرة محبوبة بنت مصطفى باي سنة 1829 ، ثم قام الصادق باي بتعيينه في 25 أفريل 1861 لرئاسة المجلس الأكبر الذي تأسس في تلك السنة، توفي في ماي 1861م وحضر الباي جنازته ودفن بتربة الباي. ينظر: Nadia Sebai, **Mustapha Saheb Ettabaa**, pré: el- Mokhtar bey, éditions Carthaginoiseries, Tunis, Tunisie, 2016, p 7.

[2] - محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص 256.

[3] - Odile Moreau, **" Les caractéristiques des militaires ottomans à partir des réformes du xixe siècle,",** Article électronique, sur Lien: https://books.Openedition.org/psorbonne/36448?lang=en, je l'ai vu sur 6/9/2021, à l'heure 17:05.

العرض والطلب[1]، وكان هؤلاء العساكر مقربين من الباي ويحظون بمعاملة خاصة منه، وهم في أغلبهم من أصول شركسية أو جورجية أو من بلدان أوربية أخرى ويعتبرون من العبيد البيض[2].

عمل حمودة باشا الحسيني[3] على عزل المماليك عن المجتمع التونسي بل ذهب أكثر من ذلك، حيث منعهم من التكلم باللغة العربية زيادة في عزلتهم عن الأهالي، بحيث يكون ولاؤهم أولا وأخيرا للباي، ويكونون مدينين له بمنحهم حريتهم و تعليمهم في قصوره، وكذا ترقيتهم في الرتب العسكرية[4]، وكان عددهم في بداية القرن 19م حوالي 200 مملوك مقسمين إلى فئتين لكل منها وظيفته ومهامه[5].

١ – مهامهم:

– المهام السامية:

الفئة الأولى هي فئة المماليك الذين اعتنقوا الدين الإسلامي منذ صغرهم، ونشؤوا في قصور الباي وفي كبرهم، تسند إليهم بعض المهام الهامة مثل: وزير أو آغا أو خزندار أو حاجب الباي أو مسؤول على خيول الباي وأفراد عائلته ويعرفون بمماليك السرايا[6]، وقد اهتم البايات بتعليمهم والاهتمام بتكوينهم العسكري، على غرار: المملوك فرحات (توفي 1864م) الذي اهتم الباي بتربيته ثم توظيفه في قصره وأرسله إلى مجال الصناعة العسكرية، وكذلك الشأن بالنسبة لكل من خير الدين باشا

---

[1] - الشيباني بنبليغيث، **دور المماليك، المرجع السابق**، ص 31.

[2] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 46.

[3] - ولد بالجزائر سنة 1759م وبدأ يمارس شؤون السلطة في سن مبكرة ثم تولى قيادة المحلة ابتداء من سنة 1777م، بويع بايا على تونس خلفا لأبيه علي بن حسين سنة 1782م، عرف عنه الحزم والعزم ورجاحة العقل، يعتبر أشهر بايات تونس في العصر الحديث، من أبرز انجازاته: إحداث منصب الوزير الأكبر(الأول)، إبعاد الأتراك عن مراكز السلطة وتعويضهم بالتونسيين والمماليك، تطوير الجيش ووضع أولى لبنات تحديثه، ينظر: رشاد الإمام، **المرجع السابق**، ص 96، 99، 177، 191.ينظر أيضا: بشرى ناصر هاشم الساعدي وميساء لؤي عبد الله، **المرجع السابق**، ص 214. ينظر أيضا:
Thomas Macgill, **an account of Tunis**, Jean Hedderwick, london, UK, 1811, p17
ويختلف توماس ماكغيل عن جمهور المؤرخين بقوله أن حمودة باشا الحسيني ولد حوالي سنة 1752م.

[4] - Anna Maria Medici, **esclavage, armée et reformes a Tunis, vie d'un des dernier mamelouks a la cour du bey (XIX [éme] siècle),** Université d'Urbino, Italie, janvier 2006, p 4. Et : Léon carl brown, **Op.Cit**, p 46.

[5] - Julia A. Clancy-smith, **Mediterraneans north africa and eurOpe in an age of migration c. 1800-1900**, University of California press, California, USA, 2012, p 84.

[6] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 46.

(توفي 1890م) والجنرال رستم (توفي 1886م)[1]، إضافة إلى مريان وهو مملوك من نابولي، الذي يقول ألفونص روسو في شأنه: « ...ورأينا كيف دفع عدد كبير من خدام هذه الأسرة (الحسينية) المخلصين وفي عدداهم مريان النبوليطاني[2] حياتهم ثمنا لولائهم لها وسبق لنا عند حديثنا عن هذا العلج الذي كان مجرد مملوك أسير ثم أصبح وزيرا يشار له بالبنان.[3]».

أما الموقع الثّاني الذي احتلّه المماليك هو السلطة العسكريّة أو قيادة الجند، فقد اعتمد حمودة باشا على عدد من المماليك عوضا عن جند التّرك أو أهل البلاد، ونذكر على سبيل المثال من بين هؤلاء:مصطفى خوجة الذي كان أول من قاد الجند في المحلة على طرابلس سنة 1795م، وكذلك يوسف صاحب الطّابع الذي قاد الحرب ضد الجزائر سنة 1807م، وقاد هؤلاء أيضا المحلّة العسكريّة التي تجوب البلاد من الشمال إلى الجنوب كل سنة عوض الباي قبل أن تصبح المحلّة حكرا على وارثي العرش الحسيني، وهي ذات طابع عسكري غالبا[4].

- الحراسة:

هذه المهمة من اختصاص الفئة الثانية من المماليك وهم الذين اعتنقوا الإسلام في كبرهم، الذين يتم تكليفهم بمهام خارج القصور مثل حراسة البوابات المتعددة أو الحراسة الشخصية للأمراء وغيرها من المهام[5].

---

[1] - حياة الماجري، **مأسسة التعليم في تونس في القرن التاسع عشر**، ط1، المركز العربي للأبحاث، تونس، 2021، ص 83.

[2] - يسميه ألفونص روسو مريانو ستينكا، انظر: ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 298.وينظر كذلك نبذة عن حياته ودوره في خدمة حمودة باشا الحسيني في: Unesco, **La Course et les relations internationales de la Régence de Tunis aux XVIIIème et XIXème siècles**, Registre de la mémoire du monde, Ref N° 2010-003, p3

.وكذلك: رشاد الإمام، **المرجع السابق**، ص ص 137 138.

3 - ألفونص روسو، **المرجع السابق**، ص 312.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **دور المماليك، المرجع السابق**، ص 33.

[5] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 46.

- حراسة الباي:

تعتبر من أبرز مهام المماليك حيث يعمل غالبيتهم في الحراسة الشخصية للباي، وكانوا موزعين على 4 فرق تضم كل منها 25 فردا[1]، ومن بين هؤلاء برز حسين خوجة وهو من نابولي الايطالية الذي وصل إلى رتبة قائد المماليك المكلفين بالحراسة الشخصية لحمودة باشا الحسيني[2].

- مهام أخرى:

كان من مهامهم أيضا أنهم عملوا كفنيين في مجالات الخبرة العسكرية والملاحة وصنع الأسلحة النارية الثقيلة[3].

٢- تراجع مكانتهم وأعدادهم:

تراجعت مكانة المماليك وتناقصت امتيازاتهم وتحول بعضها لصالح أبناء البلاد بعد حادثة ضرب الباي حسين لبعض قادتهم سنة 1832م، وذلك لإخلالهم بمهامهم في الحراسة، يقول ابن أبي الضياف في ذلك: «... ولم تكن يومئذ عسة عسكرية على الملك، وقال آخرون: ((نحن خاصة الملك، وصغيرنا له اعتبار، لا يخدم الكبير إلا برضاه، لا بالغصب، ولابد من خدمة مأجورين للصراية)) ، ولما بلغ الباي هذا الكلام، جنح إليه ضرورة ،لان المملوك إذا لم يرد الخدمة ويطلب حريته، تحميه قنصلاتو الانقليز أو الفرنسيس، حبَّ الباي أو كره، فعند ذلك آجر الباي أناسا من أبناء المملكة الذين لا مهرب لهم منها إلا إليها وقتئذ، واستخدمهم بالصراية »[4]، كما أن أعدادهم تراجعت كثيرا ووصل العدد إلى 75 مملوكا فقط في أواخر عهد الصادق باي[5].

---

[1] - François-René Vicomte de Chateaubriand, **Œuvres complètes de M le Vict de Chateaubriand**, T II , Lefèvre libraire éditeur ,Paris, France, 1834, p461.

بينما تذكر ماريا غزالي أنهم كانوا موزعين على فرقتين (2) تضم كل منهما 25 فردا، انظر:

Maria Ghazali, **Le cosmOpolitisme dans la régence de Tunis à la fin du XVIII^{e} siècle à travers le témoignage des espagnols**, Cahiers de la Méditerranée, N° 67, Nice, France, 2003, p 2.

[2] - Alphonse Rousseau, **Bibliothèque publique de Tunis**, R.A, vol 6, N° 31, A. Jourdan Libraire -Éditeur, Alger, janvier 1862, p 224.

[3] - توفيق البشروش، **المرجع السابق**، ص 49.

[4] - احمد ابن أبي الضياف، ج 3، **المصدر السابق**، ص 184.

[5] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 147.

ب– الكراغلة (الكولوغلية):

مثلت هذه الشريحة مزيج بين الأتراك والمحليين وجمعت بين خصائص الطبقتين الاجتماعيتين، أما ميولاتهم فكانت تتقلب بينهما حسب الظروف والأحداث، وقد نال الكراغلة في تونس حظا أوفر من نظرائهم في الجزائر واستطاعوا تقلد مناصب سامية عسكرية ومدنية[1]، لم يشكل هؤلاء فرقة عسكرية خاصة بهم إنما كانوا بالأساس من عناصر جند المشاة والخيالة[2]، وشهدت فترة حكم حسين بن علي تمكن هذه الفئة من دواليب السلطة في الأيالة، وذلك لانتماء الباي إلى نفس الفئة المجتمعية[3]، ولما يقتصر نفوذ الكراغلة على الشؤون السياسية والعسكرية إنما تعداهما إلى السيطرة على اقتصاد الأيالة من خلال ملكيتهم لنسبة كبيرة من الأراضي الخصبة، ومشاركتهم الفعالة في التجارة الداخلية والخارجية[4]، واستفاد أغنياء الكراغلة من نظام الملكيات المعروف بأراضي "المِلْك" التي تستغل مباشرة من طرف أصحابها، كما كان عليه الحال في نواحي تونس وصفاقس وسوسة[5].

ولعل أبرز مثال على هذه الفئة المجتمعية هو حسين بن علي فعلى الرغم من المكانة الاجتماعية " الدونية "– باعتباره كورغليا– والتي كادت تعيق طموحه السياسي، فقد ظهرت نزعته للقيادة مبكرا وكشفت عديد الأحداث عن سعيه الحثيث للوصول للسلطة، ولحشد الولاء لمشروعه السياسي عمل على إذكاء الصراع بين ابن شكر ومراد باي، وهي من العوامل المساعدة على تولي السلطة وذلك في إشارة إلى مدى قدرته الفائقة على المناورة[6]، فمثلا عندما أمر بمعاقبة أولاد سعيد لم يتوان عن حرق خيامهم وتهجيرهم إلى الجزائر في سبيل المحافظة على منصبه، وكانت غايته من خلال دعمه لإبن شكر كسب ولاء الإنكشارية وأصحاب النفوذ من الأتراك، ثم عمل جاهدا للقضاء على مراد الثالث

---

[1] - محمد فوزي المستغانمي، **المرجع السابق**، ص 77.

[2] - مختار الفرحاني، **الفرق العسكرية، المرجع السابق** ، ص 72.

[3] - محمد مقصودة، **أوضاع الكراغلة، المرجع السابق**، ص 39.

[4] - محمد فوزي المستغانمي، **المرجع السابق**، ص 77.

[5] - محمد مقصودة، **الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق**، ص 336.

[6] - Nicolas Béranger, **Op.Cit**, p118.

وإبراهيم الشريف بالوقيعة بينهما، ونجح في ذلك وأغتنم حالة الفوضى السياسية باستغلالها للارتقاء والوصول لهرم السلطة[1].

ج- الأندلسيون:

يفرّق المؤرخون بين مصطلحي الأندلسيين والموريسكيين، فالأندلسيون هم الذين توطنوا بالأندلس قبل سقوط آخر مدنها بيد الإسبان سنة 1492م، أما الموريسكيون فهم الأندلسيون الذين اجبروا على اعتناق المسيحية أو تظاهروا باعتناقها، وفقدوا استعمال اللغة العربية، وهاجروا من الأندلس قبل نهاية القرن 16م أو مع بداية القرن 17م[2]، وقدرت أعدادهم بنحو 80 ألف مهاجر[3].

قام الموريسكيون بأدوار هامة في تطوير الجيش التونسي بمختلف أقسامه، بحكم مهارتهم في المجالات العسكرية، ومن قبيل ذلك صناعة السفن العسكرية المستعملة في القرصنة، وتكوين فرق عسكرية أو ميليشيات مساندة للجيش، إضافة إلى براعتهم في سلاح المدفعية[4]، كما كان لهم دور بارز في بناء الحصون العسكرية في عموم الأيالة[5].

لقد اختلفت أهداف الأهالي والسلطة الممثلة في طائفة الانكشارية، من استقبال الأندلسيين مطلع القرن 17م، حيث أن استقبال الأهالي لهم ينبع من جانب ديني يتمثل في أخوة الدين ونصرة المظلوم، أما الطبقة الحاكمة ممثلة في الباي والديوان وسواهم من العساكر، فإن استقبالهم ينبع من توخي مصالح اقتصادية من خلال الاستفادة من خبرة الأندلسيين في مجالات الزراعة والري والصناعة[6]، وخاصة السفن إضافة إلى البارود وبناء الموانئ[7]، ويعلل المؤرخ عبد الحميد هنية هذا الطرح في أن الطبقة العسكرية الحاكمة كانت ستتعامل بطريقة مغايرة معهم لو كانوا يشكلون خطرا معينا على السلطة أو على مصالحها الاقتصادية[8].

---

[1] - الوزير السراج، ج1، **المصدر السابق**، ص 695.

[2] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 120.

[3] - محرز الزين، **الهجرة الأندلسية إلى تونس**، مجلة الدفاع، العدد65، وزارة الدفاع الوطنية، تونس، جوان 2017، ص 87.

[4] - محمد قشتيليو، **حياة الموريسكوس الأخيرة بأسبانيا ودورهم خارجها**، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، المغرب، 2001، ص 58.

[5] - سليمان مصطفى زبيس، **تونس والحضارة الأندلسية**، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الرابعة، العدد41، مطبعة المتوسط، بيروت، لبنان، مارس 1982، ص 29.

[6] - انظر خريطة توزع الأندلسيين في تونس في الملحق رقم 16 ص 310.

[7] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص ص 120.

[8] - نفسه، ص 121.

تعتبر المساهمة الأندلسية في النشاط العسكري التونسي مثيرة للاهتمام لأنها تتيح لنا فهم اهتمام عثمان داي بالهجرة والذي ربما عزز السباق بشكل كبير في الوثائق التي أستشهد بها المؤرخ بيار غرانشان Pierre Granchamp لا نجد سوى عدد قليل من الأندلسيين المشاركين في الملاحة، مثل "رايس سليمان نيغرو" (نيجرو) الذي ظهر عام 1619م[1].

اعتمد عثمان داي على الأندلسيين في عمليات الجهاد البحري ضد الأوربيين وخاصة الإسبان، مستغلا في ذلك رغبتهم في الانتقام ممن نكلوا بهم وطردوهم من بلادهم وديارهم، وتشير بعض المصادر إلى أنهى كان يعتبرهم جنودا بلا أجر وجهز بعض الحملات العسكرية البحرية من الأندلسيين خالصة دون غيرهم[2].

كانت أدوار الأندلسيين في المجال العسكري ثانوية على العموم، وكأمثلة على ذلك بعض المساهمين الذين وردت أسماؤهم في ملفات الأرشيف التونسي على سبيل المثال: كريستو الذي كان مختصا في ترسخانة حلق الوادي وأحمد كريستو مكلفا بصنع أسرة المدافع، كما وردت أسماء بعض الأندلسيين من غير ذوي الاختصاص على غرار: الوردي، شلبطون، ماركو، شكلابو، الفورصو...الخ[3]، وذات الانطباع ينطبق على أعدادهم حيث ورد في ملفات الأرشيف أن في إحصاء عسكر الآلاي الثالث وردت أسماء ثلاثة أندلسيين فقط، هم الملازم علي الترجمان والسنجق دار صالح شلاقو ومحمد شاتلو الذي لم يرد ذكر وظيفته، أما بالنسبة لفئة رياس البحر فلم تسجل الملفات الأرشيفية سوى رايس أندلسي واحد يدعى مسعود ريان[4].

ولعل السمة البارزة التي اتسم بها الأندلسيون بعد استقرارهم بتونس أنهم ابتعدوا عن السياسة، ولم يسعوا لولوجها من قريب أو بعيد، كما تجنبوا الحصول عل مناصب سامية في الدولة، إنما سخروا كل أموالهم وخبرتهم في مساعدة الحكومة والشعب كرد جميل لاستقبالهم لهم[5]، وكدليل على ذلك أنه لم

---

[1] - **Miguel De EPALZA,** Recherches récentes sur les immigrations des Moriscos en Tunisie**, Les Cahiers de Tunisie, 60/70, université de Tunis , Tunis, 1970, p p 139-147.**

[2] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق،** ص 121.

[3] - عبد الحكيم القفصي، **المرجع السابق،** ص 608.

[4] - عبد الحكيم القفصي، **المرجع السابق،** ص ص 608 609.

[5] - محرز الزين، **الهجرة الأندلسية، المرجع السابق،** ص 89.

يتخرج أيا من الأندلسيين من مدرسة باردو الحربية، التي تخرج منها الكثير من كبار الضباط الذين كان لهم تأثير في الحياة السياسية والعسكرية في النصف الثاني من القرن 19م[1].

7- تقوية الحس الوطني لدى الأهالي وإضعاف رابطة القبيلة:

عمل حمودة باشا الحسيني على تقوية الحس الوطني لدى الأهالي من خلال إشراكهم في المواجهات العسكرية المصيرية، وذلك من خلال تحسيسهم بالمصير المشترك للسلطة والأهالي عكس ما كانت عليه الأمور في عهد أسلافه، حيث كان الأهالي غالبا ما يقفون على الحياد في انتصار التحول جهة المنتصر ولو كان الأجنبي (الجزائر على سبيل المثال)، وكانت حرب سنة 1807م أول اختبار حقيقي لمدى نجاح إستراتيجية هذا الباي، حيث أن العروش المتاخمة للحدود مع الجزائر لم تتخل عن الجيش التونسي بعد هزيمته السريعة في بداية الحرب، بل قدمت له الدعم المادي والمعنوي ما أدى إلى انتصاره لاحقا كما تقدم ذكره سابقا[2]، ويصف رشاد الإمام هؤلاء المتطوعين بالجنود أبناء البلاد الذين قاموا بالكر على الجيش الجزائري بعد فرار الجنود الأتراك وخذلانهم للباي[3]، أما محمد الهادي الشريف فيصفهم بالفلاحين حيث كان لهم دور بارز أيضا في قمع التمردات القبلية بمنطقة الشمال الغربي[4].

8- دور الأعيان في دعم الجيش:

ساهم الأعيان المحليون ورجال الأعمال والوكلاء في عديد المرات في تجهيز المحلة أو الحملات العسكرية، حيث أن الجيش ظل لقرون عديدة المحرك الرئيس لكل الأحداث والتطورات في الأيالة، وقد تكون هذه المساهمة للحفاظ على مكانتهم في الدولة والمجتمع أو لنجاح السلطة في غرس الحس الوطني لديهم[5]، ومن بين هؤلاء الأعيان الذين ساهموا في تقديم الدعم للجيش في عهد حمودة باشا

---

[1] - عبد الحكيم القفصي، **المرجع السابق**، ص 609.

[2] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 68.وكذلك: Mohamed Hédi Chérif, **Expansion eurOpéenne et difficultés tunisiennes de 1815 à 1830**, Annales Economies societies civilizations, 25éme année, N° 3, 1970, p 718.

[3] - رشاد الإمام، **المرجع السابق**، ص 429.

[4] - Mohamed Hédi Chérif, **Expansion …Op.Cit,** p p 730 731.

[5] - ibid, p 718..

الحسيني: أحميدة بن عياد الذي كان قايد الأعراض وجربة[1]، وحمودة بن بكار الجلولي الذين كان من أعيان صفاقس ومن أهل المشورة لدى الباي[2].

9- استخدام السلطة للبعد الديني في الحملات العسكرية:

دأبت السلطة على استخدام البعد الديني في حملاتها العسكرية على الصعيدين الداخلي أو الخارجي، وذلك بالاستعانة بالمرجعيات الدينية وهم العلماء والشيوخ والأولياء والصالحين لما هؤلاء من مقام كبير لدى المجتمع[3]، ومن أمثلة ذلك:

- قام علي بن حمودة باي المرادي بطلب الدعم والتأييد من طرف الشيخ محمد عرف فتاتة مفتي المالكية[4]، والشيخ يوسف درغوت مفتي الحنفية[5] وذلك بهدف الانقلاب على الداي محمد مامي جمل الذي لم يكن على وفاق مع الباي، وقد نجح هذا الأخير في مسعاه بفضل دعم الشيوخ وقام بتعيين محمد بيشارة دايا جديدا ليتحكم في مؤسسة الداي وقراراتها[6].

---

[1] - عبد الحميد هنية، **بناء الدولة المجالية، المرجع السابق**، 27.

[2] - منال الهويملي، **المرجع السابق**، ص 154.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 69.

[4] - مدرس وفقيه ومفتي مالكي ولد بتونس، برع في الفقه والنحو وعلم الكلام والتفسير والحديث وتصدر للتدريس بجامع الزيتونة، كان يحظى بمكانة كبيرة لد السلطة رغم أن المذهب الرسمي بالأيالة هو المذهب الحنفي، ليس له مؤلفات معروفة وإنما قام بإكمال شرح الدرة البيضاء للشيخ الأخضري في الحساب والفرائض. ينظر: حسين خوجة، **المصدر السابق**، ص ص 40 193 199.وينظر أيضا: محمد بن عثمان السنوسي، **المصدر السابق**، ص ص 210 211.

[5] - فقيه تونسي تولى وظيفة القضاء ثم تولى الإفتاء على المذهب الحنفي والإمامة بجامع يوسف داي، كما برع في علم الميقات، مات مقتولا في فتنة وقعت أواخر ذي الحجة 1088هـ/1677-1678م. ينظر: حسين خوجة، **المصدر السابق**، ص ص 74 75.

[6] - ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص ص 283 284.

- يقول ابن أبي الضياف في معرض ذكره لسفر علي باي لإحدى المحلات أنه قام بزيارة مقامات الصالحين بالحاضرة وجبل المنار ومقبرة الأشراف، كما زار بعض العلماء مثل محمد بيرم الثاني[1] ومحمد المحجوب وغيرهم[2].

- استخدم احمد باي الخطاب الديني في إطار جهوده لمؤازرة الدولة العثمانية في حرب القرم، حيث يذكر ذلك ابن أبي الضياف: «...أن أكون كآبائي وأجدادي، ولم يؤخرني العمل، عن بلوغ الأمل، من إقامة الشعائر وتعمير المساجد، وتأمين الراكع والساجد، وحماية الثغور، ومراعاة مصلحة الجمهور، بحسب الطاقة البشرية، وذلك ببركة رضى السلطنة العلية»[3].

10- فكرة أخلقة الجيش و تأثيرها على المجتمع:

بالنسبة لمفهوم "الأخلقة" تعني حسب معجم اللغات مجموعة صفات نفسية وأعمال الإنسان المختلفة، أما أخلقة الأعمال العسكرية فهي تعني مجموعة الصفات النفسية والقيم والقواعد بالأشخاص الذين يمارسون العمل العسكري أي الفاعلون العسكريون بمختلف رتبهم[4].

كانت سياسة أحمد باي تهدف إلى غرس فكرة الإصلاح في عقول أفراد الجيش النظامي خاصة فئة الضباط الذين سينقلون هذا الإصلاح إلى المجندين في مختلف الآلايات هؤلاء سيقدمون عند

[1] - العلامة محمد بيرم الثاني: ابن محمد بن حسين بيرم ولد سنة 1748م أخذ العلم عن جملة من أكابر علماء تونس في زمانه، أبرزهم الشيخ محمد الشحمي وبعدما أكمل دراسته قدم الدروس بالمدرسة الباشية نيابة عن والده وبالجامع الأعظم وبجامع يوسف داي، ثم أصبح نقيبا للأشراف بتونس سنة 1791م، ثم تولى خطة القضاء ثم استقال منها في عهد حمودة باشا الحسيني، ألف بعض الرسائل في الفقه ومنظومة في الهلال، توفي سنة 1831م ودفن بتربة أله في مدينة تونس. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ج7، ص ص 161 162.وكذلك: حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص ص 934 935.

[2] - أحمد ابن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق**، ص 105.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 85.

[4] - محمد بلعسل وعبد العزيز زايدي، **دور أخلقة العمل السياسي على التنمية الوطنية في الجزائر دراسة تحليلية نقدية**، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج10، العدد3، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، جويلية 2021، ص 152.

الالتحاق بذويهم وأعراشهم بنقل هذا الفكر الذي سيعم أثره كل طبقات المجتمع مع مرور الزمن[1]، كانت فكرة احمد باي بعيدة المدى تسعى لتأسيس جيش نظامي على غرار الجيوش الأوربية، وذلك من خلال تكوين ضباط في المدرسة الحربية من طرف المدربين الأجانب والأساتذة التنويريين على غرار محمود قابادو، مما يهيئهم إلى القيام بواجب اجتماعي مهم في نهاية خدمتهم العسكرية، هذا الواجب هو نقل ما تلقّوه وأصبح جزءا من حياتهم اليومية إلى مجتمعهم وقبيلتهم، وفي هذه المرحلة يتحقق التأثير الإيجابي لتطور الجيش على الأفراد والمجتمع عموما[2].

بحسب المؤرخ محمد الهادي الشريف فإن المجتمع الحضري بمدينة تونس وبالأخص النخبة منه، كان لها تأثير ملحوظ عبر مختلف مراحل الحكم العثماني على العناصر المشكلة للجيش، والتي كانت غالبيتها في العهد الأول من الأناضول، والتي كانت تتميز بالفضاضة والغلظة وسوء المعاملة، وذلك من خلال الاختلاط في مجالات عدة، أبرزها المصاهرات والوظائف والعلاقات العامة[3]، ويشير المؤرخ في موضع آخر إلى ذلك يقول:« فالقوى المسلحة بقيت مركزة في نواة من المرتزقة الأتراك (الانكشارية) الذين يشكلون طائفة تعد مابين 2000 و3000 رجل (جانب هام منهم مولود في البلاد أو متزوج بها ومختلط بأهلها)[4]. »

كانت سياسة احمد باي تهدف إلى غرس فكر الإصلاح في عقول العسكر النظامي خاصة فئة الضباط، هؤلاء الذين سينقلون هذا الإصلاح إلى المجندين في مختلف الآلايات، ثم يقوم الجنود لاحقا بنقل هذا الفكر إلى أعراشهم وذويهم عند التحاقهم بهم، وهكذا سيعم هذا الفكر- حسب رؤية احمد باي –كل طبقات المجتمع مع مرور الزمن إلى أن يتحقق الهدف المطلوب[5]، كانت فكرة احمد باي بعيدة المدى تسعى لتأسيس جيش نظامي على نمط الجيوش الأوربية التي دخلت غمار الحداثة

[1] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 333.

[2] - نفسه.

[3] - محمد الهادي الشريف، **القوى المسلحة، المرجع السابق**، ص 142.

[4] - نفسه، ص 144.

[5] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 333.

في تلك الفترة، وذلك من خلال تكوين ضباط تونسيين في المدرسة الحربية بباردو من طرف نخبة من المدربين الأجانب وبعض الأساتذة التونسيين، من دعاة التنوير والحداثة على غرار محمود قابادو الذي سبقت الإشارة إليه وإلى أهم أدواره وأعماله، وقد عمل هؤلاء المدربون على نقل الأفكار التحديثية للضباط الذين نقلوها بدورهم للجنود، وهو ما انعكس إيجابا على مظهرهم وعلى سلوكهم العام، مما يؤهلهم إلى القيام بواجب اجتماعي على قدر من الأهمية، ألا هو التحلي بالأخلاق العسكرية والبعد عن الموروث السابق من الأفكار العسكرية التي تصور الجيش كأداة للرعب والقمع وفرض الضرائب عنوة، وعند تبلور هذه الأفكار لدى الأفراد والقبيلة والمجتمع سيتحقق التحديث المنشود[1].

هذا الأمر الذي سيمكن افراد الجيش من القيام بواجب اجتماعي مهم في نهاية خدمتهم العسكرية، وهو نقل ما تلقوه وما أصبح جزءا من حياتهم اليومية إلى مجتمعهم وقبيلتهم، وفي هذه المرحلة يتحقق التأثير الإيجابي لتطور الجيش على الأفراد والمجتمع عموما[2].

اختلف مفهوم الإصلاح بين السلطة والسكان، فبالنسبة للسلطة يعني الإصلاح تقوية الجهاز الحاكم بالتذرع بلوازم مكافحة الأعداء، حيث تكون البداية بتدريب الجيش وتسليحه بكيفية عصرية، مما يعني أن الإصلاح اقتصر على توفير أسباب استمرار الحكم الحسيني، أو دون البحث عن أسباب النهوض الحقيقي بأداء السلطة، هذا الأمر كان أحد أسباب تفاقم الأزمة السياسية في تونس[3].

عرفت الأيالة في العهد الحسيني ازدهارا خلال نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، لكن دخول البلاد في طور الحداثة المقلدة كلفتها موارد جمة، سلطت على الفئات الدنيا التي كادت تقوض أركان السلطة المركزية، فتراوحت علاقة الأسرة الحسينية بالسكان بين التحالف مع قوى اجتماعية محلية مثل وجهاء البلد والزعامات القبلية، وبين الاعتماد على العناصر الوافدة كالمماليك وقادة الجيش، وقد أدى تعدد لوحة التحالفات الاجتماعية للسلطة الحسينية إلى إحكام مراقبتها على المجال والسكان[4].

---

[1] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 333.

[2] - نفسه، ص 333.

[3]- عبد القادر سوداني، **السلطة في تونس، المرجع السابق**، ص 308.

[4] - عبد القادر سوداني، **السلطة في تونس وطرابلس بين1705-1837م: محاولة في التاريخ المقارن**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2017، ص 10.

11- اهتمام السلطة بعائلات الجنود القتلى:

بعد إحداث الجيش النظامي اهتمت السلطة بالجانب الاجتماعي لعائلات الجنود الذين يلقون حتفهم في مختلف المعارك، وصرفت لهم ما عرف ب" الإحسان" بمعنى المعونة أو التعويض أو غير ذلك، ومن الأمثلة على هذه الإحسانات، تعويض قتلى حرب القرم من الجنود التونسيين الذين بلغ عددهم أكثر من 2272 بين جندي وضابط[1]، جاء في إحدى الوثائق الأرشيفية أن أمير لواء سوسة شرع في صفر 1273هـ/1856م في دفع الإحسان[2] الذي منحه الباي للورثة المتوفين في الوجهة الجهادية من جميع الآلايات العسكرية، والتي بلغت 21850 ريال، أما إحسانات ناحية المنستير وصفاقس والقيروان بلغت 30000 ريال[3].

12- الظروف المعيشية لأفراد الجيش:

شهدت سنوات 1867-1868م ظروفا صعبة وقاسية على أفراد الجيش، فقد اجتمع البرد والجوع والمرض على الجند ولازمهم خاصة في فصل الشتاء، فلا لباس يسترهم أو يقي أجسادهم النحيلة من البرد فهم يعملون دون شاشية على الرأس ومن غير أحذية ينتعلونها، سوى سراويل بالية، هذا ما تذكره إحدى المراسلات الموجهة إلى وزير الحرب يصف فيها أمير الأمراء سليم أمير الطبجية حالة جنوده فيقول: « إن الجنود الصغار بالقشلة الأحمدية بالحاضرة، لم يبق للباسهم أثر، فلا شواشي ولا أحذية إطلاقا، والبعض بقي لديهم قطعة قميص أو سروال تحزموا بها سترا للعورة فقط، أما رؤوسهم وأكتافهم وصدورهم وأفخاذهم عارية وحالهم لا يرى مع دخول الشتاء»[4]، وأمام قسوة هذه الظروف وتردي حالة الجنود أشار أمير الأمراء سليم على وزير الحرب بتسريحهم إن لم يكن في يده حل عاجل لوضعهم لمؤسسة الصعب والمزري. وقد حملت إحدى المراسلات وصفا دقيقا للحال التي أمسى عليها

---

[1] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 78.

[2] - بمعنى المنحة في المصطلحات الحديثة.

[3] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 78.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 164.

جند العسكرية سنة 1868م جاء فيها: « إننا رقعنا من كساوي العسكر التي لا يخفاكم حالها ما أمكن إصلاحه بقدر الجهد والإمكان وأما سبابط العسكر بكلها مقطع بالي[1]. »

جاء في دفاتر وزارتي البحر والحرب أن المؤونة المحددة لأفراد الجيش لم تعد متوفرة بين الفترة الممتدة من 1865 إلى 1880م، حيث لم تستطع المؤسسة العسكرية توفير اللحم والخضر والخبز، واضطر المسؤولون إلى إطعام العسكر إلى تعويض الخبز بالبرغل في وجبتي الغداء والعشاء[2]، وجاء في إحدى المراسلات الموجهة إلى وزير الحرب أحمد زروق ما يلي: «...ولا يخفى على سيادتكم أنه بعد يومين أو ثلاثة يكون فطور العسكر وعشاءه برغل لقلة الخبز، وفي حالة عدم الخبز للفطور يعوض العسكر منه بالبرغل»[3]، وعلى ضوء هذه الأوضاع قام العديد من الجنود بأعمال حرفية مختلفة كصناعة السلال والجوارب والقبعات وغيرها، لتحصيل إيرادات تعينهم على تعويض النقص الفادح في الطعام في القشلات والثكنات[4].

---

[1] - ليلى زغدود، **الحياة اليومية، المرجع السابق**، ص 38.

[2] - نفسه، ص 39.

[3] - ا.و.ت، صن 165، ملف 830، وث 17.

[4] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص 93.

ثالثا– ملامح التأثير في الجانب الثقافي والديني:

1– ثقافيا:

أ– اهتمام العسكر بالتعليم ودعم المدارس:

قام بعض قادة الجيش بدافع حبهم للعلم وأهله بدعم المدارس والمعاهد في عموم البلاد، ومن أمثلة ذلك:

– عمل البلوكباشية وكلاء على أوقاف المدارس وتظهر الوثائق الأرشيفية بعضها في سنوات 1713، 1723، 1814، 1819، 1820، 1822، 1827، 1836م، من بينهم أبي إسحاق إبراهيم بن محمد مدمير الحنفي (جانفي 1827م) وأبي عبد الله محمد البلوكباشي (فيفري 1836م)[1].

– اشترى أحد البلوكباشية يسمى الحاج إسماعيل سانية (مزرعة كبيرة) في بني خلاد[2] بمبلغ 200 ريال، وجعل مداخيلها حبسا للمدرسة الباشية بتاريخ 29 صفر 1235هـ/16 ديسمبر 1819م[3].

ب– المخطوطات العسكرية التي أنتجها مدّرسو وتلاميذ المدرسة الحربية بباردو:

يمثل الجدول التالي عناوين بعض المخطوطات التي ألفها أساتذة المدرسة بمعية تلاميذهم:[4]

عنوان المخطوط	التاريخ
كتاب في التعليم العسكري	-
ترتيب أصل خدمة النظام	1857م
طابور تعليم	1845م

[1] - حياة الماجري، **المرجع السابق**، ص ص 127 128.

[2] - تقع في ولاية نابل الحالية.

[3] - حياة الماجري، **المرجع السابق**، ص 127.

[4] - لطفي بوعلي، **المدرسة الحربية، المرجع السابق**، ص 10.

كتاب نصب الأمحال	1846م
مختصر في علم الحرب	1850م
طابور تعليم	-
في تعليم الخيالة من غير ركوب (مهدى من دي تافرن للباي)	1859م
كتاب في النظام العسكري	-
ترتيب حرب الخيالة	1850م
نصب الأمحال	1846م
نفار تعليم	-
تعليم العسكر الخفيف (فرقة المشاة)	-
مجموع قوانين أحكام عسكر البرية (من الفرنسية إلى العربية)	1857م
رسالة في عمليات الخيل الخفيف	1850م
كتاب في العسكرية	-
تعليم القواعد العسكرية والقانونية بمدرسة باردو	1840م
كتاب صناعة الحرب في الطوائف	-
كتاب في التعليم الحربي المختص بعسكر الخيالة	1861م
كتاب في تعليم الخيالة من غير ركوب (جزء ثاني)	-
رسوم عسكرية وتعليم بالعربية من طرف تلاميذ المدرسة	1846م
كتاب التنظيم العسكري والطوابير (تأليف الحاج عمر)	1865م
كتاب حركات الخط	-
كتاب التعاليم الحربية بالمملكة التونسية	1845م
كتاب في القوانين العسكرية	-
كتاب القوانين العسكرية	-
قانون في الدخول في الجيش بباردو (ترجمه من التركية الجنرال رشيد)	–
كتاب آلاي في التعاليم العسكرية والقانونية	1862م
كتاب فن آلات الحرب المدفعية المسماة فن الطبجية	-
المصباح المسفر في ترتيب ثبوت العسكر	1860م

كتاب تعاليم العسكر الخفيف	1841م
كتاب ترتيب مجالس الأحكام العسكرية	-
فصول في ترتيب الخدمة	1852م
الفنون العسكرية	-
ترتيب أحوال العسكر	1858م
كتاب آلاي تعليم	1858م
استعمال الخيالة	-
كتاب في ترتيب الخدمة العسكرية	-
كتاب في الفنون العسكرية	-

ج- رسم الخرائط:

إضافة إلى المخطوطات العسكرية فان المراجع المتخصصة تؤكد أنّ علم الخرائط العسكرية ظهر في مدرسة باردو، وقد كان للجنرال رشيد وتلاميذه الفضل في انجاز أول خريطة تمثل مدن الساحل وقراه ومنطقة صفاقس وجربة[1].

2- دينيا:

أ- المذهب الحنفي ودوره في تماسك السلطة العسكرية:

يتبع العثمانيون إلى المذهب الحنفي، بينما ينتمي غالب سكان البلاد التونسية إلى المذهب المالكي، وقد بدأ انفتاح الحكام الجدد على مذهب التونسيين منذ عهد الدايات، وخاصة في عهد عثمان داي (1598-1610)، لكنها تجلّت بوضوح في عهد البايات الحسينيين، فقد ساوى أحمد باي (1837-1855) بين علماء الحنفية والمالكية بجعل مرتب لهم مع الجند النظامي مثل ما للحنفية مع

[1] - لطفي بوعلي، **المدرسة الحربية، المرجع السابق**، ص 17.

الجند التركي[1]، ويرى المؤرخ لطفي بوعلي أن هذا التزميل جاء كنتيجة مباشرة لسياسة المصالحة مع القبائل التي انتهجها علي باي (1759–1782م) والتي تميز بها عن غيره من البايات السابقين واللاحقين[2].

كانت السلطة باستثناء أمرائها التونسيين من الحنفية، ولفرض سلطتهم على هذا المجتمع التونسي، حافظ الباي على جيش حديث نسبيًا (بأسلحته وانضباطه العسكري مقارنة مع المحاربين القبليين)، الذي كانت وحداته الأساسية من الأتراك الحنفيين أو المغامرين من جنسيات أخرى، وهكذا فرض الباي الحنفي سلطته من خلال مؤسسة عسكرية حنفية على مجتمع يغلب عليه المذهب المالكي، وكانت المؤسسات الدينية المالكية قوة هامة لتحقيق التكامل الاجتماعي وأساسًا للقيادة الاجتماعية والسياسية، وتألفت المؤسسة العسكرية ذات الغالبية الحنفية عمليًا، وإن لم يكن رسميًا، من المرتزقة الذين كان ولاؤهم للحكام يعتمد على أجرهم الجيد، وهو الدخل المطلوب للحفاظ على المؤسسة العسكرية ومتطلبات أخرى للإدارة المركزية، بينما لم يكن للتونسيين المالكيين مناصب ذات نفوذ[3].

ب– علاقة الجيش بالزوايا والشيوخ:

كانت علاقة الجيش بالزوايا وشيوخها منذ تأسيس الأيالة حسنة في غالب الأوقات، ولم يكن اختلاف المذهب الديني حائلا أو مانعا لهذه العلاقات الحسنة، ومن قبيل ذلك اصطحاب حمودة باشا الحسيني لبعض شيوخ الزوايا في حملاته العسكرية، كما فعل سنة 1807م في حملته على الجزائر حيث رافقه الشيخ علي بن صالح شيخ زاوية معروفة بالكاف، إضافة إلى كل من الشيخ علي المارغني والشيخ يوسف بوحجر والشيخ عبد المالك الحمادي وغيرهم[4]

[1] - عبد الرحمن الهذلي، **المرجع السابق**

[2] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 61.

[3]- Jamil Miri Abun-Nasr, **Op.Cit**, p39.

[4] - احمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 45.

ومع أن لكل قاعدة استثناء فقد ساءت هذه العلاقة في بعض الأحيان، ومثال ذلك في محرم 1253هـ/ ماي 1837م وقع خلاف بين الوزير شاكير صاحب الطابع[1] والشيخ الحسين شيخ زاوية بجاوة الذي كان يتمتع بمكانة متميزة زمن الباي حسين، مما أدى إلى تجهيز محلة من العسكر النظامي[2] والمخازنية وبعض المزارقية إلى جبل ماطر وبجاوة الذين أيدوا الشيخ الحسين[3]، وقد أعد شاكير صاحب الطابع حملة ضخمة كان من قادها الأميرآلاي سليم والأميرآلاي قارة محمد والآغا محمد شولاق، حيث استغل إشرافه على المؤسسة العسكرية النظامية ليقدم نفسه على أساس أنه الأصلح لإدارة الأزمات الداخلية وفرض السلطة بالقوة ولو على شيوخ الزوايا رغم ما يتمتعون به من هيبة ومكانة اجتماعية[4]، وانتهت هذه الحملة بإعدام ابرز أتباع الشيخ الحسين وأغرمهم ألف رأس من البقر[5].

وبالمقابل فان السلطة العسكرية ممثلة في الدايات ومن بعدهم البايات قد استغلوا الزوايا لتمرير مشاريع توسعة نفوذهم في عموم الأيالة، ولعبت هذه الزوايا دور الوسيط أحادي الاتجاه بين السلطة

---

[1] - ولد حوالي 1795م ويختلف الباحثون والكتّاب حول أصول هذا المملوك إن كان شركسيا حسب ابن أبي الضياف مثلا، أو جورجية حسب بعض الكتاب الأوربيين، بِيع في العاصمة العثمانية وهو في الحادية عشرة من عمره لأحد الأثرياء التونسيين، وأهداه إلى حمودة باشا وتربى في القصر الملكي، ضمه حسين باي ليكون في خدمته وجعل منه صاحب طابعه وكان يرافقه عند الخروج بالمحلة وزوجه عام من إحدى بناته، وفي 1829 عينه الباي وزيرا اكبر بسلطات واسعة عوضا عن حسين خوجة، ولعب دورا كبيرا في السياسة الاستقلالية تجاه الدولة العثمانية، حتى أن المراسلات مع الباب العالي كتبت لأول مرة باللغة العربية عوض التركية،كما أثر على الباي بخصوص عدم قطع العلاقات مع فرنسا بعد احتلال الجزائر، ويعود له الفضل في البدء ببعض الإصلاحات حيث أقنع الباي سنة 1830م بتشكيل وحدات من الجيش النظامي، وبذلك تشكلت النواة الأولى من الجيش التونسي الذي سيتسع أكثر في عهد أحمد باشا باي، قرر مصطفى باي قتل شاكير صاحب الطابع بعد أن أصبحت تنتابه الشكوك فيه نتيجة تأثير محيطه وخاصة تأثير القنصل الفرنسي، وبالفعل تم خنقه في رواق قصر باردو بعد اجتماعه بالباي، وتم تعويضه بمصطفى صاحب الطابع أكبر الوزراء سنا. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 199. وينظر أيضا: Alexandre Dumas, **le véloce ou tanger,alger et tunis**, Alexander Cadot éditeur, Paris, France, 1848, p 52.

[2] - تعتبر هذه المحلة أول مشاركة للجيش النظامي حديث التأسيس، ينظر: لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 36.

[3] - احمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 217.

[4] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 36

[5] - احمد ابن أبي الضياف، ج3، **المصدر السابق**، ص 217.

والرعية، بمعنى أنها استخدمت كأداة لضمان الولاء للسلطة بما في ذلك المناوئين لها، من خلال القيام بمهمات توفيقية لصالحها وتحولت هذه المؤسسات الدينية إلى أنساق موازية ومعاضدة للسلطة[1].

ج- علاقة السلطة بالطرق الصوفية:

إن أغلب الطرق الصوفية في تونس تعبر عن لقاء وتجمع روحي لفئات من منحدرات اجتماعية مختلفة ومتباعدة، من أجل ممارسة معتقداتهم التي تربطهم بشيخ أو ولي صالح معين[2]، ولا يختلف عليه الحال في علاقة السلطة بالطرق الصوفية التي كانت تنتشر في ربوع البلاد عن علاقتها بالزوايا، إذ أن هدفها مع الطرفين واحد وهو ضمان تأييدها للسلطة ومباركة قراراتها، وإن كانت في بعض الأحيان تعسفية وجائرة، وقد عملت السلطة في بداية تواجدها على تبني الحل العسكري ضد الطريقة الشابية، التي كان تسيطر على جزء كبير من الشمال التونسي[3]، وقد بلغ مستوى التنافس الحاد بين القبائل التونسية الكبرى التحزب مع السلطة أو ضدها، فقد أعلنت قبيلة الحنانشة ولاءها للشابية بينما انضمت قبيلة أولاد سعيد للبايات المراديين[4]، وقامت بين الفريقين مواقع كثيرة ذكر العدواني بعضا منها وكان النصر في اغلبها حليف الشابية، ومن أمثلة ذلك يقول: « فلما رآهم الشابي طلق عنانه هو ومن معهن والتفت الخيل بالخيل والرجال بالرجال، نحو أربعة ساعات، وإذا بخيل افريقية (صاحب تونس) هربت وولت الإدبار، فلحق الشابي في أثرهم فقتل منهم مائة وخمسون فارسا، واخذوا خيلهم ودروعهم، ولا زالوا في القتال وهم في أثرهم إلى أن أوصلوهم إلى باجة»[5].

---

[1] - لطفي عيسى، **الزاوية والمخزن في بلاد الجريد مقاربة لعلاقة الدولة بالأنساق الموازية لها**، مجلة إبلا، مج 59، العدد 178، تونس، 1996، ص 57.

[2] - محمد بن عبد الوهاب أحمد، **القبيلة والزاوية في تونس دراسة سوسيوانثروبولوجية لفرقة العكارمة بقفصة**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، برلين، ألمانيا، 2021، ص 34.

[3] - يوسف بن حيدة، **عبد الصمد الشابي ونشاطه الثوري بين الأيالة التونسية وبايلك الشرق خلال القرنين 17و18م**، مجلة آفاق فكرية، مج 4، العدد8، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، مارس 2018، ص 203.

[4] - يوسف بن حيدة، **عبد الصمد، المرجع السابق**، ص 200.

[5] - محمد العدواني، **المصدر السابق**، ص 174.

رابعا- الملامح على الأوضاع الاقتصادية:

1- امتيازات العسكر وتأثيرها على اقتصاد الأيالة:

أ- اللزامة واستفادة قادة الجيش من أرباحها:

تعريف اللزامة:

هي اتفاق بين طرفين، يكون غالبا مضبوطا بعقد مكتوب حيث يجمع بين الطرف الأول الثابت وهو الدولة صاحبة الحق في احتكار كل اللزم في البلاد، والطرف الثاني يكون إما شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص يقومون بضمان تحصيل مبلغ هذه اللزم التي تم منحهم حق تحصيلها مقابل دفعهم مبلغ معين لصالح الدولة[1].

قام حمودة باشا الحسيني باعتماد نظام اللزامة بناء على اقتراح وزيره حمودة بن عبد العزيز كبديل عن نظام الجباية المعمول به سابقا، وكلف يوسف صاحب الطابع بأمر مراقبة جميع عمليات الالتزام وأصحابها ومدى تطبيقهم لشروط الاتفاق مع السلطة[2]، ومن أهم اللزم خلال القرن 19م:

- التزام محمد داوود بصناعة الصابون سنة 1266هـ (1849-1850م) بسعر 150.000.00 ريال في السنة.
- قام 12 يهوديا بالحصول على لزمة دار الجلد سنة 1786م بمبلغ 161.000 ريال للعام[3].
- التزم محمود بن عياد في جويلية- أوت 1841م بوظيفة دار الجلد حيث يتم دبغ الجلود وبيعها للصناع بالداخل أو تصديرها للخارج[4].
- في 1258هـ/1843م أحدث الباي لزمة الجبس وأنشأ معملا قريبا من مقاطع الجبس، واحتكر بيعه على الدولة، وكان مبعثه إلى إحداث هذه اللزامة وبعض المكوس الأخرى زيادة تكاليف الجيش النظامي[5].

---

[1] - Othman Barhoumi, **Op.Cit**, p 279.

[2] - ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق**، ص 21.

[3] - رضا بن رجب، **المرجع السابق**، ص 122.وكذلك: محمد الحبيب عزيزي، **مؤسسة دار الجلد في العهد الحسيني في الأيالة التونسية**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، العدد1، جامعة الجزائر2، الجزائر، ديسمبر2005، ص 164.

[4] - محمد مداح ومحمد بليل، **رأس المال الفرنسي وامتيازاته في تونس قبل 1881م**، مجلة عصور الجديدة، مج 10، العدد 4، جامعة وهران1، ديسمبر 2020، ص 330.

[5] - احمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق** ، ص 65.

مثّلث اللزامة وسيلة لتطبيق بعض التحديثات في تعامل الدولة مع الإمكانيات الاقتصادية والبشرية المتوفرة في عديد المناطق بالأيالة، وهي بذلك تقدم صورة حقيقية لإمكانيات البلاد ومصدر دخل للدولة ومورد رزق لمن يتكفلون بالقيام بها ومن بينهم قادة الجيش[1].

ب- الامتيازات الفلاحية وتأثيرها على المجتمع:

١- نماذج من الامتيازات الفلاحية:

كان القطاع الفلاحي العمود الفقري لاقتصاد الأيالة التونسية إلى غاية القرن 19م، وحظي رجال الدولة والوزراء والقادة العسكريون بمساحات كبيرة من الأراضي الخصبة، في شكل استثمارات لأموالهم واعتبرت في تلك الفترة من دلائل الجاه والمكانة الاجتماعية الرفيعة، وحظي المماليك بالأراضي الأكثر خصوبة وقاموا بتأجيرها لغيرهم وآثروا البقاء والعيش في الحاضرة[2]، ومن بين أهم هذه الامتيازات الفلاحية التي استحوذ عليها المماليك وقادة الجيش:

- استحوذ خير الدين باشا الذي شغل منصب كبير الوزراء في عهد الصادق باي سنة 1872م على أكثر من 140 ألف هكتار تقع على الساحل الشرقي بناحية سوسة بما يسمى هنشير النفيضة[3]، وقد منح الباي هذا الامتياز الفلاحي الكبير لوزيره السابق كسداد دين له لعدم قدرة السلطة على تسديد الجراية العمرية له نقدا[4]، وقد أدى منح هذا الامتياز إلى " تحويل أصحاب الأرض التاريخيين والفعليين إلى متسوغين يدفعون معاليم كراء لمن مكنته سلطته من الاستيلاء على أرضهم[5]".

---

[1] - Othman Barhoumi, **Op.Cit**, p 265.

[2] - علي المحجوبي، **المرجع السابق**، ص 18.

[3] - Charles Lallemand, **Tunis et ses Environs:Texte et Dessins D'Apres Nature**, Maison Quantin, Paris, France, 1890, p p 15 16.

وينظر أيضا الملحق رقم 17 .

[4] - Guy de Maupassant, **La vie errante**, Paul Ollendorff Éditeur, Paris, France, 1890, p 179.

[5] - محمد العفيف الجعيدي، **هنشير النفيضة: لأجله كان قانون التسجيل العقاري في تونس وفيه ظهر وهنه**، مقال الكتروني في موقع المفكرة القانونية، بتاريخ: 8 ديسمبر 2014، على الرابط التالي: https://legal-agenda.com/. / اطلعت عليه يوم: 18 اوت 2021، على الساعة 19.05.

– قام بعد ذلك أحمد باي ببيع هنشير الشيخ الشويقي بنواحي طبربة لأحميدة بن محمد عرف بيوض البينباشي بثلاثين ألف ريال تونسية، سنة 1260هـ/5 سبتمبر1844م، وتبلغ مساحة العقار 2864 هكتارا[1]، ويعتبر هذا الامتياز الكبير من جملة الهناشير[2] التي تحصل عليها قادة الجيش في إطار العلاقة مع البايات، وقد تم استغلال العقار في إنتاج العديد من أنواع الخضر والفواكه لخصوبة أرضه وقربه من وادي مجردة، ويتم استغلال البدو الذين يحطون رحالهم مع قطعانهم بجوار الهنشير في عملية جني المحاصيل، وذلك مقابل رعي أغنامهم بعد إتمام العملية قبل التهيؤ لعملية الزرع مع قدوم الخريف[3].

– كان أمير اللواء محمد خزندار عامل الساحل (سوسة ونواحيها) يملك أراض فلاحية واسعة بالمنطقة، استحوذ عليها في إطار استمالة البايات لكبار الضباط في الجيش من خلال منحهم امتيازات فلاحية كبيرة، ويذكر ابن أبي الضياف أن هذا القائد العسكري قد أهدى أحمد باي ألف قفيز[4] من الشعير في ساعة العسرة والمجاعة التي عانت منها البلاد[5].

– منح فدان الدخان بناحية سيدي داود من ضواحي مدينة تونس إلى إحدى القشلات العسكرية، غير أن المصادر لم توضح طبيعة هذه الاستفادة هل هي للقشلة كلها أم هي لقائد القشلة كامتياز خاص[6].

وفي سياق استيلاء بعض البايات على محاصيل الفلاحين في فترة الأزمة المالية، يذكر ترنش تاونسهاند Trench Townshend أن الفلاحين كانوا يذرون أراضيهم الخصبة دون حرث أو بذر، خوفا

---

[1] - بية عبيدي بالحاج، **حول أصول التعمير بهنشير الشويقي خلال بدايات الفترة الاستعمارية: إحداث القرية الاستيطانية وتغير مكونات المشهد العمراني**، مجلة السبيل للتاريخ والآثار والعمارة المغاربية، العدد3، جامعة منوبة، تونس، 2017، ص 3.

[2] - هنشير: جمعه هناشر الاسم الذي كان يطلق على الخرائب الرومانية في أفريقيا، وهذه الخرائب موجودة في الغالب في الأماكن الأشد خصوبة فصار من المعتاد أن يطلق عليها اسم هنشير henchire تدريجيا، وبدأت تشمل الاستثمارات الزراعية كافة.ينظر: Edmond Pellissier de raynaud, **Op.Cit**, p 344.

[3] - بية عبيدي بالحاج، **حول أصول...المرجع السابق ، ص 5.**

[4] - القفيز: مكيال يعادل القفيز الشرعي 12 صاعا وهو يساوي عند الحنفية 39.138 كلغ وعند غيرهم 26.064 كلغ. ينظر: محمد رواس قلعه جي، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1988، ص 238.

[5] - احمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 154.

[6] - بية عبيدي بالحاج، **المرجع السابق**، ص 212.

من جشع الباي وطمع جنوده في المحصول[1]، كما يعزو الهادي التيمومي أن الإفراط في التجنيد وتضخيم أعداد الجيش إلى الأضرار بالفلاحة التي تعتبر النشاط الاقتصادي الرئيس في تونس، وذلك بسبب إقبال الشباب على الانخراط في صفوف الجيش في عهد احمد باي على وجه الخصوص وعزوفهم عن العمل في الفلاحة[2].

٢- تأثيرها على المجتمع:

إن هذه الامتيازات الكبيرة التي استفاد منها كبار الضباط من المماليك وغيرهم في المجال الفلاحي أثرت سلبا على فئات كثيرة من المجتمع، ومن هذه الفئات " الخماسين"[3] الذين عانوا الكثير من الصعوبات والحاجة والفقر، ولعل من سلبيات الإجراءات التي قام بها الوزير المصلح خير الدين إصداره لقانون الخماسة سنة 1875م، فبمقتضاه أمسى الخماس يعيش تحت رحمة كبار الملاك من المماليك وأصحاب اللزم والوكلاء، وأصبح بإمكان هؤلاء إيداع الخماسين السجن في حال رفضهم القرارات الجائرة وتسديد الديون المترتبة عليهم[4].

كان البايات يمتلكون هناشير كبرى في أرجاء الأيالة عبر وكلاء أو شركاء لهم، التي استغلت بشكل رئيسي من قبل خمّاسين يدينون للبايات بالمحاصيل الكبرى مقابل 5/1 المنتوج، بالإضافة إلى ذلك، يتنازل الباي عن تحصيل الإتاوات الخاصة بالهناشير للشخصيات التي أراد أن يكافئها على خدماتها، أو بمعدل غير عادي ومنخفض وثابت لسنوات عديدة، وهكذا فإن هذا يكشف أن معدل

---

[1] - Trench Townshend, **Op.Cit,** p 77.

[2] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث، المرجع السابق**، ص 82.

[3] - الخماسة: هو عقد عمل فلاحي عُرف في بلدان المغرب العربي منذ القِدم، يمتد هذا العقد لمدة سنة ويربط بين فلاح كبير أو متوسط وصغار الفلاحين الفقراء، وغالبا ما يكون هؤلاء الخماسين من مناطق أخرى غير التي يعملون بها، وبمقتضى العقد المكتوب أو الشفوي بين الطرفين المذكورين ينال الخماس خمس الغلة أو المنتوج الفلاحي، وفي بعض الحالات الربع ويأخذ الفلاحين الكبار أو الملاك باقي المنتوج دون بذل أي مجهود بدني. ينظر: الهادي التيمومي وآخرون، **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس 1999م، ص ص 90 91.

[4] - علي المحجوبي، **المرجع السابق**، ص 18.

اللزمة له عيوب كثيرة، لكن لا يوجد في الأرشيف التونسي مصادر أخرى من المرجح أن تبلغنا عن الوضع الداخلي[1].

وعليه فإن الحرث والفلاحة عموما هو مجال للاستثمار بنسبة كبيرة من للبايات وكبار مسؤولي الجيش والإدارة لضمان حصة من الإيجار تُفرض على الفلاحين العاملين[2]، وقد استأثر قادة الجيش عهد وزارة شاكير صاحب الطابع (1828–1837) خاصة، بالسيطرة الاقتصادية على الأراضي الخصبة في المنطقة الساحلية الشرقية من البلاد[3].

2– النظام الضريبي وأثره على المجتمع:

انصبت جهود البايات المراديين والحسينيين في تونس على توسيع الوعاء الجبائي، ليشمل أكبر عدد من المكلفين ويسع كل أنواع المحاصيل، بهدف زيادة الإنتاج القابل للتصدير إلى الخارج دون الأخذ بعين الاعتبار الأوضاع الاجتماعية للسكان[4].

كانت الضرائب على الفلاحين لا تطاق لأن الجيش يفرض هذه الضرائب مقابل حصولهم على الأمن، ويذكر المؤرخ van Krieken أنه لا توجد مصالح مشتركة في أعلى هرم المجتمع بين الحكام وكبار الفلاحين، وانعكست هذه العلاقة من الطبقة الحاكمة إلى الطبقات الأدنى، حتى خير الدين باشا الوزير الإصلاحي لم يقم بدفع إلا النزر الضئيل من الضرائب عن الأراضي التي كان يمتلكها، على شكل ضريبة المزارع في الأعمال التجارية الزراعية[5].

---

[1] - Mohamed Hédi Chérif, **Expansion…,Op.Cit**, p720.

[2] - Lucette Valensi, **Fellahs…Op.Cit**, p 374.

[3] Jerfel Kamel, **Op.Cit**, p 4.

[4]- محمد مقصودة، **الأوضاع الاقتصادية لكراغلة إيالات المغارب العثمانية خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة مقارنة**، مجلة البشائر الاقتصادية، مج5، العدد2، جامعة احمد بن بلة، وهران، الجزائر، أوت 2019، ص 333.

[5] - Gérard van Krieken, **Op.Cit**, p 316.

3- امتيازات التجار:

زيادة على دور التجار الأوربيين وخاصة الإيطاليين والفرنسيين، تأسست في مدينة تونس، طبقة من التجار التونسيين استغلوا الظروف السياسية والاقتصادية لتكوين ثروات كبيرة، ومن أشهر هؤلاء التاجر محمود بن عياد[1] أحد أعيان الدولة في عهد أحمد باي، حيث كان أحد أصدقائه المقربين، وأفاد من منصبه في السلطة من الاستيلاء على حوالي 50 مزرعة، بالإضافة إلى مختلف اللزم التي كان قد عهد بها إليه باعتباره من أهم داعمي الجيش ماليا، إضافة إلى وظيفة قابض الضرائب وجامع عشور الحبوب[2]، ويصفه Armand Flaux بالداهية في مجال الضرائب[3]، كما استغل بن عياد قربه من الباي للانخراط في الأعمال التجارية، لاسيما تلك الخاصة بتصدير السلع بجميع أنواعها ودخل في منافسة مع التجار الأوروبيين، لكنه كان يعتبر أول مصدر بالأيالة ولم يستطع أحد ذلك منافسته[4]، هرب محمود بن عياد إلى فرنسا حاملًا معه 60 مليون فرنك من ثروات البلاد ما يعادل 100 مليون دولار في تلك الفترة، فيما لم تتجاوز ميزانية الأيالة التونسية حينها 15مليون فرنك[5].

[1] - محمود بن عياد:(1810-1880م)مساعد الوزير الأكبر مصطفى خزندار وشريكه في نهب أموال الأيالة، ومساعده المقرب في المغانم والمظالم، شغل وظيفة جمع الضرائب وشراء ما تحتاجه الحكومة، وظل على هذا المنوال 18 عاما 1834-1852م، ولما رأى أن الأمور بدأت تسير لغير صالحه، هرّب أمواله إلى فرنسا بداعي العلاج، وبعد فترة أعلن عدم العودة لتونس وطلب الجنسية الفرنسية، مدعيا أن له على الحكومة التونسية 60 مليون قرش نظير مشتريات اشتراها ولم يُدفع له ثمنها، وأخذت المسألة بعدا خطيرا حيث حلت القضية بعد تشكيل لجنة يرأسها الإمبراطور نابليون الثالث، أصدرت حكما بتخفيض مطالب ابن عياد من 60 مليون قرش إلى 5 ملايين كما ألزمته أن يدفع مبالغ أخرى. ينظر: أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر** الحديث، موسوعة أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1979، ص ص 153 154. وينظر أيضا: Jean Ganiage, **Op.Cit,** p 121.

[2] - عبد القادر دوحة، **الإصلاحات السياسية والإدارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19م وعلاقتها بالحضارة الغربية،** مجلة عصور الجديدة، العددان 11-12، جامعة وهران1، الجزائر، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص 285.

[3] - Armand Flaux, **Op.Cit**, p 160.

[4] - Jerfel Kamel, **grands acteurs économiques: les négociants eurOpéens dans les villes ports de la côte Est de la régence de Tunis au XIX^{e} siècle**, HAL Sciences de l'Homme et de la Société, Lyon, France, 15 Octobre 2013, P 18.

[5] - عبد السلام الهرشي، **صفحة من تاريخ فساد تحالف السلطة والثروة في تونس،** مقال الكتروني، نشر في 29 أكتوبر 2018، على الرابط التالي: /https://ultratunisia.ultrasawt.com، اطلعت عليه بتاريخ: 22 ماي 2020، على الساعة 19.50.

4- القرصنة البحرية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي:

إن الجهاد البحري بالمفهوم الإسلامي أو القرصنة[1] بالمفهوم الأوربي هي نشاط حربي اقتصادي مقنن بشروط، تنشط في فترات تاريخية وتندثر في فترات أخرى بحسب الظروف والعلاقات الدولية[2]، وُصِفت القرصنة في بداية القرن السادس عشر بأنها إستراتيجية تسمح بشن الحملات، ولذلك ارتبطت القرصنة بتلك الحروب التي قامت في أوروبا ثم اتسع نطاقها مع ظهور الدولة العثمانية على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، وبذلك اتخذت القرصنة منحى آخر، منفصلا عن الحروب مما أدى إلى اتساع هذه الظاهرة، وتطور عملياتها وتعدد اتجاهاتها، وبالأخص خلال القرن السابع عشر الذي أطلق عليه "قرن القرصنة[3]".

ظهرت القرصنة في أيالة تونس كرد فعل على تدهور الأوضاع المالية للأيالة، وذلك بسبب تراجع تجارة القوافل الصحراوية مع الدول الإفريقية جنوب الصحراء، وكذلك إلى قلة الموارد الجبائية نظرا لسيطرة العثمانيين على المدن الكبرى خاصة في الشريط الساحلي، أما داخل البلاد فكانت في حالة تمرد مستمر خاصة في العقود الأولى من الوجود العثماني وعليه فقد تضاءلت مداخيل الجباية للسلطة القائمة، مما شكل مصدر قلق بالنظر إلى حجم المصاريف في المجال العسكري وبناء الدولة والمجال[4]، لكن هذا الواقع شهد تغيرا حيث عرفت تونس طفرة اقتصادية خلال القرن 17م، وذلك بالنظر إلى كثافة نشاط القرصنة والتجارة الناتجة عنها خاصة في المدن الساحلية[5]، ويمكن القول إجمالا أن نشاط القرصنة أنعش الاقتصاد التونسي[6]، على الرغم من قلة الوثائق الأرشيفية التي توضح مقدار

---

[1] - القرصنة: سيأتي ذكر هذا المصطلح التاريخي في بقية المواد عوض الجهاد البحري نظرا إلى شيوع استعماله في المراجع العربية والأوربية على حد سواء.

[2] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 109.

[3] - إبراهيم سعيود، **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الايطالية أنموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 11، الجزائر، 2011، ص 148.

[4] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية، المرجع السابق**، ص 107.

[5] - Gábor Ágoston & Bruce Masters, **Op.Cit**, p 573.

[6] - شارل أندري جوليان، **المرجع السابق**، ص 357.

العائدات المالية للقرصنة في تونس إذا قورنت بما يتوفر في الجزائر أو طرابلس[1]، وكانت القاعدة في البداية تقتضي تقسيم العائدات كمايلي: يتم توزيع تنظيم الغنائم بشكل صارم: العُشر يذهب إلى الباشا و45٪ لأصحاب السفن بينما يتم تقاسم 45٪ المتبقية بين قائد السفينة والجذافين والبحارة الانكشارية[2]. لكن مع مرور الوقت، تتغيرت النسب التي تقسم على أساسها الغنيمة بعد بيع البضاعة والعبيد الأسرى كما يلي[3]:

10 % لداي تونس.

1 % لصيانة الميناء.

1 % للمرابطين في الجبهة.

50% مقسمة كمايلي:

12,10 % إلى 15 % للقبطان القائد ومن 35% إلى 38,40% لأصحاب السفن.

المجموع: 62 %.

أما باقي العائدات وتمثل 38 % تقسم كما يلي:

3 % لرئيس الجند.

3 % لنائب الرئيس.

3 % للإنكشارية.

3 % لرؤساء المدفعية (أسرى).

3 % لجنود المدفعية.

3 % للربان.

3 % لعمال الأشرعة.

3 % للجراح (أسير مسيحي).

2 % لقائد المقطع.

---

[1] - Daniel panzac, **Op.Cit**, p 101.

[2] - Giovanna Fiume, **Lettres de Barbarie : esclavage et rachat de captives siciliens (XVI-XVIII siècle)**, Cahiers de la Méditerranée, N° 87, Nice, France, Décembre 2013, p 15.

[3] - Narcisse Faucon, **Op.Cit**, p 135.

2 % السدّاد (العامل المكلف بسد ألواح السفن).

2 % للبحارة الذين كانوا في الغالب عبيدا مستأجرين لخدمة السفن، ويأخذ السادة الأسهم المخصصة لعبيدهم.

8 % لأصحاب السفينة المرافقة.

أ– موقف الدول الأوربية من القرصنة:

إن هذا التطور في قوة القرصنة البحرية دعا ملوك أوربا إلى طلب التفاوض مع تونس، على غرار هنري الرابع الذي أرسل سفيره لدى الدولة العثمانية François Savary de Brèves سنة 1604م إلى تونس، حيث وقّع مع الداي اتفاقية تنص على عدم التعرض للسفن الفرنسية وتحرير الأسرى الفرنسيين[1]، وكثرت الشكاوى الأوربية بعد ذلك من تعرض سفنهم التجارية للقرصنة ونهب محتوياتها واسر عمالها وبيعهم كعبيد، رغم حصول الباي على إتاوات وهدايا معتبرة من هذه الدول لقاء تكفله بمنع القراصنة التعرض لسفنهم[2]، وأورد Victor Piquet حصيلة لنشاط القرصنة التونسية بين سنتي 1613–1621 م كمايلي: تم حجز 447 سفينة هولندية، 193 فرنسية، 120 اسبانية، 60 انجليزية، 56 من إقليم الهانس الجرماني، هذا بدون احتساب السفن الصدئة أو المحترقة أو البريك[3] الأقل أهمية[4]، كما تم في الفترة بين 1612–1638م احتجاز 37 سفينة للبندقية برجالها ومحتوياتها[5].

أما الرحالة الألماني هابنسترايت الذي زار تونس سنة 1732م، فيصف الخطر الذي كانت تشكله السفن التونسية على السفن الأوربية بقوله:« وسفن هذه القوة البحرية من نوع الغليوطات تشكل خطرا على السفن التجارية وعلى سفن الشحن الصغيرة، وهذا ما يمكّنها من الحصول في غالب

---

[1] - صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 35.

[2] - Barbe Patesson, **Op.Cit,** p 26.,

[3] - البريك Brick سفينة فرنسية تستخدم على نطاق واسع لأغراض تجارة الرقيق، صناعة يدوية بالكامل مدعمة بحامل خشبي متين. ينظر: موقع نماذج السفن الأميرالية على الرابط التالي: https://www.admiraltyshipmodels.co.uk/ ، اطلعت عليه بتاريخ: 25 ماي 2020، على الساعة 16.30.

[4] - victor piquet, T3, **Les Civilisations…Op.cit,** p 265.(la Note N° 1)

[5] - خليل ساحلي أوغلي، **المرجع السابق**، ص 335.

الأحيان على غنائم من الإسبان والبنادقة والايطاليين وبعض الدول الأوربية»[1]، ويقدم لنا المؤرخ Gillian Weiss مثالا عن تفوق البحرية التونسية بقوله: قام لويس الخامس عشر بتعليق التجارة مع تونس وأمر بالحظر، ورد الباي علي باشا بإرسال غليوطات مسلحة[2]، واحتجز 27 ممثلًا فرنسيًا وطلب فدية لإطلاق سراحهم[3]، لكن في الفترة اللاحقة تمكنت فرنسا من فرض هيبتها على أيالة تونس بفضل تفوقها العسكري وانتصارها على الأسطول التونسي[4]، حيث قامت سنة 1770م بقصف موانئ غار الملح وبنزرت والمنستير[5]، مما جعلها تحتل مكانة مميزة في سياق العلاقات الخارجية للأيالة وأصبح الأسرى الفرنسيون ينالون حريتهم دون قيد أو شرط، بينما يقبع نظراؤهم الأوربيون سنوات في الأسر حتى يتم افتداؤهم[6].

كانت السلطة تحتفظ عادة بعدد من المراكب المهيأة للقرصنة تتراوح بين 15-20 مركبا تضم 3 زوارق كبيرة ذات 20 مدفعا وعلى متن كل منها 130 رجل، وبعض المراكب من نوع الشاباك[7] أقل عدة، وغاليوطات وسفن صغيرة (فلوكة)، وقد كان غار الملح الميناء الوحيد المخصص لهذا الغرض من طرف السلطة، أما الخواص فقد كانوا يجهزون بعض المراكب للقرصنة لكنها أقل عددا من مراكب

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني، **رحلة العالم الألماني: ج .أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.س، ص 119.

[2] - Gillian Weiss, **Op.Cit,** p 103.

[3] - Inconnu, **Lettre d'un comédien à un de ses amis:touchant sa captivité et celle de vingt-six de ses camarades chez les corsaires de Tunis : avec une description historique et exacte de la ville de Gênes**, pierre clement libraire, Paris, France, s.d, p 62.

[4] - إسماعيل بك سهرنك، ج1، **المصدر السابق**، ص 428.

[5] - Lucien lanier, **Op.Cit**, p 284.

[6] - Daniel panzac, **barbary…Op.Cit**, p 95.

[7] - الشاباك: من أبرز القطع البحريّة المعروفة ببلدان المغرب وأكثرها استعمالا، يسمى بالإيطاليّة شابيكو Sciabecco وبالإسبانية "جابيكو Jabeque كانت تتألف من ثلاثة صواري، وتتكون الشبابك في العادة أيضا من ثلاثة أشرعة فوق هوائيات، غير أن بعضها كان يُقاد بأشرعة مربّعة على صاريات وعرفت بالخفّة والرشاقة والسرعة وتماسكها فوق البحر رغم خفّتها، ولهذا كانت دائما ضمن تشكيلات مراكب الغزو، حيث يُعتمد عليها في مهاجمة سفن الأعداء والدخول بها إلى المناطق الضيّقة، وقد تم التخلي عنها في المجال العسكري بعد ظهور السفن البخارية وخاصة الفرقاطات. ينظر: ليلى زغدود، **ملاحظات حول صناعة سفينة "الشبك" خلال القرن الثّامن عشر**، المجلّة التّونسيّة للتّاريخ العسكري، العدد 8، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 2018، ص ص 22 23.

السلطة، لكنهم يضاهونها من حيث القوة والتجهيز، كما أنهم ينطلقون من جميع موانئ الأيالة ولهم نصيب 10/1 من عائدات المراكب[1].

في بداية القرن 18م اقتصرت أنشطة القراصنة على البحر، ولم تصل أبدًا إلى الجزر أو اليابسة في البر الأوربي كما في القرون السابقة، خلال هذه الفترة لعبت الأساطيل البريطانية دورًا مهمًا في المفاوضات الدبلوماسية، حيث كانت تونس لا تزال المحور الرئيسي للتجارة الأوروبية مع شمال إفريقيا، أجريت المفاوضات مع أيالة تونس من قبل قباطنة وأدميرالات بحريين مثل أوغست كيبل August Keppel في بداية القرن الثامن عشر[2].

بلغت قوة هذه القرصنة ذروتها في عهد حمودة باشا الحسيني، الذي أرغم عدة دول لتوقيع معاهدات معه للحفاظ على سفنهم التجارية، ومن بين هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية التي أبرمت اتفاقية مع تونس سنة 1799م، مقابل ضمان سلامة سفنها التجارية ودفعت مقابل ذلك: 50 ألف دولار نقدا، 28 مدفعا مختلفة العيار، 300 قنطار من البارود، 400 قنطار من الحبال، كمية من الجواهر[3]، وبقيت دول أوربية تدفع إتاوات لتونس رغم تراجع القرصنة بعد 1820م، ومن قبيل ذلك ما قدمته مملكة السويد سنة 1827م والمتمثل في كمية كبيرة من الخشب الجيّد ومالا يقل عن 125 مدفعا[4]، وتفضل اغلب الدول الأوربية دفع هذه " التكريمات " في فترات دورية بدلا عن الدفع الشهري مثلا، وهذا كسياسة من هذه الدول لتتأقلم مع المتغيرات السياسية والعسكرية على الساحة الإقليمية[5].

ب- نهاية القرصنة ونضوب مصدر هام للخزينة:

ألغت تونس القرصنة نهائيا سنة 1819م بعد الإنذار الأوربي لها الذي حمله اللورد فريمانتل Freemantle بالقضاء على مركز تونس السياسي، كنتيجة لتفاهمات الدول الأوربية بعد مؤتمر اكس

---

[1] - François-René Vicomte de Chateaubriand, **Op.Cit,** p 463.

[2] - Zsolt Palotás, **Diplomatic and Military…**, **Op.Cit,** p 28.

[3] - Alexander Meyrick Broadley, **Op.Cit,** p 80.

[4] - Alexander Meyrick Broadley, **Op.Cit**, p 91.

[5] - Mohamed Hédi Chérif, **Op.Cit**, P 716.

لاشابال سنة 1818م[1]، وتكرّس أكثر بعد الاتفاقية الفرنسية التونسية بتاريخ 8 أوت 1830م[2] التي أجبرت فيها على إلغاء القرصنة وإطلاق سراح كل الأسرى الفرنسيين والأوربيين[3]، ويذكر المؤرخ التركي محمد مقصود أوغلو أن الاتفاقية كانت بتاريخ 17 أوت 1830م، وأن فرنسا فرضت على تونس علاوة عن المطالب السابقة الذكر تقديم هدايا معتبرة[4]، وقد قبِل الباي هذه المعاهدة دون قيد أو شرط وأن تتمتع فرنسا بحق الدولة الأكثر رعاية[5].

يلخص هنري دونان طبيعة القرصنة التونسية بقوله: « إن تونس بصفة عامة لم تكن تمارس القرصنة مثل الجزائر وإذا كان لها بعد مدة بعض القراصنة فذلك للدفاع الشرعي ضد المسيحيين الذي كانوا أشد بربرية في ذلك العهد من الأفارقة، بما أن القرصنة كانت أيضا مهنة لدى القبرصيين والكتلان وسكان البندقية وصقلية وبتزا (يقصد بيزا) وجنوة»[6].

5– الاستئثار بتسيير المؤسسات المالية الهامة:

أ– وزارة المالية:

تولى بعض القادة العسكريين أمر هذه الوزارة الهامة من بينهم: الجنرال محمد العزيز بوعتور سنة 1866م، وبقي في هذا المنصب إلى غاية 1878م.

---

[1] - محمد محمود السروجي، **المرجع السابق**، ص 14. وتشير مراجع أخرى أن نهاية القرصنة كانت سنة 1818م. ينظر:

Anselme des arcs, **Op.Cit**, p36.

ويشير بعضها الآخر أن ذلك كان سنة 1816م. ينظر: خليفة الشاطر، **البلاد التونسية...المرجع السابق**، ص 85.

[2] - انظر الصفحة الأولى لهذه المعاهدة في الملحق رقم 18.

[3] - تركي بن عجلان الحارثي، **الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين 1246-1298هـ/1830-1881م**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد4، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2008، ص 24.وكذلك: إياد تركان إبراهيم وحنان طلال جاسم، **السياسة البريطانية تجاه أطماع فرنسا في ولايتي تونس وطرابلس (1830-1882)**، مجلة آداب المستنصرية، العدد71، جامعة المستنصرية، بغداد، العراق، ديسمبر 2015، ص3.وكذلك: محمد مداح ومحمد بليل، **المرجع السابق**، ص 333.

[4] - Mehmet Maksudoglu, **Tunus'un Osmanli Devletinden Ayrilmasi**, Ilahiyat Fakültesi Dergisi, Sayi :4, Marmara Üniversitesi, Istanbul, Türkiye, 1986, p 152.

[5] - صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص 162.

[6] - هنري دونان، **الأيالة التونسية سنة 1858م**، تر وتع: محمد فريد الشريف، المطبعة العصرية، تونس،2012، ص ص 16 17.

ب- خزينة الأيالة (بيت المال):

استأثر كبار الضباط وخاصة المنحدرين من طائفة المماليك بمنصب الخزنه دار، ويعني المشرف على خزينة الدولة الماليّة، وقد حظي المماليك المقربون من الباي بلقب خزنه دار وكثيرا ما يبقى هذا اللّقب للمملوك حتّى وإن تولّى منصبا آخر، ومثال ذلك مصطفى خزنه دار الذي تولّى مناصب عديدة ومنها الوزارة الكبرى طيلة 36سنة[1]، كما تولى ذات المنصب حسن التركي آغا[2].

ج- دار السكة:

تعتبر دار السكة المكلفة بإصدار العملة التونسية من أهم المؤسسات المالية في الأيالة، ومرد ذلك يعود إلى إصدارها للعملة التي هي عصب جميع العمليات التجارية والاقتصادية، استحوذ الضباط العسكريين على امتياز تسيير دار السكة منذ تأسيسها في 1847م رغم عدم كفاءتهم في المجالات المالية[3].

أما فترة الحسينيين فهي موضحة بشهادة محررة من وثيقة أرشيفية يعود تاريخها إلى عهد أحمد باي، يذكر هذا المستند في الترتيب الهرمي للكادر الإداري والفني بدار السكة، ويظهر من خلالها سيطرة الضباط العسكريين على الوظائف الهامة بهذه الدار والتي كانت على النحو التالي:[4]

- الأمير آلاي (العقيد) وكيل دار السكة[5] المدعو بهرام.
- الآلاي أمين (القائد الأكبر).
- الأمين.

---

[1] - نجاة الطاهر قرفال، **الصلة بين علماء تونس وباياتها كما تمثّلها المستعرب جان قانياج**، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، مج 7، العدد2، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، جويلية 2020، ص 59. وكذلك: مختار الفرحاني، **الفرق العسكرية، المرجع السابق**، ص 74.

[2] - عبد الحكيم القفصي، **المرجع السابق**، ص 609.

[3] - Abdelhamid Fenina, **L'atelier monétaire de Tunis sous les Husaynides: un exemple d'institution multiconfessionnelle,** Actes du colloque Scientifique International, UNICCO, 7-8-9 septembre 2016, p 152.

[4] - Abdelhamid Fenina, **Op.Cit**, p151.

[5] - أصبح لاحقا يسمى المحافظ العام للمالية (le Receveur General des Finances)

- الشاهد الكاتب (الموثق) والمدعو محمد المحرزي.
- الكولر (العقيد) القائد يوسف (يوسف شمامة).
– الكلير الربيعي (الحاخام موشيه).
- الكلير شارل بينوا Charles Benoît
- متقبل العملة السيد دين Dun
- ثلاثة مسيحيين.
– قائد برتبة بينباشي commandant (رائد حاليا)[1].
- أمين الخيل.

قامت سلطة الباي بإجراء إحصاء عام لسكان الأيالة بين سنتي 1726–1727م حيث شمل حوالي 20 قبيلة، وكان الهدف منه تحديد المناطق التي تشملها سلطة الباي والتي تدين له بالولاء أو ما اصطلح عليه لاحقا " الرعية "[2]، وشمل هذا الإحصاء الأول في تاريخ الأيالة "الرجالة" و"البيوت" و"الأرزاق"، لكنه لم يكتمل بسبب اندلاع الحرب الحسينية الباشية سنة 1728م[3].

6– تحديث الجيش وآثاره السلبية على الوضع الاقتصادي:

كلفت تجربة أحمد باي الإصلاحية في تحديث الجيش خزينة الدولة مصاريف ثقيلة ما جعل طموحات وآمال الباي تواجه صعوبات وعقبات حالت دون الوصول إلى المبتغى المنشود[4]، وتجلى ذلك خلال زيارته لفرنسا أواخر نوفمبر وبداية ديسمبر 1846م على الجيش وخاصة الحركات الاستعراضية من طرف الجنود وقد ورد في جريدة المجادلات ما يلي: «...كان سمو الباي طوال الوقت الذي استغرقه الاستعراض مبهورا بهيئة الجنود وتنوع أزيائهم وخاصة سرعة حركاتهم وانتظامها»[5]،

[1] - يضيف Henri Dunant أنه قائد كتيبة. ينظر: Henri Dunant, **Op.Cit**, p77.

[2] - عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية،المرجع السابق**، ص 220.

[3] - عبد الحميد هنية، **تجربة بحث،المرجع السابق**، ص 234.

[4] - Julia A. Clancy –smith, **Op.Cit**, p 8.

[5] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث...المرجع السابق**، ص 94.

وبالمقابل انتابه نوع من الحزن واليأس من وصول جيش تونس إلى هذه المرحلة من التقدم والاحترافية ولم يخف ذلك الامتعاض لقادة الجيش الفرنسي[1]، وتعهد بتكوين جيش وأسطول بحري باهظ الثمن والحفاظ عليهما، للحصول على العدد المطلوب من الجنود والبحارة، أجبر العديد من الشباب للدخول في خدمته على أجر رمزي فقط[2]، فتموين الجيش بالطريقة التي رآها الباي أرهق ميزانية الدولة لعدم توفرها على الأموال الكافية لذلك و مسايرة ما كان يطمح إليه هذا الباي، إلى جانب ذلك كان لميل كبار العساكر للترف والبذخ سببا في استنزاف خيرات البلاد حيث كثرت الاختلاسات والنهب والتهريب[3]، فأوجب هذا الأمر حل زيادة الضرائب على الأهالي الشيء الذي أثقل كاهل الرعية وساهم في انتشار الفقر[4]، وهو ما يسميه المؤرخ محمد الهادي الشريف الحل الكلاسيكي السهل ويصفه بمفك البراغي المالي الذي يستخدمه البايات في كل ضائقة مالية تلم بالأيالة[5].

7- ملامح التأثير على الصعيد الخارجي:

أ- دور الجيش في إنهاء الضريبة السنوية الجزائرية:

بعد انتصار الجيش التونسي في معركة سلاطة سنة 1807م، أنهى الضريبة (التكريم) السنوية للجزائر وأزال ما تبقى من بقايا تأثير جاره الغربي، وقد باءت المحاولات الجزائرية لاحقا بالفشل في استعادة تلك المزايا الممنوحة من تونس، والتي كانت تثقل كاهل الأيالة بنفقات إضافية[6]، وتخلصت الأيالة من هذه الأعباء واستحوذت على مناطق غربا تم ضمها لأيالة الجزائر بعد انتصارها في حربي 1614 و1628م[7].

---

[1] - نفسه، ص ص 94 95.

[2] - Amos Perry, **An Official Tour Along The Eastern Coast Of The Regency f Tunis**, standard printing company, Washington DC, USA, 1891, p 73.

[3] - أحمد بن أبي الضياف، ج2، **المصدر السابق**، ص 48.

[4] - محمد بيرم الخامس، ج2، **المصدر السابق**، ص 7.

[5] - Mohamed Hédi Chérif, **Expansion … Op.Cit**, p740.

[6] - Mukaram Hhana, **Op.Cit**, p 179.

[7] - Charles Monchicourt, **les frontiéres algéro- tunisienne dans le tell et dans la steppe**, R.A, vol 82, A. Jourdan Libraire-Éditeur, Alger, 1938, p33.

ب- إتاوات الدول الأوربية لخزينة الأيالة:

لعب الجيش وخاصة الأسطول البحري دورا مهما في إرغام بعض الدول الأوربية على إبرام معاهدات سلام مع أيالة تونس، مع دفع إتاوات وهدايا قيمة لخزينة الأيالة ساهمت في زيادة مداخيلها وإنعاش اقتصادها خاصة إبان القرن 18م، ومن أهم هذه المعاهدات:

الدولة الأوربية	تاريخ المعاهدة	نوعها	مبلغ الإتاوة
اسبانيا	1204هـ/1790م	معاهدة سلم وتجارة	573.052 ريال[1]
البندقية	1763م	معاهدة سلم	20.000 ريال بندقي[2]

ج-المساعدات الأوربية لتونس:

قدمت بعض الدول الأوربية مساعدات لتونس في إطار ضمان الولاءات ومناطق النفوذ، ومن قبيل ذلك، إقدام البحرية الفرنسية على شحن 6 سفن ملكية محملة بالبارود والقذائف والمدفعية والمؤن، وتقديمها إلى محمد باي لتدعيم قدرات الجيش العسكرية ضد أيالة الجزائر[3].

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق**، ص 26.

[2] - الشافعي درويش، **علاقات تونس مع جمهورية البندقية خلال العصر الحديث من العداء إلى السلمية**، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 18، العدد1(A)، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، جوان 2021، ص 341. وينظر أيضا:
Albert Sacerdoti, **Venise et les Régences d'Alger Tunis et Tripoli (1699-1764)**, Tra : M Despois, R.A, vol 101, **A. Jourdan, Libraire-Éditeur,** Alger, 1957, p 294.

[3] - Eugene Plantet, T3, **Op.Cit**, p p 84 85.

خامسا- الملامح العسكرية:

1- انعكاسات قانون القرعة على المجتمع:

شابت العملية عدة سلبيات أثرت عل مصداقيتها وانعكس ذلك على المجتمع بكل فئاته ومن بينها:

١-**عدم النزاهة:** عرفت عملية التجنيد بالقرعة عدة تجاوزات وتحايل بعضها تم اكتشافها لاحقا، ومن قبيل ذلك في سنة 1862م تم اكتشاف أن 129 مجندا عن طريق القرعة هم من السواقط، أي الذين لا يحق لهم المشاركة فيها لأسباب متعددة[1].

٢-**التهرب من التجنيد:** كان الشباب يلجؤون إلى عدة وسائل للتهرب من التجنيد تحت قانون القرعة، ومن بين هذه الوسائل الزواج المبكر وإنجاب الأطفال، وبالتالي يدخل ضمن أحد أعذار عدم الخضوع للقرعة وهو " معيل الصبية من غير كسب"، وقد اشتكى أمير أمراء عسكر صفاقس من أن ¾ الشباب الذين بلغوا سن القرعة لديهم 4 أو5 أطفال، وبالتالي لم يستطع تجنيد العدد المطلوب، وطالب بتدابير وإجراءات استثنائية لهذه الوضعية[2].

٣-**مسألة رفض الأهالي للتجنيد (ثورة الأبناء على الآباء):**

بعد إحداث الجيش النظامي وصدور قانون التجنيد الذي سبقت الإشارة إليه، لم تستسغ أعداد معتبرة من الأهالي هذه المسألة، وتمردت بعض المدن على غرار القيروان ويذكر ذلك ابن سلامة في العقد المنضد: « تمردت القيروان في أول تجنيد حسين باي فعاقبهم بسجن الأعيان وإلزام الخطية الكبيرة لكل إنسان منهم كائنا ما كان وأخذ أعيان كبرائهم للنظام...وطالما استشفعوا فلم يصغى لهم»[3]، أما في عهد مصطفى باي فقد تمرد أهالي مدينة تونس على ذات الأمر وفي ذلك يقول ابن سلامة: « لما تقو عزمه عل زيادة العسكر النظامي فابتدأ بإمساك بعض أولاد تونس فعظم الأمر على الناس، فاجتمع أهل البلاد وصاروا يستشفعون إليه ويهرعون إلى ديار الفقهاء والزوايا استشفاعا للأمير من ذلك[4].

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 88.

[2] - ا.و.ت، صن 157، ملف 686، وث 101.

[3] - محمد سلامة التونسي، **المصدر السابق**، الورقة 62 (الوجه).

[4] - نفسه، الورقة 66 (الوجه).

2- التحكم في سوق السلاح:

أما سوق السلاح، فكان منصب أمين السوق يستثنى من الانتخاب، ويعين أمين سوق السلاح مباشرة من قبل أمير البلاد، لكن كان ذلك كمن يعين قائدا عسكريا لا يوجد وراءه جند إذا كان في 1860م اثنا عشر معلماً، ولم يبق منهم في 1892م سوى واحد فقط، نظراً لأن البندقية المحلية الطويلة الشكل التي كان يطلق عليها المكحلة فقدت أهميتها أماـ البنادق القادمة من بلجيكا وفرنسا لجودة نوعيتها وقلة سعرها بالمقارنة بالتي تصنع في تونس، وهذا ما قد أفاد به الرحالة Michel، أما " القرابيلا " فهو السلاح الذي بقي في السوق، وفي نوعية أقل طولا من البندقية، وتتسم فوهتها بالأتساع، ولا تستخدم في الحروب، وتعبأ بكمية من البارود، وقد أسهم في صنع هذه البندقية ثلاث مجموعات من الصناع الأول: يصنع الفوهة يسمون: الجعايدية والثاني يصنع زنود البنادق يسمون الزنايدية والثالث سرير البندقية يسمون السرايرية، وقد ظل لسوق السلاح أهمية قصوى خلال فترة حكم الأسرتين المرادية والحسينية وحتى بعد انتصاب الحماية الفرنسية[1].

3-الفساد ودور الطبقة العسكرية في حمايته:

بمرور الزمن ظهر بتونس نظام استغلالي يمكن وصفه بمصطلح الأوليغارشية[2] يتكون من مجموعة من الأشخاص المقربين من السلطة، وذلك بتكريس التسلسل الهرمي الاجتماعي الذي يعتمد على الطبقات السياسية والمهنية والاقتصادية[3]، في نهاية المطاف يكشف الوضع العسكري لكبار

[1] - مي السيد السيد محمد، **أسواق مدينة تونس في كتابات الرحالة الأوروبيين في العصر العثماني**، مجلة المؤرخ العربي، مج2، القاهرة، مصر، 2020، ص 349.

[2] - تعني حكم الأقلية هي شكل من أشكال الحكم بحيث تكون السلطة السياسية محصورة بيد فئة صغيرة من المجتمع تتميز بالمال أو النسب أو السلطة العسكرية الكلمة "أوليغاركية" مشتقة من الكلمة اليونانية أوليغارخيا، ينظر: مليكة بوصبيع، **الأوليغارشية الحزبية في الجزائر**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، مج 13، العدد 1، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، أفريل 2020، ص 62. وينظر أيضا: سركيس أبو زيد، **الأوليغارشية الديموقراطية الفوضوية والجماهير الخائبة**، جريدة الأخبار، العدد 4048، بيروت، لبنان، 13 ماي 2020، ص 12.

[3] - Soudani Abdelkader, **Pouvoir, femmes et politique en Tunisie au XIXème siècle**,
مجلة جيل للدراسات السياسية والعلاقات الدولية – العدد30 ، بيروت، لبنان، ماي 2021، ص 114.

الشخصيات في النظام في القرن الثامن عشر أنهم غالبًا ما يدينون بثرواتهم لممارسة الوظائف المخزنية، ومثال ذلك ما قام به أحد الضباط المقربين من الباي يدعى قاسم بن سلطانة الذي استغل منصبه الرسمي كباش كاتب لجمع ثروة هائلة جعلته من الأثرياء، وذلك بالتخلي عن مهامه العسكرية وتفرغه للتجارة الخارجية وتسليح قوارب القراصنة، إضافة إلى استغلال عقاراته وممتلكاته الزراعية[1].

يصف فلاديمير لوتسكي حالة الفساد التي سادت البلاد قبل انتصاب الحماية بصورة سوداوية بقوله: «صرفت أموال طائلة دون فائدة، إذ ابتاع الباي من الانجليز والفرنسيين أسلحة غير صالحة للاستعمال وذخائر حربية لا تنفجر وبواخر غرقت قبل أن تمخر عباب البحر، والخلاصة، دفع الباي أموالا هائلة لابتياع سقط المتاع الذي أراد أصحاب المعامل الانجليزية والفرنسية التخلص منه، ولاقتناء نفايات نبذها جيش هاتين الدولتين»[2]، ويخلص بعد هذه الصورة القاتمة إلى أن تمادي البايات في الإسراف في تبديد الأموال العامة كان السبب الرئيسي لاندلاع انتفاضات شعبية وسخط شديد على السلطة في كل من مدينة تونس 1840م وحلق الوادي 1842م وباجة 1843م.

كان من أسباب هذه الأزمة الإفراط في المصاريف الخاصة بالدولة دون وجود مداخيل كافية لتغطية هذه التكاليف، عند تولي محمد الصادق باي الحكم كان مقدار الديون الخارجية يقارب 20 مليون فرنك فرنسي[3]، مما أدى إلى سياسة الاقتراض التي انتهجها الباي ابتداء من ماي 1863م سواء من التجار اليهود والفرنسيين حيث اقترض35 مليون فرنك بفوائد مرتفعة[4]، أو من البنوك الأوربية وبسبب عجزه عن تسديد الديون[5] تحكمت هذه البنوك في دواليب الاقتصاد التونسي وفرضت كل من فرنسا وايطاليا وبريطانيا على الأيالة احتكار التجارة الخارجية معها بنسبة وصلت إلى 92% من

---

[1] - khalifa Chater, **Introduction … Op.Cit**, P 9.

وكذلك: كمال مايدي، **الأوقاف والملكية العقارية بالبلاد التونسية خلال القرن الثامن عشر الميلادي**، مجلة المفكر، مج 5، العدد1، المركز الجامعي أفلو، الجزائر، جوان 2021، ص 373.

[2] - فلاديمير لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، ط9، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2007، ص 205.

[3] - Léon de Bisson, **Op.Cit**, p 117.

[4] - منى صالحي، **المرجع السابق**، ص 104. وكذلك: Léon de Bisson, **Op.Cit**, p 117

[5] - للتعرف أكثر على مقدار هذه الديون وفوائدها المتأخرة أنظر: محمد بن الخوجة، **المصدر السابق**، ص ص 496 497. وكذلك: Léon de Bisson, **Op.Cit**, p 118

المبادلات التجارية[1]، وارتفعت واردات البلاد من أوروبا في شكل مواد مصنعة ومواد تجهيز ومعدات وأسلحة وتقنيات عصرية...ذات قيمة مرتفع، وفي المقابل تراجعت صادراتها من المواد الفلاحية (حبوب وجلود وزيوت...) ونتيجة لذلك تنامى عجز الميزانيّة التّونسيّة الذي بلغت قيمته 1.739.125 ريالا سنة 1860م، وقد ازدادت الأمور سوءا خلال هذه الفترة بسبب كثرة الاختلاسات للمال العمومي[2]، وعلى سبيل المثال لا الحصر فان محمود بن عياد ومصطفى بن اسماعيل ومصطفى خزندار قاموا بعمليات فساد واختلاس كبيرة اثرت على خزينة الايالة[3]، كما أن الأزمات السياسية والثورات أثرت كثيرا عل خزينة الأيالة على غرار ثورة 1864م التي كلفت الخزينة أكثر من 100 مليون بياستر[4]، وخضعت السياسة المالية لما عرف لاحقا " الكوميسيون المالي" المشكل من الدول الثلاث سابقة الذكر[5]، والذي أوصى بفرض الحماية على تونس بعد وقوعها في حالة الإفلاس المالي[6]، الأمر الذي أثر على نفقات الجيش وتشير المصادر التاريخية إلى جدال عنيف وقع بين الرائد كامبنيون الفرنسي المكلف بتطوير الجيش التونسي والوزير الأكبر مصطفى خزندار[7]، بسبب انهماك الوزير الأكبر في جمع

---

[1] - شاوش حباسي، **الأيالة التونسية قبيل الحماية الفرنسية (1860-1881)**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد6، جامعة الجزائر، الجزائر، 1992، ص 142.

[2] - M'hamed Oualdi, **Le retrait après la disgrâce: Les Khaznadar à Tunis dans la seconde moitié du XIXe siècle**, Cahiers de la Méditerranée, T82, Nice, France, 2011, p 325.

[3] - شوقي الطبيب، **حكايتنا مع الفساد**، مجلة journal de dimanche الالكترونية، تونس، 7 فيفري 2021. على الرابط التالي: https://jdd-tunisie.com/ar/2021/02 وكذلك: M. Dalloz, **Jurisprudence Générale**, Lille 1904, p. 343 .

[4] - Inconnu, **Grandeur et décadence de la dette tunisienne : simple apercu sur l'origine de la dette tunisienne,** Hachette Livre, Paris, France, 1871, p p 6 7.

[5] - فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 43.

[6] - Alfred Rambaud , **Les Affaires de Tunisie : Discours de M. Jules Ferry, publiés avec préface et notes à l'appui**, j. Hetzel et cie Editeurs, Paris, France, 1882, p 24.

[7] - اسمه الحقيقي جيورجيوس سترافلاكيس سياسي تونسي من أصل يوناني، ولد عام1817 بجزيرة خيوس تربّى في عائلة مصطفى باي مع ابنه أحمد باي ونجح خزندار في الارتقاء إلى أعلى المناصب في الدولة التونسية بزواجه من الأميرة كلثوم حيث عينه الباي وزيرا للخزانة العامة للبلاد التونسية في سنة 1837 وتحصّل كذلك على رتبة رئيس مجلس كبار المستشارين للباي من سنة 1862 إلى 1878 ومنها تم تعيينه وزيرا أكبر في حكم محمد باي ومن بعده أخيه الصادق باي بداية من سنة 1855 م، وبجمعه بين منصب وزير المالية في حكومة الباي وحيازته رتبة الوزير الأعظم تمكن من وضع سياسة مالية في فترة دقيقة أضرت بالاقتصاد التونسي وذلك بفرض ضرائب مجحفة على الشعب منتهجا في ذلك سياسة الاقتراض من الحكومة الفرنسية بعدما استبعد الوزيرين خير الدين باشا وأحمد بن أبي الضياف اللّذين كانا يعارضان انفراد مصطفى خزندار بالسلطة المطلقة في تدبير شؤون الدولة وفي عهده تعاظم تأثير قناصل فرنسا وانجلترا وتوفي في26 جويلية 1878 بمدينة تونس.ينظر: محمد تومي، **تاريخ النهب المنظم للخزانة التونسية ودورها في التعجيل بالاحتلال الفرنسي**، جريدة الرأي العام، العدد 1445، بتاريخ 23 جويلية 2020، على الرابط التالي: https://array-alam.com/

الأموال والأملاك وإهماله لأوضاع الجيش المزرية الذي لم يعد قادرا على حماية البلاد[1]، ثم أكمل مصطفى بن إسماعيل[2] الحلقة الأخيرة من مسلسل الفساد المالي الذي تعرضت له الأيالة والذي ساهم بدور بارز في تمكين الفرنسيين من فرض الحماية على البلاد[3].

ومن أمثلة النفقات الباهظة التي تكبدتها خزينة الدولة الفرقاطتين اللتين أمر الباي حسين ببنائهما في مرسيليا بين سنتي 1821–1822م، والتي كلفت إحداهما 500 ألف بياستر في ظل الأزمة التي كانت تعاني منها الخزينة بعد تناقص الموارد المالية الناجمة عن القرصنة[4]، كما أن نفقات مساهمة الأيالة في حرب القرم ناهزت 12 مليون ريال، وهو ضعف إيرادات الدولة سنة 1851–1852م[5].

4– مظاهر الأزمة المالية وآثارها على الجيش:

١– تقليص عدد الآلايات:

أمر محمد باي[6] سنة 1858م بتقليص عدد الآلايات من أجل تخفيض تكاليفها المالية، حيث ضم آلاي المدفعية (الآلاي السابع) وبعض جنود آلاي الخيالة إلى الآلاي الأول الخاص بالمشاة، كما

---

[1] - Alexander Meyrick Broadley, **Op.Cit**, p 124.

[2] - يكنى بأبي النخبة ولد حوالي عام 1850، أسندت إليه الوزارة الكبرى في أواخر عهد محمد الصادق باي، عمل خلالها على جمع ثروة كبيرة واستعمل باستمرار أنواعا من الابتزاز لخدمة مصالحه الشخصية، قضى بقية حياته شريدا فقيرا في اسطنبول وتوفي بها عام 1892. ينظر: علي المحجوب، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تع: عمر بن ضو وحليمة قروري، دار سراس للنشر، تونس، 1986، ص 18. وينظر أيضا: رشاد الإمام، **سيرة مصطفى بن إسماعيل**، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1981، ص ص 5 6. وينظر أيضا:
Comte de Maugny, **la Question de Tunis**, imprimerie typographique kugelmann, Paris, France, 1881, p 4.et : Ernst von Maksudoglu, **Op.Cit**, p165. hesse-wartegg, **Op.Cit**, p 23. Et : Mehmet

[3] - محمد السنوسي، ج1، **المصدر السابق**، ص 430.وكذلك: Mohamed Jouili, **Op.Cit,** p 128.

[4] - Mohamed Hédi Chérif, **Expansion...Op.Cit,** p 740.

[5] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 76.

[6] - محمد باي: ابن حسين باي وثاني من تلقب بالمشير، سافر بالمحلة في عهد مصطفى باي وتقلد ولاية العهد في عهد أحمد باي، ولما تولى حكم الأيالة سنة 1855م أقر سائر رجال الدولة في مناصبهم حيث أبقى خير الدين باشا على وزارة البحر ومصطفى آغا وزيرا للحرب، من أبرز الأحداث في عهده: إصدار وثيقة عهد الأمان تحت ضغط الدول الأوربية وتخفيض أعداد العسكر النظامي كما قام بفرض ضريبة المجبى وقدرها 36 ريالا لمدة مؤقتة لكن الأهالي استمروا في دفعها رغما عنهم. ينظر:علي اللطيّف، **انتفاضة الساحل التونسي سنة 1864 محلة زروق ومعركة القلعة الصغرى**، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2012، ص 141.

ضم الآلاي الثالث والرابع إلى الآلاي الثاني، وقام كذلك بدمج الآلايين الخامس والسادس، أما من بقي من جنود هذه الآلايات دون الحاجة إليه فإنه تم تسريحهم[1]، أما ما بقي زائدا من الضباط على هذه الفرق فسيتم النظر فيه لاحقا، وأصدر الباي أمرا لوزير الحرب مصطفى آغا في هذا الشأن[2]، حسب الإجراءات التي سيتم التطرق إليها لاحقا، وشمل هذا التقليص كذلك القوات المكلفة بحراسة الباي حيث أمر باختيار آلاي واحد من الخيالة لحراسته، مع تأكيده على توفرهم على شروط القوة والفروسية والمروءة[3].

٢- تسريح العسكر:

بدأت عملية تسريح العسكر النظامي في عهد أحمد باي بناء على اقتراح مدير مدرسة باردو الحربية الفرنسي دو تافارن، حيث تم تخفيض عدد قوات الجيش النظامي من 25 ألف إلى 20 ألف رجل فقط، نصفهم تحت السلاح والخدمة اليومية والنصف الآخر في بيوتهم يتم استدعاؤهم عند الضرورة[4]، ثم توالت حالات التسريح فمثلا في جانفي 1853م قامت الحكومة بتسريح كل كتائب المشاة إلا واحدة، أما قوات المدفعية والخيالة فقد احتفظت بالحد الأدنى من الجنود لصيانة المدافع والعناية بالخيول[5]، واستمرت عملية التسريح سنة 1854م وشملت في البداية الجنود الذين طالت مدة خدمتهم في الجيش أو الذين ضعف بدنهم[6]، ثم أكمل محمد باي العملية حيث أصدر مرسوم تسريح العسكر سنة 1858م وكان الهدف من إصداره تقليص النفقات العسكرية والاهتمام بنوعية الجنود عوضا عن عددهم[7]، حيث كان محمد باي يخالف المشير أحمد باي في كثرة الاهتمام بالجيش والإنفاق عليه، حيث قال كما أورد ابن أبي الضياف: «...وحسبنا من العسكر ما نستعين به على

---

[1] - محي الدين المبروك، **المرجع السابق**، ص 117.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي**، **المرجع السابق**، ص 58.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4، **المصدر السابق**، ص 257.

[4] - Alphonse O'Kelly, **Op.Cit**, P 57. Et: 173. Armand de Flaux, **Op.cit**, P

[5] - Jean Ganiage, **Op.Cit,** p 82.

[6] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي**، **المرجع السابق**، ص 59.

[7] - محي الدين المبروك، **المرجع السابق**، ص 117.

الهناء ودوام الراحة وتربية الجُهّال منهم، وأي فائدة في بقاء العسكر محبوس في قشلة تصرف عليه المملكة، مع نقص عمله منها»[1].

وفي نهاية عملية التسريح في عهد محمد باي وصل تعداد الجيش النظامي العامل تحت السلاح 4000 جندي، يضاف لهم كتيبة من الخيالة تعدادها يقارب ألف فارس ليصل مجموع تعداد الجيش إلى 5000 جندي[2]، بينما وصل عدد الجنود المسرحين حوالي 9700 جندي ولم تسلم كتائب حراسة الباي في باردو من هذه العملية إذ تم تقليص أعدادها إلى النصف، ومع نهاية عهد محمد باي كان قد قام بتقليص 3/2 تعداد الجيش الذي تركه سلفه أحمد باي[3].

وقد استعان الباي بقبائل المخزن لتعويض هذا النقص، وذلك لقلة تكاليفها المالية وتصدرت هذه القبائل أيضا عسكر المحلة التي قائد المحال (ولي العهد)[4].

أما في عهد الصادق باي فقد زادت أعداد المسرحين من العسكر نتيجة لعجزه عن دفع رواتبهم لمدة 11 شهرا[5]، فقام سنة 1863م بتسريح جُل العساكر ولم يحتفظ إلا بأربعة آلاف رجل لخدمته، نصفهم يعملون بصفة مستمرة ونصفهم الأخر يعملون بالتناوب في الخدمة كل ثلاثة شهور، وبحلول سنة 1864م تقلص العدد إلى ثلاثة آلاف رجل[6]، موزعين على النحو التالي: 500 في الساحل، 1000 من المدفعية في مدينة تونس، وبين 1200 إلى 1500 من المشاة في تونس وباردو[7]، ووصل الأمر سنة 1871م إلى حد لم يعد يتوفر لدى الباي جنود لحفظ النظام في عموم البلاد[8].

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف، ج4،**المصدر السابق**، ص 256.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي**، **المرجع السابق**، ص 59.

[3] - نفسه، ص 59.

[4] - Emile Cardon, **Op.Cit**, p 43.

[5] - Lisa Anderson, **The state and social transformation in the Tunisia and Libya 1830-1980**, princeton legacy library, New jersey, USA, 1987, p 68.

[6] - Pierre Zaccone, **Op.Cit**, p 217.

[7] - Jean Ganiage, **Op.Cit,** p 84.

[8] - إسماعيل بك سهرنك، ج1، **المصدر السابق**، ص 436.

٣- امتيازات المسرحين من العسكر:

- يحصل العسكر المسرحون مهما كانت رتبتهم بسبب الإصابة البالغة على مرتبهم كاملاً.

- يحصل العسكر المسرحون لأسباب أخرى على راتب أقل إضافة إلى علف خيولهم[1].

5- هروب الجنود من المقرات العسكرية:

- هروب جنود البحرية بسبب سوء أوضاعهم المالية والتنظيمية ومن قبيل ذلك تخلف ما يزيد عن 200 جندي من عساكر البحرية من جزيرة قرقنة[2] وعلى الرغم من أوامر الباي أحمد على جمعهم وإرسالهم إلى حلق الوادي، فان الضابط المكلف بهذه المهمة لم يستطع العثور سوى على 9 جنود منهم فقط[3].

- هروب جنود الساحل أثناء ثورة علي بن غذاهم المذكورة آنفا جراء حالة الانفلات الأمني الكبير، ولم يكتف الجنود بالفرار بالمقرات العسكرية والانضمام للثوار أو الالتحاق بذويهم بل قاموا بتهريب عدد من المدافع الكبيرة لدعم الثورة بهذا السلاح الخطير[4].

- لاذ الكثير من جند البحرية بالفرار من القشلات بسبب سوء أوضاعهم المعيشية والصحية، ولاحقتهم فرقة من الصبايحية وكلفت بالقبض على الهاربين من الخدمة العسكرية، وقد سجل سنة 1863م هروب عدد كبير من الجند وصل حوالي 128 من بين 763عسكريا في حين تخلف عن الخدمة

---

[1] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي...المرجع السابق**، ص 58.

[2] - قرقنة: تقع شمال خليج قابس وشرق مدينة صفاقس تبلغ مساحتها 563 كم، وتتكون من جزيرتين رئيسيتين: الغربية أو الصغرى والشرقية أو الجزيرة الكبرى، يربط بينهما قناة عرضها حوالي 33م ومتصلتان عن طريق جسر تعود آثاره إلى العهد الروماني، من أهم مدنها كلابين. ينظر: La Contesse Drohojowska, **Op.Cit**, p 126. وينظر أيضا: المعهد الوطني للتراث، **الصيد بالشرفية بجزر قرقنة**، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 2017، ص1. ينظر أيضا:

la Résidence générale de la Tunisie, **Op.cit**, p 6.

[3] - أ.و.ت، صن 164، ملف 813، وث 12، رسالة من عصمان أمير عسكر الساحل إلى محمد بن الشيخ قايد صفاقس بتاريخ: 1271هـ/1854م.

[4] - لطفي بوعلي، **التحديث العسكري، المرجع السابق**، ص 55.

20 منهم، إلا أن عدد المقبوض عليهم كان قليلا مقارنة بعدد الهاربين الذي وصل سنة 1865م إلى 724 فارّا[1].

– وفي سنة 1868م استفاد 1900 جندي من سلاحي البحر والبر بإجازة، ولم يعد منهم إلى الخدمة سوى 150جنديا[2].

6– تقليص أعداد المجموعات العسكرية غير النظامية (عسكر زواوة أنموذجا):

بالنظر إلى الوضع الاقتصادي المتردي في عهد حسين باي قام بإجراءات مختلفة لتقليص أعداد الجنود، بما في ذلك المجموعات العسكرية الداعمة للجيش حيث قام بتقليص أعداد عسكر زواوة حتى وصل عددهم في عهده ألفين رجل فقط، ومن بين الإجراءات التي تم اتخاذها في هذا الإطار أنهم كانوا يتقاضون رواتبهم في يوم محدد فإذا ما غاب أحدهم ذلك اليوم يطرد من الخدمة، والهدف من ذلك تقليص أعدادهم وبالتالي تخفيض النفقات المالية[3]، أما في عهد أحمد باي فقد كان 3000 منهم فقط يتقاضون راتبا منتظما، بينما البقية يعيشون حياة مدنية عادية ويتم استدعاؤهم في حالة الضرورة القصوى[4]، ويعزى سبب تقليص عدد هذه المجموعة غير النظامية إلى رغبة السلطة في الاستغناء عن خدماتها تدريجيا خاصة مع تأسيس الجيش النظامي ابتداء من سنة 1831م، إضافة إلى انتشار حالات العصيان في صفوف هذه المجموعات على غرار تمرد سبتمبر 1849م، الذي كان سببه نشوب خلاف بين حرس الباي من زواوة وأميرلاي الخيالة حول ترتيبات استقبال الباي في باردو حيث قام بضربهم وإهانتهم فقاموا بهذا التمرد[5].

تسببت القروض التي استعان بها الباي لسد عجز ميزانية الأيالة بين سنتي 1863—1865 إلى أزمة اقتصادية لها تداعيات سياسية بين تونس والدول الأوربية المقرضة لها (فرنسا—بريطانيا—ايطاليا)، ودخل الطرفان في مفاوضات شاقة دامت 15 شهرا لإيجاد حل لهذه الأزمة واتفقوا على تأسيس

---

[1] - ليلى زغدود، **الحياة اليومية، المرجع السابق**، ص 41.

[2] - الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي، المرجع السابق**، ص ص 189 190.

[3] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص ص 45 46.

[4] - Pierre Zaccone, **Op.Cit**, p 217.

[5] - محجوب السميراني، **المرجع السابق**، ص 120.

كوميسون مالي بتاريخ 6 جويلية 1869م، يضم تونس والدول الثلاث واضطر الباي بضغط من هذه الدول إلى تعيين خير الدين باشا رئيسا لهذا الكوميسون بتاريخ 7 سبتمبر1869م وبذلك أصبح الحاكم الفعلي للبلاد، ونص الاتفاق على حق الباي في التصرف في نصف مداخيل الأيالة بينما يتم توجيه النصف الآخر لتسديد ديون هذه الدول[1].

7- أوضاع الجنود المتردية خلال الأزمة الاقتصادية:

من خلال رسالة بعث بها القنصل الفرنسي بكلار إلى دروين دي لويس بتاريخ 27 مارس 1854م، يصف له فيها حالة الجنود التونسيين فيقول: « كانت كل تلك الفرق في حالة يرثى لها، لا كسوة لها ولا سلاح ولا تجهيز، أنهكها الجوع لشدة الخصاصة وهي عاجزة تماما عن المواجهة»[2]، كما وصف الصحفي الفرنسي Pierre Giffard جنود الباي في نهاية العهد العثماني بقوله: « هم أناس فقراء، يرتدون ملابس سوداء مثل المتعهدين، ويرتدون الطربوش الرث ذو اللون الوردي الباهت، يمشون وأقدامهم عارية وقذرة ، وبعضهم يلبس نعالا قديمة جدا، يحمل بندقية كأنما يحمل المرء مكنسة، يحصلون على ما يعادل 5 سنتيمات في اليوم، وعليهم أن يطعموا أنفسهم بهذه الأجرة، إن أجسامهم هزيلة، حتى أنها أرق من هذه القيمة»[3].

8- موقف الجيش والنخبة من فرض الحماية الفرنسية على تونس:

١- موقف الجيش:

وصل الجيش التونسي عشية فرض الحماية على تونس إلى حافة الهاوية في كافة المجالات، إذ كان من المفترض أن تكون الحاميات قادرة على الصمود إلى أجل غير مسمى، لكنها استسلمت بسهولة لقوات الاحتلال، وكأمثلة على وضعية الجيش في تلم الفترة:

---

[1] - الهادي التيمومي، **تونس والتحديث...المرجع السابق**، ص 179.

[2] - Jean Ganiage, **Op.cit,** p 82.

[3] - Pierre Giffard, **Les français à Tunis**, victor havard éditeur, Paris, France, 1881. P 20.

- حامية قفصة كانت محصنة بسياج فقط، حيث يمكنها استيعاب جيش صغير، يضم عددًا قليلاً فقط من الجنود يشغلون أوقات فراغهم في حياكة الجوارب[1].

٢- موقف النخبة:

من بين ردود الفعل المؤثرة لأفراد النخب المثقفة في تونس نستعرض على سبيل المثال رد فعل الشاعر علي الشوّاشي الباجي وهو من أعيان تونس (توفي سنة 1934) على توقيع الباي معاهدة باردو، والمتمثل في قصيدة بعنوان "**يا مُدَّعي الصّدق**" ويقصد بذلك الصادق باي على إثر توقيعه لمعاهدة باردو في 12 ماي 1881، وهي قصيدة تسلط الأضواء على جوانب منسية من طبيعة مواقف النخبة من حدث الاحتلال[2]، وقد كان هذا الشاعر المتميّز الإمام الخاص لمحمد الصادق باي في مسجده بباردو، لم تمنعه مكانته الخاصة في البلاط ومصالحه لدى أولي الأمر من الانحياز إلى الموقف الوطني الرافض للاستسلام[3].

---

[1] - La Contesse Drohojowska, **op.Cit**, p129.

[2] - انظر أبياتا من هذه القصيدة في الملحق رقم 22.

[3] - زهير بن يوسف، **12 ماي 1881: النّخب الزيتونية وحدث الاحتلال**، موقع تدوينات تونسية الالكتروني، تونس، 12 ماي 2021م، اطلعنا عليه بتاريخ: 24 ماي 2021م على الساعة 11.50، على الرابط التالي: https://tadwinet.net/2021/05/12/12 .

الخاتمة

تميز تاريخ تونس الحديث بميزات وخصائص عدة رسمت مجالها الترابي وتركيبتها الاجتماعية، ومن بين أهم ركائز هذا التاريخ الحافل بالأحداث الجانب العسكري، الذي شكل وتد الرحى الذي تدور حوله كل الأحداث والتطورات، وشكلت مؤسسة الجيش محل الدراسة تطورها وتأثيره على الأوضاع العامة، العنصر الأكثر حيوية في مختلف نواحي الحياة، ومن خلال دراسة هذه الجوانب يمكن استخلاص النقاط التالية:

– كانت أيالة تونس في بداية التواجد العثماني وجقا عسكريا يخضع للأوامر والفرمانات العثمانية، خاصة في فترة حكم الدايات 1591–1631م، ثم شهدت نوعا من الاستقلالية في اتخاذ القرار، تمثّل في ربط علاقات قوية مع بعض الدول الأوربية، ومحاولة تحديث الجيش وفق نظم هذه الدول، إضافة إلى إبرام معاهدات عسكرية وتجارية دون الرجوع للدولة العثمانية.

– عرفت الأيالة تحولا عسكريا داخليا تمثل في تغلب البايات سياسيا وعسكريا على الدايات، الذين انحصر تأثيرهم في حاضرة تونس دون أرباضها، الأمر الذي أدى إلى خلافات وصراعات ومؤامرات كثيرة بين الطرفين، انتهت بالسيطرة المطلقة للبايات على الجيش وبالتالي على السلطة.

– شكلت المحلة أداة عسكرية واقتصادية في ذات الأوان، وذلك باعتبار المدة التي تستغرقها في الجهة التي تنزل بها، تشكل ما يشبه الحكومة المتنقلة بوجود الحاكم المتمثل في باي الأمحال، إضافة إلى كبار قادة الجيش من المماليك وغيرهم وقاضي المحلة والأطباء، أما الجانب الاقتصادي فيمثله جباة الضرائب الذين يتصلون بالقياد والشيوخ المسهلون لمهامهم.

– شكلت المجموعات العسكرية غير النظامية داعما أساسيا للجيش زمن الأزمات والثورات الداخلية وفي مرافقة قوات المحلة، وكانت زواوة أكبر هذه المجموعات وأقدمها في خدمة السلطة في تونس منذ العهد الحفصي، حيث حظيت هذه المجموعات الفاعلة، التي عرفت بقوتها وبطشها بمكانة خاصة لدى السلطة، تمثلت في الاستفادة من بعض الامتيازات المالية والفلاحية والعقارات وغيرها، لكن دورها انحصر بشدة وتقلصت أعدادها بعد تأسيس الجيش النظامي في عهد احمد باي وخليفته محمد باي، لكن الصادق باي أعاد الاعتبار إليها بعد الأزمة الكبرى في سنة 1864م حين ظهرت هشاشة الجيش وضعفه في أوقات الشدة، فقامت المجموعات غير النظامية بدور كبير في القضاء على الثورة وقامت السلطة بالمقابل بتلبية مطالبها المادية.

– تمتعت مؤسسة الجيش بعدة امتيازات تتمثل في الإقامة بقشلات وثكنات تتوفر بها شروط الحياة اليومية كالإطعام والإيواء ونظام التناوب على الحراسة، ومن بين الامتيازات الأخرى الراتب الذي

كان يختلف حسب رتبة الضابط أو الجندي ، وكثيرا ما أثار هذا الامتياز أحداث شغب وثورات لأسباب عديدة، كالتأخر في تسديده أو المطالبة بزيادته على سبيل المثال.

– قام المشير أحمد باي بجهود كبيرة لتحديث الجيش تأسيا بما وصلت إليه الجيوش الأوربية وقتئذ، من تنظيم وتدريب وتعليم وتسليح وغيرها من عناصر التحديث، وانتدب لإتمام مشروعه نخبة من أنصار التحديث كالشيخ محمود قابادو والشيخ محمد بيرم الخامس وغيرهم، ومجموعة من الضباط الأجانب، خاصة الفرنسيين الذين لعبوا دورا بارزا في تدريب الجيش النظامي، وتعليمه العسكري، وفي تسيير مدرسة باردو الحربية.

– تعددت ملامح تأثير تطور الجيش فمن الجانب الاجتماعي تجلت في العلاقة مع القبائل، حيث استطاعت السلطة تطويع القبائل وإدخالها في حوزتها بعد قرون من التمردات وتقلب الولاءات، الذي عرفت به القبائل الحدودية، خاصة الحنانشة وطرود وغيرهما.

– أما من الجانب الاقتصادي كان تأثير الجيش ذو حدين أولهما إيجابي تمثل في موارد القرصنة البحرية خلال القرنين 17و18 الميلاديين، وبعد ضعف موارد القرصنة ساهم الجيش في تنشيط التجارة الداخلية من خلال حماية القوافل، واستطاع كذلك منع الأتاوة السنوية التي كانت تفرضها أيالة الجزائر على تونس إلى غاية سنة 1807م. أما الجانب السلبي فيتمثل في تفشي حالات كثيرة من الاستيلاء على المال العام، والامتيازات المختلفة مثل امتلاك الهناشير الكبيرة والسكنات العصرية.

– أما من الناحية الثقافية فقد ساهم عدد من كبار قادة الجيش في الاهتمام بالمدارس والمعاهد بدافع حبهم للعلم، ومن أبرز هؤلاء: إبراهيم بن محمد مدمير الحنفي، محمد البلوكباشي، الحاج إسماعيل سانية وغيرهم، إضافة إلى عدد معتبر من المخطوطات التي ألفها أساتذة المدرسة الحربية بباردو وتلامذتها، لتي تدل على المستوى التعليمي الرفيع، الذي وصلت إليه المدرسة، ومحاولتها تأسيس تعليم عسكري مبني على التوثيق مثل مخطوط كتاب التعاليم الحربية بالمملكة التونسية سنة 1845م، والترجمة مثل مخطوط مجموع قوانين أحكام عسكر البرية من الفرنسية إلى العربية 1857م.

– تنوعت التركيبة السكانية للأيالة بتنوع العناصر المشكلة لها، الذين قدموا إليها تباعا بدوافع مختلفة في المنشأ متشابهة في الهدف، التي جعلتها تستقر بالبلاد التونسية وتتفاعل مع باقي الفئات الأخرى، وتشكلت هذه التركيبة المجتمعية من: الأتراك وهم أصحاب السلطة والنفوذ وينتمي اغلب الدايات لهذه الفئة، والأعلاج وهم اقل شأنا من الفئة الأولى وعرفوا بنشاطهم البحري والعسكري، ثم

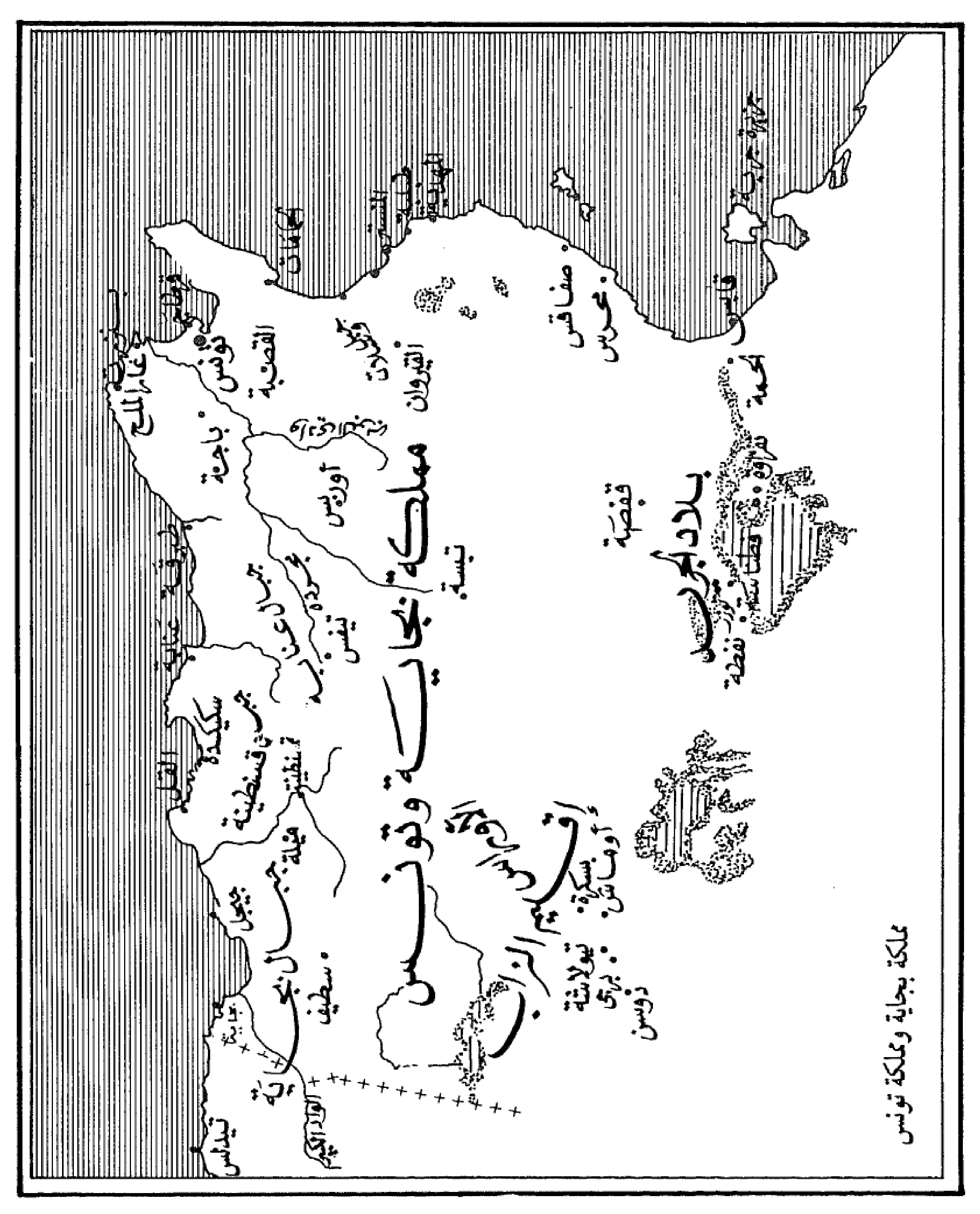
الحضر وأغلبهم من الأندلسيين الفارين من لظى الإبادة بالأندلس، وتميزوا بإتقانهم لصناعة بعض الأسلحة خاصة سلاح المدفعية والحرف والزراعة والري، ومن الفئات أيضا اليهود الذين تواجدوا في المدن الكبرى ومارسوا التجارة والمعاملات الربوية. كما عرفت تونس وجود جالية أوربية تشكلت أساسا من الفرنسيين والانجليز والايطاليين كانوا يحظون برعاية قنصليات بلدانهم ومارسوا التجارة والصيد.

– مارس الدايات ومن بعدهم البايات أشكالا من العنف والتعسف في فرض الضرائب على القبائل، ولم يراعوا في ذلك الأوضاع المعيشية للسكان الذين كانوا بين مطرقة الفقر وسندان الجفاف، ونتيجة لهذا التعسف والظلم عرفت الأيالة ردود فعل عنيفة، تمثلت في الثورات والعصيان المدني ورفض دفع الإعانة المفروضة، ولعل أبرز ردود الفعل هذه ثورة علي بن غذاهم سنة 1864م، التي عمّت معظم أرجاء البلاد وكادت أن تُقّوض أركان البيت الحسيني.

– صفوة القول أن الجيش التونسي في العهد العثماني تطور بصفة معتبرة من نواة عسكرية صغيرة سنة 1574م إلى جيش منظم يضم عدة أقسام وفرق، ويخضع للتدريب والتعليم. واستطاع هذا الجيش تأمين حدود الأيالة وفرض النظام داخلها.كما قدم الدعم والمساندة للدولة العثمانية في عديد الحروب والثورات الداخلية. وقد ساهمت القوانين المتعددة في عهد الإصلاح من تنظيم الجيش والعلاقة بين أفراده والترقيات والتجنيد وغيرها من الأمور، لكن قطار التحديث الذي أطلقه أحمد باي اصطدم بعراقيل مختلفة أبطأت طموحاته، على غرار الصعوبات المالية ونفور بعض الفاعلين في المجتمع والجيش من تقليد الجيوش الأوربية، إضافة إلى الاستعجال في تنفيذ عملية التحديث ن توفير الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لذلك، هو ما ظهر جليا في أول اختبار حقيقي له عند اندلا ع ثورة 1864م وفشله في إخمادها إلا بعد مساندة الدول الأوربية، ثم دوره الضعيف في التصدي للجيش الفرنسي عند غزوه للبلاد وفرضه الحماية عليها في 12 ماي 1881م.

الملاحق

الملحق رقم1: خريطة مملكة تونس وبجاية (الحفصية) خلال القرن 16م:[1]



[1] - الحسن الوزان، ج 2، **المصدر السابق**، ص 47.

الملحق رقم 2: منظر لقلعة حلق الوادي[1] :



[1] – مجهول، **قلعة حلق الوادي**، موقع Archiqoo الالكتروني، الرابط التالي:
https://archiqoo.com/locations/fort_goulette_ar.php .، اطلعت عليه بتاريخ 15 جويلية 2020، على الساعة 20.10.

الملحق رقم 3: لوحة زيتية تمثل المحلة (181/220سم) تمثل معسكر المحلة خلال منتصف القرن 19م:[1]



[1] – لوحة زيتية **للفنان جيوزيبي أنكونا (1868) –** المتحف العسكري قصر الوردة

الملحق رقم 4: رسالة من القبائل التونسية للصادق باي تتضمن عدة مطالب:[1]

بعض مطالب الأهالي للباي محمد الصادق الواردة في الوثيقة أعلاه:

[1] – Azzedine Guellouz et autres, T3, **op.Cit**, p 401.

الفصل الأول: العفو عمن سجن في الجنايات

الفصل الثالث: انتصاب الحكم لمولانا أيده الله على العادة السابقة

الفصل الرابع: إبطال المكوس بالكلية

الفصل الخامس:إبطال اخذ الدية من عمالة مولانا أيده الله

الفصل السادس:يؤدى على الذات الواحدة من بلغ الحلم عشرة ريالات صغرى

الفصل السابع: يؤدى على الماشية الواحدة عشر ريالات سكت ما ذكر

الفصل الثامن: ترك الأمكاس بخارج الأسواق

الفصل التاسع:رجوع بيع العبيد كما كان سابقا

الفصل الحادي عشر: يكون النخيل والزيتون على العادة التي رتبها من خدم المنعم سيدنا احمد باشا باي

الفصل الثاني عشر: ترك من بقي على رعايا من عهد من سابقه

الفصل الثالث عشر: الأحباس الموقوفة على عادتها السابقة

الملحق رقم 5: مضمون معاهدة الصلح بين أيالتي تونس والجزائر سنة 1628م[1]:

[1] – ا.و.ت، دفتر رقم 2847، وث 2.

الملحق رقم 6: وثيقة تبرز مساعدة تونسية للدولة العثمانية في حربها مع روسيا سنة 1876م:[1]

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الصدارة العظمى الرفيعة المقدار محمودة المساعي والآثار المتواتر بالهامن المعالي في جميع الاقطار الغنية عن تعداد مزاياها
المتكاثرة بما لها من الظهور والاشتهار صدارة فخر الصدور الاعيان ومن لا يختلف في كمالاته اثنان الصدر الاعظم المشير الافخم
السيد محمد رشدي باشا لا زالت الصدارة به محروسة والاكابر بسياسته الجميلة مرؤوسة امابعد التحية المناسبة لهذه الرتبة العلية
والفخامة السنية فالمنهى بجلال الصدارة العظمى ان الواصل بجنابها مع هذا كمبيالات في مائة الف فرنك على مرسيليا حالة وذلك
من المقدار الذي اجتمع للاعانة على الحرب والله تعالى يديم بكم دست الصدارة عاليا وبمآثركم الجميلة حاليا والسلام من معظم القدر العالي
ومجله الفقير لربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى وكتب في ٧ شوال سنة ١٢٩٣

---

[1] – الموقع الالكتروني للمنتدى الثقافي، على الرابط التالي: https://www.forumculturel.net/2019/03/01/

وكذلك: صفحة **تونس في وثائق في الأرشيف العثماني** على الفايسبوك على الرابط التالي: https://www.facebook.com/.

الملحق رقم 7: لوحة تمثل البعثة العسكرية التونسية التي شاركت في حرب القرم 1856م[1] :



[1] – زاهر كمون، **ذاكرة تونس من خلال اللوحات الزيتية من خير الدين إلى بورقيبة،** على الرابط التالي: http://zaherkammoun.com/2020/04/10/expositionpeinture/#jp-carousel-15819 ، اطلعت عليه يوم 13 أوت 2021، على الساعة 23.50

الملحق رقم 8: سلاح المدفعية مدفع متنقل من القرن 19م[1] :



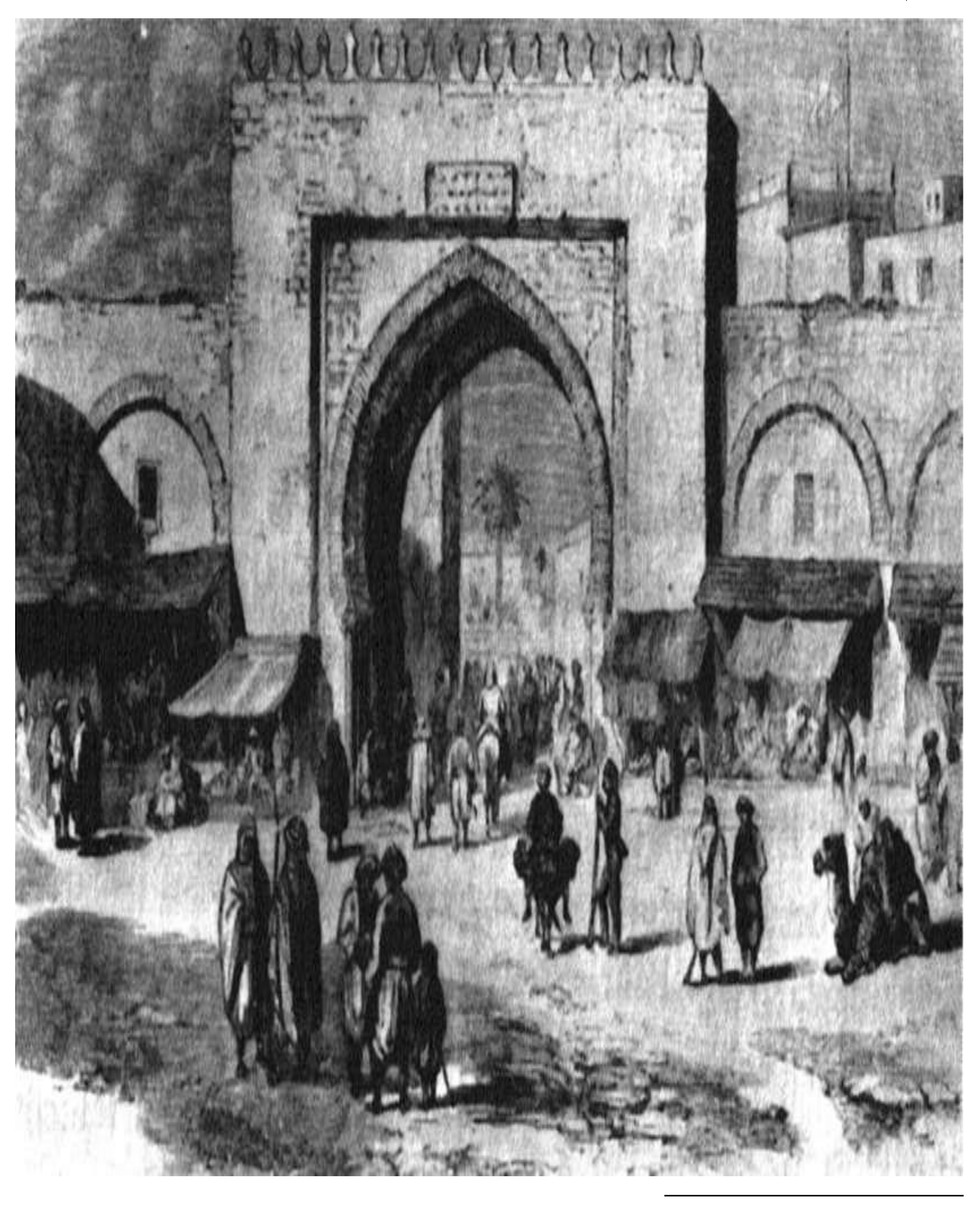
مدافع خاصة بالحصون[2]:



[1] – المتحف العسكري بقصر الوردة، تونس

[2] – اريك توماس، **المديونية: السلاح الذي مكن فرنسا من السطو على تونس**، تر: محمّد أسامة الأخزوري ومختار بن حفصة، مقال الكتروني، على الرابط التالي: https://arabic.cadtm.org/ /، اطلعت عليه بتاريخ: 8 أوت 2021، على الساعة 16.40.

الملحق رقم 9: لوحة لباب البحر أحد أبواب سور مدينة تونس رسمت سنة 1879م[1]:



1 – Jean Ganiage, **Les Origines …op.Cit,** p 191.

الملحق رقم 10: وثيقة رواتب بعض أطباء الجيش سنة 1285هـ/ 1868-1869م:[1]

[1] – ا.و.ت، صن 165 ملف831 وث 37 بتاريخ 1285هـ/ 1868– 1869م.

الملحق رقم 11: صورة تمثل نياشين وأوسمة للجيش النظامي:[1]



[1] – المتحف العسكري بقصر الوردة، تونس

الملحق رقم 12: صفحة من مخطوط مختصر الحركات الرياضية للجيش:[1]



٨٤

الفصل في الصعود مع حبل العقد والهبوط معه

ويكون فعل تلك الحركة على مقتضى القواعد المقررة

بالشكل يسمى الفصل في الصعود والهبوط

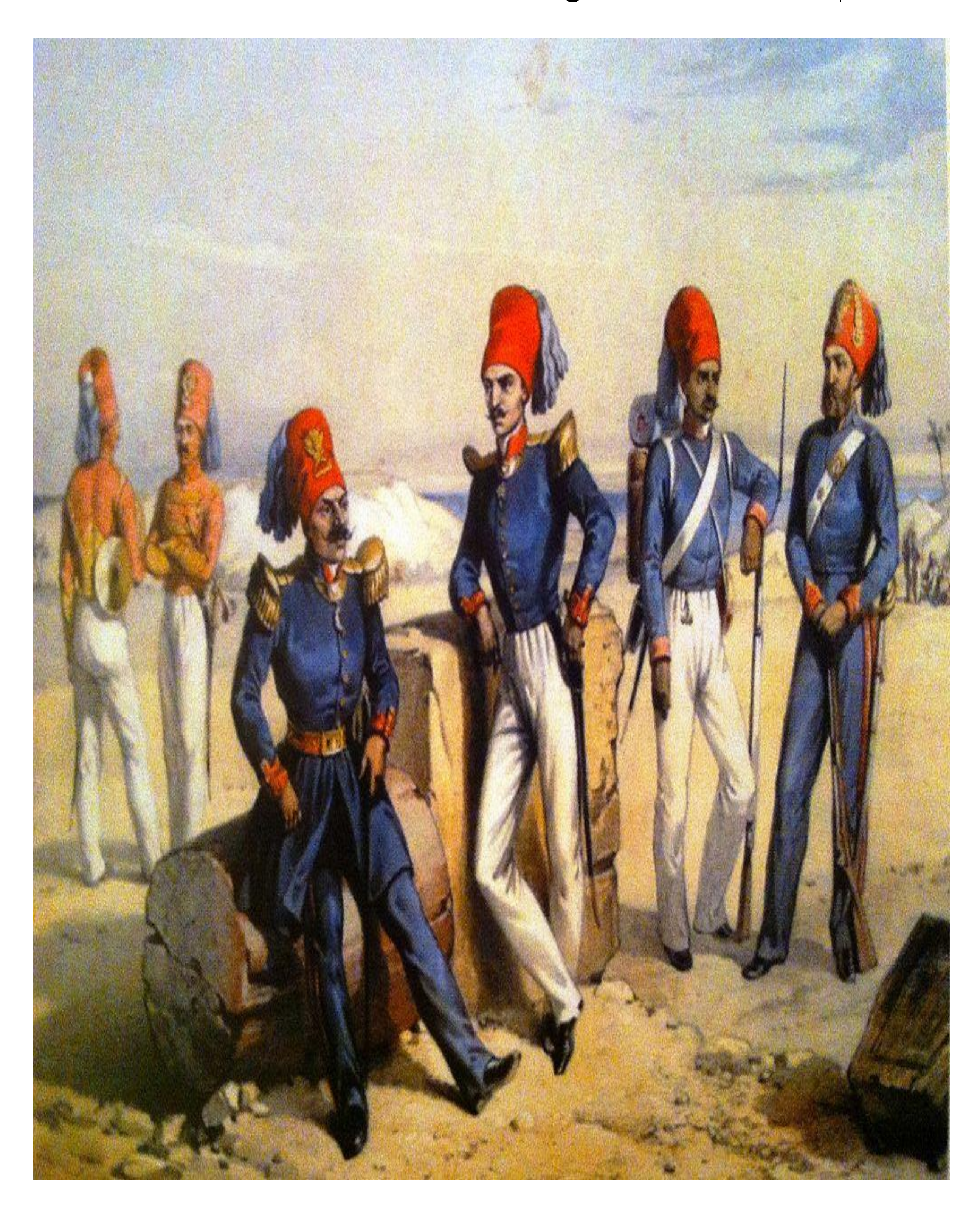
مع حبل أملس

كما بالشكل

---

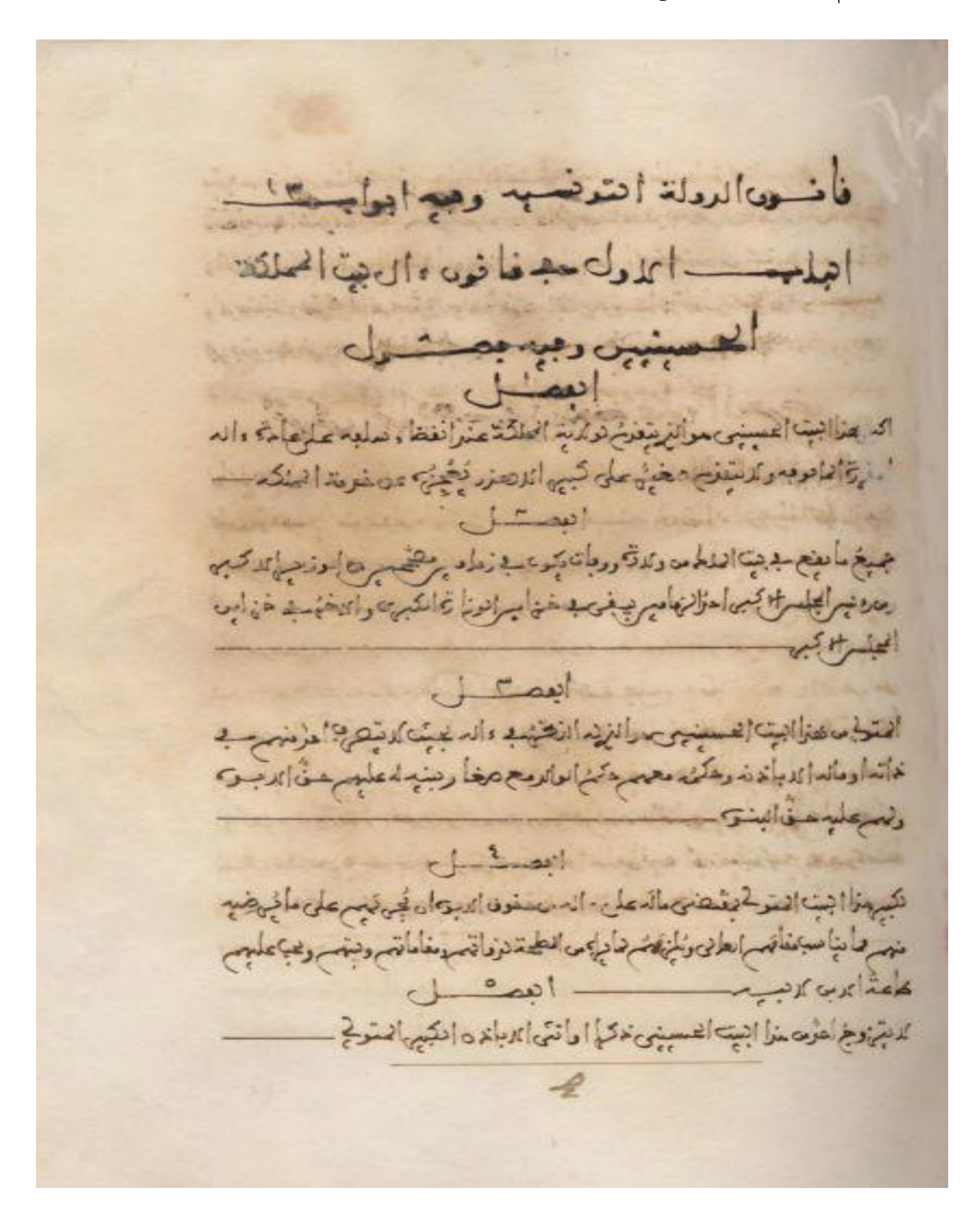
[1] – محمد حمدان، **مخطوط مختصر الحركات الرياضة للجيش"(1866م)**، موقع ثقافة وتراث تونس في صور، بتاريخ 2 جانفي 2021، على الرابط التالي: https://cultpatr.blogspot.com/2021/01/illustrations-dun-manuscrit-miltaire.html.

الملحق رقم 13: صورة لبعض جنود سلاح البحرية:[1]



[1] – Habib boulares, **op.Cit**, p448.

الملحق رقم14: الصفحة الأولى من قانون الدولة التونسية:[1]



قانون الدولة التونسية وفيه أبواب 13

الباب الأول في قانون أهل بيت المملكة

الحسينيين وفيه فصول

الفصل 1

الكبير من هذا البيت الحسيني هو الذي يتقدم لولاية المملكة عند انقضاء دولة من قبله على عادة أهل [illegible] ولا يتقدم غيره على الكبير إلا لعذر يعجزه عن خدمة المملكة

الفصل 2

جميع ما يقع في بيت الملك من ولادة ووفاة يكون في زمام [illegible] المجلس الأكبر [illegible] الكبير [illegible] المجلس الأكبر

الفصل 3

المتولي من هذا البيت الحسيني هو الذي له الرئاسة على أهل البيت لا يتصرف أحد منهم في ذاته أو ماله إلا بإذنه وحكمه معهم حكم الوالد مع أولاده صغارا [illegible] له عليهم حق الأبوة ولهم عليه حق البنوة

الفصل 4

الكبير من هذا البيت المتولي يقتضي ما له عليهم من حقوق الأبوة أن يجري نفقتهم على ما يجري [illegible] منهم ما يناسب مقاماتهم العالي [illegible] ذواتهم ومقاماتهم ودينهم ويجب عليهم طاعة [illegible]

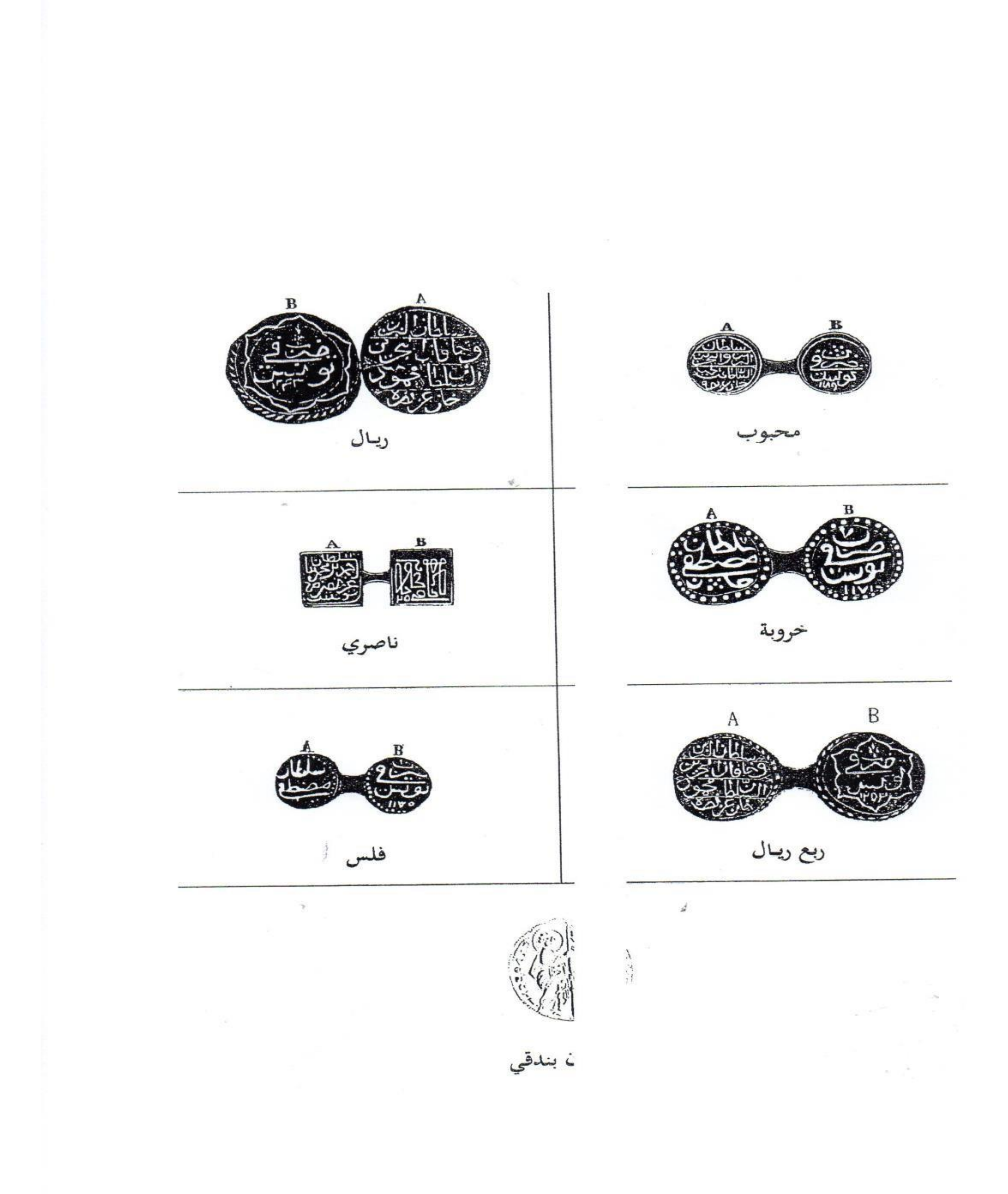
الفصل 5

لا يتزوج أحد من هذا البيت الحسيني ذكرا أو أنثى إلا بإذن الكبير المتولي

---

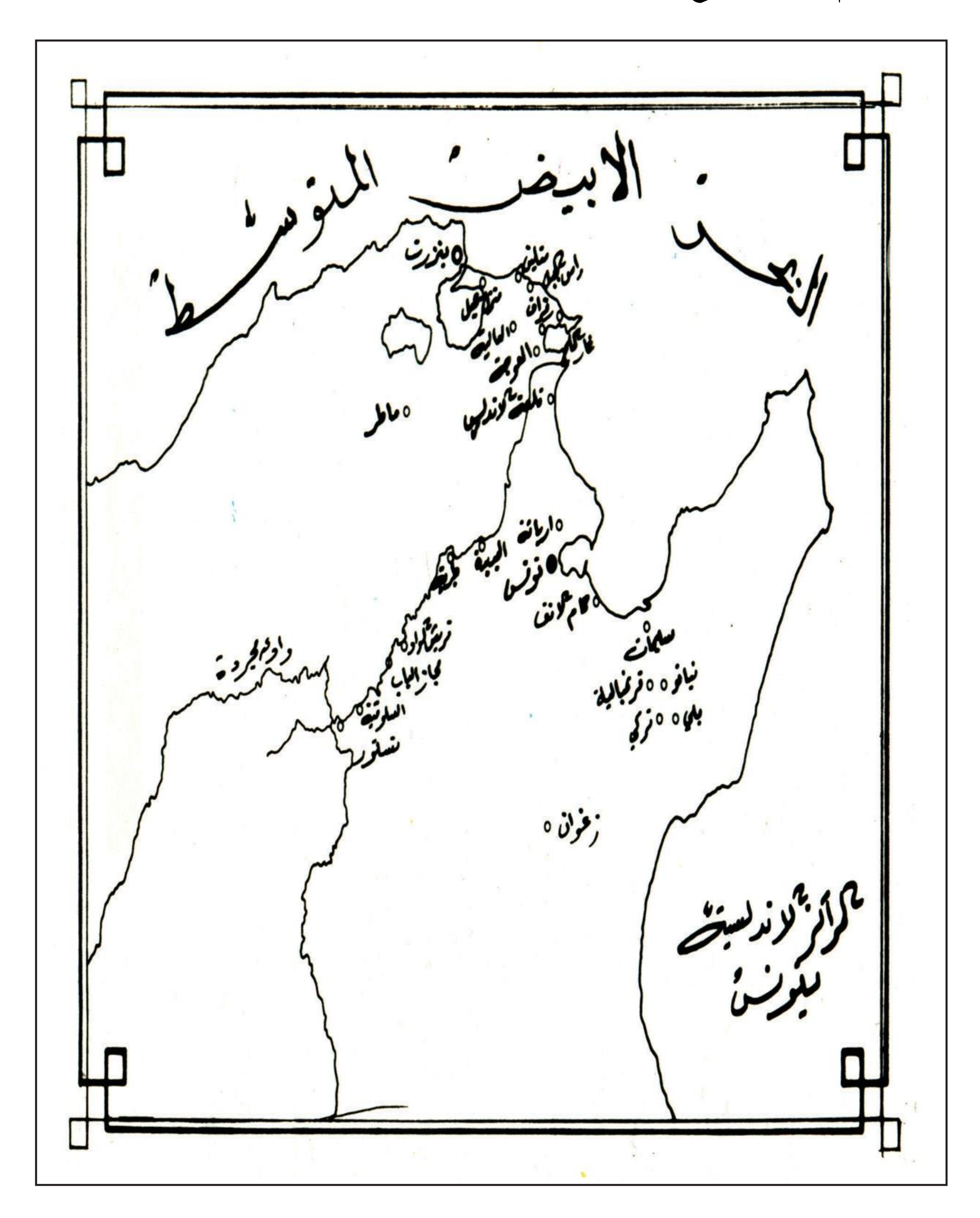
[1] – https://1.bp.blogspot.com/-.

الملحق رقم 15: صور لعملات تم تداولها في تونس خلال العهد العثماني:[1]



[1] – Louis Frank, **Op.Cit**. p p 217 218. Et: Larousse société, **Grand Larousse Encyclopédique**, vol 10, librairie Larousse, Paris, France, 1962, p 759.

الملحق رقم16: خريطة توزع الأندلسيين بتونس:[1]

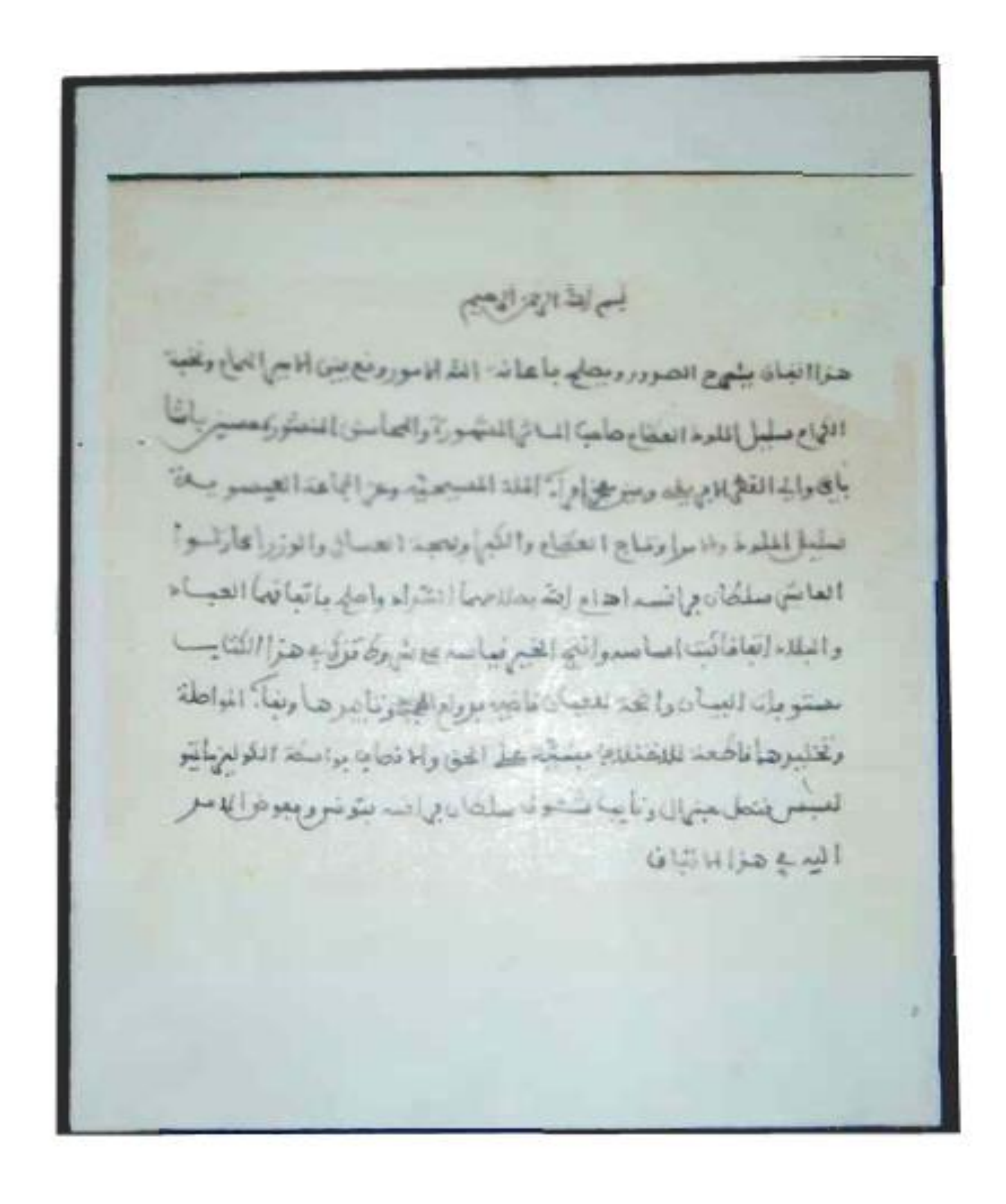


[1] – محرز الزين، **الهجرة الأندلسية...المرجع السابق**، ص 88.

الملحق رقم 17: رسالة خير الدين باشا إلى الكومسيون المالي حول تعويض هنشير النفيضة بالجراية العمرية:[1]

[1] – ماهر جعيدان، **الرسم العقاري 6648.. هنشير النفيضة غنيمة الدولة عبر العصور**، موقع تونس Ultra الالكتروني، بتاريخ: 19 جانفي 2019، على الرابط التالي: .https://ultratunisia.ultrasawt.com/

الملحق رقم18: الصفحة الأولى من المعاهدة التونسية الفرنسية أوت 1830م:[1]



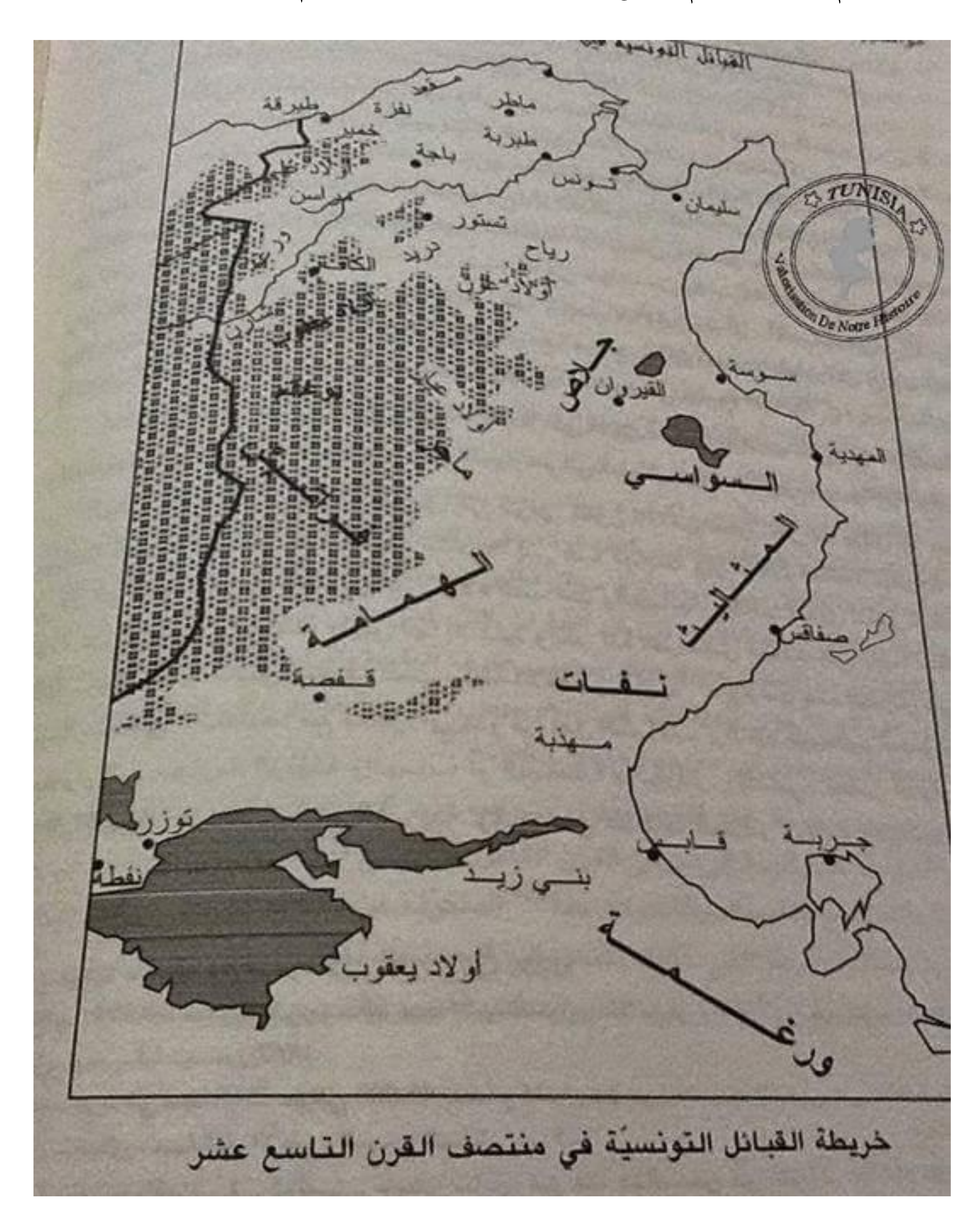
بسم الله الرحمن الرحيم

هذا اتفاق يشرح الصدور ويصلح بإعانة الله الأمور وقع بين الأمير الهمام ونخبة
الأعلام سليل الملوك العظام صاحب المآثر المشهورة والمحاسن المنشورة حسين باشا
باي والي القطر الإفريقي ومن يحل محله وبين فخر أمراء الملة المسيحية وعز الجماعة العيسوية
سليل الملوك والأمراء وتاج العظماء والكبراء ونخبة العساكر والوزراء شارل العاشر
سلطان فرانسة أدام الله بينهما الاتحاد وأصلح بإيثارهما العباد
والبلاد اتفاقا ثبت أساسه ونمى الخير غراسه على شروط ترتب في هذا الكتاب
[illegible] البيان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وبعد المواطئة
وتقريرها [illegible] للاصطلاح مبنية على الحق والانصاف بواسطة القونسل ماتيو
لسبس [illegible] [illegible] ونائب شؤون سلطان فرانسة بتونس ومفوض الأمر
إليه في هذا الاتفاق

---

[1] – موقع وزارة العدل التونسية، على الرابط التالي: https://www.justice.gov.tn/index.php?id=447 .

الملحق رقم 19: خريطة أهم القبائل التونسية الكبرى خلال القرن 19م:[1]



خريطة القبائل التونسيّة في منتصف القرن التاسع عشر

1 – Habib boulares, **op.Cit**, p476.

الملحق رقم20: دار بن عبد الله: - واجهة دار بن عبد الله:[1]



- بهو دار بن عبد الله:[2]

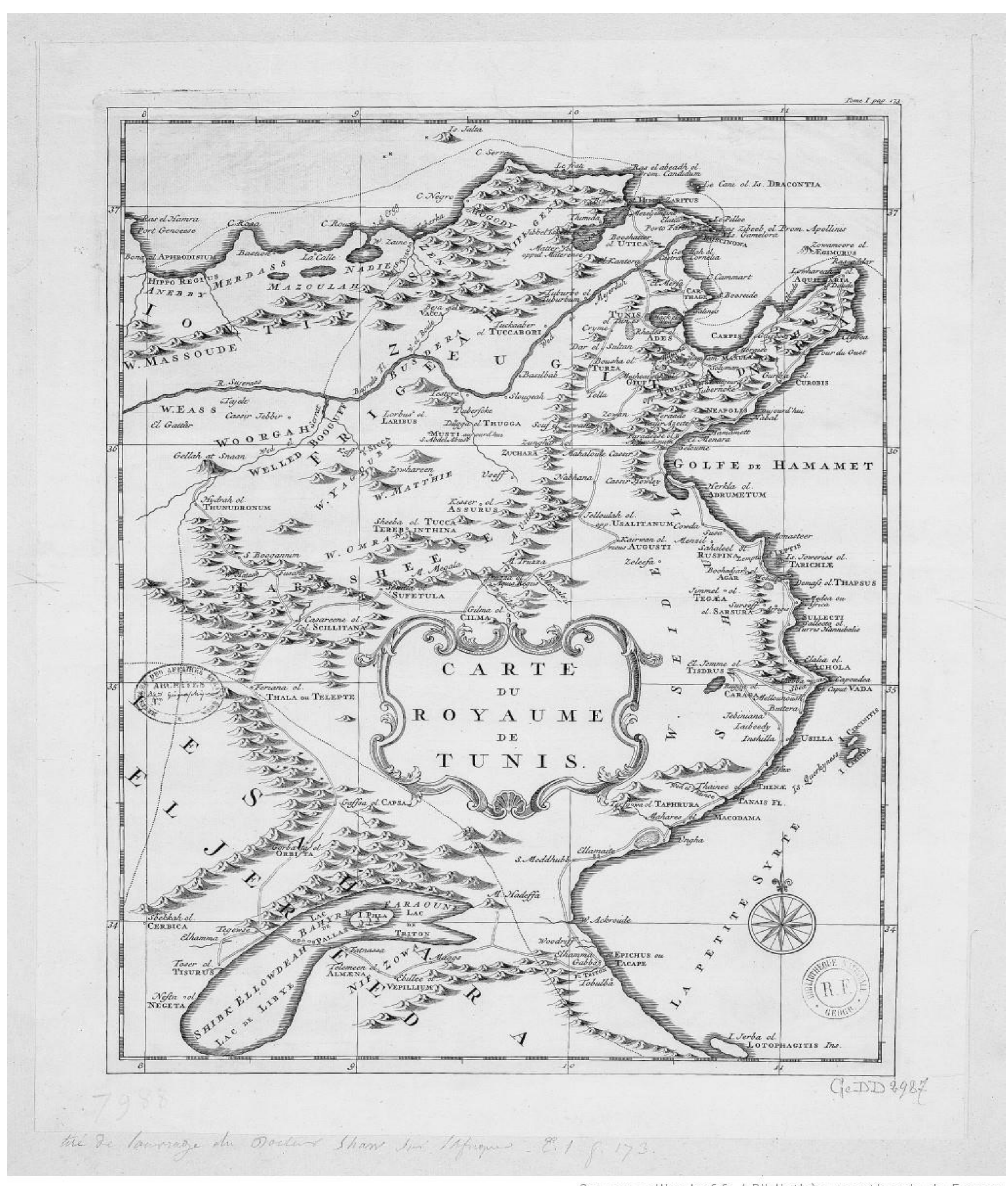


[1] – المعهد الوطني للتراث، **متحف الفنون والتقاليد الشعبية دار بن عبد الله بتونس،** على الرابط التالي:

. http://www.inp.rnrt.tn/

[2] – نفسه

الملحق رقم21: خريطة أيالة تونس في القرن 19م:[1]



[1] – gallica.bnf.fr/ bibliothéque nationale de France

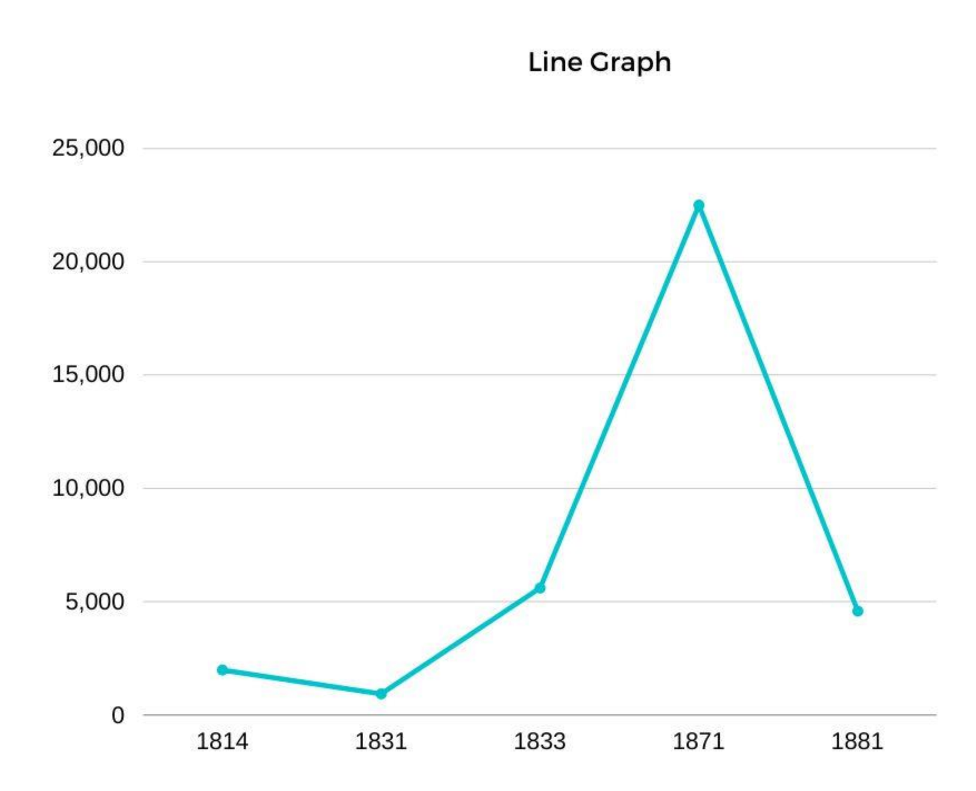
الملحق رقم22: أبيات من قصيدة " يامدعي الصدق" للشاعر علي الشوّاشي الباجي:[1]

يا مُدَّعي الصدق بين العُرب و العَجَم *** لقد تحوّلتَ من صدق إلى كـذب
هل مَسّك الضُّر أو لاحت بـوارقُه *** على سَمَا قصرك الموعـود للعب
أم غرّك النّذلُ و استولى عليك بما *** تراه مُقتضيا لعقلك الخـــرب
أو ضافك النّحسُ و الأجفانُ ساهدةٌ *** فجُدت للضيف بالخضـرا بلا سبب
بعت الورى للعــدى بتًّا بلا ثمن *** تبّت يدا البائع الملعون في الكُتب
ماذا تقولُ و قد شُوهدت في ملإ *** كأنّ نشأتَه مـن طيـنة الغضب
مُصفّدا زائغَ العينين مُعتقـلا *** تمشي على النار مشي الخاسر الهرب
آه على سنجق الإسلام مزّقه *** علج من الأغبيـــاء قد باء بالغضب
لهفي على تونس الغراء باكية *** يهيـمُ أبطالـــها في الأبِّ والحطَب

---

[1] - زهير بن يوسف، **12 ماي 1881: النّخب الزيتونية وحدث الاحتلال**، موقع تدوينات تونسية الالكتروني، تونس، 12 ماي 2021م، اطلعنا عليه بتاريخ: 24 ماي 2021م على الساعة 11.50، على الرابط التالي: https://tadwinet.net/2021/05/12/12 .

الملحق رقم23: منحنى بياني يمثل تطور وتناقص تعداد الجيش النظامي:



قائمة المصادر والمراجع

أولا– قائمة المصادر والمراجع

1– المصادر العربية والمعربة:

- الوثائق الأرشيفية (وثائق من الأرشيف الوطني التونسي):

الدفاتر الجبائية

1. ا. و.ت، الدفتر رقم 645.
2. ا. و.ت، الدفتر رقم 1679.
3. ا.و.ت، الدفتر رقم 142.
4. ا. و.ت، الدفتر رقم 1.
5. ا. و.ت، الدفتر رقم 3.
6. ا. و.ت، الدفتر رقم 555.
7. ا.و.ت، الدفتر رقم 3355.
8. ا.و.ت، الدفتر رقم 2847 وث 2.

السلاسل التاريخية:

1. ا.و.ت، صن 144، ملف 556، وث 8.
2. ا.و.ت، صن 157، ملف 686، وث 101.
3. ا.و.ت، صن 164، ملف 811، وث رقم 12.
4. أ.و.ت، صن 164، ملف 813، وث 12.
5. أ.و.ت، صن 165 ملف831 وث 37 بتاريخ 1285هـ/ 1868م– 1896م.
6. ا.و.ت، صن 165، ملف 830، وث 17.

- المصادر المخطوطة:(المكتبة الوطنية التونسية)

1. رشيد الجنرال، **رسالة في الجزاء العسكري الفرنسي**، ا.و.ت، مخطوط رقم: 18005.
2. بن سلامة محمد، **العقد المنضد في أخبار المشير أحمد**، دار الكتب الوطنية، مخطوط رقم 18618.

- **المصادر المخطوطة المصورة:**

1. أسعد أفندي، **مخطوط خلاصة أحوال تونس غرب**.

- **المصادر المخطوطة المحققة:**

1. العدواني محمد، **تاريخ العدواني**، ط1، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.

- **المصادر المطبوعة:**

1. ابن أبي الضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج 2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.

2. ابن أبي الضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج3، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1999.

3. ابن أبي الضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج4، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، د.س.

4. ابن أبي الضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج7، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1999.

5. ابن أبي الضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج8، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، د.س.

6. ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط 3، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993.

7. أبو العباس احمد المقريزي تقي الدين، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج7، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان،1997.

8. بن محمد بن عبد العزيز حمودة، **الكتاب الباشي**، تح: محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.

9. القلقشندي أحمد بن علي، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

10. المسعودي الباجي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ط1، تح وتع : محمد زينهم عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2013.

11. الأندلسي محمد بن محمد (الوزير السراج)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج 2، ط1، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1985.

12. الناصري أبو العباس أحمد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

13. وثيقة دستور 1861.

المصادر الأجنبية:

1. Bey djevad, **Etat militaire ottoman depuis la fondation de l'empire jusqu'à nos jours**, T1, tra: Georges Macridés, Ernest Leroux Editeur, Paris, France,1882.
2. Braudel Ferdinand, **El Mediterraneo y el mundo mediterraneo en la epoca de felipe II**, T 2, fondo de cultura Economica, Mexico ,1987.
3. Braudel Ferdinand, **les espagnols et l'afrique du nord de 1492 a 1577**, R A, vol 69, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1928.
4. Braudel Ferdinand, **the Mediterranean and the Mediterranean world in the age of Philip II**, vol II, tra: Sian Reynolds, University of California press, Berkeley, USA, 1995.
5. Chalmers George, **A Collection of Treaties Between Great Britain and Other Powers**, Vol 2, Printed for J. Stockdale, Piccadilly. London, UK, 1790.

6. d'Arvieux Laurent, **Mémoires du chevalier d'Arvieux, envoyé extraordinaire du Roy à la Porte, consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et autres Échelles du Levant: contenant ses…,** Jean-Baptiste Labat éditeur, Lyon, France, 1735.
7. De Grammont Henri Delmas, **Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIe siècle,... par La Mission *de* Sanson Napollon (1628-1633),** Adolphe Jourdan libraire - éditeur, Alger, 1880.
8. de Haedo Fray Diego, **Histoire des Rois d'Alger**, Tra: H.D.Grammont, Adolphe Jourdan libraire –Éditeur, Alger, 1875.
9. de raynaud Edmond Pellissier, **description de la régence de Tunis**, 1ér partie, Imprimerie Impériale, Paris, France, 1853.
10. des Arcs Anselme, **Mémoires pour servir à l'histoire de la mission des capucins dans la régence de Tunis 1624-1865**, Archives Générales de l'ordre des capucins, Rome, Italie, 1889.
11. Heusseïn Général**, Lettre du général Heusseïn au collège de la défense du gouvernement tunisien, dans l'affaire du caïd Nessim Samama,** Typographie et Lithographie Ves renou, Paris, France, 1878.
12. Khawajah Abuo Abd Allah husayn, **History of the conquest of Tunis and of the Goletta by the ottomans A.H 981(A.D 1573)**, tra: J.T.Carletti, Trubner & co, London, UK, 1883.
13. Shaw Dr., **Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc. de cet état**, MARLLN, éditeur, Paris, France, 1830.
14. von Hesse-wartegg Ernst, **Tunis: the land and the people**, chatto & Windes, Piccadilly, London, UK, 1882.

2- المراجع العربية والمعربة:

1. أبو حمدان سمير، **خير الدين التونسي**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1993.

2. أبو خليل شوقي، **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة-القصر الكبير**، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1988.

3. أبوصوة محمود أحمد، **دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط**، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 2000.

4. الأرقش دلندة وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003.

5. الإمام رشاد، **سيرة مصطفى بن إسماعيل**، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1981.

6. أمين أحمد، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، سلسلة موسوعة أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1979.

7. اوغوث ب .أ. وآخرون، **تاريخ إفريقيا العام** ، مج 5، اليونسكو، د.س.

8. ايشبودان العربي، **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة**، تر: جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

9. ايفانوف نيقولاي، **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، تر: يوسف عطا الله ، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988.

10. وولف جون ب، **الجزائر وأوربا 1500-1830**، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد وعالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

11. بارت هاينريش، **سبع رسائل مخطوطة عن رحلته إلى تونس 1845-1846م**، تح وتع، منير الفندري، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1987.

12. الباروني عمر محمد، **الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس، ليبيا، 1952.

13. بدوي جمال، **محمد علي وأولاده بناة مصر الحديثة**، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 1999.

14. بربروس خير الدين، **مذكرات خير الدين**، تر: محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010.

15. برنشفيك روبار، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م**، ج2، ط1، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988

16. بروشين نيكولاي أيليتش، **تاريخ ليبيا من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، ط2، تر وتح :عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،2001.

17. البشروش توفيق، **جمهورية الدايات في تونس 1591-1675**، شركة اوربيس، تونس، 1992.

18. بك النائب الأنصاري أحمد، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د.س.

19. بك سهرنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار**، ط1، ج 1، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1894.

20. البكوش عيسى، **شخصية حمودة باشا المرادي**، أعمال منتدى الفكر، السلسلة الرابعة، أريانة، تونس، 24 مارس 2010

21. بن الخوجة محمد، **صفحات من تاريخ تونس**، ط1، تق وتح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

22. بن رجب رضا، **يهود البلاط ويهود الحاضرة في تونس العثمانية (1685-1857)**، ط1، تق: عبد الحميد الأرقش، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2010.

23. بن زردة توفيق، **إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ-1192هـ/ 1756-1779م من خلال الدفترين 2144،2145 بالأرشيف التونسي**، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، جانفي 2017.

24. بن سليمان فاطمة، **الأرض والهوية: نشوء الدولة الترابية في تونس (1574-1881)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2009.

25. بن طاهر جمال، **الفساد وردعه: الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية 1705-1840**، مج7، سلسلة التاريخ، منشورات كلية الآداب و الفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، 1995.

26. بن محمد الوزان الفاسي الحسن، **وصف إفريقيا**، ط2، ج1، تر:محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

27. بن محمد الوزان الفاسي الحسن، **وصف أفريقيا**، ط2، ج2 تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

28. بنبلغث الشيباني، **إحداث الجيش النظامي التونسي ومحاولات تحديثه خلال القرن التاسع عشر**، أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي« من العهود القديمة إلى عهد التحول»، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30 و31 اكتوبر1997.

29. بنبلغث الشيباني، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس، زغوان- صفاقس، تونس، 1995.

30. بنبلغث الشيباني، **رحلة الجنرال رشيد إلى الجزائر 1847**، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2007.

31. بنعبد الله عبد العزيز، **تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة**، ج2، مكتبة المعارف الرباط، المغرب، د. س.

32. بوترعة شهرزاد، **الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2014/2015.

33. بوزرارة محمد، **التخوم التونسية الليبية عبر التاريخ نجع الذهيبات**، تق: محمد عبازة، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 2014.

34. بوعلي لطفي، **التحديث العسكري قراءة ميكرو- تاريخية في التجربة التونسية (1830-1881)**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019.

35. تابليت علي، **الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م**، منشورات ثالة، الجزائر، 2006.

36. التمكروتي علي بن محمد، **النفحة المسكية في السفارة التركية 1589**، تح وتق: محمد الصالحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2007.

37. توفيق المدني أحمد، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.

38. توفيق المدني أحمد، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 - 1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

39. التونسي البنك المركزي، **النقود التونسية عبر التاريخ**، شركة الطباعة والقص، تونس، نوفمبر 1993.

40. التيمومي الهادي وآخرون، **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس 1999.

41. التيمومي الهادي، **تونس والتحديث**، ط1، دار محمد علي للنشر ، تونس، د.س.

42. الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، ط2، تح: احمد بن ميلاد و محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

43. جبارة تيسير، **تاريخ الدولة العثمانية 1280-1924**، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، رام الله، فلسطين، 2015.

44. الجبرتي عبد الرحمان، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.س.

45. الجراي فتحي، **النقائش التخليدية العثمانية بقشلات وأبراج مدينة تونس**، تق: عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس لمدونة الآثار العثمانية لين 21-23 سبتمبر 2001، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، فيفري 2003.

46. الجربي محمد أبو راس، **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، المطبعة الرسمية، تونس، 1960.

47. الجزائري محمد بن ميمون، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، ط 2، تق و تح : محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

48. الجمل شوقي عطاالله، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، ط1، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر،1977.

49. الجميعي عبد المنعم، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2007.

50. الجنحاني الحبيب، **الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، حوليات الجامعة التونسية، العدد6، جامعة تونس، 1969.

51. جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**، ج2، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

52. الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965.

53. حتاملة محمد عبده، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني 1527-1598**، ط1، شركة المطابع النموذجية، عمان، الأردن، 1982.

54. الحسن عيسى، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.

55. حليمي علي عبد القادر، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، ط1، الجزائر، 1972.

56. الحنفي محمد بن احمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج3، تح : محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1984.

57. الخامس محمد بيرم، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مج1، تح: علي الشنوفي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1999.

58. خليفة حاجي، **تحفة الكبار في أسفار البحار**، ط1، تح وتر: محمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2017.

59. خوجة حسين، **ذيل كتاب بشائر الأيمان في فتوحات آل عثمان**، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ، مصر، ب .س.

60. دونان هنري، **الأيالة التونسية سنة 1858م**، تر وتع: محمد فريد الشريف، المطبعة العصرية، تونس، 2012.

61. ذنون الثامري إحسان وآخرون، **أحكام متعلقة بالولايات العربية من دفتري المهمة العثمانيين رقم 3 ورقم 4 (967-968هـ/1559-1561م)**، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2017.

62. رائسي إدريس، **القبائل الحدودية التونسية- الجزائرية بين الإجارة والإغارة (1830-1881)**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016.

63. روسو ألفونص، **الحوليات التونسية**، تر تح: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ب.س.

64. ريمون أندريه، **المدن العربية الكبرى في العهد العثماني**، ط1، تر: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، 1991.

65. زايد مركز للتنسيق والمتابعة، **اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية**، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

66. الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ط15، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002.

67. زغروت فتحي، **العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس 1492-1609 منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي**، ط1، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، شبرا، مصر، 2011.

68. زيادة خالد، **المسلمون والحداثة الأوربية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الظعاين، قطر، 2017.

69. الزيدي مفيد، **العصر العثماني**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.

70. ساحلي أوغلي خليل، **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، اسطنبول، تركيا، 2000.

71. سبنسر وليم، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

72. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج 10، دار الجيل، بيروت، لبنان، ب س.

73. سركيس أبو زيد، **الأوليغارشية الديموقراطية الفوضوية والجماهير الخائبة**، جريدة الأخبار، العدد 4048، بيروت، لبنان، 13 ماي 2020.

74. السروجي محمد محمود، **العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال**، المكتبة الوطنية، بنغازي، ليبيا، ب.س.

75. سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.

76. سعيدوني ناصر الدين، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

77. سعيدوني ناصر الدين، **رحلة العالم الألماني: ج .أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ- 1732م)**، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.س.

78. السميراني محجوب، **الجيش التونسي (1831-1881) رافد نهضة وإصلاح**، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس،2017.

79. السنوسي زين العابدين، **محمود قابادو**، مطبعة العرب، تونس، 1951.

80. السنوسي محمد بن عثمان، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ط1، ج1، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994.

81. سوداني عبد القادر، **السلطة في تونس وطرابلس بين1705م1837م: محاولة في التاريخ المقارن**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2017.

82. شاشية حسام الدين، **تونس والجزائر في عيون الإسبان خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر: مثال الراهبين فرانثيسكو خيميناث ومالغور غارثيا نفاراو**، أعمال ندوة فكرية بعنوان " هجرة الآثار في المتوسط "، المندوبية الجهوية للثقافة، المهدية، تونس، جانفي 2016.

83. الشاطر خليفة وآخرون، **تونس عبر التاريخ**، ج2، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007.

84. الشتيوي منصور عمر، **حرب القراصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة**، ط1، مؤسسة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1970.

85. الشرقاوي أحمد وآخرون، **جغرافية الممالك العثمانية**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2018.

86. شريط عبد الله والميلي محمد، **الجزائر في مرآة التاريخ**، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1965.

87. شريف جودت، **تاريخ جودت شريف**، مطبعة جريدة بيروت، بيروت، لبنان، 1308هـ.

88. الشريف محمد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال**، ط3، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

89. الشلق أحمد زكريا، **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 -1916**، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002.

90. شوفالييه كورين، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510– 1541**، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر،2007.

91. الصغير نور الدين، **إشكالية الحداثة لدى النخبتين التونسية والمصرية في القرن التاسع عشر**، دار المنظومة، تونس، 1993.

92. الطالبي محمد، **في تاريخ افريقية**-عدد خاص-، تر: محمد العربي عبد الرزاق ورياض المرزوقي، دائرة المعارف التونسية الكراس 4، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1994.

93. الطالبي محمد، **قابس**، تر: محمد العربي عبد الرزاق، دائرة المعارف التونسية، الكراس الرابع، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1994.

94. طقوش محمد سهيل، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013.

95. طوسون عمر، **الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا**، مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014.

96. الطويلي أحمد، **الجنرال حسين حياته وآثاره**، منشورات بلدية تونس، تونس، 1994.

97. الطويلي أحمد، **في الحضارة العربية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د.س.

98. عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة، الجزائر، 2012.

99. عبد السلام أحمد، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، ط 1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987.

100. عبد القادر نور الدين، **صفحات من مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

101. عبد الله الطاهر، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956**، المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ب س.

102. عبد الهادي محمد فتحي وجمعة نبيلة خليفة، **المكتبات الوطنية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2009.

103. عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، ط 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953.

104. عبد الوهاب حسن حسني، **شهيرات التونسيات**، المطبعة التونسية، تونس، 1353هـ.

105. عبد الوهاب حسن حسني، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.س.

106. العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، ج2، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

107. العزاوي عبد الرحمان حسين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.

108. عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ط1، تر:عبد السلام أدهم، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1969.

109. عزيّز عبد الكريم، **نضال شعب أبيّ تونس 1881-1956**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001

110. العقاد صلاح، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر- تونس - المغرب الأقصى**، ط 6، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، 1993.

111. عميراوي أحميدة، **علاقات بايلك الشرق تونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ب.س.

112. العنتري صالح، **تاريخ قسنطينة**، تق وتح: يحي بوعزيز، عا لم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

113. عيسى لطفي، **مدخل لدراسة الذهنية المغاربية خلال القرن 17م**، دار سراس للنشر، تونس، 1994.

114. غانياج جان، **ثورة علي بن غذاهم 1864**، تر: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1965.

115. عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2016.

116. غنيمي الشيخ رأفت، **تاريخ العرب الحديث**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2005.

117. فالنسي لوسيت، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر1790-1830**، ط1، تر: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1980.

118. الفندري منير، **رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835**، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 1991.

119. الفندري منير، **طبيب المحلة البلاد التونسية فيما بين 1863-1868، من خلال رسائل الطبيب الألماني غوستاف نختغال Gustav Nachtigal**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

120. فيرو شارل، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي**، ط3، تر وتح: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1994.

121. فيرو شارل، **تاريخ جيجلي**، تر: عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر،2010.

122. قازان نزار، **سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة و فتنة الانكشارية**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992.

123. قاسم أحمد، **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم 1574-1600** ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس.

124. القزاح محمود، **المدخل إلى تاريخ مدينة مساكن من خلال وثائق تنشر لأول مرة**، مطبعة التسفير الفني صفاقس، تونس، 2009.

125. قشتيليو محمد، **حياة الموريسكوس الأخيرة بأسبانيا ودورهم خارجها**، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، المغرب، 2001.

126. القفصي المنتصر بن المرابط، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، المكتبة العتيقة، تونس، 1998.

127. القفصي عبد الحكيم، **نظرة حول بعض الحرفيين والمهنيين الأندلسيين والأتراك بالأيالة التونسية أثناء القرن التاسع عشر من خلال خزينة الوثائق التونسية**، بحوث مؤتمر الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان ، تونس، 1988.

128. قنان جمال، **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830**، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

129. كاربخال مارمول، **إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984.

130. كاربخال مارمول، **إفريقيا**، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، دار لشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1988-1989.

131. كوران ارجمند، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847**، ط2، تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1974 .

132. اللطيّف علي، **انتفاضة الساحل التونسي سنة 1864 محلة زروق ومعركة القلعة الصغرى**، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2012.

133. لهارد أنكه، **تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية**، تر: محمود علي عامر، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017.

134. لوتسكي فلاديمير، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، ط9، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2007.

135. الماجري الأزهر، **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي**، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2005.

136. الماجري حياة، **مأسسة التعليم في تونس في القرن التاسع عشر**، ط1، المركز العربي للأبحاث، تونس، 2021

137. مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج1، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993.

138. المبروك محي الدين، **قوانين الانتداب والتجنيد خلال القرن 19**، أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي « من العهود القديمة إلى عهد التحول»، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30و31 اكتوبر1997.

139. مجهول، **سيرة المجاهد خير الدين بربروس**، تح وتق: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

140. المحامي محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط1، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان،1981.

141. المحجوبي علي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تع:عمر بن ضو و حليمة قروري، دار سراس للنشر، تونس، 1986.

142. محرز أمين، **الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671**، البشائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

143. محمد بن عبد الوهاب أحمد، **القبيلة والزاوية في تونس دراسة سوسيو انثروبولوجية لفرقة العكارمة بقفصة**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، برلين، ألمانيا، 2021.

144. مخلوف محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

145. المطوي محمد العروسي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982.

146. المطوي محمد العروسي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

147. المعهد الوطني للتراث، **الصيد بالشرفية بجزر قرقنة**، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 2017.

148. مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ط1، تح :علي الزواري ومحمد محفوظ، مج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

149. المكناسي محمد بن عبد الوهاب، **رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785**، تح: محمد بوكبوط، المؤسسة العربية للدراسات و للنشر، بيروت، لبنان، 2003.

150. نجم فرج عبد العزيز، **القبائل الليبية والجغرافيا والهجرة**، المكتبة الليبية للأبحاث والدراسات العلمية، طرابلس، ليبيا، 2015.

151. نقرة التهامي، **القيروان عبر العصور**، كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس، 1964.

152. هنية عبد الحميد، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، أوتار تبر الزمان، تونس، 2016.

153. هويدي سلوى، **أعوان الدولة بالأيالة التونسية:الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات(1735-1814)**،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس،2014.

154. وزارة التجهيز والتهيئة الترابية والتنمية المستدامة، **التقرير الوطني حول وضعية البيئة 2012: رهانات استدامة التنمية**، ص 22، تونس، أفريل 2014.

155. ييلافيتش تشارلز وييلافيتش بربارا، **تفكيك أوربا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية) 1804-1920**،تر:عاصم الدسوقي، دار العالم الثالث، القاهرة، مصر، 2007.

3- المراجع الأجنبية:

1. Gautier François, **Coup d'oeil général sur la Régence de Tunis depuis son origine jusqu'à nos jours**, Poitiers–imp, Paris, France, 1891.

2. Ágoston Gábor & Masters Bruce, **Encyclopedia of the ottoman empire**, facts on file, New York, U S, 2009.

3. Anderson Lisa, **The state and social transformation in the Tunisia and Libya 1830-1980**, princeton legacy Library, New jersey, USA, 1987.

4. Baudouin Alfred Alphonse, **En Tunisie : Notes de voyage**, Imprimerie Daloux, Baugé, France, 1900.

5. Beazley Raymond, **Prince Henry the navigator**, The botolph printing works, London, UK, 1923.

6. Ben Achour Mohamed-el Aziz, **LA cour du bey de Tunis**, Espace Diwan, Tunis, Tunisie, 2003.

7. Ben Miled Mika, **Chéchia: le bonnet de feutre méditerranéen**, éditions Cartaginoiseries, Tunis, Tunisie, 2010.

8. Ben youssef Mohammed Seghir, **Mechra el melki chronique tunisienne (1705-1771)**, tra: victor serras et Mohammed Lasram, Imprimerie rapide, Tunis, 1900.

9. Benjamin Paul Henri, **La politique française en Tunisie : le protectorat et ses origines (1854-1891)**, Librairie Plon, Paris, France, 1891.

10. Béranger Nicolas, **la régence de Tunis a la fin du XVII siécle**, Tra : Paul Sebag, l'harmattan éditions, 1993.

11. Bernard Marius, **Les Côtes Barbaresques De Tripoli à Tunis**, Librairie Renouard, paris, France, s.d.

12. Blairat Eugene, **Tunis Impressions De Voyages**, 3éme éd, libraire ch. Delagrave, Paris, France, s.d.

13. Blili Leila Temime, **sous le toit de l'empire**, T I, éditions SCRIPT, Tunis, 2012

14. Boujarra Hussein, Représentation(s) de l'Etat tunisien chez certains auteurs européens du XVIIe siècle, National Centre of Research in Social and Cultural Anthropology, Oran, Algérie, 2006.

15. Boulares Habib, **Histoire de la Tunisie Les grandes dates de la Préhistoire à la révolution**, Cérés Edition, 2éme éd, Tunis, Tunisie, 2012.

16. Broadley Alexander Meyrick**, The Last Punic War Tunis, Past and Present with a Narrative of the French Conquest of the Regency**, Vol 1, William Blackwood and sons, Edinburgh and London, UK, 1882.

17. brown Léon carl, **The Tunisia of Ahmed bey 1837-1855**, Princeton University press, New Jersey, USA, 1974.

18. Cardon Émile, **Étude sur les progrès de la civilisation dans la Régence de Tunis**, E.Dentu libr-Éditeur, Paris, France, 1861.

19. Cat Édouard, **Petite Histoire de l'Algérie - Tunisie – Maroc**, T1, Adolphe Jourdan libraire éditeur, Alger, 1888.

20. Clancy –smith Julia A., **Mediterraneans north Africa and Europe in a age of migration c. 1800-1900**, University of California press, Los Angelos, USA, 2012.

21. collectif Auteur, **les armées des premiers ottomans : fantassins ottoman début XV siécle**, osprey publishing, Paris, France, 2005.

22. Corrales Eloy Martín, **Muslims in Spain, 1492–1814, vol 3,** Tra : Consuelo López-Morillas, Koninklijke Brill NV, Leiden, Netherlands, 2021.

23. Darmoul Ali, **Découvertes archéologiques dans le Lac de Tunis**, Actes du colloque organisé dans le cadre des manifestations relatives au choix de L'UNESCO de Tunis Capitale Culterelle 1997 Tunis ville de la mer **"**, l'or du temps, Grenoble, France, 1999.

24. Daumas Philippe, **quatre ans a Tunis**, Tissier libraire-éditeur, Alger, 1887.

25. De Bisson Léon, **La Tripolitaine et la Tunisie: avec les renseignements indispensables aux voyageurs**, Imprimerie jules Moureu, Ernest Leroux éditeur, Paris, France, 1881.

26. de Chateaubriand François-René Vicomte, **Œuvres complètes de M le Vicomte de Chateaubriand**, T II, Lefèvre libraire –éditeur ,Paris, France, 1834.

27. de Flaux Armand, **La régence de Tunis au dix-neuvième siècle**, CHALLAMEL AINÉ, libraire-éditeur, Paris, France, 1865.

28. De Gotha Almanach, 108 année, Gotha Justus Perthes, Ghota, Allemagne, 1871.

29. De Hesse-Wartegg The chevalier, **Tunis the land and the people**, Chatto & Windus piccadilly, London, UK, 1882.

30. De l'agriculture et de commerce Ministère**, Etats barbaresques, faites commerciaux N°2,** Paris, France, 1845.

31. De la Faye Jean Baptiste, **Etat des royaumes de barbarie tripoly tunis et alger**, Guillaume Behourt, Rouen, France, 1703.

32. De la marine Ministère, **Guide pour l'instruction et la réception des engagements dans les corps de marins indigènes d'Algérie et de Tunisie,** l'imprimerie Nationale, Paris, France, 1937.

33. de La Rive Abel Clarin, **Histoire générale de la Tunisie, depuis l'an 1590 avant Jésus-Christ jusqu'en 1883**, librairie e. Demoflys, Tunis, 1883.

34. De Lanessan Jean Louis, **La Tunisie**, félix alcan éditeur, Paris, France, 1887.

35. De Maugny Comte, **la Question de Tunis**, imprimerie typographique kugelmann, paris, France, 1881.

36. De Maupassant Guy, **La vie errante**, Paul Ollendorff Éditeur, Paris, France, 1890.

37. De souhesmes Gaston des godins, **Tunis, histoire, moeurs, gouvernement, administration, climat, productions, industrie, commerce, religion, etc**, Gustave Guérin, libraire-commissionnaire, Paris, France, 1875.

38. De Tassy Laugier, **A compleat history of the piratical states of barbary Algiers Tunis Tripoli and Morocco**, R. Griffiths, London, UK, 1750.

39. De Tassy Laugier, **Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie**, T1, Herissant imprimeur, Paris, France, s.d.

40. De Tchihatchef Petr, **Espagne, Algérie et Tunisie, lettres à Michel Chevalier**, Libraire J-B Bailliére et Fils, Paris, France, 1880.

41. Del Mármol Carvajal Luis et Ben Miled Mika, **Histoire des derniers rois de Tunis**, éditions cartaginoiseries, Tunis, 2007.

42. Des affaires étrangères Ministère, **Affaires de Tunisie, supplément, avril-mai 1881**, Imprimerie nationale, Paris, France, 1881.

43. Dilhan Alphonse, **Histoire abrégée de la régence de Tunis**, imprimerie balitout questroy ece, paris,France,1866.

44. Drevet Raymond, **l'armée tunisienne**,1922.

45. Drohojowska La Comtesse, **les anciens États Barbaresques Alger, Tunis, Tripoli, Maroc**, librairie de j. lefort, Paris, France, 1882.

46. Dumas Alexandre, **le véloce ou tanger, Alger et tunis**, Alexander Cadot éditeur, Paris, France, 1848.

47. Dunant Jean Henry, **Notice sur la régence de Tunis**, IMPRIMERIE DE JULES-G- FICK, Geneve, Suisse, 1858.

48. Fabre Joseph, **Essai sur la régence de Tunis**, Seguin frères Imprimeurs-Editeurs, Paris, France, 1881.

49. Fagault Paul, **Tunis Et Kairouan**, Challamel et Cie Éditeurs, Paris, France, 1889.

50. Faucon Narcisse, **La Tunisie avant et depuis l'occupation française: histoire et colonisation, Géographie, histoire**, T1, Augustin Challamel éditeur, Paris, France, 1893.

51. Fenina Abdelhamid, **L'atelier monétaire de Tunis sous les Husaynides: un exemple d'institution multiconfessionnelle,** Actes du colloque Scientifique International, Unesco, 7-8-9 septembre 2016.

52. Fonteny Michel, **l'esclavage en méditerranée occidentale au XVII siécle**, Association des Historiens Modernistes, bulletin N° 14, presses de l'Université de Paris sorbonne, Paris, France, Décembre 1990.

53. Frank Louis, **Tunis description de cette régence**, Firmin Didot frères éditeurs, Paris, France, s.d.

54. Gaid Mouloud, **Chronique des beys de Constantine**, Office des publications universitaires, Alger, Algérie, s.d.

55. Gaid Mouloud, **l'Algérie sous les turcs**, Edition Mimouni, Alger, Algérie, 1991.

56. Ganiage Jean, **Les Origines du Protectorat Français en Tunisie**, pré : Khalifa chater, berg édition, s. d.

57. Gasselin Édouard, **Petit guide de l'étranger à Tunis**, Challamel librairie, Paris, France, 1869.

58. Giffard Pierre, **Les français à Tunis**, victor havard éditeur, Paris, France, 1881.

59. Grandchamp Pierre, **La France en Tunisie A la Fin du XVIe Siècle (1582-1600)**, société anonyme de l'imprimerie rapide, Tunis, 1920.

60. Guellouz Azzedine et autres, **Histoire Générale de la Tunisie**, T3, Sud Editions, Tunis, Tunisie, 2010.

61. Guerrand Julie, **Recueil de jurisprudence commerciale et maritime du Havre**, T5, Imprimerie De H Brindeau et comp, Le Havre, France, 1859.

62. Guy Anselme, **mission de commandant de genie guy a Tunis**, Imprimerie de Henri dupuy, Paris, France, s.d.

63. Harber Charles Combs, **Reforms in Tunisia 1855-1878**, dissertation presented in partial fulfillment of the requirements the degree doctor of philosophy , school of the ohio state university, Ohio, USA, 1970.

64. Hugan Henri, **Note sur trois contes tunisiens d'un officier francais (j L lugan 1834)** ,R.T, N° 121, Tunis, 1917.

65. Inconnu, **Grandeur et décadence de la dette tunisienne: simple aperçu sur l'origine de la dette tunisienne,** Hachette Livre, Paris, France, 1871.

66. Inconnu, **Lettre d'un comédien à un de ses amis: touchant sa captivité et celle de vingt-six de ses camarades chez les corsaires de Tunis : avec une description historique et exacte de la ville de Gênes**, pierre clement libraire, Paris, France, s.d.

67. Jerfel Kamel, **grands acteurs économiques: les négociants européens dans les villes ports de la côte Est de la régence de Tunis au XIX e siècle**, HAL Sciences de l'Homme et de la Société, lyon, France, 15 octobre 2013.

68. Jouili Mohamed, **Khérédine Pacha**, Centre culturel du livre, 1er éd, Casablanca, Maroc, 2019.

69. Jousset Philippe**, Un Tour de Méditerranée,** Ancienne Maison Quantin – Librairies - Imprimeries Réunie, Paris, France, s.d.

70. Juillet Saint-Lager Marcel**, la régence de Tunis: géographie physique et politique, description générale…**, juillet saint-Lager, éditeur, Alger, 1874.

71. Kallander Amy Aisen, **women gender and the palace households in ottoman tunisia**, university of texas press, austin, Usa, 2013.

72. Kearney Thomas H., **Date Varieties and Date Culture in Tunis**, Government printing office, Washington, USA, 1906.

73. Kennedy John Clark, **Alegria and Tunis in 1845**, vol II, Henry Colburn publisher, London, UK, 1846.

74. Khérédine Le général, **Réformes nécessaires aux États musulmans : essai formant la première partie de l'ouvrage politique et statistique intitulé "la plus sûre direction pour connaître l'état des nations"**, E.Dentu Editeur, paris, France, 1875.

75. La Résidence Générale de la Tunisie, **la Tunisie**, j Barreau éditeur, Paris, France, s.d.

76. Lamarre Clovis et Fliniaux Charles, **l'Égypte, la Tunisie, le Maroc et l'Exposition de 1878**, librairie Ch.Delagrave, Paris, France, 1878.

77. Lanier Lucien, **l'afrique**, libraire classique Eugène belin, Paris, France, 1884.

78. Laugier de Tassy, **Histoire du royaume d'Alger**, Un diplomate français à Alger en 1724, Chez Henri du sauzet, Amsterdam, Holland, 1725.

79. Lessir Mohamed, **Consuls et consulats de tunisie au xixe siecle**, Institut Tunisien des Etudes stratégiques, Tunis, Tunisie, s.d.

80. Lorin Henri, **Promenade en Tunisie**, Librairie Hachette, Paris, France, 1896.

81. Lucas Paul, **voyage du sieur paul lucas fait par ordre du roi dans la Grece l'asie mineure la macedoine et l'afrique**, T1, Amsterdam, Holland, 1714.

82. Lyell James P.R., **cardinal ximenes**, Grafton & co, London, U K, 1917.

83. Macgill Thomas, **An account of Tunis**, Jean Hedderwick, London, UK ,1811.

84. Maggill Thomas, **Nouveau voyage à Tunis**, tra : Inconnu, C.L.F Panckoucke éditeur, Paris, France, 1815.

85. Maksudoglu Mehmet, **Tunus'un Osmanli Devletinden Ayrilmasi**, Ilahiyat Fakültesi Dergisi, Sayi :4, Marmara Üniversitesi, Istanbul, Türkiye, 1986.

86. Mantran Robert, **Inventaire des documents d'archives Turcs à Dar El Bey (Tunis)**, presses Universitaires de France, Paris, France, 1961.

87. Mantran Robert, **l'evalution des relations politiues entre le gouvernement ottoman et les odjaks de l'ouest du XVIe au xixe siecles**, article de recherche, Université d'Aix – Marseille, France, 1 Mai 1964.

88. Marcel Jean Joseph et Frank Louis, **Histoire de Tunis**, Firmin didot frères éditeurs, Paris, France, 1851.

89. Marriott John Arthur Ransome , **The eastern question an historical study in european diplomacy**, The clarendon press, Oxford, U.K, 1917.

90. Medici Anna Maria, **esclavage, armée et reformes a Tunis, vie d'un des dernier mamelouks a la cour du bey (XIX éme siècle),** Université d'Urbino (Italie), janvier 2006.

91. Mercier Ernest, **Histoire de l'Afrique sept depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française 1830**, T2, Ernest Leroux Editeur, Paris, France, 1886.

92. Michel Léon, **Tunis**, 2éme éd, Garnier frères, libraires-éditeurs, Paris, France,1883.

93. Moalla Asma, **The regency of Tunis and the ottoman porte 1777–1814**, Routledge Curzon, New York ,USA, 2004.

94. Monchicourt Charles, **La région du Haut-Tell, en Tunisie (le Kef, Téboursouk, Mactar, Thala): essai de monographie géographique**, libraire Armand colin, Paris, France, 1913.

95. Monchicourt Charles., « **Un autre texte du Mémoire sur Tunis publié par Chateaubriand**»

96. Moreau Odile, **Les caractéristiques des militaires ottomans à partir des réformes du xixe siècle,** Office of the Historian, us Département of State, Washington, USA

97. Nesbitt Frances E., **Alegria and Tunis**, A. and C. Black , London, UK , 1906.

98. Nicolle David and Mcbride Angus, **Armies of the ottoman turks 1300-1774**, men at arms series, osprey military, London, UK, s.d.

99. of Naval Records The Office and Department Library Navy, **Naval operations related with united states wars with barbary powers** , vol VI, United states Gouvernement printing office, washington, USA, 1944.

100. O'Kelly Alphonse, **Études politiques sur le royaume de Tunis, imprimerie du journal le cosmopolite**, Bruxelles, Belgique, 1871.

101. Panzac Daniel, **barbary corsairs the end of legend 1800-1820**, tra: Victoria Hobson, brill publishers, Leiden, Netherlands, 2005.

102. Panzac Daniel, **Les corsaires barbaresques La fin d'une épopée 1800-1820**, CNRS Éditions, Paris, France, 1999.

103. Patteson Barbe, **Chips from Tunis**, Libraire Hachette & co, London, UK, s.d.

104. Pavy Auguste, **Histoire de la Tunisie**, Tours Alfred Cattier Editeur, Paris, France, 1894.

105. Péchot.L, **Histoire de l'Afrique du nord avant 1830**, T3, Alger Gojosso imprimeur-éditeur, 1914.

106. Perry Amos, **An Official Tour Along The Eastern Coast Of The Regency Of Tunis**, standard printing company, Washington DC, USA, 1891.

107. Perry Amos, **Carthage and Tunis past and present**, providence press company printers, Rhode island, USA, 1868.

108. Petrie Graham, **Tunis kairouan & carthage described and illustrated with forty eight paintings**, William Heinemann, London, UK, 1908.

109. Peyssonnel Jean-André, **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger. Relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie**, librairie de Gide, Paris, France, 1838.

110. Piquet Victor, **La colonisation française dans l'Afrique du nord**, Librairie Armand Colin, Paris, France, 1914.

111. Piquet Victor, **Les Civilisations de l'Afrique du Nord berbères - arabes – turcs**, 3éme éd, T3, librairie Armand colin, Paris, France, 1921.

112. plantet Eugéne, **Correspondance des beys de Tunis 1770 1830**, T 3, Felix alcan Editeur, paris, France, 1899.

113. Playfair Lambert, **Handbook for Travellers in Algeria and Tunis: Algiers, Oran, Tlemçen, Bougie, Constantine, Tebessa, Biskra, Tunis, Carthage, Etc**, Second Edition, John Murray books, London, UK, 1878.

114. Playfair Robert Lambert, **Travels in the footsteps of bruce in Alegria and Tunis**, c. kegan paul & co, London, UK, 1877.

115. Poiron M., **Mémoires concernans l'état présent du royaume de Tunis**, Thèse complémentaire présentée devant pour l'obtention du grade de docteur ès-lettres, la Faculté des lettres de Paris, France, 1925.

116. Poussou Jean-Pierre, **Rivalités maritimes européennes (XVIe-XIXe siècle)**, presses de l'univerité paris-sorbonne, Paris, France, 2005.

117. Prescott William H, **History of the reign of Philip 2 king of spain** , vol1, J.B.Lippincott , Philadelphia, USA, 1882.

118. Rambaud Alfred, **Les Affaires de Tunisie : Discours de M. Jules Ferry, publiés avec préface et notes à l'appui**, j. Hetzel et c[ie] Editeurs, Paris, France, 1882.

119. Raymond André et Poncet jean, **la Tunisie**, 3ém éd, presses universitaires de France, Paris, France, 1977.

120. Raymond André, **British Policy towards Tunis (1830-1881)**, University of Oxford, London, UK, 1953.

121. Revaault Jacques, **palais et demeures de Tunis (XVIe et XVIIe siècles)**, éditions du centre nationale de la recherche scientifique, Paris, France, 1967.

122. Richardson James, **travels in Morocco**, T 2, Charles j. skeet publisher, London, UK, 1860.

123. Riviere Amedee, **La Tunisie: géographie, évènements de 1881, organisation politique et administrative, organisation judiciaire**, pré: Albert Mailhe, Challamel Ainé Éditeur, Paris, France, 1887.

124. Roches Léon, **Dix ans A travers L'Islam 1834-1844**, Librairie Acadèmique Didier, Paris, France, 1904.

125. Saladin Henri, **Tunis et Kairouan**, Librairie RENOUARD H. LAURENS, Editeur, Paris, France, 1908.

126. Sebag Paul, **Tunis au XVII[ème] siècle une cite barbaresque au temps de la course**, édition l'Harmattan, Paris, France, 1989.

127. Sebag Paul, **Tunis histoire d'une ville,** l'harmattan histoire et perspectives méditerranéennes, Paris, France, 1998.

128. Sebai Nadia, **Mustapha Saheb Ettabaa**, pré : el- Mokhtar bey, éditions Carthaginoiseries, Tunis, Tunisie, 2016.

129. Simond Charles, **Tunis et la Tunisie**, H. Lecène et H. Oudin éditeurs, Paris, France, 1887.

130. Sladen Douglas, **Carthage and Tunis the old and new Gates of the orient**, vol II, Hutchinson & co, London, UK, 1906.

131. Soudani Abdelkader, **Pouvoir, femmes et politique en Tunisie au XIXème siècle**, مجلة جيل للدراسات السياسية والعلاقات الدولية – العدد30، بيروت، لبنان، ماي 2021.

132. Stationery Office Her Majesty's, **british and foreign state papers 1812-1814**, vol I, James Ridgway and sons, London, UK, 1841.

133. Temple Grenville T., **Excursions in the Mediterranean Algiers and Tunis**, Vol 1, Saunders and Otley, London, UK, 1835.

134. Thierry-Mieg Charles, **six semaines en Afrique: souvenirs de voyage**, Imprimerie de j.Clayb, Paris, France, 1861.

135. Townshend Trench, **A cruise in Greek waters with hunting excursion in Tunis**, Hurst and blackett publishers, London, UK, 1870.

136. Tulin Charles, **Notice sur les poids, mesures et monnaies de tunis**, imprimerie de Firmin didot frères, Paris, France, 1832.

137. Unesco, **La Course et les relations internationales de la Régence de Tunis aux XVIIIème et XIXème siècles**, Registre de la mémoire du monde, Ref N° 2010-003.

138. Uyar Mesut and Erickson Edward Jean, **A military history of the ottomans**, abc clio, california, USA, 2009.

139. Van Der Aa Pieter Boudewijn, **La galerie agréable du monde, où l'on voit en un grand nombre de cartes très exactes et de belles tailles douces les principaux empires**, T1, marchand libraire, Leiden, Allemagne, 1733.

140. van Krieken Gérard, **Khayr al-Din et la Tunisie 1850-1881**, E. J. Brill, Leiden, Netherlands, 1976.

141. Weiss Gillian, **Captives and corsaires France and slavery in the early modern mediterranean**, stanford University press, California, USA, 2011.

142. William Harris, **A Complete Collection Of All The Marine Treaties Subsisting Between Great-britain And France, Spain, Portugal ... Commencing In The Year 1546, And Including The Definitive Treaty Of 1763**, D. Steel and J. Millan, London, UK.

143. Zaccone Pierre, **Notes sur la régence de Tunis**, Tanera Éditeur, Paris, France, 1875.

144. Zsolt Palosat, **Tehetségek a történettudomány szolgálatában IV**, Történelem szakos hallgatók diákköri Dolgozatai, University of Szeged, Malta, 2018.

145. Zsolt Palosat, **The foundations of the modern tunisian state : Relation between the regency of Tunis and the ottoman empire 1574-1814**, Ujkori egyetemes torténeti és mediterran tanulmanyok tanszék, Szeged, Hungary, s.d.

4- الدوريات والملتقيات باللغة العربية:

1. الأندلسي حنان، **جامع يوسف صاحب الطابع بالحلفاوين: تحفة معمارية تمتزج فيها الأنماط الفنية**، مجلة ليدرز، العدد 41، تونس، ماي2019.

2. آيت بلقاسم فاطمة الزهراء، **الحكم العثماني في الجزائر وتونس دراسة مقارنة**، مجلة القرطاس، العدد4، جامعة تلمسان، جانفي 2017.

3. بلحميسي مولاي، **نهاية دولة بني زيان**، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، أوت 1975.

4. بلعسل محمد وزايدي عبد العزيز، **دور أخلقة العمل السياسي على التنمية الوطنية في الجزائر دراسة تحليلية نقدية**، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج10، العدد3، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، جويلية 2021.

5. بلعمري فاتح، **حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رّحالة محلي وقنصل أجنبي**، مجلة معارف، العدد 17، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2014.

6. بلهادي عبد المجيد، **تطور القوانين المنظمة للخدمة العسكرية في تونس 1860-1962**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد9، وزارة الدفاع الوطني، تونس، ديسمبر 2019.

7. بليل محمد وشرف عبد الحق، **العلاقات التونسية مع العالم الخارجي خلال القرن التاسع عشر**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 1، العدد2، الجزائر، سبتمبر 2018.

8. بن حيدة يوسف، **عبد الصمد الشابي ونشاطه الثوري بين الأيالة التونسية وبايلك الشرق خلال القرنين 17و18م**، مجلة آفاق فكرية، مج 4، العدد8، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، مارس 2018.

9. بن حيدة يوسف، **علاقة القبيلة بالطريقة الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة(الشابية والحنانشة نموذجا)**، مجلة المعيار، مج24، عدد50، الجزائر، 2020.

10. بن خروف عمار، **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574إلى1671**، مجلة دراسات إنسانية، مج2، العدد2، جامعة الجزائر2، الجزائر، 30 جوان 2002.

11. بن عجلان الحارثي تركي، **الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين 1246-1298هـ/1830-1881م**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد4، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2008.

12. بن عزيزة جيهان، **رحلة التاريخ العسكري التونسي المتحف العسكري بمنوبة " قصر الوردة"**، مجلة الدفاع، العدد 66، تونس، جوان 2018.

13. بن يوسف عادل، **الحرب الباشية الحسينية في تونس(1728-1756)**، مجلة ليدرز، العدد 48، ديسمبر2019، تونس.

14. بنبلغيث الشيباني، **دور المماليك التّونسيين في تأسيس الدولة التّونسية الحديثة**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد8، تونس، ديسمبر 2018.

15. بوتوقوماس حفيظة، **النشاط التجاري للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1117-1246هـ/1705-1830م**، مج10، مجلة معارف، العدد18، جامعة البويرة، الجزائر، جوان 2018.

16. بوصبيع مليكة، **الأوليغارشية الحزبية في الجزائر**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، مج 13، العدد 1، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، أفريل 2020.

17. بوعلي لطفي، **المدرسة الحربية بباردو ودورها التنويري الرائد**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد7، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 2017.

18. التايب المنصف، **المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني**، مجلة روافد، العدد4، جامعة منوبة، تونس، 2018.

19. تركان إبراهيم إياد و طلال جاسم حنان، **السياسة البريطانية تجاه أطماع فرنسا في ولايتي تونس وطرابلس (1830-1882)**، مجلة آداب المستنصرية، العدد 71، جامعة المستنصرية، بغداد، العراق، ديسمبر2015.

20. التليلي مصطفى، **حضور الدولة وتمثّلاتها في المجالات الطرفية إيالة تونس في الفترة الحديثة**، مجلة أسطور، العدد 12، الدوحة، قطر، جويلية 2020.

21. التميمي عبد الجليل، **الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني على الإيالات المغربية في القرن16م**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد10-11، الجزائر، 1978.

22. التميمي عبد الجليل، **مسألة إلحاق طرابلس الغرب إلى تونس**، المجلة التاريخية المغربية، العدد4، جويلية 1975، ص ص 138 139.

23. حباسي شاوش، **الأيالة التونسية قبيل الحماية الفرنسية (1860-1881)**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 6، جامعة الجزائر، الجزائر، 1992.

24. حسين عبد الله إبراهيم، **تمردات وثورات الإنكشارية في تونس خلال عهد الأسرة المرادية والنصف الأول من عهد الأسرة الحسينية (1631-1831 م)**، مجلة جامعة سرت العلمية، جامعة سرت، ليبيا، ديسمبر 2016.

25. حمدي سنية، **تاريخ عسكر أتراك المهدية وإرثهم المعماري خلال العهد الحسيني**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد10، تونس، ديسمبر 2020.

26. دالي حمادي، **عساكر الساحل والمشاركة التونسية في حرب القرم 1856م-1856م: القرار السياسي وتداعياته على الأجهزة العسكرية**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد 4، تونس، جوان 2014.

27. درويش الشافعي، **الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 4، العدد1، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، جوان 2020.

28. درويش الشافعي، **الحملة الاسبانية على تونس في سنة 1535م**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، جامعة الجزائر 2، الجرائر، سبتمبر 2017.

29. درويش الشافعي، **علاقات تونس مع جمهورية البندقية خلال العصر الحديث من العداء إلى السلمية**، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 18، العدد1(A)، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، جوان 2021.

30. درويش الشافعي، **علي باي الحسيني التونسي1759-1782 (مواقف من سياسته)**، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد3، المركز الجامعي غليزان، الجزائر، جانفي 2021.

31. دوحة عبد القادر، **الإصلاحات السياسية والإدارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19م وعلاقتها بالحضارة الغربية**، مجلة عصور الجديدة، العددان 11-12، جامعة وهران1، الجزائر، 1434-1435هـ/2013-2014.

32. الدولاتلي عبد العزيز، **أضواء تاريخية على بحيرة تونس**، المجلة التاريخية المغربية، العدد3، تونس، جانفي 1975.

33. رحماني فاطمة الزهراء و دراج محمد، **موقف علماء الأزهر والزيتونة من الفكر التحديثي خلال القرن 19م**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج1، العدد1، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، جوان 2020.

34. الرزاقي محمد البشير، **سيرة العدواني الشعبيّة: الذاكرة العائليّة وبناء المكانة الاجتماعيّة في لقرن البلاد التونسيّة خلال القرن 17 مثال عائلة أولاد الهادف**، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، مج1، العدد2، جامعة وهران1، الجزائر، ديسمبر 2019.

35. زبيس سليمان مصطفى، **تونس والحضارة الأندلسية**، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الرابعة، العدد41، مطبعة المتوسط، بيروت، لبنان، مارس 1982.

36. زغدود ليلى، **الحياة اليومية داخل المؤسسة العسكرية: جند البحر نموذجا**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد7، وزارة الدفاع الوطني، تونس، ديسمبر 2017.

37. زغدود ليلى، **ملاحظات حول صناعة سفينة "الشبك" خلال القرن الثّامن عشر**، المجلّة التّونسيّة للتّاريخ العسكري، العدد 8، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 2018.

38. الزين محرز، **الهجرة الأندلسية إلى تونس**، مجلة الدفاع، العدد65، وزارة الدفاع الوطنية، تونس، جوان 2017.

39. السعداوي إبراهيم، **المخزن والمجال الجبلي التونسي بين 1630 ونهاية القرن الثامن عشر**، مجلة بصمات، عدد خاص حول الزمن والمجال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، المحمدية، المغرب، ب.س.

40. سعيدوني ناصر الدين، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، جامعة الكويت، الكويت، 2010.

41. سعيدوني ناصر الدين، **معركة نافرين 1827**، مجلة الدراسات التاريخية، مج 4، العدد6، جامعة الجزائر1، الجزائر، 1992.

42. سعيدي خير الدين، **الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني(1518-1775م) من خلال مخطوط -الزهرة النائرة- لابن رقية التلمساني**، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29 ديسمبر2017.

43. سعيود إبراهيم، **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الايطالية أنموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 11، الجزائر، 2011.

44. السلطاني نبيهة العبيدي، **مقاربة لدراسة تطور هياكل الجيش الحفصي إلى حدود الفتح العثماني**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد3، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أكتوبر 2011.

45. سلمان محمد عصفور، **الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوربي منها**، مجلة ديالى، العدد 56، العراق، 2012.

46. سنو عبد الرؤوف، **العلاقات الروسية العثمانية: حرب القرم ممهداتها وتطوراتها ونتائجها (1853-1856)**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان 77-78، بيروت، لبنان، 1985.

47. شارف رقية، **تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية في الفترة الحديثة**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد13، الجزائر، 2011.

48. الشاطر خليفة وآخرون، **البلاد التونسية والدولة العثمانية**، مجلة تاريخ العرب والعا لم، السنة الرابعة، العدد41، مارس 1982.

49. الشامي سمير، **التراث المعماري العسكري بالبلاد التونسية**، مجلة الدفاع، العدد 58، وزارة الدفاع الوطني، تونس، مارس 2012.

50. الشامي سمير، **الجذور التاريخية لنشأة الجيش النظامي التونسي الحديث خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الدفاع، العدد 61، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أوت 2013.

51. الشريف محمد الهادي، **القوى المسلحة بتونس في علاقتها بالدولة والمجتمع (من القرن السادس عشر إلى أواسط القرن 19)**، أعمال ندوة : تاريخ الجيش التونسي « من العهود القديمة إلى عهد التحول» ،وزارة الدفاع الوطني،تونس،30و31 اكتوبر1997.

52. صالحي منى، **تأثير الإصلاحات العثمانية على تونس من خلال إتحاف أهل الزمان لأحمد بن أبي الضياف**، مجلة البحوث التاريخية، مج3، العدد1، جامعة المسيلة، الجزائر، مارس 2019.

53. صحراوي عبد القادر وعطية محمد، **مشروع توحيد الأيالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688-1695م**، مجلة الحوار المتوسطي، العددان 15-16، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، مارس 2017.

54. عادل محمد عثمان، **استيلاء علي برغل على إيالة طرابلس الغرب 29 يوليو 1793-19 يناير 1795**، حوليات جامعة عين شمس، مج44، القاهرة، مصر، ديسمبر 2016.

55. عامر محمود، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، جانفي-جوان 2012.

56. عبيدي بالحاج بية، **حول أصول التعمير بهنشير الشويقي خلال بدايات الفترة الاستعمارية: إحداث القرية الاستيطانية وتغير مكونات المشهد العمراني**، مجلة السبيل للتاريخ والآثار والعمارة المغاربية، العدد3، جامعة منوبة، تونس، 2017.

57. عبيدي بالحاج بية، **عمارة الأبراج بضواحي مدينة تونس خلال القرن التاسع عشر**، مجلة منبر التراث الأثري، العدد 13، جامعة قفصة، تونس، ديسمبر 2014.

58. العرقوبي فتحي، **مسار الحملة العسكرية العثمانية عل تونس وأطوارها (12ماي- 13 سبتمبر1574)**، مجلة الدفاع، العدد61، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أوت 2013.

59. عزيزي محمد الحبيب، **مؤسسة دار الجلد في العهد الحسيني في الأيالة التونسية**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، العدد1، جامعة الجزائر2، الجزائر، ديسمبر2005.

60. عقيب محمد السعيد، **دور خير الدين باربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر**، مجلة البحوث والدراسات، العدد 13، السنة 9، جامعة الوادي، الجزائر، شتاء 2012.

61. علاء الدين إبراهيم، **أوضاع ليبيا مابين الاحتلال الأسباني والنجدة العثمانية 1510 -1551م**، مجلة دراسات تاريخية، العددان 127 -128، جامعة تشرين، بغداد، العراق، جويلية- ديسمبر 2014.

62. عيسى لطفي، **الزاوية والمخزن في بلاد الجريد مقاربة لعلاقة الدولة بالأنساق الموازية لها**، مجلة إبلا، مج 59، العدد 178، تونس، 1996.

63. الفخفاخ المنصف، **المصادر الوثائقية لتاريخ الجيش التونسي في الهد الحسيني بالأرشيف التونسي**، أعمال ندوة : تاريخ الجيش التونسي « من العهود القديمة إلى عهد التحول» ، وزارة الدفاع الوطني، تونس،30و31 اكتوبر1997.

64. الفرحاني مختار، **الصناعات الحربية والعسكرية بالإيالة التونسية خلال الفترة الحسينية**، مجلة الدفاع، العدد 60، وزارة الدفاع الوطني، تونس، فيفري 2013.

65. الفرحاني مختار، **الفرق العسكرية في الجيش التونسي خلال العهد الحسيني**، مجلة الدفاع، العدد57، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أكتوبر 2011.

66. الفرحاني مختار، **ثكنات مدينة تونس خلال العهد العثماني**، مجلة الدفاع، العدد66، تونس، جوان 2018.

67. قاضي محمد، **قلعة المشور بمدينة تلمسان - دراسة تاريخية-**، مجلة منبر التراث الأثري، مج 4، العدد 7، الجزائر، 2019.

68. قرفال نجاة الطاهر، **الصلة بين علماء تونس وباياتها كما تمثّلها المستعرب جان قانياج**، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، مج 7، العدد2، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، جويلية 2020.

69. كريّم المختار، **رأي في محمد سلامة التونسي والعقد المنضد أو (حلقة التاريخ الثقافي التونسي المفقودة)**، حوليات الجامعة التونسية، العدد29، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 1988.

70. كمون منى، **الأتراك بمدينة القيروان محمد الشاوش التركي وداره من خلال الوثائق**، مجلة السبيل، العدد7، تونس، 2019.

71. لزغم فوزية، **بايات الأسرة الحسينية بتونس، تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية (1117-1229هـ/1705-1814م)**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3، العدد2، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، سبتمبر 2020.

72. مايدي كمال، **الأوقاف والملكية العقارية بالبلاد التونسية خلال القرن الثامن عشر الميلادي**، مجلة المفكر، مج 5، العدد1، المركز الجامعي أفلو، الجزائر، جوان 2021.

73. مجهول، **أبواب مدينة تونس العتيقة**، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد 14، أكتوبر 2014.

74. مجول غسان عبد الله، **النظام الداخلي للجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية**، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 17، جامعة تكريت، العراق، ديسمبر 2013.

75. محفوظ فوزي، **أسواق مدينة صفاقس من خلال وثيقة مؤرخة من سنة 1652م**، مجلة السبيل، العدد1، تونس، 2016.

76. محفوظ محمد، **الرتب العسكرية بتونس وعلاقتها باللغة التركية**، مجلة الفكر، العدد6، مارس 1963، تونس.

77. محمد الجبوري رابحة، **القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م**، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، مج 18، العدد1، جانفي 2011.

78. محمد السيد السيد مي، **أسواق مدينة تونس في كتابات الرحالة الأوروبيين في العصر العثماني**، مجلة المؤرخ العربي، مج2، القاهرة، مصر، 2020.

79. محمد خضير رابحة وعبد العزيز مصطفى لمى، **التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1859-1881 (دراسة في طبيعتها و أبعادها)**، مجلة Route، العدد6، اسطنبول، تركيا، جانفي 2019.

80. محمد شطب جاسم، **الإستراتيجية العثمانية في شمال إفريقيا في القرن السادس عشر**، كلية التربية مجلة آداب الكوفة، مج 1، العدد 21، جامعة كربلاء، العراق، 2015.

81. محمد وليد سا لم، **النظام الفردي(الأوتوقراطي) دراسة نظرية للسلطة المطلقة**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج11، العدد2، جامعة الموصل، العراق، أكتوبر 2011.

82. مداح محمد وبليل محمد، **رأس المال الفرنسي وامتيازاته في تونس قبل 1881م**، مجلة عصور الجديدة، مج 10، العدد 4، جامعة وهران1، ديسمبر 2020.

83. المرابط رياض، **دور المساجد في تشكل النظام الدفاعي المحلي بجزيرة جربة إلى نهاية العصر الوسيط**، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد3، وزارة الدفاع الوطني، تونس، أكتوبر 2011.

84. المريمي محمد، **المعرفة التاريخية والدولة لدى مؤرخي الأطراف في البلاد التونسية خلال العصر الحديث**، مجلة أسطور، العدد7، تونس، جانفي 2018.

85. المستغانمي محمد فوزي، **الصغير بن يوسف العسكري المؤرخ**، مجلة الدفاع، العدد 62، وزارة الدفاع الوطني، تونس، سبتمبر 2014.

86. المستغانمي محمد فوزي، **عثمان داي(1598-1610) رمز الدولة**، مجلة الدفاع، العدد63، وزارة الدفاع الوطنية، تونس، أكتوبر 2015.

87. معيفي فتحي، **النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 10، العدد2، جامعة تبسة، الجزائر، ديسمبر 2019.

88. مقصودة محمد، **الأوضاع الاقتصادية لكراغلة إيالات المغارب العثمانية خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة مقارنة**، مجلة البشائر الاقتصادية، مج5، العدد2، جامعة احمد بن بلة، وهران، الجزائر، أوت 2019.

89. مقنع محمد، **زواوة قرون من العمالة والارتزاق**، مجلة الحوار المتمدن، العدد6287 ، 11جويلية 2019.

90. المناري مؤيد، **الداي أحمد خوجة: جوانب من حياته السياسيّة، مآثره وعلاقته ببلده الأم تركيا**، السبيل: مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، العدد9، تونس، 2019.

91. ناصر هاشم الساعدي بشرى ولؤي عبد الله ميساء، **حمودة باشا ودوره الإصلاحي في تونس" 1782- 1814 "** مجلة الآداب، ملحق 2، العدد 127، جامعة بغداد، العراق، ديسمبر 2018.

92. نشوي المصطفى، **جيوبولتيك التراب المغربي**، ج2، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، العدد 16، الدار البيضاء، المغرب، 2017.

93. الهرقام عبد الحفيظ، **عـزيزة عثمانـة (1606–1669) المحسـنة والمثقفـة**، مجلة ليدرز، العدد 13، تونس، جانفي 2017.

94. هلايلي حنيفي، **الحياة الاجتماعية للجيش الانكشاري في الجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة الحوار الفكري، السنة الرابعة، العدد 6، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، شعبان 1425هـ/سبتمبر 2004.

95. هلايلي حنيفي، **محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي بين الطموحات الإستراتيجية والإخفاق السياسي**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5، جامعة سيدي بلعباس، 2020، الجزائر.

96. هنية عبد الحميد، **بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها خلال الفترة الحديثة (مابين القرنين 17و19) دراسة مقارنة**، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد4، الدوحة، قطر، ربيع 2013.

97. هنية عبد الحميد، **تجربة بحث في الأرشيفات العثمانية في تونس خلال العهد الحديث**، مجلة أسطور، العدد10، تونس، جويلية 2019.

98. الهويملي منال، **الفاعلون الاقتصاديون بمدينة صفاقس ودورهم في الازدهار الاقتصادي في الأيالة التونسية خلال الفترة الحديثة: عائلة الجلولي وعلاقتها مع يوسف صاحب الطابع**، مجلة مدارات تاريخية، العدد3، مركز المدار المعرفي للبحوث والدراسات، الجزائر، سبتمبر 2019.

99. ياسين حكمت، **الغزو الاسباني للجزائر في القرن السادس عشر**، مجلة الأصالة، العدد 14-15، الجزائر، 1973.

100. يعقوب خديجة، **حامد بن شريفة شيخ أولاد مساهل وثورته على السلطة بتونس**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد50، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، 2018.

101. يوسف الهام وصقر ولاء علي، **الصراع الإسباني العثماني على تونس (941–982هـ/1534–1574م)**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج 40، العدد5، دمشق، سوريا، 2018.

5–المجلات والدوريات باللغات الأجنبية:

1. Abun-Nasr Jamil Miri, **The Tunisian state in the eighteenth century**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°33, Aix-en-Provence, France, 1982.

2. Anonyme, **Notes sur les tribus de la Régence**, R T, N°33, Imprimerie rapide, Tunis, 1902.

3. Arnoulet François, **Les rapports tuniso-ottomans de 1848 à 1881 d'après les documents diplomatiques**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°47, Aix-en-Provence, France, 1988.

4. Baïr Houda, **Les voyageurs-cartographes en Tunisie au XVIIIe et XIXe siècle**, revue Dynamiques environnementales, N° 39-40, Presses universitaires de Bordeaux, France, 2017.

5. Bargaoui Sami, **Des turcs aux hanafiyya La construction d'une catégorie « métisse » à Tunis aux XVIIe et XVIIIe siècles**, Annales Histoire, Sciences Sociales, 160éme année, vol 60, N°1, Cambridge University press, London, UK, 2005.

6. Ben Achour Mohamed El Aziz, **révoltes et protestations à Tunis au XIXe siècle**, leaders magazine, N° 72, Tunis, Mai 2017.

7. Ben Achour Mohamed-El Aziz, **Hammouda Pacha Bey ou l’apogée de la dynastie husseïnite**, revue leaders, N° 70, Tunis, Tunisie, Mars 2017.

8. Ben Youssef Mohammed Seghir, **soixante ans d'histoire de la Tunisie (1705-1765) « Renseignements biographiques sur les principaux personnages qui étaient admis dans l'intimité du bey Hassine** », R.T, 3éme année, N°10, Tunis, Tunisie, avril 1896.

9. Ben Youssef Mohanmied Seghir, **Soixante Ans d'histoire De La Tunisie 1705-1765) Documents pour servir à l'histoire des quatre premiers Beys de la famille d'Ali Turki**, R T, 3éme année, N°9, imprimerie rapide, Tunis, janvier 1896.

10. Berbrugger Adrian, **Jean-Léon L’africain**, R.A, 2éme année, N° 11, **A. J**ourdan**,** Libraire-éditeur**,** Alger, juin 1858.

11. Bonet-Maury Gaston, **Les Précurseurs français du cardinal Lavigerie dans l’Afrique musulmane**, Revue des Deux Mondes, 4éme période, T 136, Paris, France, 1896.

12. Boubaker Sadok, **Négoce et enrichissement individuel à tunis du xviie siècle au début du XIXe siècle**, Revue d’histoire moderne & contemporaine, N°50, Editions Belin, Paris, France, 2003.

13. Charles Féraud, **les harar seigneurs des Hanencha**, R.A, vol 18, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1874.

14. Chater khalifa, **Introduction à l'étude de l'establishment tunisien l'Etat Makhzen Husseinite et ses mutations**, Cahiers de la Méditerranée, N°49, 1, Nice, France, 1994.

15. Chérif Mohamed Hédi, **La déturquisation du pouvoir en Tunis du pouvoir en Tunisie: classes dirigeantes et société tunisienne de la fin du XVIe siècle à 1881**, cahiers de Tunisie, N°117-118, Tunis, 1981.

16. Chérif Mohammed Hadi, **L'Etat tunisien et les campagnes au XVIIIe siècle**, Cahiers de la Méditerranée: série spéciale, N°1, Nice, France, 1973.

17. Chérif Mohamed Hédi, **Expansion européenne et difficultés tunisiennes de 1815 à 1830**, Annales Economies sociétés civilisations, 25éme année, N° 3, Paris, France, 1970.

18. Chérif Mohammed el Hadi, **Les mouvements paysans dans la Tunisie du XIXe siècle**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°30, Aix-en-Provence, France, 1980.

19. Chérif Mohammed Hédi, **Document relatif à des tribus tunisiennes des débuts du XVIIIe siècle**, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N°33, Aix-en-Provence, France, 1982.

20. Compagnie Line Ariel, **Chronique de la Mode Les Boléros**, journal La mode du Jour, N° 211, Paris, France, Mai 1925.

21. Couland Jacques, **Lucette Valensi, Fellahs tunisiens L'économie rurale et la vie des campagnes aux XVIIIe et XIXe siècles**, Revue d'histoire moderne et contemporaine, T 28, N°2, éditions Belin, France, Avril - Juin 1981.

22. De EPALZA Miguel, **Recherches récentes sur les immigrations des Moriscos en Tunisie**, Les Cahiers de Tunisie, 60/70, Tunis, 1970.

23. De Grammont Henri Delmas, **Quel est le lieu de la mort d'aroudj barbarousse**, R.A, vol 22, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1878.

24. De la Primaudaie Elie, **Documents inédits …Lettre de l'ingénieur Librano à sa Majesté**, **Bougie, 19 janvier 1543**, R.A, T21, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1877.

25. De la Primaudaie Elie, **documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1594)**, Adolphe Jourdan libraire –Éditeur, Alger, 1875.

26. De Reynaud Edmond Pélissier, **la régence de Tunis: le gouvernement des beys et la société tunisienne**, Revue des Deux Mondes, seconde période, Vol 3, N° 1, Paris, France, 1er Mai 1856.

27. Devoulx Albert , **Recherches sur la de la Régence d'Alger A la guerre de l'indépendance Grecque**, R.A, vol 1, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1856.

28. Devoulx Albert, **Ahd Aman ou règlement politique et militaire**, R.A, vol 4, A. Jourdan Libraire -Éditeur, Alger, 1859-1860.

29. Federmann Henri et Aucapitaine Baron, **Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri,** R.A, 9éme année, N° 9**,** A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1865.

30. Filali Kamel, **Charles Quint et sa politique nord africaine dans les «écrits» algériens**, Carlos V. Los Moriscos y el Islam**,** Congreso International, Alicante 20-25 de noviembre de 2000.

31. Filippi Le Comte, **fragments historiques et statistiques sur la régence de tunis suivis d'un itinéraire dans quelques régions du sahra**, revue de l'histoire de colonies françaises, douzième année,1er trimestre, Société des l'histoire des colonies françaises, Paris, France, 1924.

32. Fiume Giovanna, **Lettres de Barbarie: esclavage et rachat de captives siciliens (XVI-XVIII siècle)**, Cahiers de la Méditerranée, N° 87, Nice, France, Décembre 2013.

33. Gandolphe Marcel, **avant l'occupation de la Tunisie l'armée beylicale – les instructeurs français**, journal l'africain- hebdomadaire, 11éme année, N° 41, Paris, France, 19/12/1930.

34. Ghazali Maria, **Le cosmopolitisme dans la régence de Tunis à la fin du XVIIIe siècle à travers le témoignage des espagnols**, Cahiers de la Méditerranée, N° 67, Nice, France, 2003.

35. Granchamp Pierre, **Une mission délicate en Barbarie au XVIIe siècle: Salvago, Jean Paul, Vénitien, Drogman, à Alger et à Tunis (1625)**, R T, N° 31- 32, Imprimerie j.Aloccio, Tunis, 1937.

36. Guler Ibrahim, **la question du recrutement des troupes d'Anatolie pour le service de la Tunisie a l'époque ottomane (XVIIe-XVIIIe siècle)**, Revue Anatolia moderna - Yeni anadolu, T X, Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris, France, 2004.

37. Henia Abdelhamid, **L'exercice du pouvoir dans et sur les communautés locales en Tunisie aux XVIIIe et XIXe siècles**, Mélanges de l'École française de Rome. Moyen-âge, T 115, N°1, Rome, Italie, 2003.

38. Hugon Henri, **La mission du commandant Guy a Tunis 1831**, R.T, N° 31-32, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1937.

39. Mantran Robert, **La description des côtes de la Tunisie dans le Kitâb-i Bahriye de Piri Reis**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°24, Aix-en-Provence, France, 1977.

40. Marty Pierre, **historique de la mission militaire francaise en tunisie (1827-1882)**, R.T, N°22, imprimerie j.Aloccio, Tunis, 1935.

41. moalla Asma, **Sipahis ottomans et avatars du timar dans la province tunisienne de la première moitié du dix-septième siècle,** Les cahiers de Tunisie, T LXIII, N° 209, Université de Tunis. Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, Tunisie, 2009.

42. Mokni Abdelwahed," **Allogènes de jadis, autochtones de naguère: La communauté de Zwawa à partir du milieu du 19 e siècle**", L'Anthropologie Historique, CERES, Tunis, 2010.

43. Monchicourt Charles, **les frontières algéro- tunisienne dans le tell et dans la steppe**, R.A, vol 82, A. Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1938.

44. Nyssen Arnold Henry, **Questions sur Tunis 1788**, Revue de l'Histoire des Colonies françaises, T XVI, 2[e] sem, Paris, France, 1923.

45. Oualdi M'hamed, **Le retrait après la disgrâce: Les Khaznadar à Tunis dans la seconde moitié du XIXe siècle**, Cahiers de la Méditerranée, T82, Nice, France, 2011.

46. Palotas Zsolt, **Diplomatic and military relations between England and the regency of Tunis in early modern age (1662-1751)**, Revue archives-histoire, N°1, Publication annuelle des Archives nationales de Tunisie, Tunis, Mai 2014.

47. Pignon-Reix Jean, **Un document inédit sur les relations franco-tunisiennes au début du XVIIe siècle**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°20, Aix-en-Provence, France, 1975.

48. Rousseau Alphonse, **Bibliothèque publique de Tunis**, R.A, vol 6, N° 31, A. Jourdan Libraire -Éditeur, Alger, janvier 1862.

49. Roux Jean-Paul, **L'Afrique du Nord ottomane**, revue Clio voyages cultureles, Paris, France, Novembre 2002.

50. Saadaoui Ahmed, **Palais et résidences des Mouradites: apport des documents des archives locales (la Tunisie au XVIIe s.)**, revue Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Année, 150 [éme] année, N° 1, Imprimerie de Boccard, Paris, France, 2006.

51. Sacerdoti Albert, **Venise et les Régences d'Alger Tunis et Tripoli (1699-1764)**, Tra : M Despois, R.A, N° 101, **A. J**ourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1957.

52. Saidi Hedi, **Le protectorat et le droit La Régence de Tunis entre la Charte de 1861 et le système colonial français,** Revue Insaniyat N° 65-66, Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle, Algérie, juillet- décembre 2014.

53. Sebag Paul, **Grands travaux à Tunis à la fin du XVIIIe siècle**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°15-16, Aix-en-Provence, France, 1973.

54. Sebag Paul**, Les monnaies tunisiennes au XVIIe siècle**, Revue du monde musulman et de la Méditerranée, N°55-56, l'Université de Provence, Marseille, France, 1990.

55. silvera victor, **Du régime beylical à la République tunisienne**, Revue Politique étrangère, N°5, 22 éme année, Paris, France, 1957.

56. Soen Violet, **Philip II's Quest. The Appointment of Governors-General during the Dutch Revolt (1559-1598)**, revue BMGN - Low Countries Historical Review, vol 126, Issue 1, Amsterdam, Nederland, janvier 2011.

57. Valensi Lucette, **Fellahs tunisiens L'économie rurale et la vie des campagnes aux XVIIIe et XIXe siècles**, Revue d'histoire moderne et contemporaine, T 28, N°2, éditions Belin, Paris, France, Avril-juin 1981.

58. Zsolt Palotás**, Political, militar and cultural impact of the North African muslims on the United States during the first years of the early republic 1783-1807**, Mediterrán Tanulmányok revue, vol 24, University of Szeged, Hungary, 1 Jan 2015.

6- الأطروحات والرسائل الجامعية باللغة العربية:

1. الإمام رشاد، **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814**، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، د.س.

2. بن حيدة يوسف، **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية " الطريقة الشابية أنموذجا "**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017.

3. بيشي رحيمة، **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية 982-(898هـ/1494– 1574م)**، مذكرة شهادة الماجستير في تخّصص التاريخ الحديث، جامعة غرداية، الجزائر، 2012/2011.

4. جميل عائشة، **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830 م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2018/2017.

5. حساني مختار، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية 633-962 هـ/1554م**، رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1986.

6. حصام صورية، **العلاقات بين أيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2012.

7. سي يوسف محمد، **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1988.

8. صحراوي نور الدين، **النفوذ الأوربي(الفرنسي-الانجليزي-الايطالي) في تونس 1857-1881م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر2، الجزائر، 1433-1434هـ/2012-2013م.

9. صنديد ياسين، **الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا 1117-1197هـ/1705-1782م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير:تخصص تاريخ حديث، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2012/2013.

10. العايب كوثر، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، الجزائر، 2013/2012.

11. العزيزي محمد الحبيب، **ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث :المحلة التونسية أنموذجا**، أطروحة دكتوراه لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007.

12. قرود لحسن، **دور الجزائر في تدعيم الحكم العثماني في تونس خلال القرن السادس عشر(م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2، السنة الجامعية 2018/2017.

13. كليل صالح، **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة باتنة، 2007/2006

14. لعباسي محمد، **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ/1512 م إلى سنة 953 هـ /1546 م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006.

15. مقصودة محمد، **أوضاع الكراغلة في الجزائر وتونس وليبيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة سوسيوتاريخية مقارنة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1، الجزائر، 1439-1440هـ/ 2018-2019.

7– الأطروحات والرسائل الجامعية باللغة الأجنبية:

1. Al Haddad Mohammad, **Histoire de la peste en Tunisie (de l'Antiquité jusqu'à nos jours)**, Thèse pour le doctorat en médecine, libraire L.Rodstein, Paris, France, 1935.

2. Grangaud Isabelle, **La ville imprenable Histoire sociale de Constantine au XVIIIème siècle**, thése de doctorat en l’histoire, Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales (EHESS), paris, France, 1998.

3. Hhana Mukaram, **Commandeering Empires Egypt, Tripoli**, **1774-1835**, PhD Graduate of Philosophy, University of Pennsylvania, Philadelphia, USA, 2016.

4. Kim Seong Hyun, **A Comparative Study of Anti-Slavery in 19th Century Middle East and North Africa: The Cases of the Egyptian Khedivate and the Husaynid Beylik of Tunis,** A Thesis Submitted to The Department of Arab and Islamic Civilizations, Brandeis University, Massachusetts, USA, May 2020.

5. Weissmann Nahoum, **les janissaires étude de l'organisation militaire des ottomans,** Thèse pour le doctorat d'université, Faculté des lettres de Paris, France, 1938.

8- المواقع الالكترونية باللغة العربية:

1. موقع بلدية قلعة سنان الالكتروني، على الرابط التالي: http://www.commune-kalaatsenan.gov.tn/

2. علي الشابي، **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الحركة الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني،** محاضرة، جمعية الشابية للتنمية الثقافية والاجتماعية، 13 جانفي 2018، على الرابط التالي: https://www.zuiclip.net/.

3. زايد هدية، **"العثمانيون" في المغرب العربي ذاكرة من دماء،** موقع جريدة الأندبندنت عربي، 17 أفريل 2020، على الرابط التالي: https://www.independentarabia.com/..

4. زهير بن يوسف، **إلغاء الرق والعبودية بتونس بسجل اليونيسكو لذاكرة العالم،** موقع جسور ميديا على الانترنت، تونس، 24 جانفي 2021، عل الرابط التالي: https://joussour-media.tn/2021/01/24/ .

5. وزارة الدفاع التونسية، **الجيش التونسي في العصر الحديث،** مقال إلكتروني، تاريخ النشر 5 /9/ 2013، على الرابط التالي: http://www.hmp.defense.tn/

6. منير البويطي، **ماهي شبه جزيرة القرم وماأهميتها؟،** موقع شبكة رويترز، على الرابط التالي: https://www.reuters.com/article/

7. العرقوبي أنيس، **تونس في العهد العثماني.. نظام الحكم والإصلاحات،** مجلة نون بوست الالكترونية، المغرب، 20 مارس 2020، على الرابط التالي: https://www.noonpost.com/content/36455.

8. العرقوبي أنيس، **لم ينصفهم التاريخ..."عسكر زواوة" مظلمون حتى في الذاكرة،** مقال الكتروني، موقع نون بوست، 17 نوفمبر 2020، على الرابط التالي: **https://www.noonpost.com/content/38919 .**

9. حداد إبراهيم، **تاريخ الخدمة العسكرية بتونس،** مقال الكتروني، موقع نواة، تونس، 30 جانفي 2015، على الرابط التالي: https://nawaat.org/2015/01/30/

10. وزارة الدفاع التونسية، **المتحف العسكري الوطني بقصر الوردة**، مقال الكتروني، 5 أفريل 2019، على الرابط التالي: /http://www.defense.tn.

11. وزارة الدفاع التونسية، **المنشئات العسكرية والنظام الدفاعي في العهد العثماني**، مقال الكتروني، 05-09-2013، على الرابط: .http://www.hmp.defense.tn/

12. وزارة الدفاع الوطني للجمهورية التونسية، **التاريخ العسكري لإفريقيّة في العهدين الموحّدي والحفصي**، على الرابط: /http://www.hmp.defense.tn

13. وزارة النقل واللوجيستيك التونسية، **ديوان البحرية التجارية والموانئ**، تونس، 2016، على الرابط التالي: /http://www.ommp.nat.tn.

14. محمد عطا جمعة، **تعريف بعض المقاييس والأوزان والمصطلحات**، مقال الكتروني، أُطلع عليه بتاريخ: 27 جويلية 2021، على الرابط التالي: https://f.zira3a.net/showthread.php?t=33057.

15. الزعبي رانيا، **التحريف وسوء التأريخ وراء الجفاء بين العرب والأتراك**، موقع الجزيرة الالكتروني، على الرابط التالي: /https://www.aljazeera.net/news.

16. عبد الرحمن الهذلي، **هكذا أسس العثمانيون للدولة القطرية التونسية**، مركز الدراسات الإستراتيجية والديبلوماسية، تونس، 15 ماي 2020، مقال الكتروني، اطلعت عليه بتاريخ: 8 أوت 2020، على الرابط التالي:

17. عبد السلام الهرشي، **صفحة من تاريخ فساد تحالف السلطة والثروة في تونس**، مقال الكتروني، نشر في 29 أكتوبر 2018، على الرابط التالي: /https://ultratunisia.ultrasawt.com.

18. عبد القادر سوداني، **الإغارة في تونس و طرابلس الغرب خلال القرنين 18 و19: ذهنية السكان وشروط المخزن**، موقع المغاربي للدراسات والتحاليل، بتاريخ 10 جويلية 2018، على الرابط التالي:

https://almagharebi.net/2018/07/10/

19. عبد اللطيف بلمعطي، **التجربة الإصلاحية المغاربية زمن القرن التاسع عشر: الإصلاحات السلطوية- تونس والمغرب–نموذجا**، موقع أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان، المغرب، مقال الكتروني، 6 أفريل 2018، على الرابط التالي: **https://www.anfasse.org/.**

20. عبدالرزاق خلف محمدالطائي، **خير الدين التونسي ومشروعه النهضوي**، مجلة دنيا الوطن الالكترونية، فلسطين، 21-05-2010، على الرابط: https://pulpit.alwatanvoice.com/.

21. فهمي رمضاني، **أبواب مدينة تونس العتيقة تروي كل منها حكاية جزء من تاريخ العاصمة**، مجلة القدس العربي، مقال الكتروني، بتاريخ: 6 جويلية 2008، على الرابط: https://www.alquds.co.uk/.

22. محمد العفيف الجعيدي، **هنشير النفيضة: لأجله كان قانون التسجيل العقاري في تونس وفيه ظهر وهنه**، مقال الكتروني في موقع المفكرة القانونية، على الرابط التالي: https://legal-agenda.com/.

23. الموسوعة العربية الالكتروني، **مادة الأسرة الحسينية**، على الرابط التالي: http://arab-ency.com.sy/detail/3186.

24. موقع التلفزيون العربي، **مساجد جزيرة جربة: جزء من تاريخ تونس العسكري**، بتاريخ 4 جانفي 2021، على الرابط التالي: https://www.alaraby.com/news/ .

25. الموقع الرسمي لبلدية طبربة، على الرابط التالي: http://www.commune-tebourba.gov.tn/.

26. موقع الشركة الوطنية للسكك الحديدية التونسية، **تاريخ السكك الحديدية بتونس**، اطلعنا عليه بتاريخ: 21/05/2020م على الرابط التالي: http://www.sncft.com.tn/Ar/.

27. موقع المعهد الوطني للتراث، **متحف الفنون والتقاليد الشعبية دار بن عبد الله**، على الرابط التالي:

28. موقع قناة الجزيرة الوثائقية، **على ضفة النهر- وادي مجردة**، شريط وثائقي، على الرابط التالي: https://doc.aljazeera.net/video/

29. محمد حمدان، **مخطوط مختصر الحركات الرياضة للجيش"(1866م)**، موقع ثقافة وتراث تونس في صور، بتاريخ 2 جانفي 2021، على الرابط التالي: . https://cultpatr.blogspot.com/

30. موقع نماذج السفن الأميرالية على الرابط التالي: https://www.admiraltyshipmodels.co.uk/

31. محمد تومي، **تاريخ النهب المنظم للخزانة التونسية ودورها في التعجيل بالاحتلال الفرنسي**، جريدة الرأي العام، العدد 1445، بتاريخ 23 جويلية 2020، عل الرابط التالي: https://array-alam.com/

9- المواقع الالكترونية باللغات الأجنبية:

1. Houssam Eddine Chachia, **Una nota sobre los cautivos ibéricos en tunez (1724-1725) a través de el diario del fray Francisco ximénez**, revue d'histoire maghrébine, 41[éme] année, N° 154-155, Tunis, février 2014.

المقال الكتروني على الرابط التالي:.https://books.openedition.org/psorbonne/

2. https://history.state.gov/ .
3. Moncef Charfeddine, **Ahmed Zarrouk -I- La terreur du Sahel,** Site Web Tunis-Hebdo électroniques, Tunis, 06 mai 2019, sur le lien suivant: https://www.webdo.tn/du-sahel/.
4. https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/aviso/.
5. https://www.linternaute.fr/dictionnaire/fr/definition/ .

10- الأفلام الوثائقية:

1- فلم وثائقي بعنوان: **"باي الشعب".. نهاية الأمازيغي الذي ثار على ظلم بايات تونس**، على الرابط التالي:https://www.youtube.com/watch?v=r0yhs3aaeW0

11-المعاجم والقواميس والموسوعات باللغة العربية:

1. اوزتونا يلماز، **موسوعة الإمبراطورية العثمانية**، ط1، ج2، تر: عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010.
2. حلاق حسان والصباغ عباس، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999.
3. الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، د.س.
4. الخطيب مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996.
5. دوزي رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، ج7، تر: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1992.

6. صابان سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000.

7. الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ط1، مج3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1994.

8. قلعه جي محمد رواس، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1988.

9. الكافي بدر الدين بن محرز، **معجم قبائل العرب والأشراف في تونس القديمة والمعاصرة**، مطبعة جمعية الندوة التعليمية، إسلام آباد، باكستان، د.س.

10. نجاة سليم المحاسيس، **معجم المعارك التاريخية**، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.

11. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق العربية، القاهرة، مصر، 2014.

12. موسنيه رولان، **موسوعة تاريخ العالم القرنان السادس عشر والسابع عشر**، ط2، مج4، تر: يوسف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1987.

12– المعاجم والقواميس والموسوعات باللغات الأجنبية:

1. Chsamy beyfrascgery, **Dictionnaire Français-Turc**, Imprimerie Mihran, Constantinpole, Turkey, 1911.

2. Larousse société, **Grand Larousse Encyclopédique**, vol 10, librairie Larousse, Paris, France, 1962.

الـــفهارس

أولا- فهرس الأعلام

ثانيا- فهرس الأماكن

ثالثا- فهرس القبائل

رابعا- فهرس المحتويات

أولا- فهرس الأعلام

ثانيا – فهرس الأماكن:

ملاحظة:تونس والجزائر نظرا لوجودهم بكثرة حتى تكاد تكون في كامل الصفحات

ثالثا– فهرس القبائل:

رابعا- فهرس المحتويات

ملخص البحث

ملخّص البحث

شكل الجيش في بمثابة العمود الفقري للأيالة التونسية، وارتبطت فترات قوة الأيالة وضعفها بحالة الجيش وجاهزيته، وكانت بداية تشكل هذا الجيش من حامية صغيرة تطورت بمرور الزمن، حتى أصبحت جيشا مكونا من أقسام عدة كالمشاة والمدفعية والخيالة والهندسة، ثم دخل مرحلة التحديث في عهد المشير احمد باي الذي أراد أن يجعله في مستوى الجيوش الأوربية الحديثة آنذاك، ولقد تمتع أفراد الجيش بامتيازات مختلفة كالراتب وبعض الأشياء العينية، أما كبار الضباط فاستفادوا من امتيازات كبيرة كالعقارات والأراضي الفلاحية واللزم، كما تم تخصيص ثكنات أو ما سمي قشلات لإقامة الجنود لكل قسم قشلاته الخاصة، ساهم الجيش في تزويد خزينة الأيالة بمصدر هام للأموال الناجمة عن القرصنة البحرية خاصة في القرنين 17و18م، كان للجيش في تونس أدوار داخلية كالحفاظ على الحدود والقضاء على الثورات وجباية الضرائب من طرف المحلة وغيرها، وخارجية كدعم الجيش العثماني في حروبه الكثيرة واسترجاع جزيرة جربة وغيرها، أثرت الأزمة الاقتصادية التي شهدتها الأيالة على أوضاع الجيش الذي دب الضعف في مكوناته خاصة في عهد الصادق باي، ولا أدل على حالة الضعف هذه من محدودية مقاومته للجيش الفرنسي الذي فرض الحماية على تونس في ماي 1881م.

الكلمات المفتاحية: تونس، الأيالة، الجيش، المحلة، الامتيازات، التحديث، المجموعات العسكرية، الأزمة، الحماية.

Résumé de la thèse de doctorat

L'armée s'est formée comme l'épine dorsale de l'Ayala tunisien, et les périodes de force et de faiblesse de l'Ayala étaient liées à l'état de l'armée et à son état de préparation, et le début de la formation de cette armée provenait d'une petite garnison qui s'est développée au fil du temps. , jusqu'à ce qu'elle devienne une armée composée de plusieurs sections telles que l'infanterie, l'artillerie, la cavalerie et le génie, puis entre dans la phase de modernisation à l'ère du maréchal Ahmed Bey, qui veut se hisser au niveau des armées européennes modernes au l'époque, et les membres de l'armée bénéficiaient de divers privilèges tels que le salaire et certaines choses en nature.L'armée contribua à doter le trésor de l'Ayala d'une importante source de fonds issue de la piraterie maritime, notamment aux XVIIe et XVIIIe siècles de notre ère. L'armée en Tunisie avait des rôles internes, tels que le maintien des frontières, l'élimination des révolutions et la collecte des impôts de la localité et d'autres, et externes, tels que le soutien de l'armée ottomane dans ses nombreuses guerres et la récupération de l'île de Djerba et d'autres, ce qui a affecté la crise économique. que le cerf témoin a affecté les conditions de l'armée, qui a affaibli ses composantes, en particulier à l'époque d'Al-Sadiq Bey, et cet état de faiblesse n'est pas mis en évidence par la résistance limitée L'armée française, qui a imposé la protection de la Tunisie en mai 1881 après JC.

Mots clés: Tunisie, l'Ayala, l'armée, la localité, les privilèges, la modernisation, les groupes militaires, la crise, la protection.

مـــــلخص البحـث

Abstract of Doctorate Thesis.

The army formed as the backbone of the Tunisian Eyalet, and the periods of the Eyalet's strength and weakness were linked to the state of the army and its readiness, and the beginning of the formation of this army was from a small garrison that developed over time, until it became an army made up of several sections such as infantry, artillery, cavalry and engineering, then entered the modernization stage during the era of Field Marshal Ahmed Bey, who wanted to make it at the level of the modern European armies at the time, and the members of the army enjoyed various privileges such as the salary and some things in kind. The army contributed to providing the Eyalet's treasury with an important source of funds resulting from maritime piracy, especially in the 17th and 18th centuries AD. The army in Tunisia had internal roles, such as maintaining borders, eliminating revolutions and collecting taxes from the locality and others, and externally, such as supporting the Ottoman army in its many wars and recovering the island of Djerba and others, which affected The economic crisis that the deer witnessed affected the conditions of the army, which weakened its components, especially during the era of Al-Sadiq Bey, and this state of weakness is not evidenced by the limited resistance The French army, which imposed protection on Tunisia in May 1881 AD.

Keywords: Tunisia, the Eyalet, the army, the locality, the privileges, modernization, the military groups, the crisis, protection.